

قطر الولى على حديث الولى

للإمام الشوكاني

أو

ولاية الله والطريق إليها

تحقيق وتقديم

الدكتور إبراهيم إبراهيم هلال

كلية البنات - جامعة عين شمس

طالبا من

دار الكتب الإسلامية بمصر لتوثيق ونشر

١٣١٣ هـ - ١٩٩٥ م - ١٩٧٥ م

مکتبہ دارالعلوم دیوبند
(۱۲۵۱ھ مطابق ۱۸۳۵ء - ۱۲۵۲ھ مطابق ۱۸۳۶ء)

الإهداء

إلى من أغرس فأحسن الغراس ، إلى من علمنى كيف أقرأ
وكيف أكتب . إلى روح أستاذي العالم الإنسان ، والإنسان العالم
الأستاذ الدكتور محمود قاسم .

أهدى هذا الكتاب كشيرة طيبة من ثمار غرسه الكريم ،
وزهرة باسمه قد سقيت من فيضه المذب ؛ ومن جوده الواسع
العميم .

تلميذكم الوفى لكم
ابراهيم ابراهيم هلال

حديث الولي

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى :

« من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدي بشيء
أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقربُ إلى بالنوافل حتى
أحبه ، فإذا أحببته : كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به
ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، وإن
استعاذني لأعيذنه . وما ترددت عن شيء أنا فاعله تردّدني عن نفس
عبي المؤمن : يكره الموت ، وأكره إساعته » .

(صحيح البخاري)

بسم الرحمن الرحيم

تشتمل هذه الدراسة على ثلاث فقرات : الاولى تعريف بالإمام الشوكاني صاحب (تمار الأول) . والثانية : الدراسة على هذا الكتاب وهي دراسة مقارنة في الولاية والطريق إليها . تهدف إلى مناقشة الإمام الشوكاني في ذلك الكتاب وبيان مدى موافقة ما جاء فيه للقرآن الكريم والسنة الصحيحة :

كما تهدف إلى مناقشة الصوفية ، في آرائهم للمناظرة ، وللوازنة بينها وبين آراء الإمام الشوكاني في هذا الكتاب ، ثم بيان الاصول التي تقوم عليها ، والروايد التي أمدتها ، سواء أكانت إسلامية أم غير إسلامية .

والثالثة : تحقيق الكتاب : (قطر الولي ، على حديث الله) .

وهذا الكتاب في عمومته يعتبر ردّاً على آراء الباطنية ، من الرافضة والوفية في الولاية والأولياء ، وتبييناً للصورة الحقيقية للولي كما يريد الله سبحانه ، حسبما ورد في القرآن الكريم ، وفي السنة الصحيحة .

كما يعتبر من جهة ثانية دفاعاً عن الإسلام في أخص ناحيته فيه ، وأسسها بوجوده وكيانه ، وهي ناحية تحملها ، ونقله عن الرسول ﷺ إلى الناس الذين لم يروه ولم يأخذوا عنه مباشرة ، تلك المهمة التي قام بها الصحابة رضي الله عنهم وأدبرها على عجلها . ولكنهم اتقوا من الرافضة ، ثم من الباطنية - خلفائهم - ، الكثير من الشك ، والتشكيك فيهم ، والتشكيك لهم ، ما كان كفيلاً بأن يززع الثقة بهم والإيمان عن طريقهم .

فكانت مهمة الإمام الشوكاني ، أن تقدم بهذا الكتاب لبيان فضلهم ومنزلتهم من ولاية الله سبحانه ، وأنهم بالنسبة لجهادهم في تآقي هذه الدعوة ونشرها والمحافظة عليها صاروا رموس الأولياء ، وأصبحوا المرجع الأول لمن يريد أن يتلقى الإسلام بضاً خالصاً من كل شوب .

فإذا عمد أئمة الباطنية والرافضة إلى تنقيصهم ، وعارة التشكيك فيما يؤخذ منهم ، فإما ذلك لسكى يفضوا على الإسلام عن هذا الطريق . فهي دعوة غنوصية في واقعها^(١) ، وجهت توجبها مجوسياً فارسياً^(٢) .

لذلك أعطى المؤلف صحابة رسول الله ﷺ ما يجب لهم من التكريم ومن درجة الولاية لله ولرسوله ، وقنى بالعلماء الماملين الذين ساروا على نهجهم . وبهذا يكون قد شارك في تدهيم بناء الإسلام أمام مهاجميه من الرافضة والباطنة

كما يعتبر من جهة ثالثة ، داعياً إلى طريق الولاية الحقيقية ، ومرشداً إليه ، حين جعل الصحابة والعاملين قدوتنا ، وحين أوضح معالم هذا الطريق ، بديان ما أشار إليه الحديث ، من أن طريق الولاية — بمسد الإيمان بالله هو أداء الفرائض ، والزيادة عليها بالمواقل ، وأن هذه وتلك ، أنواع هديدة ، كما جاءت في القرآن والسنة .

ومنهجه في ذلك هو للمنهج السلفي الذي يرد إلى الكتاب والسنة كل شيء ويجعل هدفه في التقرب إلى الله المحافظة على الشريعة وإحياءها بالعمل بها ، لا تعطيلها . فبدلاً من أن يتقرب الإنسان إلى الله — على طريقة الصوفية —

(١) أنظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج١ ص ١٨٦ ، ١٨٧ . الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٥ ، دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ١٢٦ — ١٤٧ الأنجلو سنة ١٩٦٦
(٢) المصدرين المتقدمين ، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام الطبعة الأولى سنة ١٩٤٥ ص ٤٠ — ٥٢ .

عن طريق الرياضة والمجاهدة التي تفسد على الإنسان صحته وحياته ، وتبعده عن خدمة المجتمع الذي حض الرسول ﷺ على خدمته بقوله « خير الناس أنفعهم للناس » ، فإنه يتقرب إليه عن طريق الإيمان الصحيح ، والعبادة الشرعية السليمة التي قوامها أداء الأمور ، واجتناب المنهيات ، ثم التفضل بما يستطيعه الإنسان من صلاة وزكاة ، وصيام ، وحج ، ور صدقة ، وبأداء هذه العبادات على وجهها ، والآداب التي رسمها الشرع في أدائها ، وبالاختصار على طريقة الفقهاء المجتهدين الذين يملكون الإلمام الكافي ، بالكتاب والسنة ويعملون بما فيهما من تشريعات تنهل بالعبادة ، أو الأخلاق ، أو المعاملات ، لا الصوفية الانعزاليين المجردين .

كما أن رأيه في القضاء والقدر ، وزيادة العمر وتقصانه ، وربطهما بقانون السببية ، ودعم ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة ، يعتبر إبرازاً لجانب حي معقول من جوانب الدين الإسلامي ، طالما خبطت فيه العقول ، واضطربت فيه الآراء والأقلام ، مما ألقى ظلالاً من النوا كل والكسل على العالم الإسلامي . فخدمت هممة المسلمين ، وألقوا كل شيء على القضاء والقدر ، وتركوا الأخذ بالأسباب التي هي في الواقع قانون الحياة الدنيا التي ألقاها الله عليه ، كما أنها قانون الحياة الآخرة في تقرير المصائر ، وتطبيق الثواب والعقاب

وبهذا ، فقد قدم لنا الإمام الشوكاني صورة ناصعة للإسلام في واقعها ، وكما يجب أن نكون عليه ، بصورة لرجاله وأولياء الله سبحانه كما يجب أن يكونوا . وفي الوقت ذاته رد دعاوى الباطنية والمتطرفين من الصوفية ، ومحاولة دعمهم لأرائهم بهذا الحديث (حديث الولي) .

وأخيراً ، فيعتبر الإمام الشوكاني بهذا الكتاب ، قد ملأ فراغاً ظلاً ينتظر من يملؤه من يوم أن فشت الأفكار الغنوصية في البيئة الإسلامية ، واتجهت

إلى أن تجد لها سنداً في هذا الحديث ، تدعم به آراءها في الولاية وفي كرامات الأولياء ، أو ، معجزاتهم كما يصفونها في بعض الأحوال . وفي مذاهبها الفلسفية التصوفية التي هي واقعة نوع من الإلحاد والشرك . فحقق بذلك لهذا الحديث عملاً كان جديراً به ، وكان في حاجة إليه ، كما أشار إلى ذلك في مقدمة هذا الكتاب ، وكما سيتبين لنا من قراءة الدراسة التي قدمتها بين يديه .

والله أسأل أن يجعل على هذا خالصاً له حبه ، وأن ينفع به الأمة الإسلامية في حاضرها وللتوابع ، ومستقبلها الناهض العظيم .

إبراهيم إبراهيم هلال

ذى القعدة سنة ١٣٩٧ هـ

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ

وَالطَّرِيقَ إِلَيْهَا

(الفقرة الأولى)

التعريف بالامام الشوكاني

ميلاده ونشأته — حياته العامة والعلمية — أساتذته

تلاميذه — كتبه — حياته الخاصة

التعريف بالإمام الشوكاني

١ — ميلاده ونشأته :

هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني . والشوكاني : نسبة إلى هذلي شوكان ، أو إلى هجرة شوكان^(١) ، وهما ايمان لقرية واحدة بينهما وبين صنعاء دون مسافة يوم ، وهي نسبة والده . والصنعاني : نسبة إلى صنعاء .

ولد بهجرة شوكان « حسباً وجد بخط ولده » في وسط نهار يوم الإثنين الثامن والعشرين من شهر القعدة سنة ١١٧٣ هـ^(٢) ولا مجال للاختلاف في تاريخ ميلاده بعد هذا النص منه ومن والده^(٣) .

وكان والده قاضي صنعاء ، ومن العلماء البارزين فيها ، فيه طيبة وصالح يُسهل من يعرفه حق المعرفة يتيقن أنه من أولياء الله ، ولعل هذا كان له أثره في حياة ابنه بعد ذلك .

نشأ بصنعاء ، فقرأ القرآن ، وجوده على جماعة من شيوخ القراء بصنعاء وفي أثناء ذلك كان قد حفظ عدة مختصرات : في الفقه والنحو ، والعروض

(١) نلاحظ أنه نسب على غير قياس ، لأن النسب إلى المضاف ، يكون إلى صدره ، وقد قال الإمام الشوكاني : إنها (نسبة غير صحيحة) — ٤٨١ ج ١ من البدر الطالع .

(٢) المصدر المتقدم ص ٢١٥ ج ٢ ويوافق سنة ١٧١٠ م .

(٣) قد ذهب البعض إلى تحديد ميلاده بتاريخ غير هذا التاريخ ، مثل السيد محمد صديق حسن خان ، والدكتور أحمد أمين . أنظر : الأعلام للزركلي ج ٢ ص ١٩ ، ومعجم المؤلفين لسكحالة ج ١٦ ص ٣ ، وزعماء الإصلاح في العصر الحديث ، للدكتور أحمد أمين ص ١٩ طبعة ١٩٤٨ .

وآداب البحث ، وعلوم اللغة ، وطالع عدة كتب من كتب التاريخ والأدب ،
ثم شرع في طلب العلم ، فدرس على والده ، وعلى البارزين من العلماء في عصره
في مختلف العلوم : الدينية ، واللسانية ، والمقلية ، والرياضية ، والفلكية .
وظل كما يقول : يأخذ عن شيوخه حتى استوفى كل ما عندهم من كتب ، بل
زاد في قراءاته الخاصة على ما ليس عندهم وكان طلبه للعالم في صنعاء نفسها ،
لم يرحل عنها هل عادة طلاب العلم اسم إذن أبويه له في الرحلة ، فكان
هذه إذنهما .

وكان في أثناء دراسته ، يلقي ما يأخذه عن مشايخه ، إلى تلاميذه الذين
اجتمعوا عليه ، وهو لا يزال في دور الطلب الأول ، ولذلك كانت دروسه
تبلغ في اليوم والليلة ، ثلاثة عشر درساً ، منها ما يأخذه عن أساتذته ، ومنها
ما يلقاه على تلاميذه

ثم تفرغ لإفادة طلاب العلم ، فكانوا يأخذون منه في كل يوم زيادة على
عشرة دروس كما قال : في فنون متعددة كال تفسير والحديث والأصول
والمعاني ، والبيان ، والمنطق . وتقدم الإفتاء ، وهو في نحو العشرين من عمره ،
وكانت ترد عليه الفتاوى من خارج صنعاء ، وشيوخه إذ ذاك أحياء وكاد
الإفتاء يدور عليه وحده ، وهو في هذه السن

وقد أحاط --- إلى جانب العلوم العربية والدينية --- بالعلوم الرياضية
والطبيعية والإلهية ، وعلم الهيئة ، والمناظرة والوضع ، وحده دون معلم مباشر .
ودرس هذه العلوم أيضاً لتلاميذه .

وفي الجملة ، فقد درس دراسة واسعة ، واطلع اطلاعا ، ينذر أن يحيط به
غيره ، فليس من المستطاع سرد ما درسه من كتب ، أو استجازه من مراجع
ومن يرجع إلى كتابه - مثلاً - (تحاف الأكارب بإسناد الدفاتر) يدرك مدى

ما كان عليه هذا الرجل ، من تنوع في الثقافة ، واتساع فيها . وقد برع في كل ذلك تقريباً ، وصنف ودرس فيه . ولاغرو أن رأينا بعض كتاب التراجم يعرف به فيقول : مفسر ، محدث ، فقيه ، أصولي ، مؤرخ ، أديب ، نحوي ، خطاطي ، متكلم ، حكيم^(١) .

٢ — حياته العلمية والعامة :

وقد أعانته هذه الثقافة الواسعة والعميقة ، وذكرؤه الخارق . إلى جانب إتقانه للحديث الشريف وعلمه ، على الاتجاه وجهة اجتهادية وخلع ربة التقليد ، وهو دون الثلاثين ، وكان قبل ذلك على المذهب الزيدي ، وصار علماً من أعلام الاجتهاد ، وأكبر داعية إلى ترك التقليد ، وأخذ الأحكام اجتهاداً من الكتاب والسنة ، فهو بذلك يعد طليعة المجددين والمجتهدين في العصر الحديث ومن الذين شاركوا في إيقاظ الأمة الإسلامية والعربية في هذا العصر .

وقد أحس بوطأة الجمود ، وجناية التقليد الذي ران على الأمة الإسلامية من بعد القرن الرابع الهجري ، وأثر هذا كله في زلزلة العقيدة الإسلامية ، واعتناق البدع والإعتقاد في الخرافات وشيوعها ، وتحلل الناس من التعاليم الدينية ، وانكبابهم على الموبقات ، والمنكرات . مما جعله يشرع قلبه ولسانه في وجه الجمود والتقليد ، ويقف حياته على محاولة تغيير هذه الأوضاع الفاسدة ، وتطهير تلك العقائد الباطلة ، فكتب للعلماء تارة ، وللعوام أخرى ، وللسلاطين ثلاثة . ومما كتبه في ذلك إلى الحاكم أو إمام المسلمين في اليمن وغيره وهو لا يزال بعيداً عن الحياة السياسية ، رسالة بعنوان « الدواء الماحل في دفع المدو والصائل » ، بين فيها أن الفتنة لا تنزل ببلاد ، ولا يتغلب عدوها عليها ،

(١) معجم المؤلفين لكحالة ج ١١ ص ٥٣ .

إلا بسبب معامليه أهلها من معاص ، وذلك على سبيل العقوبة لهم ، وقد وقع هذا في الإسلام ، فقد سلط الله على أهله « طوائف من هدمهم عقوبة لهم ، حيث لم ينتهوا عن المنكرات ، ولم يحرصوا على العمل بالشرعية المطهرة ، كما وقع من تسليم الخوارج ، ثم تسليم القرامطة والباطنية ، ثم تسليم الترك ، وكما يقع كثيراً من تسليم الفرنج ونحوهم »^(١).

وهو يصنف حال الشعب المحكوم ، إلى ثلاثة أصناف ، « رعايا يأمرون بأمر الدولة ، وينتهون بنهيها ، وأكثر هؤلاء لا يحسنون الصلاة ، فمنهم من تركها كلية ، ومنهم من أداها بطريقة غير مقبولة ، وكذلك الصيام ، فربما لا يكمل شهر رمضان صوماً إلا القليل ، وكثيراً ما يأتي هؤلاء بالفاظ كفرية كالحلف بالطلاق ، والحلف بالخروج من الدين ، والاستغاثة بغير الله تعالى . من نبي أو رجل من الأموات »^(٢).

والقسم الثاني وهم بقية البلاد الإسلامية ، التي ليس للدولة عليها سلطان ، كبلاد القبلة ، والشرق ونحو ذلك « ممن لم يسكنوا المدن ، وهؤلاء الأمر فيهم أشد وأفظع ، فإنهم جميعاً لا يحسنون الصلاة ولا القراءة ، وبالجملة فالغرائض الشرعية بأسرها من غير فرق بين أركان الإسلام الخمسة وغيرها مهجورة عندهم ، بل كلمة الشهادة ، قد ضلعت من ألسنتهم فضلاً عن قلوبهم ، وسط الإشغال بأولياهم ، من أصحاب القبور ومن يدعون الصلاح فيهم »^(٣).

وأما القسم الثالث : وهم الساكنون في المدن ، فهم وإن كانوا أقرب من

(١) رسالة الدواء العاجل في دفع العدو الصائل ص ٦٥ . ضمن مجموعة أخرى . طبع السنة المحمدية .

(٢) المصدر المتقدم ص ٥٦ .

(٣) نفس المصدر ص ٦٣ ، ٦٤ .

هذين إلى الخير ، إلا أن غالبهم عامة جهال ، يهملون كثيراً مما أوجبه الله عليهم من الفرائض ، جهلاً وتساهلاً ، « فهم لا يحسنون أركان الصلاة ، ويتعاملون في بيعهم وشراهم بطرق يخالفون فيها المسلك الشرعي ، وكثيراً ما يقع منهم الربا ، ويتكلمون بالألفاظ الكفرية ، وينهك كثير منهم في معاص صغيرة وكبيرة ، ومع ذلك فهم أقرب الناس إلى الخير ، وأسرعهم قبولاً للتعليم ، إذا وجدوا من يعزم عليهم عزيمة مستمرة دائمة^(١) . ثم يوجه النداء إلى الحاكم وأنه هو المستور المباشر عن هؤلاء جميعاً فيقول :

« والواجب على إمام المسلمين ، وعلى أهوانه افتقاد هؤلاء ، والبحث عن مباشرتهم ، وعن كيفية معاملتهم ممن يتولون عليهم » ويختتم هذه الرسالة بقوله : « والله المستول أن يابهم إمام المسلمين ، أقام الله به أركان الدين ، القيام بما أرشدناه إليه في هذه الرسالة ، وإبلاغ الجهد في أحوال هذه الأحكام التي ذكرناها ، فإنه إذا فعل ذلك صلحت له أحوال الدين والدنيا ، ودفع الله عن رعاياه كل محنة ، ولم يسلط عليهم هدوا قط كائننا من كان »^(٢) .

ولاشك في أن تحول هذه الأمة الإسلامية ، إلى تلك الحالة من الأعمال ، لا يكون إلا عن نبيذها لكتاب الله وسنة رسوله ، وتعضيدهم عنها بمقالات أصحاب المذاهب السابقين ، ومن تبعهم من العلماء الذين جحدوا على آراء هؤلاء السابقين ، واتخذوا التشيع عقيدة ، والتصوف مذهباً^(٣) . ومن هنا وقف على مواطن الداء ، وأخذ يشخص الدواء ، فبين أن الرجوع إلى كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، هو الطريق الوحيد لصلاح الدين والدنيا ، وأن

(١) المصدر المتقدم ص ٧٠

(٢) نفس المصدر ص ٧٢

(٣) الدر التضيدي في إخلاص كلمه التوحيد ص ٣١ ، ٣٢

على علماء الدين أن يزنوا أقوالهم وأفعالهم ، بـمِيزان الكتاب والسنة ، لا بأقوال سلفهم ممن هم مثلهم ، بل ربما أقل من مستواهم في العلم والتفكير ، وفرص الحياة العلمية والكتابية ، وأن هذه هي الروح الاجتهادية التي دعا إليها القرآن الكريم ، وسار عليها الصحابة رضی الله عنهم والسلف الصالح : وعلى الشعب أن يزن أفعاله بمِيزان الكتاب والسنة الذي لا يتعارض مع ميزان العقل الصحيح . وعلى هذا الأساس صدر في دعوته إلى عودة الاتجاه الاجتهادي ، فدارت كل بحوثه ومؤلفاته على هذا الأساس ، ووجدنا فيها العناية كل العناية بالكتاب والسنة ، والمساهمة في إحياء علومها : سواء منها ساهو عقل ، أو لسانى وبيانى ، أو تاريخى ويمكن أن نتبين أبعاد هذه الحياة العلمية العملية ، في ثلاثة خطوط بارزة :

(١) دعوته إلى الاجتهاد ونيل التقليد .

(٢) دعوته إلى العقيدة السلفية في بساطتها أيام الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم .

(٣) دعوته إلى تطهير العقيدة وتنقيتها من مظاهر الشرك الخفى .

(١) دعوته إلى الاجتهاد

انفد ذهب إلى أن ترك الاجتهاد من القادر عليه كفر وشرك ، لأنه تعطيل لكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإحلال لقول صاحب المذهب محلها^(١) .

والأمام الشوكاني في هذا ، يعبر عن الروح الاجتهادية ، لدى الأئمة

(١) القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد ص ٢٧

السابقين ، وإن كان قد تشدد في الحكم على المقلد القادر على الاجتهاد بالشرك .
فمثلاً نرى الإمام الغزالي^(١) يوجب الاجتهاد على القادر عليه دون أن يهينه
بالشرك ، أو بالكفر ، إذا أصر على التقليد ، لأن الذي وصل إلى درجة
الاجتهاد « غير عاجز » ، فلا يكون في معنى العاجز ، فيلزم أن يطلب الحق
بنفسه فإنه يجوز الخطأ على العالم ، بوضع الاجتهاد في غير محله ، كما أنه يجوز
على المجتهد أيضاً ، الذي نقله أن يبادر بالحكم قبل استتمام الاجتهاد ، والغفلة
عن دليل قاطع . والسالم للمقلد قادر على معرفة ما يعرفه إمامه الذي نقله ،
ومن الممكن أن يتوصل بنفسه إلى ما يريد ، إما إلى درجة اليقين ، وإما إلى
الظن ، فكيف يبنى الأمر على عمادة كالعريان ، وهو بصير بنفسه ؟^(٢) .

ويحمل على هؤلاء المقلدين ، الذين يبالغ بهم التعصب لإمامهم ، أن يعتقدوا
فيه العصمة عن الخطأ في الأحكام ، مع أن المجتهدين أنفسهم ، لا يدعون العصمة
« أو يدعون الحق وفقاً عليهم »^(٣) .

وكذلك يرى الإمام الشوكاني أن القدرة على الاجتهاد ، ليست بالأمر
الذي يتطلب تفوقاً في الإحاطة بعلوم الاجتهاد ، وعلم السنة . بل يكفي في ذلك
أن يكون على علم من لغة العرب ، بحيث يستطيع به أن يفهم كتاب الله العزيز ،
بعد أن يقوم لسانه بشيء من علم النحو والصرف ، وبض من مهمات كليات
أصول الفقه ، وإطلاع على كتب السنة المعاصرة التي جمها الأئمة للمعتبرون ،
كالصحيحين وما يلحق بهما مما ألزم فيه مصنفوه الصحة ، أو جمعوا فيه بين

(١) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ

(٢) المستصفى في علم الأصول ص ١٢٢ ، وينظر أيضاً ص ١٠٢ — ١٢٥

(٣) دراسات في الفلسفة الإسلامية ، لأستاذ الدكتور محمود قاسم ص ٧٠

(الغزالي ورأيه في العقل والتقليد)

الصحيح وغيره مع البيان لما هو صحيح ، ولما هو حسن ، ولما هو ضعيف .
ولا يشترط في هذا أن تسكون الأحاديث محفوظة له ، بل يكون ممن يتمكن
من استخراجها من مواضعها عند الحاجة ^(١) وهو لا يرى بعد ذلك ضرورة
الإحاطة بعلوم البلاغة لفهم كتاب الله ، فإنه يغنى عنها ما هلمبه المجتهد من
معرفة بالغة والنحو والصرف والأصول . وأما علوم البلاغة ، فإنها ليست
لازمة لاستخراج الأحكام ، وإنما هي لمعرفة بلاغة القرآن الكريم ، وما هلمبه
من إعجاز .

فالتبحر في هذه العلوم ، ليس مراداً للقدرة على الاجتهاد ، ولا مانع منه
عند الإمكان ، فإن به فقط يظهر التفاوت بين المجتهدين . وإلى مثل هذا
التبسيط ، ذهب الشيخ الطواهرى في دعواته الإصلاحية أخيراً ^(٢) . هذا بالنسبة
للعلماء المختصين . وأما غيرهم فلا يجوز لهم التقليد أيضاً ، ولا أخذ آراء الآخرين
دون دليل ؛ بل لابد أن يسألوا أهل الذكر عن الأحكام ويستروونهم بالنصوص .
في ذلك ، ويطلبون منهم الأدلة على ما يقولون ، وإلا كانوا مقلدين أيضاً . لأن
التقليد ، كما أجمع عليه العلماء ، هو أخذ رأى الغير دون دليله ، رأياً من يطلب
الدليل ، فقد ارتفع على مستوى التقليد وأصبح قريباً من رتبة الاجتهاد ، فهذا
صنف ثالث بين المجتهدين والمقلدين وهو مرتبة وسط بينهما ، فهو عامل بدليل
بواسطة مجتهد . وهذا الصنف كان موجوداً أيام الرسول صلى الله عليه وسلم .
والصحابه رضوا الله عنهم وهو غالب السلف الصالح وهم خير القرون ، ومن أنكر
هذا وقال : إن جميع الصحابة كانوا مجتهدين ، أو مقلدين ، فقد أعظم الغرية ،
وجاء بما لا يقبله عارف .

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ص ٨٥ ، ٨٦ إرشاد الفحول
في علم الأصول ، ص ٢٢١ قارن : العلم والعلماء ص ١٣٨ للشيخ الطواهرى
(٢) انظر العلم والعلماء ص ١٣ ، ١٤

وهو في ذلك أقرب إلى روح الدين ، التي تخاطب في الإنسان عقله وتفكيره ، من الإمام الغزالي ، الذي لا يرى الأمر إلا أحد وجهين : إما اجتهاد للقادر عليه ، وإما تقليد للعالمى أو الذى لم يصل إلى درجة الاجتهاد من المتعلمين ، وعلى هذا فالإمام الغزالي يبيح التقليد بالمغظه ومعناه ، ويجعل له شروطا وأوضاعا ، يلتزمها المقلد في أخذه عن غيره^(١) .

والإمام الشوكانى ، يواجه للمقلدين في العالم الإسلامى الكلام أئمتهم الأوائل الذين اجتهدوا لأرائهم ، بأنهم من الممتنع عليهم ؛ بل من الحرام أن يقلدوه في تلك الآراء ، بل يقارنوا بينها وبين الحديث ؛ وإذا صح الحديث فهو مذهبهم ، هذا هو رأى مالك وأبى حنيفة والشافعى وابن حنبل وغيرهم من علماء الاجتهاد ، سواء كانوا من مذاهبهم ، أو على مذاهب أخرى^(٢) . وهو في هذا قريب من الإمام الغزالي الذى يواجه المقلدين من العلماء ، بأنهم يقلدون من لا يرى لنفسه مزية على غيره ، أو أنه قد أصاب الحق من جميع وجوهه^(٣) وفي القطر اليمنى يواجههم بالإمام الذى قلده وبآرائه . وهو الإمام الهادى يحيى بن الحسين^(٤) ، وأنه « صرح تصريحاً ، لا يبقى عنده شك ولا شبهة بمنع

(١) دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ٨٨ ، ٨٩ فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة للإمام الغزالي ص ١٧٤ ضمن مجموعة القصود العوالي
(٢) القول المفيد ص ٢٣ ، قطر الولى في (وجود الاجتهاد في المذاهب حجة على المقلدين)

(٣) انظر دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ٧٠

(٤) ينتهى نسبه إلى على بن أبى طالب (رض) ولد عام ٢٥٥ هـ بالمدينة المنورة وخرج إلى اليمن سنة ٢٨٠ هـ وملك ما بين صنعاء ، وصعدة ثمانية عشر عاماً ، وجاهد طاغى القرامطة عليها ابن الفضل ، ثم مات سنة ٢٩٨ هـ وقد سمي الذين قلدوه (بالهدوية) نسبة إليه ، كما سمي أتباع الشافعى بالشافعية ، وأبى حنيفة بالحنفية . انظر وفقهم بفقهم الهدوية

التقليد له ، وهذه مقالة مشهورة في الديار اليمنية ، يعلمها مقلدوه فضلاً عن غيرهم ، ولكنهم قلدهه شاء أم أبى . وقالوا : قد قلدهه وإن كان لا يجوز ذلك عملاً بما قاله بعض المتأخرين : أنه يجوز تقليد الإمام الهادي ، وإن منع من التقليد . وهذا من أغرب ما يطرق سمعك ، وبهذا تعرف أن المؤلفات أتباع الإمام الهادي في الأصول والفروع ، وإن صرحوا في بعضها بجواز التقليد ، فهو على غير مذهب إمامهم . وهذا لما وقع لغيرهم من أهل المذاهب « (١) » .

والإمام الشوكاني ؛ يرى أن التقليد بإصرارهم على التقليد ، يخرجون على منطق الحياة ، وسنن السكون ، فإنهم قد ادعوا أن الله قد « رفع ما تفضل به على من قبلهم من الأنبياء من كمال الفهم ، وقوة الإدراك ، والاستعداد للمعارف . وهذه دعوى من أبطال الباطلات ، بل هي جهالة من الجهالات ، فإن نهاية العالم ليست كمدايته « بل هو سائر في طريق التطور والكمال ، والنضج العقلي ، من طريق ازدياد المعارف وتطورها » (٢) . وهو في هذا يتفق مع ديكارت الذي يرى « أن العلم متقدم دائماً نحو مرتبة نسبية من الكمال ، وأن عظماء الرجال هم الذين يأتون دائماً بأراء جديدة » (٣) .

ثم هناك دعوى أخرى ، يدعيها المتلدون ليبروا بها قعودهم عن الاجتهاد ، وهي أن العلم كان مبسراً لمن كان قبلهم ، ولكنه الآن أصبح تحصيله صعباً عليهم ، وعلى أهل عصرهم المتأخرة .

(١) القول المفيد ص ٢٥ ، ٢٦

(٢) إرشاد الفحول لتحقيق الحق من علم الأصول ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ج ٢ ص ٨٤ ، ٨٥ ، القول المفيد في أدلة الاجتهاد ، والتقليد ص ٢٦ ، ٢٧

(٣) المطبق الحديث لأستاذي الدكتور محمود قاسم ص ٢٨ ، وانظر أيضاً ص ٣٢ في نسبة المنطق

ولسكن الإمام الشوكاني ، يرى أن هذه دهورى باطلة أيضا ، « فإنه لا يخفى على من له أدنى فهم ، أن الاجتهاد قد يسره الله للمتأخرين ، تيسيرا لم يسكن للسابقين ، لأن التفاسير لاكتساب العزيز ، قد دونت ، وصارت في الكثرة ، إلى حد لا يمكن حصره . وكذلك السنة المطهرة وتكلم الأئمة في التفسير ، والتجريح والنصحيح والترجيح ، بما هو زيادة على ما يحتاج إليه المجتهد ، وقد كان السلف الصالح ومن قبل هؤلاء المتأخرين يرحل للحدوث الواحد من قطر إلى قطر . » فالاجتهاد على المتأخرين أيسر ، وأسهل من الاجتهاد على المتقدمين ولا يخالف في هذا من له فهم صحيح ، وعقل سوى » (١) .

هذه إشارة إلى رأيه في الاجتهاد والتقليد ، وعنوان لروح مذهبه ، وهو في ذلك عالم أصيل متمسك ، مقتنع بما يقول متحمس له ، « من باب التدين والمحافظة على الكتاب والسنة ، وهو يقول في ذلك : « والذي أدين الله به أنه لا رخصة لمن علم من لغة العرب ، ما يفهم به كتاب الله بعد أن يقيم لسانه بشيء من علم النحو والصرف ، وشطر من مهمات كلمات أصول الفقه ، في ترك العمل بما يفهمه من آيات الكتاب العزيز ، أو السنة المطهرة ، ولا يحل التمسك بما يخالفه من الرأي سواء كان قائله واحدا ، أو جماعة ، أو الجمهور » (٢) .

تجد هذه الروح القوية في جميع كتبه التي وصلتتنا والتي ألقت في علوم الكتاب والسنة جميعها ، مما يجعل منه مجاهدا كبيرا في هذا الميدان ، لا مجرد عالم صاحب دعوة وكفى ، وقد وقف بعض كتبه ، على بيان وجوب الاجتهاد ، وعدم جواز التقليد ، مثل : كتاب (السيل الجرار) ، وكتاب (أدب

(١) إرشاد الفحول ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٢) البدر الطالع ج ٢ ص ٨٤ وما بعدها .

المطلب ، ومنتهى الأرب) ، وكتاب (القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد) بغية المستفيد في الرد على من أنكر الاجتهاد من أهل التقليد) . بل لقد بلغ به دقته للمقلدين وتأكيده لفكرته في تطور العلم دائماً وسيره نحو الكمال ، أن ألف كتاباً للتراجع ، كدليل على وواقعي على أن باب الاجتهاد لم ينسد ، وأنه مفتوح إلى يوم الدين ، ذلك هو كتابه المشهور « البدر الطالع » ، يحسن من بعد القرن السابع « ذكر فيه أصنافاً من المجتهدين ، أو ممن فاقوا رتبة الاجتهاد ، كما يطال لمسكرة انتهاء الاجتهاد بآتياء القرن السادس الهجري وفي ذلك يقول : فإنه لما شاع على ألسن جماعة من (الرعاع) اختصاص سلف هذه الأمة بإحراز فضيلة السبق في العلوم دون خلفها ، حتى اشتهر عن جماعة من أهل هذه المذاهب الأربعة تعذر وجود مجتهد بعد المائة السادسة كما نقل عن البعض ، أو بعد المائة السابعة كما زعمه آخرون حداني ذلك إلى وضع كتاب يشتمل على تراجم أكابر العلماء من أهل القرن الثامن ومن بعدهم مما بلغني خبره إلى عصرنا هذا ، ليعلم صاحب تلك المقالة ، أن الله ، وله المنة ، قد تفضل على الخلف ، كما تفضل على السلف ، بل ربما كان في أهل العصور المتأخرة من العلماء المحيطين بالمعارف العلمية على اختلاف أنواعها من يقل نظيره من أهل العصور المتقدمة ، كما سيقف على ذلك من أمعن النظر في هذا الكتاب » (١) .

وقد وقف جزءاً من هذا الكتاب موضع التحقيق والدراسة وهو (قطر الولي على حديث الولي) على ذلك أيضاً (٢) ، وبين فيه جهاده مع المقلدين ومآرآه منهم وما قاله فيهم ، وأشار إلى أنه رأى منهم الكثير ، وقال فيهم من الشعر ماضور به حاله وحالهم ، وأودع ذلك كله كتابه المتقدم : (أدب الطالب

(١) البدر الطالع ج ١ ص ٢ ، ٣ .

(٢) ينظر : (حماية العلماء العاملين للأمة من التقليد) .

ومنتهى الأرب) ، ومن قوله في ذلك :

يا غارقين بشؤم الجهل في بدع ونافرين عن الهدى القويم ، هدا
ما باجتهاد قى في المسلم منقصة النقص في الجهل لاجيا كم الصمد
لا تنكروا مورداً عندا لشاربه إن كان لابد من إنكاره فردوا

هدا بالنسبة للمقلدين من الزيدية^(١) وغيرهم ، أما بقية علماء الزيدية ، وهم
كثيرة ، فكانوا على الإجتهد ، وعلى تقدير وإجلال للشوكانى ، كما كانوا هم
أيضا موضع إجلاله وثنائه ، وفيهم يقول : « فإن في ديار الزيدية من أئمة
الكتاب والسنة عدداً يجاوز الوصف ، يتقيدون بالعمل بنصوص الأدلة ،
ويعتمدون على ما صح في الأمهات الحديثة ، وما يلحق بها من دواوين الإسلام
المشتملة على سنة سيد الأنام ، ولا يرفعون للتقليد رأسا ، بل هم على خط السلف
الصالح »^(٢) .

وربما كان متأثرا في اجتهد به بعض شخصيات المجتهدين السابقين منهم ،
كالسيد محمد بن إبراهيم بن الوزير^(٣) الذى ترجم له ترجمة حافلة ، وأثنى عليه
ثناء عاترا^(٤) .

كما كان له منهم التلاميذ الكثيرون ، معاصرون ومنأخرون ، وقد وفوا

(١) وعرف هؤلاء بإسم الهدوية ، نسبة إلى الإمام الذى قلده رغباً عنه ،
وهو الامام الهادى يحيى بن الحسين آخر علماء المائة الثالثة بعد الهجرة في اليمن
(القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد) ص ٢٥ ، ٢٦ : وقد تقدمت ترجمة له
فيما سبق .

(٢) البدر الطالع ج ٢ ص ٨٢ ، قارن قطر الولى : (أهل اليمن والاجتهاد)

(٣) (من سنة ٧٧٥ - ٨٤٠ هـ) نفس المصدر ص ٨١

(٤) ينظر نفس المصدر ص ٨١ - ٩٣

له ، ولما دئه^(١) ، ويكنى أن يكون منهم السيد محمد بن محمد زباره ، الذى يرجع إليه الفضل فى نشر كتبه هنا فى مصر ، وتعريف المصريين به كما أن الأئمة الحاكمين كانوا أسرع الناس إلى اقتناء كتبه وروايتها ، والحفاظ عليها^(٢) ، وبلغ بهم أن جعلوا ما كان منها فى مكتبة صنما ، ضمن الكتب التى لا يجوز خروجها من المكتبة ، حرصا عليها وحفاظة^(٣) .

(٣) الدعوة إلى عقيدة السلف فى الأصول

يرى الإمام الشوكانى « أن طرق المتكلمين لا توصل إلى يقين ، ولا يمكن أن تصيب الحق فيما هدفت إليه ، لأن معظمها قام على أصول ظنية ، لا مستند لها إلا مجرد الدهوى على العقل ، والفرية على المطارة ، فكل فريق منهم قد جعل له أصولا تخالف ماعليه الآخر ، وقد أقام هذه الأصول على مارآه عنده هو صحيحا من حكم عقله الخاص المبني على نظره القاصر . فبطل عنده ما صح عند غيره ، وقاسوا بهذه الأصول المتعارضة كلام الله ورسوله فى الإلهيات وما يتصل بها من العقائد ، فأصبح كل منهم يعتقد نقيض ما يعتقد الآخر ،

(١) وهو يقول فى ذلك ، بعد حديثه عن كثرة المجتهدين فى اليمن : (بل غالب الآخذين عنا ، وهم العدد الجم ، هم بهذه الصفة ، وعلى هذه الحصلة المحمودة) قطر الولى فى (أهل اليمن والاجتهاد) .

(٢) كما فى قطر الولى ينظر صفحة الغلاف والعنوان فى المصور ، وينظر ص ٣ من تفسير الشوكانى ج ١ فى بدئه يروى تلميذه محمد زباره هذا التفسير عن سيف الإسلام أحمد بن قاسم بن عبد الله بن حميد الدين عن السيد الحافظ ، عبد الكريم بن عبد الله الحسنى اليمنى المتوفى سنة ١٣٠٩ هـ عن القاضى أحمد ابن محمد بن على الشوكانى ، المتوفى سنة ١٢٨١ هـ عن أبيه .

(٣) ينظر : نهاية فهرس الخزانه المتوكلية لمكتبة الجامع المقدس بصنعاء الموجود بدار الكتب المصرية .

وكل منهم يزعم أن العقل يقتضى ما يعتقده . وحاشا للعقل الصحيح السالم هن تغير ما فطره الله عليه ، أن يتعقل الشيء ونقيضه ، فإن اجتماع النقيضين محال عند جميع العقلاء فكيف تقتضى عقول بعض العقلاء أحد النقيضين ، وعقول البعض الآخر النقيض بعد ذلك الاجتماع ؟ . وما هذا الأمر إلا الغلط البحت الناشئ عن العصبية ^(١) . ثم جعلوا هذه الأصول ، معيارا لصفات الرب تعالى ، فأثبتوا لله تعالى الشيء ونقيضه ، ولم ينظروا إلى ما وصف الله به نفسه ، وما وصف به رسوله . « بل أن وجدوا ذلك موافقا لما تعقلوه ، جعلوه مؤيدا له ومقويا ، وقالوا قد ورد دليل السمع مطايعا لدليل العقل ، وإن وجدوه مخالفا لما تعقلوه ، جعلوه وارداً على خلاف الأصل ومتشابها ، وغير معقول للعنى ، ولا ظاهر الدلالة . ثم قابلهم المخالف لهم بنقيض قولهم ، فافتري على عقله بأنه قد تعقل خلاف ما تعقله خصمه ، وجعل ذلك أصلا يرد إليه أدلة الكتاب والسنة ، وجعل المتشابه عند أولئك محكما عنده ، والمخالف لدليل العقل عندهم ، وافتراه عنده ^(٢) فوقعوا فى التناقض أمام فهم كتاب الله العزيز ، إلى جانب ما ذهبوا إليه من الباطل ومن مظاهر ذلك ما وقع فيه المعتزلة ، من مبدأ نفي الصفات ، بناء على مبدئهم فى التنزيه ، وما غلا فيه الأشعرية من الوقوع فى التجسيم ، بناء على ما ذهبوا إليه من التأويل ، والمبالغة فى الإثبات ^(٣) . ويحيل الإمام الشوكاني إلى جانب ذلك على بعض المسائل التى تجلى فيها هذا الخطأ وذلك التناقض فى قول : « وإن كنت تشك فى هذا ، فراجع كتب الكلام ، وانظر المسائل التى قد صارت عند أهلنا من المراكز ، كمسألة التحسين والتفويض ، وخلق الأفعال ،

(١) كشف الشبهات عن المشتبهات ص ٢٢ ، ٢٣

(٢) التحف فى مذاهب السلف ص ٥٠ ، ٥١

(٣) انظر رسالة الأشعرى فى استحسان الخوض فى علم الكلام ص ١٠ ، ١١

وتكليف ما لا يطاق ، ومسألة خلق القرآن ، فإنك تجد ، بحكيمته لك
بعميقه ^(١) .

ويرى أستاذنا الدكتور محمود قاسم ، أن هذا الاختلاف ، والتناقض بين
هلماء الكلام الطبيعي ، « طالما كانوا ينهجون منهج الجدل ، وطالما ينسوز في كثير
من الأحيان أنه لا يحق للباحث في مسائل الدين ، أن يطبق الاعتبارات الإنسانية
على الأمور الإلهية » . وهذه هي علة التناقض والاختلاف عندهم ^(٢) .

لذلك كان المسلك القويم في الإلهيات والإيمان بما جاء فيها ، هو مسلك
السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، من حمل صفات الباري على ظاهرها ،
وفهم الآيات والأحاديث على ما يوحيه المعنى اللغوي العام ، وعدم الخوض في
تأويلها . والإيمان بها على ذلك دون تكلف ولا تعسف ولا تشبيه ولا تعطيل ،
وإثبات ما أثبتته الله لنفسه من صفاته ، على وجه لا يعلمه إلا هو . فإنه القائل :
(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) فأثبت لنفسه صفة السمع والبصر ، مع
نفي المماثلة للحوادث في الوقت نفسه ^(٣) ، وأن القرآن هربى ، وخاطب قوماً
هرباً على الفطرة ؛ فلا داعي للتطرق إلى ما وراء اللغة من عقليات مخترعة ،
بل الواجب فهمه في ضوء ما جاءت به اللغة ، وما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم
من شرح وإيضاح .

وينتهي الغزالي وابن رشد إلى مثل ما سينتهى إليه الشوكاني من قصور

(١) كشف الشبهات ص ٢٢ ، ٢٣

(٢) مقدمة في نقد مدارس علم الكلام ص ٩ ، ١٠ من مناهج الأدلة في
عقائد الملة .

(٣) التحف في مذهب السلف ص ٥٣ ، فتح القدير في علم التفسير ج ١ ص ٥١٤

علم الكلام عن أن يكسب الناس الإيمان ، عن طريق تلك الأدلة الجدلية ^(١) ،
التي لا تصلح للجمهور ولولا العلماء ، فإنها بعمية عن أن تكون « طرقاً نظرية
يقينية ، ولا طرقاً شرعية يقينية » وهذه الأخيرة هي الطرق التي جاء بها
الكتاب العزيز ليفهم عن طريقها الخاصة والعامة ، « وذلك أن الطرق
الشرعية إذا تؤملت وجدت في الأكثر قد جهت وصفت : أحدهما أن
تكون يقينية ، والثاني أن تكون بسيطة غير مركبة ، أعني قليلة للمقدمات ،
فتكون نتائجها قريبة من المقدمات الأولى » ^(٢) . أما أدلة المتكلمين
في تعقيداتها وتشعيباتها ؛ وهدم قيامها على أسس يقينية فإنها غالباً ما يلزمها
شكوك عويصة ، « لا يتخصص منها العلماء المهرة بعلم الكلام فضلاً عن
العامة » ^(٣) . ولأجل هذا فقد صرح الإمام الغزالي « بأن الخوض في علم
الكلام حرام لكثرة الآفة فيه » ^(٤) ، وأن الواجب الرجوع إلى طريقة
السلف ؛ لأن مذهبهم هو الحق ^(٥) .

ويمكن أن نعتبر هذا رداً لما ذهب إليه (أبو الحسن الأشعري) من
استحسان الخوض في علم الكلام ، وادعى أنه اجتهد وهو جائز ، وأنه أولى
بالجواز من أحكام حوادث الفروع « لأن حكم مسائل الشرع التي طريقها
السمع ، أن تكون مردودة إلى أصول الشرع الذي طريقه السمع ، وحكم

(١) ص ٧١ وما بعدها من دراسات في الفلسفة الإسلامية . ويفصل التفرقة بين
الإسلام والزندقة للغزالي ص ١٧٣ ، ١٧٤ ، ضمن مجموعة القصص العوالي .

(٢) مناهج الأدلة في عقائد الملة ص ١٤٨ — ١٤٣ .

(٣) المصدر المتقدم ص ١٣٧ ، ١٣٣ ، وينظر الفصل الأول بأ كلمة الخاص
بالبرهنة على وجود الله ، ففيه إبطال لأدلة المتكلمين بطريقة عملية .

(٤) مصدره المتقدم ص ١٧٣ .

(٥) إجماع العوام عن علم الكلام ص ١٣ ، ٣٣ .

مسائل العقلية والمحسوسات ، أن يرد كل شيء من ذلك إلى بابه «^(١) ثم يجعل أيضا ، براهين المتكلمين صورة من براهين القرآن^(٢) ، في إثبات وجود الله ، ووحدانيته .

وغنى عن البيان أنه يقلب الحقائق بذلك ، فإن الفروع ليست من السمعيات ، وإنما الأصول هي التي منها ، كما أن موازين علم الكلام ليست من موازين القرآن الكريم في شيء كما هو واضح في القسطاس المستقيم للغزالي وغيره .

والإمام الشوكاني يجعل عمدته في الدهوة إلى مذهب السلف هاتين الآيتين الكريمتين قوله تعالى : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » ، وقوله : « ولا يحيطون به علماً » ففيهما الإثبات والنفي ، إثبات صفات الباري ونفي مماثلة هذه الصفات للحوادث ، ثم تقييد هذا الإثبات بظاهر ما صرحت به الآيات وأجملته ، والزجر عن الخوض في كيفية هذه الصفات ، فإن الله سبحانه قد أخبرنا ، أنهم لا يحيطون به علماً ، فمن زعم أن ذاته كذا أو صفته كذا ، فلا شك أن صحة ذلك متوقعة على الإحاطة ، وقد نفيت عن كل فرد من الأفراد «^(٣) : « ولا يحيطون به علماً » .

نجد هذا المذهب مشبوتاً في تضاعيف كتبه ، وقد أفرد له بعض الرسائل مثل رسالة (التحف في مذهب السلف) ، و (كشف الشبهات عن المشبهات)

(١) رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام ص ١٠

(٢) المصدر المتقدم ص ٣ — ٩

(٣) نفس المصدرين ، والصفحتين المتقدمتين . والآية الأولى رقم (١١) سورة الشورى والثانية رقم (١١٩) سورة طه .

وقد اهتمق هذا المذهب اجتهادا لا تقليدا ، فقد كان في بادىء أمره عليه
ولكنه أراد أن يزداد به بصيرة ، فتحول بعض الوقت إلى علم الكلام
وأكب على مؤلفات طوائفه المختلفة ، وشغل بها زمنا ، فلم يظفر بشيء ولم
يستفد غير الخيبة والحيرة ، وهو يقول في ذلك : «ولتعلم أنني لم أقل هذا تقليدا
لبعض من أرشدني إلى ترك الاشتغال بهذا الفن كما وقع لجماعة من محقق العلماء ،
بل قلت هذا بعد تضييع برهة من العمر في الاشتغال به ، وإحفاء السؤال لمن
يمرفه ، والأخذ عن المشهورين به ، والإكباب على مطالعة كثير من مختصراته
ومطولاته ، حتى قلت عند الوقوف على حقيقته من أبيات منها :

وغاية ما حصلته من مباحثي ومن نظري من بعد طول التدبر
هو الوقف ما بين الطريقتين حيرة فما علم من لم يبق غير التعجير ؟
على أنني قد خضت منه غماره ولم أرتض فيه بدون التبحر^(١)

(٣) دعوته إلى تطهير الاعتقاد

رأى الإمام الشوكاني ما أدخله غلاة الشيعة والصوفية على العقيدة الإسلامية
من جراء رفعهم القبور ، وبناء القباب وتجميلها على الأموات من أعتهم
وأولياهم ، وجرحهم العاة إلى زيارتها والتبرك بها ، والنوصل بأصحابها واعتقادهم
فيهم القدرة على الضرر والنفع ، وشيوع هذا في الناس وتأصله فيهم ، وميلهم
بهذا عن دعوة الله ، إلى دعوة هؤلاء الأموات والعكوف على قبورهم وطوافهم
بها وتعظيمها والذبح لهم والنذر إليهم ، فأعلم أن هذا كفر صراح ، ولا يمكن
أن يتفق مع شهادة (أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) فإن مقتضى هذه

() التحف في مذهب السلف ص ٥٤ ، كشف الشبهات ص ٢٣ ، ٢٤

الشهادة ألا يعتقد إنسان في غيره أنه يستطيع أن يفعل له ما يختص الله وحده بالقدرة على فعله ، وألا يأتي من الأعمال ، ولا من العبادات ، ما يشعر بهذا الاعتقاد ، وأنه من الواجب على كل مسلم أن ينال شهادة التوحيد لله . وإخلاص التوحيد لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله لله ، والثناء والامتنان والرجاء واستعجال الخير واستدفاع الشر له ومنه لا غيره : « فلا تدعوا مع الله أحدا »^(١) . « له دعوة الحق » ، والذين يدهون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء^(٢) . « وعلى الله فلتترك كل المؤمنين »^(٣) . « هذا دعاء القرآن نحو إخلاص الدين » أو التوحيد لله .

كما أن الرسول ﷺ قد نهى عن رفع القبور . أو بناء المساجد عليها أو بالقرب منها ، وبين أن هناك من ختمها الذين ضلوا من اليهود والنصارى من قبل ، فإنهم كانوا إذا مات فيهم رجل صالح بنوا على قبره مسجداً . ويرد على أئمة التشيع أنفسهم بما أخرجه مسلم^(٤) عن أبي الهياج الأسدي قال : قال لي علي : « ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ ألا تدع يدورة إلا طمسها ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته »^(٥) .

ويبين أن بناء القبور ورفع القباب عليها ، وتجهيلها على ما هو متبع الآن من شأنه أن يوحى بالعظمة في نفس الزائر من العوام ، فيقع في الكفر من حيث لا يشعر « فقد ذهب بعض أهل مكة إلى القبة المقامة على قبر الإمام أحمد بن الحسين (صاحب ذي بين) فرآها وهي موقدة بالشموع ، والبخور والطيب

(١) سورة الجن آية : ١٨ . (٢) سورة الرعد آية : ١٤ .

(٣) سورة إبراهيم آية : ١١ .

(٤) الدر المنضيد في إخلاص كلمة التوحيد ص ١٥ .

(٥) المصدر المتقدم ص ١٤ ، شرح الصدور بتحريم رفع القبور ص ١٣ .

ينفذ في جواربها ، وعلى النهر السمر الفاتكة ، فقال عند وصوله إلى الباب :
أسميت يا أباي بأرحم الراحمين^(١) . ولهذا نهى الرسول ﷺ عن إضاءة
القبور ، أو بنائها بالجص أو الجير ، وما يشبهه .

ومما ذكره الألبان^(٢) ، والحنان^(٣) ، قد تطورت في كثير من الأحوال من
مثل هذه التلبية على المساكين عند العرب ، وعند قوم نوح ، فاللله اسم رجل
صالح ، كان يلبث للحجاج السوء ، فأتى فمكفوا على قبره ، « وفي الصحيح
عن ابن عباس (رضي الله عنهما) عن قوله تعالى : « ولا تذر أهلك على أن
تزدأ ، ولا أسواعا ولا يغوث » ويسرق ، ويسرا » قال : هذه أسماء رجال من
قوم نوح ، لما هلكوا ، أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجاسمهم ،
التي كانوا يجلسون عليها أنصابا وسجودا ، بأسمائهم ففعلوا ، فلم يعبدوا ، حتى
إذا هلكوا ، ونسى العالم هببت وقال غيروا حمد من السلف لما ماتوا عكفوا
على قبورهم^(٤) .

وهو يظهر بهذه الدعوة للعوام وللخواص . ومما كتبه بشنع فيه على بعض
الخواص « ممن نسوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وانسأوا وراء التعصب
أي التقليد رسالة بعنوان : « شرح المصدر بتحريم رفع القبور » وهو على
هادته يجعل المسألة التي تدور عليها هذه الرسالة « صورة من صور الاجتهاد ،
التي من الرد إلى كتاب الله وسنة الرسول عند الاختلاف ، أو عند إرادة الحكم
الجميع » فيقول : « ولنجعل هذه المسألة التي جعلناها مثالا لما ذكرناه ،

(١) نفس المصدر ص ١٧ ، الدر النضية في إخلاص كلمة التوحيد ص ١١ :

(٢) المصدر المتقدم ص ١١ ، الدرارى المضئة للشوكاني أيضا ج ١ ص ٢٤٨ -

٢٤٩ . وقارن كشف الشبهات لابن عبد الوهاب مطبعة السنة المحمدية ص ٦ .

وأيضاً لما أُمليناه : هي المسألة التي لهج بالكلام فيها أهل عصرنا ومصرنا ، خصوصاً في هذه الأيام لأسباب لا تخفى ، وهي : مسألة رفع القبور والبناء عليها ، كما يفعل الناس من بناء المساجد والقباب على القبور ^(١) . وهذه المسألة هي الرد على الإمام (يحيى بن حمزة) ^(٢) في قوله : لا بأس بالقباب والمشاهد على قبور الفضلاء والملوك لاستعمال المسلمين ، ولم ينكر . فيثبت أن هذا أول نداء بهذه البدعة صدر في الديار اليمنية ، ثم تنابع المؤلفون في الفقه بهذا التصريح والجواز ورائه ، تقليداً له واقتداء به . وهو يبطل هذه الفتوى بإبطال أدلتها التي أسندوها بها صاحبها ، وهي « استعمال المسلمين ، ولم ينكر » فإن استعمال المسلمين أو عدم إنكارهم ، إذا تعارض مع الكتاب أو مع السنة ، كان ذلك الاستعمال باطلاً ، فإن المرجع في الجواز وعده هو كتاب الله وسنة الرسول : « فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول » ^(٣) . وقد ظهر في الكتاب والسنة أن هذه أعمال تتساوى مع الكفر ومع عبادة الأصنام . وقد قال الرسول (ﷺ) ، « كل أمر ليس عليه أمرنا ، فهو رد » ^(٤) ثم إن علماء المسلمين في كل عصر ، مازالوا يروون أحاديث رسول الله (ﷺ) في أمن من فعل ذلك ويقررون شريعة الإسلام في تحريم ذلك في مدارسهم ومجالس حفاظهم ، يروونها الآخر عن الأول والصغير عن الكبير ^(٥) .

(١) ص ٧٦ من الرسالة المذكورة ، شرح الصدور بتحريم رفع القبور ص ١٢ .

(٢) من كبار أئمة الزيدية في اليمن في القرن الثامن الهجري . ولد (عام ٦٦٩ هـ) وتوفي سنة ٧٤٧ هـ .

(٣) سورة النساء : ٥٩ .

(٤) شرح الصدور بتحريم رفع القبور ص ٩ وما بعدها .

(٥) نفس المصدر ص ٢٣ وما قبلها .

وبهذا يرى كيف أن التقاليد وترك الاجتهاد كان له أيضاً ، مدخل في تشويه العقيدة ، والإخلال بإخلاص التوحيد لله ، وأن الطريق إلى تصحيح العقيدة هو الرجوع إلى الكتاب والسنة في كل عمل أو اعتقاد .

وقد رأى الإمام الشوكاني أن إخلاص التوحيد ، أو النطق بشهادة « أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » على وجهها ، هو الطريق إلى أداء العبادات ، ثم أداء الأعمال اليومية على وجهها بإراقبة الله فيها ، وأن المجتمع لا يمكن أن يستفيد من إيمانه أو إسلامه في حياته الاجتماعية أو الاقتصادية والسياسية ، إلا إذا كانت هذه الشهادة خالصة من مظاهر الشرك ، فهنا يمكن أن ينتفع الإنسان من هذه الشهادة ديناً ودنياً ، وأنه ما أضر المسلمين ، وقعد بهم عن الاستمرار في نهضتهم وعزتهم ، إلا تحريف هذه الشهادة ، وحيلولة مظاهر الشرك بينها وبين حلولها في القلب أو حلولها ، ولكن بزيف وتشويه ، وأن هذه هي علة المسلمين اليوم ، والتي وراء كل جمود وتأخر وذلة^(١) .

وقد أخذت هذه الدعوة منه حيزاً كبيراً بحيث صار فيها في عين إمامه ، كابن عبد الوهاب في الحجاز من قبل ، وابن تيمية في مصر والشام ، ولأق من جرائم الكثير من المنصبين ومن المقلدين ، ورعى بالنصب من أجلها ، ومن أجل دعوته إلى الاجتهاد والرجوع بالنشر بع ، إلى طريقة الساف الصالح من الصحابة والتابعين

ولكن طبيعة سلوكه ترد عليهم ، فإنه لم يذكر الرسول ﷺ ولم يصل عليه إلا صلى على آله أيضاً معه ، نرى هذا واضحاً في كتبه التي وصلتنا ،

(١) رسالة الدواء العاجل في دفع العدو الصائل ص ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٨ وما بعدها .
الدر النضيد في إخلاص كلمه التوحيد ١٩ ، ١٣ ، ١٥ .

كما نراه أيضا في كتابه الذي ألفه بعنوان ، « در السحاب في مناقب القرابة والأصحاب » فقد جمع فيه كل ما وصلت إليه يده ، مما نسب الرسول ﷺ في فضائل علي رضي الله عنه وزوجه فاطمة وأولادها رضي الله عنهم .

(الشوكاني) وابن تيمية : ابن عبد الوهاب

وهو في هذا ، ليس متأثرا ، بابن تيمية ، ولا بابن عبد الوهاب كما يتماد إلى الدهن وإنما سعة ، إحاطته بالسنة ، وكثرة رصيده من محفوظها ، ثم تشبمه بالذاحية العقلية التي امتاز بها الزيدية في عمومهم ، وغلبة الروح الاجتهادية عليهم ، هو الذي أثر فيه ووجهه هذه الوجهة القويعة ، كما كان لنشأته السالطة ، في كنف والده الصالح أثر كبير في ذلك ، وأثار هذه الروح وأبرز هذه الوجهة ، ماسمه في العالم الإسلامي ، ومارآه في قطره من مظاهر الخروج على الكتاب والسنة ، من جمود ، ومن تشويه في العقيدة ، فنهض يدهو إلى كتاب الله ، ويرشد إلى طريق النهضة بكل ما أوتي من علم ، ومن سلطان .

وقد ظهر لنا هذا الاستقلال في تلك الدعوة ، من النظر في نشأته عموما ، وفي موقفه من دعوة ابن عبد الوهاب ورأيه فيه ، وفي ابن تيمية ، فرغم أنه ينتهي في النهاية ، إلى ما قاله ابن عبد الوهاب ، إلا أنه قد وضع في رده على خلفه سعود بن عبدالعزيز في إحدى قصائده أن له اتجاهها خاصا يختلف شيئا ما عن ابن عبد الوهاب ، وأنه ، إذا كان قد جعل التوسل بالأولياء ، وزيارة قبورهم كفرآ بعد ذلك في غير هذه القصيدة^(١) فإنما هذه اعتيده انطاسة

(١) انظر شرح الصدور ص ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، الد البضيد طبعة
الدمشقي سنة ١٣٥١ ص ١٦ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧ .

ودراسته الشخصية ، فيقول في هذه القصيدة ، مخاطباً أهل نجد ، بعد أن وصل إليه منهم ما أوجبها :

نرد إلى الكتاب إذا اختلفنا مقاتلنا ، وليس لنا جحود
مضى خير أنقرون ، ومن تدره ولا قيل ، ولا قال ولود
لهم من حلة الإنصاف حل وليس الهدي لهم برود
وما قالوا بتكفير لقوم لم بدع على الإسلام سود
وما قالوا بأن الرفض كفر وبدهته تنق طاب الجلود
فكيف يقال قد كفرت أناس يرى لعمورهم حجر وعود
فإن قولوا أتى أمر صحيح بنسوية القبور فلا جحود
ولكن ذاك ذنب ليس كذراً ولا فسقاً فهل في ذاردود
والأ' كان من يعصى بذنوب كفورا ، ان ذا قول شروود
ولي في ذا كتاب قت فيه مقاراً ليس ينكره الحسود
وقد سارت به الركب ان شرقا وغربا لم ترد فيه ردود^(١)

وهكذا يصرح في هذه القصيدة بأنه لم يعمل إلى نفس الرأي الذي وصل إليه أتباع ابن عبد الوهاب ، وأنه إذا كان قد ساواهم في شيء ، فإمّا هو قد وصل إليه قبل أن يعرفهم .

كما أن بلوغ الشوكاني «رتبة النضج العلمي والعقلي في من مبكرة» ووصوله إلى «رتبة الاجتهاد» وهو دون الثلاثين ، وما صرته لابن عبد الوهاب

(١) نيل الوطر للشيخ محمد زبارة ص ٢٩٩-٣٠٢ ، وهي إحدى المكاتبات التي جرت بينه وبينهم .

تقريباً^(١) . إذ أنه توفي والشوكاني منه إذاك ثلاث وثلاثون ، يعطى أن هذا عالم وذاك عالم ، هذا نشأ في صنعاء ، وذاك نشأ في الحجاز ، وكلاهما اتجه اتجاهاً مستقلاً عن الآخر، في وقت متعاصر تقريباً ، وخاصة أن الإمام الشوكاني لم ينتقل من صنعاء

فإذا كان هناك تطور في عقيدة الإمام الشوكاني ، وصل به إلى أن تساوى مع عقيدة ابن عبد الوهاب أو قرب منها ، فإنما هذا لأجهاده الخاص ، ولا يعمدو أن يكون مجرد توافق والتقاء طبيعي على نتيجة واحدة لمذهبين ، جملاً منهلما واحداً : هو الكتاب ، والسنة ، وآثار السلف الصالح . وهكذا إذا كان المبدأ متحداً ، فلا بد أن تكون الغاية والنتيجة متشابهة .

ومن هنا فهو يلتقي مع ابن عبد الوهاب على الدعوة إلى تطهير الاعتقاد وكون كل منهما موجهاً للنهضة العلمية والدينية وجهة عقلية صليبية منتجة في العصر الحديث .

وبالمسبة لابن تيمية ، فالأمر يكاد أن يكون كذلك ، رغم أنه نقل عن هذا الأخير ، بعض نقول ، وتأثر به في اتجاهه التصوفي أخيراً ، كما هو واضح في كتاب قطر الولي^(٢) . فإنه قد ترجم لابن تيمية في (البدر الطالع) ورغم أنه قد أعطاه حقه في الثناء ، إلا أنه لم يشير إلى أنه قد أخذ عنه شيئاً ، أو تأثر

(١) إذ أن ابن عبد الوهاب ولد سنة ١١١٥ هـ وتوفي سنة ١٢٠٦ هـ والشوكاني (١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ) .

(٢) ينظر (العنوان الخاص بأفضل الأولياء ، وطبقات الأولياء) ، وقارن ، الفرقان لابن تيمية ص ٢٧ - ٢٩ ، ٤٠ - ٤٥ ، قطر الولي فيما يتصل بتصوفه العنوان الخاص بالواجب على الولي فيما يصدر من أعمال ، وقارن الفرقان ص ٧٢ ، الطبعة الثانية سنة ١٩٥٨ .

به أو انتفع منه . ويبدو أن قراءته له بعد تكونه العلي ، فإنه لم يشر في ترجمته لنفسه ، إلى كتب ابن تيمية ضمن الكتب التي قرأها ، وتلمذ فيها أو هلبها ^(١) . وفي ذلك نفي لما يذهب إليه الشيخ عبد المتعال الصعيدي ، من أن الشوكاني كان مقلدا لابن تيمية ، وأنه لا يعتبر من المجتهدين ^(٢) ، فهو كلام لشخص ، لم يخبر هذا الرجل ، وأغلب الظن أنه سمع عنه سماعاً شوهاً ، أو قرأ له فقط ترجمته لابن تيمية ، ففهم من احتفائه به ، أنه مقلد له .

٣ — أساتذته :

نذكر منهم :

١ — والده علي بن محمد الشوكاني ^(٣) .

٢ — السيد عبد الرحمن بن قاسم المداني ^(٤) .

٣ — العلامة أحمد بن عامر الحدادي ^(٥) .

٤ — السيد العلامة اسماعيل بن الحسن بن أحمد ابن الإمام القاسم ابن محمد ^(٦) .

٥ — العلامة القاسم بن يحيى الخولاني ^(٧) .

(١) وهذا واضح أيضاً ، من البطر في تاريخ تأليفه للبدر الطالع ، ولقطار الولي ، فإن الأول متقدم على الثاني بكثير ، فإنه قد انتهى من تأليفه عام (١٢١٠ هـ) ، ومن قطر الولي سنة ١٢٣٩ هـ ، فيظهر أنه قد تكون علمياً ، ووصل إلى درجة الاجتهاد ، قبل أن ينطبع في نفسه ابن تيمية .

(٢) المجددون في الإسلام ص ٤٧٢ - ٤٨٥ (٣) توفي سنة ١٢١١ هـ .

(٤) توفي سنة ١٢١١ هـ (٥) توفي سنة ١١٩٧ هـ (٦) توفي سنة ١٢٠٦ هـ .

(٧) توفي سنة ١٢٠٩ هـ ، وولد سنة ١١٦٢ هـ ، وقد اعتبره الإمام الشوكاني شيخه الأكبر وأثنى عليه علماً وديناً ، ويذكر أنه رافقه في الطلب أيضاً ، إلى جانب تلمذه عليه .

٦ — العلامة عبد الله بن اسماعيل النهدي ، درس عليه كل شرح (ايساغوجي) للقاضي زكريا^(١) .

٧ — العلامة الحسن بن اسماعيل المغربي ، درس عليه شرح الشمسية للقطيب . حاشيته للشريف^(٢) .

٨ — السيد الإمام عبد القادر بن أحمد الكوكباني^(٣)

٩ — السيد العلامة علي بن ابراهيم بن هلي بن ابراهيم بن أحمد بن همام^(٤)

١٠ — السيد الماروف يحيى بن محمد الحوتى^(٥) .

١١ — القاضي عبد الرحمن بن حسن الأكرع^(٦)

٤ — تلاميذه .

منهم :

١ — السيد محمد بن محمد زبارة الحسين اليمنى الصنعاني ، الذي ترجم للشوكاني في كتابه (نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر) والذي ساهم في نشر بعض مؤلفات الشوكاني في مصر . وهو من الجيل الثاني من تلاميذ الشوكاني ، توفي سنة ١٣٨١ هـ . وحوالي ١٩٦٢ م .

(١) توفي سنة ١٢٨ هـ (٢) توفي سنة ١٢٠٨ هـ .

(٣) ينتهي نسبه إلى الإمام المهدي أحمد بن يحيى ولد سنة ١١٣٥ هـ قال عنه الشوكاني : لم ترعني مثله في كلاته ، ولم آخذ عن أحد يساويه في مجموع علومه « وتوفي سنة ١٢٠٧ هـ .

(٤) ولد سنة ١١٠٣ هـ وقيل سنة ١١٢٩ هـ وتوفي سنة ١٢٠٧ هـ .

(٥) ولد تقريباً سنة ١١٦٠ هـ وهو شيخ الشوكاني في علم الفرائض والوصايا ، والضرب والمساحة ، وتوفي سنة ١٢٤٧ هـ .

(٦) توفي سنة ١٢٠٦ هـ .

٢ — محمد بن أحمد السودي ، ولد سنة ١١٧٨ ولازم الشوكاني منذ ابتداء طلبه إلى انتهائه ، وقال فيه الشوكاني :

أشهر المسالي أنت للدهر زينة وأنت على رغم الطواصد ماجده
توفي سنة ١٢٢٦ هـ .

٣ — محمد بن أحمد مشهم الصمدي الصنعاني ، وتولى القضاء في صنعاء وغيرها وأثنى عليه الشوكاني كثيراً . ولد سنة ١١٨٦ هـ . وتوفي ١٢٢٣ هـ .

٤ — السيد أحمد بن علي بن محسن بن الإمام المنركل رضي الله عنهما
ابن القاسم . ولد سنة ١١٥٠ هـ ، واشتغل بطلب العلم بعد أن قارب الحسين ،
ولازم الإمام الشوكاني نحو عشر سنين في الطلب توفي سنة ١٢٢٣ هـ .

٥ — السيد محمد بن محمد بن هاشم بن يحيى الشامي ثم الصنعاني ولد سنة
١١٧٨ هـ وتوفي سنة ١٢٥١ هـ .

٦ — عبد الرحمن بن أحمد البهكلي الضمدي الصمباني ولد سنة ١١٨٠ هـ
درس على الشوكاني وغيره ، ولكنه اخضع بالشوكاني اختصاصاً كاملاً ،
وكان من أوفى تلاميذه له ، ولى القضاء وتوفي سنة ١٢٢٧ هـ .

٧ — أحمد بن عبد الله الضمدي ، ولد سنة ١١٧٤ هـ . نسبة إلى (ضمدي) .
أخذ عن الشوكاني وغيره ولكن صلته به كانت أكثر ، صار المرجع إليه
في التدريس ، والإفتاء في (ضمدي) وما حولها ، وله أسئلة عديدة إلى أستاذه
الشوكاني أجاب له عنها في رسالة سماها (التقد للضمدي) في جيد مسائل
هلامه (ضمدي)^(١) . وتوفي سنة ١٢٢٢ هـ .

(١) البدر الطالع ج ١ ص ٧٧ ، وسماها الشوكاني في رواية أخرى (عقود
الزبرجد) . انظر كتبه فيما سيأتي ، والبدر الطالع ج ٢ ص ٢٢٠ .

وقد نشرت هذه الرسالة : أجوبتها وأمثلتها في كتاب (أثناء الشريعة) :
مجموعة رسائل للإمام الشوكاني . في دار النهضة العربية في القاهرة .

٨ -- علي بن أحمد هاجر الصنعاني ، ولد تقريباً سنة ١١٨٠ هـ . تبحر
في العلوم العقلية وأتقنها ودرس على الشوكاني في علم المنطق وغيره . قال عنه
الشوكاني بالنسبة للمنطق : « وهو يفهمه فهما بديها ، ويتقنه إتقاناً عجيباً . .
قل أن يوجد نظيره مع صلاحية في الدين » . توفي سنة ١٢٣٥ هـ

٩ -- عبد الله بن محسن الحيمي ثم الصنعاني : ولد تقريباً سنة ١١٧٠ هـ ،
درس على الشوكاني واستفاد منه في عدة فنون ، ونقل كثيراً من رسائله ،
وهو من التلاميذ الذين لازموا الشوكاني ، وأحبهم وأحبوه . توفي بعد
سنة ١٢٤٠ هـ .

١٠ -- القاضي محمد بن حسن الشجوي الدناري . ولد سنة ١٢٠٠ هـ . سمع
على القاضي محمد بن علي الشوكاني صاحب الترجمة ودرس عليه ، وأجازته
إجازة عامة في رجب سنة ١٢٣٩ هـ ، ويعتبر أول شخص ترجم للشوكاني بإفاضة
ومن جميع نواحيه ، وذلك في كتابه (النقصار في جريد زمن علامة الأقاليم
والأمصار ، ويتصد بعلامه الأقاليم والأمصار أستاذة (محمد بن علي الشوكاني)
هنا ، فجعل هذا الكتاب ثلاثة أقسام : الأول منها في ذكر ولادة شيخه هذا
ونشأته وكيفية طلبه ، وخلالها وخصلاته ، وذكر مؤلفاته ، وبعض رسائله ونظمه ،
والثاني في تراجم مشايخه . والثالث في تراجم تلامذته . وكان شاهراً أديباً
بليغاً قال بعض من ترجموا له . « فهو الفرد الكامل والمواد الفاضل ، بل الذي
ألفت إليه البلاغة زمامها . . . صار إمام أهل بلده في علوم الآلات على
اختلافها . . . » توفي سنة ١٢٨٦ هـ .

١١ -- (ابنه) القاضي أحمد بن محمد الشوكاني ولد في سنة ١٢٢٩ هـ ،

« وكان له الاشتغال التام بمؤلفات والده ، حتى حاز من العلم السهم الوافر ، وانتفع به عدة من الأكار ، وتولى القضاء العام بمدينة صنعاء ، وله مؤلفات مفيدة »^(١) وكان أكبر علماء اليمن بعد والده ، توفي سنة ١٢٨١ هـ .

هذا ، وتلاميذ الإمام الشوكاني أكثر من أن يحصوا^(٢) ، وقد جمع أمانته وتلاميذه في كتابه (الإعلام بالمشايخ الأعلام والتلامذة الكرام) . وهؤلاء هم تلاميذه المباثرون ، أما غير المباشرين فما أكثرهم ، ففي اليمن لا تزال مدرسته قائمة إلى اليوم على أقوى ما تكون ، ورجالها يضيق عنهم نطاق الطهر ، وكلهم على مبدأ الاجتهاد .

وقد كان الإمام الشوكاني محظوظا ، أو كان الكتاب والسنة محظوظين على يديه ، إذ سريعا ما انتشر مذهبه في الاجتهاد في الهند ، وبأفغانستان على يد تلميذه الشيخ عبد الحق بن فضل الهندي - كما يقال - وحمل منه لواء هذه الرسالة ، تلميذ الشوكاني غير المباشر والمتمسك له (السيد / محمد صديق حسن خان) (١٢٤٨ - ١٣٠٧) هـ أمير مملكة : (بهوبال) بالهند ، والذي كان مهتما بنشر كتبه هناك .

ونلاحظ أنه معجب ، ومقدر غاية التقدير لأمانته ، إلى جانب أنه يذكّر تلاميذه بكثير من الفضل والثناء .

(١) نيل الوطر ج ١ ص ٢١٥ . المطبعة السلفية .

(٢) وتراجمهم تملأ تقريبا أربع مجلدات كبار من كتابه (البدر الطالع في محاسن من بعد القرن السابع) ، وكتاب (نيل الوطر في تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر) لتلميذه السيد محمد زبارة .

٥ - كتبه :

(١) ومن الكتب التي لا تزال مخطوطة^(١)

- ١ - الأبحاث البديعة في وجوب الإجابة إلى أحكام الشريعة .
- ٢ - الأبحاث الأهلية في الكلام على حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة
- ٣ - إبطال دهمي الاجتماع على تحريم طلاق السماع .
- ٤ - الإبطال لدعوى الإختلال في حل الإشكال : ردّها على بعض العلماء في رد هذا الأخير إلى رسالة الشوكاني : (حل الإشكال في إجماع اليهود على النقاط الأربال) . ينظر مقدمة فتح التدير (ص ٥) .
- ٥ - إتحاف المهرة في الكلام على حديث (لا عدوى ولا طيرة) .
- ٦ - (أدب الطلب ومنتهى الأرب) نسخة بخط المؤلف ومن وقته على مكتبة الجامع المقدس بصنعاء . رقم (٣٠٢) حديث . وقد حكي فيه ، ما وقع له مع المقلدين وتاريخ حياته كاملا في طلب العلم ، وما الذي يجب أن يكون عليه طالب العلم ، وما يجب أن يحصله^(٢) .
- ٧ - (إرشاد الأحيان إلى تصحيح ما في عقود الجمان) رساله ردّها على السيد الملامه حسين بن يحيى الديلمي ، في اعتراضه على ما في كتاب الشوكاني :

(١) ملاحظة : ما أمكن العثور عليه أو على مكانه ، فقد نبهت عليه وعرفت به . وما لم يمكن نقله كما ورد في مصادر ، الآتية نهاية هذا البحث

(٢) انظر قطر الولي : (جهاد الشوكاني للمقلدين) ، ص ٨٩ ج ٢ من البدر الطالع . وقد قال عنه الإمام الشوكاني في هذا الموضع الأخير : « فهو كتاب لا يستغنى عنه طالب الحق » .

(عقود الجمان) (١).

٨ - (إرشاد السائل ، إلى دلائل المسائل) ضمن مجموع ١٣ مجاميع المتوكية بهنمناه .

٩ - (إرشاد النبي إلى مذهب أهل البيت في صحيح النبي) ضمن مجموع (٥٣) مجاميع بالمتوكية . وقد أشاء إليه في قطار الول : وفيه يقول فاني قد نقلت فيه نحو أربعة عشر إجماعاً لآئمة أهل البيت على تطلبهم جانب الصحابة ، واتباعهم لهم ، وتسليمهم بذهبهم .

١٠ - (إرشاد المستفيد إلى دفع كلام بن دقيق العيد في الإطلاق والتقييد).

١١ - (إشراق النورين في بيان الحكم إذا تخلف عن الوعد أحد الشهيدين) .

١٢ - (إطلاع أرباب الكمال على ما في رسالة الجلال في الملال من الاختلال) .

١٣ - (الإعلان بالمشايع الأعلام ، واللامنة الكرام) جملة كالمجم لشيوخة وتلاميذه (٣) .

١٤ - (إفادة السائل في العشر المسائل) رقم ٣ من مجموع ٥٩ مجاميع بالمتوكية .

١٥ - (أمنية المنشوق في تحقيق حكم المنطق) .

١٦ - (إيضاح الدلالات على أحكام الخيارات) .

(١) مقدمة فتح القدير في علم التفسير ص هـ .

(٢) في موقف أهل البيت من الصحابة (رضى الله عنهم) .

(٣) البدر الطائع ج ٢ ص ٢٢٠ .

- ١٧ — (إيضاح القول في إثبات العول) .
- ١٨ — (بحث في الإضرار بالجوار) رقم ٥٦ من مجموع (٥٩) مجاميع متوكلية .
- ١٩ — (بحث فيما تفعله النساء من الإنشاءات) ضمن مجموع (٥٠) مجاميع متوكلية .
- ٢٠ — (بحث في الرد على الزمخشري ، في استحسان بيت المربة في سورة سبحان) ٣٨ من مجموع (٥٩) المتوكلية .
- ٢١ — (البحث المسفر عن تحريم كل مسكر ومفتر) .
- ٢٢ — (بحث فيما يتعلق بعورات النساء) رقم ٥٧ من مجموع (٥٠) مجاميع بالمتوكلية .
- ٢٣ — (بحث في قوله تعالى : (يوم يأتي بعض آيات ربك) رقم ٦ من مجموع (٥٩) مجاميع متوكلية .
- ٢٤ — البحث الملم المتعلق بقوله تعالى « إلا من ظلم » .
- ٢٥ — (بحث في مستقر أرواح الأموات) رقم ٣٧ من مجموع (٥٩) مجاميع المتوكلية .
- ٢٦ — (بغية الأريب من معنى اللبيب) . قال عنه في البدر الطالع : إنه نظم ، وأنها رسالة ذكر فيها مآتمس الحاجة إليه من « معنى اللبيب » وشرحها (٣) .
- ٢٧ — (بحث في الإضرار بالجوار) . ضمن مجموع (٥٠) مجاميع المتوكلية .
- ٢٨ — (بحث في سؤال يتعلق بالصلاة) رقم ٤٥ من مجموع (٥٩) متوكلية .
- ٢٩ — (بحث في العمل بقول المفتي) . رقم ٣٦ من مجموع (٥٩) متوكلية .
-
- (١) البدر الطالع ج ٢ ص ٢٢٠ .

- ٣٠ — (بحث في قوله (صلى الله عليه وسلم) : « الدنيا ملعونة . . . »)
رقم ١٦ من مجموع (٥٠) مجاميع المتوكلية . وهذا البحث يقع في نحو صفتين ،
وقد تكلم فيه من ناحية الإسناد وأورد له شواهد في معناه ، وبين أن لعنها
إما يكون في حال التكالب عليها دون صراطة طق الآخرة .
- ٣١ — (بحث في الكلام على الجهر ، « بسم الله الرحمن الرحيم »)
رقم ٨ مجموع ٥٩ مجاميع المتوكلية .
- ٣٢ — (بحث في كون أسباب التفرق ، هو علم الرأي) .
- ٣٣ — (بحث في كون الولد يلحق بأبيه) رقم ٢٣ من مجموع (٥٩) المتوكلية .
- ٣٤ — (بحث في السجود المنفرد) ضمن مجموع (٥٠) مجاميع المتوكلية .
- ٣٥ — (بحث فيمن قرأ ، ولم يشق القاف) . نفس البيان للمقدم .
- ٣٦ — (بحث فيمن أوصى ، بالثلاث ، قاصداً لإحرام الوريث) نفس البيان .
- ٣٧ — (بحث في بيع وقف الذرية) نفس البيان .
- ٣٨ — (بحث في شفعة الجار) نفس البيان .
- ٣٩ — (بحث في النهي عن مودة أهل سوء) ضمن مجموع (٥٩) المتوكلية .
- ٤٠ — (بحث في هل يجوز قضاء المأكل) ضمن مجموع (٥٠) المتوكلية .
- ٤١ — (بحث في وإخاته (صلى الله عليه وسلم) لله حابة) رقم ٣١ من
مجموع (٥٩) متوكلية .
- ٤٢ — (بحث ، في وصايا الضرار) ضمن (٥٠) المتوكلية .
- ٤٣ — (البغية في مسألة الرؤية) (أي رؤية الله سبحانه وتعالى) . أثبت
فيه إمكان رؤية الله في الآخرة ، ورد فيه على المعتزلة الذين أنكروا ذلك .
وأثبت عدم إمكان رؤية الله في الدنيا . وقد أشار إليه في تفسيره ج ٥
(٤ — قطر الولي)

ص ٣٣٠ عند تفسيره لقوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة » .
صورة القيامة^(١) .

٤٤ — (بنية المستفيد في الرد على من أنكر الاجتهاد من أهل التقليد) .

٤٥ — (تحرير الدلائل على مقدار ، ما يجوز بين الإمام ، والمؤتم من الإرتفاع والحائل) .

٤٦ — (التشكيك على النفسانيك لمفهوم التشكيك) .

٤٧ — (تصنيف السمع بإبطال أدلة الجمع) أى الجمع بين الصلاتين في
الخصر رداً على القائلين بجواز ذلك من الزيدية^(٢) .

٤٨ — (تصنيف السمع بجواب المسائل السبع) .

٤٩ — (تفريق النبال ، إلى إرسال المقال) . رد بهذه الرسالة على السيد
عبد الله بن هيسى الكوكباني ، حين ألف رسالة سماها (إرسال المقال ، على
إزالة حل الإشكال) يناقض فيها مذهب إليه الإمام الشوكاني في رسالته
(حل الإشكال في إجبار اليهود على التقاط الأربال)^(٣) .

٥٠ — (تنبيه الأمثال ، على عدم جواز الإمتعانة من خالص المال) رقم
(١١) من مجموع (٥٩) المتوكلية^(٤) .

٥١ — (تنبيه ذوى الحجا على حكم بيع الرجا) .

(١) أنظر مقدمة فتح القدير في التفسير ص ٥ .

(٢) أنظر مقدمة فتح القدير في التفسير ص ٥ .

(٣) أنظر الصدر المتقدم .

(٤) هكذا ورد في فهرس المتوكلية ، وفي هدية العارفين ، ولكنه جاء في
« مقدمة فتح القدير ، بدون كلمة : « عدم » ومتبعاً بهذه العبارة : « يعنى طلب
ولاء الجور من الأغنياء ظلماً من المال يسمونه معونة » . ص ١٠ .

٥٢ — (التوضيح في تواتر ما جاء في المهدى المنتظر ، والدجال ، والمسيح)
نقد أشار إلى هذا الكتاب ، بقوله « وقد تواترت الأحاديث بنزول هبسي
محمدا أوضحنا ذلك في مؤلف مستقل يتضمن ذكر ما ورد في المنتظر ، والدجال
والمسيح » . فتح القدير في التفسير ج ١ ص ٤٩٧ ، هند تفسيره لقوله تعالى :
« وإن من أهل الكتاب ، إلا ليؤمنن به قبل موته ، ويوم القيامة يكون
عليهم شهيدا » .

هبطت من بعض الإخوة في المدينة أنه طبع في الهند قبل سنة ١٣٤٠ .

٥٣ — (جواب سؤالات وردت من كوكبان) ضمن مجموع (٥٩)
التوكلية .

٥٤ — (جواب سؤالات وردت من بعض العلماء) رقم ٢٤ ضمن مجموع
(٥٩) التوكلية .

٥٥ — (جواب سؤالات من الفقيه قاسم بن لطف الله) رقم ١٧ ضمن
مجموع (٥٩) التوكلية .

٥٦ — (جواب سؤال في نجاسة الميتة) رقم ١٨ من مجموع ٥٩ التوكلية .

٥٧ — (جواب سؤال يتعلق بيمين العنت والشهادة) رقم ١٣ من
مجموع (٥٩) .

٥٨ — (جواب الشوكاني على الدعاميني) ضمن مجموع (٥٩) .

٥٩ — (جيد النقد في عبارة الكاشف والسعد) .

٦٠ — (حل الإشكال في إيجاب اليهود على النقاط الأربال) .

٦١ — (الدراية في مسألة الوصاية) أي وصاية الرسول (صلى الله عليه

وسلم) لعل ابن أبي طالب رضي الله عنه فيما يدعى البعض رقم ١٤ من مجموع
(١٧) التوكلية .

٦٢ — (در السحابة ، في مناقب القزابة والصحابه) .

وهو كتاب متوسط الحجم ، ألفه الإمام الشوكاني ، ليبين فضيلة كل من قرأ الرسول ﷺ ، وأصحابه وجمعهم . ومنحصر في خمسة أبواب ، الباب الأول : في المناقب العامة لهم جميعاً ، أو لطائفة كثيرة منهم كالأنصار وأهل بدر ، وأهل بيعة الشجرة . الثاني : في مناقب العشرة المبشرة بالجنة . الثالث : في مناقب أهل البيت عموماً وخصوصاً ذكورهم وإناثهم . الرابع : في مناقب كل فرد من غير العشرة من الصحابة . الخامس : في مناقب التابعين ، وسائر الأئمة هلى الخصوص والعموم .

وهذا الاسم كما سماه به صاحبه في مقدمته حيث قال : « وقد سميت هذا المختصر : (در السحابة في مناقب القزابة والصحابه) ص ٣ ، ولكنه ورد في المراجع التي ذكرته : « در السحاب في مناقب القزابة والأصحاب » ، وقد فرغ مؤلفه من كتابته في جمادى الأولى سنة ١٢٤١ هـ . والمسحاة التي بأيدينا منقولة من الأصل في ١٤ محرم سنة ١٣٦٠ هـ .

(وهذا الكتاب جمع من أحاديث الرسول ﷺ التي وردت في هذه الشأن) .

٦٣ — (دفع الإهراضات على إيضاح الدلالات) .

٦٤ — (رسائل في أحكام لبس الحرير) .

٦٥ — (رسائل على مسائل من السيد العلامة على بن إسماعيل) .

٦٦ — (رسالة في جواز استناد الحاكم في حكمه إلى تقويم العدول) .

٦٧ — (رسالة في حكم الإتصال بالسلطين) .

٦٨ — (رسالة في حكم للولد) .

- ٦٩٩ — (رسالة على مسائل لبعض علماء الحجاز) .
- ٧٠ — (رسالة في حكم الجهر بالذكر) .
- ٧١ — (رسالة في اختلاف العلماء في تقدير النفاس) .
- ٧٢ — (رسالة في حكم صبيان الذميين إذا مات أبواهم) .
- ٧٣ — (رسالة في إرضاع الكبير لعنبر ، هل يقتضى التحريم أم لا ، وفيما يقتضى التحريم من الرضاع) .
- ٧٤ — (رسالة في التحلي بالذهب للرجال) :
- ٧٥ — (رسالة التسمير) .
- ٧٦ — (رسالة الرد على القائل بوجوب التحية) .
- ٧٧ — (رسالة رفع المظالم والمآثم) .
- ٧٨ — (رسالة الطلاق) .
- ٧٩ — (رسالة الطلاق البدهى يقع أم لا) .
- ٨٠ — (رسالة في حـد السفر الذى يجب معه قصر الصلاة) .
- ٨١ — (رسالة في الكلام على وجوب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم في الصلاة) أشار إليها في تفسيره ، في سورة الأحزاب ج ٤ ص ٢٩١ .
- ٨٢ — (رسالة في الكسوف ، هل لا يكون ذلك إلا في وقت معين على القطع أم ذلك يتخلف) .
- ٨٣ — (رسالة في حقوق ثواب القراءة المهداة من الأحياء إلى الأموات) .
- ٨٤ — (رسالة في مسائل الصور) .
- ٨٥ — (الرسالة المكتملة في أدلة البسملة) .

٨٦ — رسالة في (وجوب توحيد الله عز وجل) .

وهكذا رسائل كثيرة ، يلبيها الحصر ، منها المتوسط ، ومنها المطول . وقد جمع منها كما قال ، أربع مجلدات كبار ، ومباه : (الفتح الرباني في فساد الشوكاني)^(١) ، وقد اجتمعت في البحث عن هذا الكتاب ومعرفة مقوله . فلم أصل إلا إلى أنه موجود منه الآن ثلاثة مجلدات هذه ورثة السيد / أحمد بن قاسم حميد الدين هلي ما يقال .

٨٧ — (رفع البأس عن حديث النفس والهم ، والوسواس) رقم ٩٠ من مجموع (٩٥) المتوكلية .

٨٨ — (رفع الجناح عن نافي المباح) .

٨٩ — (رفع الخصام في الحكم : لم من الحكم) .

٩٠ — (الروض الواسع في الدليل المنيع على هدم انحصار علم الدين) . هكذا كما جاء في مقدمة فتح القدير في رواية حسين الأنصاري أحمد تلاميذه الشوكاني المباشرين ، وجاء في إيضاح المسكنون بخلاف كلمة (عدم)

٩١ — (زهر السرير الفائح بفضل المعمرين ، أبي بكر وعمر رضي الله عنهما) .

٩٢ — (سؤال عن الوصية للوارث) ضمن مجموع ٥٠ متوكلية .

٩٣ — (سؤال في شفعة الجار) ضمن مجموع ٥٠ متوكلية .

٩٤ — (سؤال في التحليل لإسقاط الشفعة) ضمن مجموع (٥٠) متوكلية .

٩٥ — (سؤال في بيع وقف الذرية) ضمن مجموع (٥٠) متوكلية .

(١) أنظار البدر الطالع في ترجمته ج ٢ ص ٢٢٣ .

٩٦ — (سؤال في إجبار الجار البيع مع الضرر) ضمن مجموع (٥٠) متوكلية

٩٧ — (السييل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار) في الفقه ، وهو يعتبر تطبيقاً عملياً من الإمام الشوكاني ، لمبدأ الاجتهاد في مسائل الفقه وناهضاً للفقه الهدوي في الزيدية ، إذ أنه يأتي ، بالمعالة التي تكلم عنها الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (٧٧٥ — ٨٤٠ هـ) في الأزهار أو علق عليها في شروحه هو أو غيره ، فيبسطها ، ويبين ، وجه التقليد فيها للإمام الهادي يحيى بن الحسين^(١) ، أو الإمام يحيى بن حمزة^(٢) أو غيرهما ، أو الاستئلال بالرأي والتعصب له ، وقيم الأدلة من القرآن والسنة على بطلان ذلك وابتداعه ، سواء كان على نفس الحكم ، أو على فساد المنهج ، بكل ثورة ، وكل حماس ثم يبين وجه الصواب ، وأن مرجع هذا الصواب ، إنما هو الاجتهاد ، وقد اطلعت على نسخة من هذا الكتاب بنفسى ، كانت هنا ، مع أحد العلماء ، في زيارة له^(٣) .

وقد قال الإمام الشوكاني نفسه عن هذا الكتاب ، وهو بصدد تأليفه ، حين كان يكتب ترجمة عن نفسه في البدر الطالع : « وهو الآن يشتغل بتسنيف الحاشية التي جعلها على الأزهار : (من الأزهار للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى) — وقد بلغ فيها إلى كتاب الجنائز وبماها (السبل الجرار على حدائق الأزهار) وهي مشتملة على تقرير مادل عليه الدليل ، ودفع ما خالفه ، والتمريض لما يلينى التمريض له ، والاعتراض عليه من شرح الجلال وحاشيته .

(١) من أعيان علماء آخر المائة الثالثة من الزيدية وقد تقدمت ترجمته ص ٩١

(٢) من (٦٦٩ — ٧٠٧) .

(٣) وهذا الكتاب الآن في سبيل النشر . عن طريق المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة وقد بدأ نشره سنة ١٣١٩ هـ على أجزاء وصدر منه الآن جزءان .

وهذا الكتاب أن أعان الله على تمامه فسيعرف قدره من يعترف بالفضائل
وما وهب الله لمعباده من الخير .

ويوجد لهذا الكتاب ثلاث نسخ بمكتبة صنعاء ، الأولى مجلدان : الأول
يحتوى ٥٨٥ صفحة تحت رقم (١٠٠) فقه ، والثانى ٦٠٤ صفحة تحت رقم
(١٠١) فقه ، وكتبت هذه النسخة سنة ١٣٠٠ هـ والنسخة الثانية فى مجلد
واحد وكتبت سنة ١٢٤١ هـ ، تحت رقم (٣٤٧) فقه ، والثالثة بخط الشوكانى
نفسه ، وانتهى منها سنة ١٢٣٥ هـ تحت رقم (٣٥٢) فقه فى مجلد واحد ،
ونلاحظ ، أن تأليف هذا الكتاب قد امتد فى نحواً من اثنى عشر عاماً ،
وذلك لإشغاله بالقضاء ، والحكم ، فى معظم أيام حياته من (سنة ١٢٠٩ —
سنة ١٢٥٠ هـ)^(١) .

وقد بدأ نشره سنة ١٣٩١ هـ على أجزاء وصدر منه الآن جزءان .

٩٨ — (شفاء العليل فى زيادة الثمن لمجرد الأجل) .

٩٩ — (الصوارم الحداد القاطمة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد) .

١٠٠ — (الصوارم الهندية المسولة على الرياض الندية) .

١٠١ — (العاود المنيف فى الانتصاف للسعد من الشريف) فى المسألة
المشهورة التى تنازع فيها بين يدي تيمورلك^(٢) .

١٠٢ — (طيب النشر فى جوائب المسائل العشر) .

(١) البدر الطالع ج ٢ ص ٢٢٣ هذا وما يذكر أن الشوكانى قد انتهى من
تأليف البدر الطالع هذا سنة ١٢١٣ هـ . أنظر مقدمة فتح القدير فى التفسير
(ص د) .

(٢) أنظر فتح القدير (المقدمة ص هـ) .

١٠٣ — (المذهب النعير في جواب عالم بلاد عسير) (في النوحيد ، وفاتحة الكتاب)^(١) .

١٠٤ — (عقود الجمان في شأن حدود البلدان ، وما يتعلق بها من الضمان)
هكذا ورد في البدر الطالع في ترجمة المؤلف لنفسه ، وورد في فهرس المتوكلية
بالإفراد (هقد) رقم ١ من مجموع (٩٠) مجاميع .

١٠٥ — (فتح الخلاق ، في جواب مسائل عبد الرزاق) (علم المنطق) .
وهي رسالة مشتملة على جواب مائة وخمسون سؤالاً في علم المنطق^(٢) .

١٠٦ — الفتح الرباني في فتاوى الشوكاني (أربعة مجلدات)^(٣) .

١٠٧ — (فتح القدير بين المعذرة والتمذير) ، رقم ٢ من مجموعة (٥٩)
مجاميع المتوكلية .

١٠٨ — (القول الجلي في لبس النساء للبحلي) .

١٠٩ — (القول الحسن في فضائل أهل اليمن) رقم ٣٩ من مجموع (٥٩)
مجاميع المتوكلية .

١١٠ — (النول الصادق في حكم الإمام الفاسق) .

١١١ — (القول المقبول في رد خبر المجهول ، من غير صحابة الرسول) .

١١٢ — (القول الواضح ، في صلاة المستحاضة ، ونحوها من أهل العمل
والجرايح) رقم ٥ من مجموع (٥٩) مجاميع المتوكلية .

(١) عن القاضي محمد حسين الزهيري من علماء اليمن المعاصرين توفي سنة

١٩٦٦ م .

(٢) مقدمة فتح القدير ص و .

(٣) البدر الطالع ج ٢ ص ٢٢٣ .

- ١١٣ - كشف الرين عن حديث ذى البدين .
- ١١٤ - كشف الأسرار عن حكم الشفعة بالجوار .
- ١١٥ - (كشف الأسرار في إبطال كلام من قال بفناء النار) . رقم ٢٢ ضمن مجموع (٥٩) مجاميع المتوكلية .
- ١١٦ - (كفاية المحتفظ) .
- ١١٧ - (المباحث الدرية ، في المسألة الحاربية) رقم ١٩ من مجموع (٥٩) متوكلية .
- ١١٨ - (مجموع أسانيده) (الشوكاني)^(١) .
- ١١٩ - (المختصر البديع في انطاق الوسيط) : ذكر فيه خالق السموات والأرض والملائكة والجن والإنس ، وسرد غالب ما ورد من الآيات والأحاديث في ذلك وتكلم فيها ، فصار في مجلد ، ولسكنه لم يبيضه^(٢) .
- ١٢٠ - (المختصر السكاني من الجواب الشافي) .
- ١٢١ - (مطالع البدين ، وجمع البحرين « في علم التفسير ») .
- ١٢٢ - المقالة الفاخرة ، في بيان اتفاق الشرائع على الدار الآخرة . وقد ذكرها أول الفصل الثاني المتعلق ، (باتفاق الشرائع على إثبات الآخرة) ، من كتابه (إرشاد النفقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات) المتقدم الذكر .
- ١٢٣ - (منحة المنان في أجرة القاضى والسجنان) .

(١) انظر انخاف الأكارص ١٠ طبعة حيدر آباد سنة ١٣٢٨ رقم ٢٠
مصطلح حديث تيمور ، بدار الكتب المصرية .
(٢) البدر الطالع ج ٢ ص ٢٢٠ .

١٢٤ — (نثر الجواهر في حديث أبي ذر) .

نسخة مخطوطة بخط المؤلف بمكتبة صنعاء ، ملحقة بنسخة قطار الولي (الأصل) الموجودة هناك تحت رقم (٨٦٦) حديث . نسخة أخرى مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٣٣٤٧٣ ب) ، وهي مصورة (بالفوتوكس) من الأصل الموجود بصنعاء ، وكنت قد أثبت بالنسخة المخطوطة من صنعاء مع (قطار الولي) وأخذت دار الكتب لهما صورة : كل كتاب صورة خاصة ، منقصة عن الأخرى وصارا في مجلدين .

وهي رسالة على حديث أبي ذر رضى الله عنه الذي يرويهِ الرسول صلى الله عليه وسلم هو ربّه عز وجل بهذه العبارة : « يا عبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا .. يا عبادي كلّم جائع إلا أن أطعمته .. يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفروني أغفر لكم ... الخ » كما رواه مسلم في صحيحه .

وقد تعرض الإمام الشوكاني في شرحه لهذا الحديث في هذه الرسالة إلى هذه نقاط هي :

(١) تسليط سب الرافضة للصحابة رضى الله عنهم .

(٢) سبب تسمية الرافضة لهذا الاسم .

(٣) إظهار ضلال الرافضة ، على لسان الإمام الهادي يحيى بن الحسين ، حيث روى حديثاً في كتابه الأحكام مسلسلاً بآبائه من «نه» إلى عند الحسن ابن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، من على رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبه في شأن هؤلاء الرافضة وعرفه بهم ، وأمره بتتلمذهم «بني» ظهورهم ...

- ٤ — ثم بيان الطريق الحقيقي إلى معرفة الله سبحانه .
- ٥ — ثم ما المراد بالفطرة ، إلى حديث في خلق أفعال العباد ، ثم إلى بيان قيمة الاستغفار بالنسبة للإنسان ، وكون طبيعة الإنسان تقتضى الخطأ ثم الاستغفار من هذا الخطأ ، وعدد صفحات هذه الرسالة (٢٤) .
- ١٢٥ — (نزهة الأحداق في علم الاشتقاق) ضمن مجموع ٥٠ مجاميع للتوكاية .
- ١٢٦ — (وبل الغمام ، على شفاء الأوام وحاشيته) نسخة بقلم المصنف سنة ١٢١٣ ومن وقفه على مكتبة صنعاء (٣٠٠ صفحة) رقم (٣٠٣ حديث) للتوكاية .
- ١٢٧ — (وبل الغمام في تفسير « وجاهل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ») .
- ١٢٨ — (الوشى المرقوم في تحريم حلية الذهب على العموم ، وفي رواية أخرى : (في تحريم التحلي بالذهب للرجال على العموم) ^(١) .
- ١٢٩ — (هداية النافى إلى تخوم الأراضى) .
- ١٣٠ — (هذا الكتاب) . كما قال عنه في البدر الطالع ، (في مجلد) ^(٢) .
- ١٣١ — (هنوات الأئمة الأربعة) ، وهذا الكتاب أرويه عن القاضي محمد حسين الزهيري المني ، ويقول : إن الشوكاني يهدف في هذا الكتاب إلى تخفيف حدة التقليد ، حيث بين أن هؤلاء الأئمة خطأهم إلى جانب صوابهم .

(١) أنظر مقدمة فتح القدير ص و .

(٢) ج ٢ ص ٢١٩ .

(ب) كتبه المطبوعة مع البات تاريخ بعض الطبوعات :

١ — (إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر) ، طبع في حيدر آباد
سنة ١٣٢٨ هـ .

٢ — إرشاد الثقات إلى تفاهات الشرائع على التوحيد ، والمعاد والنبوات ،
دار النهضة العربية سنة ١٣٩٥ هـ .

٣ - (إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول) المطبعة المنيرية
بمصر سنة ١٢٤٧ هـ ، مطبعة السعادة سنة ١٣٢٧ هـ .

٤ - - أنباء الشريعة مع مجموعة رسائل له .

٥ - البدر الطالع بحاشي من بعد القرن السابع مطبعة السعادة سنة
١٢٤٨ هـ .

٦ - تحفة الزاكرين في شرح (عدة الحصن المحصين للإمام الجزري) .
طبعة مصطفى الحلبي سنة ١٣٥٠ هـ .

٧ - الانحرف في مذاهب السلف ، المطبعة المنيرية سنة ١٣٤٣ هـ ، المنار
سنة ١٣٥١ هـ ، ومطبعة محمد مصطفى سنة ١٣١٠ هـ .

٨ - (تنبيه الأعلام على تفسير المشتبهات بين الحلال والحرام) ، طبع
في مصر تحت اسم (كشف الشبهات عن المشتبهات) مطبعة المعاهد سنة
١٣٤٠ هـ .

٩ - (الدراري المضيئة) في شرح الدرر البهية للشوكاني أيضاً ، مطبعة
مصر الحرة سنة ١٣٢٨ هـ .

١٠ - (الدرر البهية) متن الدراري المضيئة . طبعت مع الشرح للمتقدم .

١١ - (الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد) ، إدارة الطباعة المنيرية

سنة ١٣٥١ هـ ، طبعة المنار سنة ١٢٤٠ هـ .

١٢ — (الدواء العاجل في دفع المدد الصائل) ، المطبعة المنيرية
سنة ١٣٤٣ هـ .

١٣ — (رفع الريب فيما يجوز ، ولا يجوز من الغيب) المطبعة المنيرية
سنة ١٣٤٤ هـ .

١٤ — شرح الصدور في تحرير رفع القبور . المطبعة المنيرية سنة ١٣٤٣ هـ
تم طبع مع الرسالتين السابقتين له ، في مجلد واحد ، في مطبعة السنة الحمديّة
سنة ١٣٤٧ هـ .

١٥ — (العقد الثمين في إثبات وصاية أمير المؤمنين) المطبعة المنيرية
سنة ١٣٤٨ هـ .

١٦ — (فتح القدير) الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير . مطبعة
مصطفى الحلبي سنة ١٣٤٩ هـ وهو تفسير الإمام الشوكاني .

١٨ — (الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة) طبع في الهند
سنة ١٢٠٣ هـ ثم في مصر بتحقيق وافي ، في مطبعة السنة الحمديّة سنة ١٣٨٠
سنة ١٩٦٠ م .

١٨ — (القول المفيد في حكم التقليد) ، أو في أدلة الاجتماع والتقليد
طبعة مطبعة المهاد سنة ١٣٤٠ ، ومصطفى الحلبي سنة ١٣٤٧ هـ .

١٩ — (نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار) ، الحلبي سنة ١٣٤٧ هـ ،
العثمانية سنة ١٢٥٧ هـ .

٢٠ — نزل من اتقى بكشف أحوال المنتقى ، وهو شرح مختصر للؤلؤات
أختصره من شرحه الكبير (نيل الأوطار) ، طبع بحجر بالهند سنة ١١٩٧ هـ .

٦ — حياته الخاصة :

هذا وقد كان وراء تفرغ الإمام الشوكاني ، لهذا التأليف وكثرة الإنتاج والتدريس ، حياته في كنف والده ، وكفايته له كل أسباب الحياة ووسائل التلميش ، وقد ظل على هذا التفرغ إطلائاً ، وتأليفاً ، وتدريماً ، منعزلاً عن طلاب الدنيا ، ورجال الحكم والسياسة ، وكما قال عن نفسه : كان منعجماً عن بني الدنيا ، لم يقف بباب أمير ، ولا قاضي ، ولا محبب أحدٍ من أهل الدنيا ولا خضوع لطلب من مطالعها ، راغباً في مجالسة أهل العلم والأدب وملاقاتهم ، والاستفادة منهم ، وإلا فاتهم^(١) ، إلى أن اختسب للقضاء ، وهو في السادسة والثلاثين من عمره (سنة ١٢٠٩ هـ) ، فتولى القضاء العام في مدينة صنعاء ، وكان ذلك في عهد الإمام المنصور (على بن العباس ١١٨٩ — ١٢٢٤ هـ) وظل في القضاء مدة حكمه ، وحكم ابنه (الإمام المتوكل على الله أحمد) (١٢٢٤ — ١٢٣١ هـ) (إلى أن توفي سنة ١٢٣١ هـ فباع الإمام الشوكاني ابنه (المهدي هبة الله ١٢٣١ — ١٢٥١ هـ) ، ثم أخذ البيعة من جميع أمراء صنعاء ، وحكامها وجميع أفراد أسرته ، وجميع الرؤساء والأعيان ومما يذكر أيضاً ، أنه هو الذي أخذ البيعة لأبيه من قبله^(٢) ، وفي عهد هذا الحاكم الأخير جمع الإمام الشوكاني بين القضاء والوزارة كلية ، فصار متولياً لشؤون اليمن الداخلية ، والخارجية^(٣) ، وقد طغى هذا على تفرغه لاسلم كل التفرغ ، ولكنه ظل على اشتغاله به إلى جانب أعبائه في القضاء والسياسة ، والإدارة سائراً في الناس

(١) البدر الطالع ج ٢ ص ٢٢٤ .

(٢) أنظر البدر الطالع ج ١ ص ٧٧ — ٧٩ ، ٢٧٦ — ٣٧٧ ، ٤٦٤ — ٤٦٧ .

(٣) أنظر البدر الطالع ج ٢ ص ٤ — ٢٤ ، نيل الوطر السيد محمد زبارة

ص ٢٩٩ — ٣٠٢ .

أحسن سيرة^(١)، متمماً بشخصية قوية ، لدى رجال الحكم جميعهم ، قبل
اشتغاله معهم وأثناء اشتغاله مستعيناً بهم ، على تنفيذ أوامر الشرع حتى على
أقرب المقربين إليهم^(٢) ، إلى أن توفي بهمناء سنة ١٢٥٠ هـ^(٣) .



(١) نفس المصدر ص ٢٩٨ .

(٢) البدر الطالع ج ١ ص ٤٦٥ .

(٣) نيل الوطر ص ٣٠٢ ، والموافق سنة ١٨٣٤ م .

الفقرة الثانية

ولاية الله والطريق إليها

دواية على كتاب قطر الولي على حديث الولي

منهج هذه الدراسة

يدور كتاب (قطر الولى على حديث الولى على ثلاثة أقسام بارزة ، هي :

١ - بيان من هو الولى .

٢ - الطريق إلى ولاية الله .

٣ - أثر سلوك هذا الطريق في حياة الولى ، وفي منزلته عند الله .

وبذلك يتقابل مع أجزاء الحديث نفسه لأنه من الممكن تقسيمه أيضاً إلى ثلاثة أفكار عامة ، هي :

١ - « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب » وهي تقابل القسم الأول من الكتاب .

٢ - « وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه » وهي تقابل القسم الثانى .

٣ - « فإذا أسيبت به ، كنت معه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها . » الخ الحديث « وتقابل القسم الثالث .

وهذه الأقسام الثلاثة من الكتاب ، يمكن أن نقسمها إلى أفكار رئيسية هي :

١ - مفهوم الولى في اللغة وفي القرآن الكريم ، والسنة الصحيحة .

٢ - أفضل الأولياء .

٣ - عدم عصمة الأولياء .

٤ - السمات بالنسبة للأولياء وجوازها ، ثم بيان انوارق الأخرى التى تقع انفير الأولياء ، عن النفساق ، والكفار وغيرهم .

٥ - تحديد شخصيات الأولياء أو أصنافهم .

٦ — الطريق إلى ولاية الله .

٧ — أثر سلوك هذا الطريق في حياة الولي .

وقد سريت في هذه الدراسة ، على هذا المنهج تقريباً ، فرفضت هذه الأفكار ، بالنسبة للإمام الشوكاني ، ثم بالنسبة للصوفية ، وغلاة الشيعة ، فجماعت مكونة من خمسة فصول .

الفصل الأول : (من هو الولي) ، وتناوأت بيان هذا الولي في السنة ، وعند جمهور علماء المسلمين ، ثم عند غلاة الشيعة والصوفية ، ثم ناقشت هذا المفهوم .
والفصل الثاني : (شخصيات الأولياء) . وفيه بينت أصناف الأولياء .
وشخصياتهم عند الإمام الشوكاني ، وناقشت هذا الاتجاه عنده مبيناً إلى أي مدى استقام له المبدأ مع التطبيق .

والفصل الثالث : جعلته لبيان الطريق إلى الولاية عند الإمام الشوكاني ، ثم عند الصوفية ، ثم الموازنة بين الطريقتين .

والفصل الرابع : جعلته لبيان منزلة الإنسان عند الله ، حينما يصل إلى درجة حب الله ، واشتدل هذا الفصل على قسمين :

الأول : منزلة الإنسان الدينية حينما يتقرب إلى الله .

والثاني . في السموات التي يمكن أن تضاف إلى ذلك الشخص ، ونظرة الشوكاني لها ، ونظرة للصوفية ، والفلاسفة من الإشرافيين .

ثم الفصل الأخير : وهو أفضل الأولياء ، وقد اشتدل على قسمين أيضاً :

١ — بيان رأي الإمام الشوكاني ، في من هو الأفضل .

٢ — ثم رأي الصوفية ، مع مناقشة آرائهم .
وأخيراً ، خاتمة لهذه الدراسة .

الفصل الأول

من هو الرلى ؟

« (١) مفهوم كلمة « رلى » في اللغة وعند جمهور المسلمين :

شاعت هذه الكلمة (كلمة رلى) في اللغة أ ل ، شاعت بمعناها العام .
ثم جاء القرآن الكريم فاستعملها بذلك لمعنى العام أى الجاع بين ناسين أو ناسين
والشر ، أى كما يقول ابن تيمية : بجانب أولياء الرحمن وجانب أولياء الشيطان
وشاعت أيضا تلك الكلمة في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
في جانب أولياء الله ضد الأغنياء والأغنياء كما في الحديث الذى معنا ، وفيها
الصحابة رضى الله عنهم ، ومن بعدهم من ساء على سائرهم واستعملوها في جانب
الظلمة ، هل أنها الوصف الذى يجب أن يكون الإنسان عليه في الله و الله
حدها لها القرآن الكريم في جانب أولياء الله ، وهم المملون .

ولكن الذين تشيعوا أو تصوفوا ، ففصروا هذا المعنى فأدخلوا فيه عناصر
خفية أو مبتدعة لا صلة لها بالإنسان المثالى في القرآن الكريم كما تفيد كلمة
« رلى » ، فوصفوا بها أشخاصا معينين ، إما من آل البيت رضى الله عنهم ،
وإما من شيعه آل البيت ، وإما من المتصوفة وأصبحت كلمة « رلى » - في
الإطلاق الشعبي العام أو ما فوق الشعبي ودون التعديد العلمى - تطلق على رجل
التصوف أو الشريف المنتسب إلى آل البيت الذى يدعى ذلك ليتكسب
من وراء هذا الادعاء . مع أنه لا يحق لأحد أن يطلق هذه الكلمة على نفسه
ولا على أى شخص آخر ، سوى من نعت عليه القرآن الكريم وهم الصحابة
رضى الله عنهم . مع أنها وصف لمن نال محبة الله ، أو هى غاية السكلى يسمى

إليها ويجب أن يتحقق بها ، ولاندرى من الذى تحقق بها فهلا ومن الذى لم يتحقق إلا يوم تأتى كل نفس تجادل من نفسها وتوفى كل نفس ما عملت . إذن سنحلل معنى هذه الكلمة لنرى أنها ترجع فى هذه الناحية على كلمة صوفي ، ولنعرف لماذا أطلقها الصوفية على كبار متصوفهم دون الاكتفاء بكلمة صوفي . فى القاموس المحيط (الوَلَى) : « القرب والدُّر والمعار بعد المطر » . و (الولي) : الاسم منه والمحِب والصديق والنصير . و (الولاية) : الإمارة والسلطان ، والمولى : المستق والمفتق ، والمُحِب والقريب ، والولى والرب ، والناصر والمحِب .

ويشير (الشوكاني) إلى هذا المعنى فى (قهار الولي) بقوله : « قال فى الصحاح ، والولي ضد المدى انتهى . والولاية ضد العداوة وأصل الولاية المحبة والتقرب كما ذكره أهل اللغة ، وأصل تلك العداوة البغض والبعد » . ويذكر فى تفسيره أن « الولي فى اللغة : القريب . والمراد بأولياء الله ، خالص المؤمنين كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته ، وقد فسر سبحانه هؤلاء الأولياء بقوله : « الذين آمنوا وكاوا ينفقون » أى يؤمنون بما يجب الإيمان به وينفقون ما يجب عليهم اتقاؤه من مساى الله سبحانه »^(١) فكان هذا الإيمان وهذه التتهوى هما سبب القرب من الله .

ويذكر ابن تيمية هذا المعنى القوي الذى قدمه الشوكاني لملك الكلمة فى كتابه (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) ثم يثنى بقوله : « وقد قيل : إن الولي سمي ولياً من مولاته للطاعة أى متابعتها لها » ويقابل بين الولي والمدى على أساس من القرب والبعد^(٢)

(١) فتح القدير ج ٢ ص ٤٣٦ .

(٢) الفرقان ص ٥ ينظر أيضاً مجموعة الرسائل والمسائل ج ١ ص ٤٠ ، ٤١ .

وهذا المعنى الذى يدور بين الحب والقرب والنصرة هو الذى أراده القرآن الكريم من كلمة (ولى) ومشتقاتها فى كل موضع أتى بها فيه سواء فى جانب أولياء الله ، أو فى جانب أولياء أعداء الله . وقد أحصيت تلك المواضع فبلغت تسعين موضعاً : أربعة وخمسون منها فى جانب أولياء الله ، وستة وثلاثون فى جانب أولياء الشيطان وأعداء الله^(١) . وكلها قد أتت فيها تلك الكلمة بالمعنى اللغوى المتقدم . فمن ذلك قوله تعالى : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون)^(٢) . وقد فسر (الدكتور الشيبى) هنا الأولياء بالأحباء والمقربين إلى الله^(٣) كما تقدم لنا تفسير الشوكانى لها بذلك وكما صيأتى تفسير المفسرين لها بهذا المعنى أيضاً وقوله تعالى : (هنالك الولاية لله الحق)^(٤) بالفتح ، فقد قال فيها الإمام (أبو بكر السجستاني)^(٥) (والولاية بالفتح : النصرة والربوبية ومنه تلك الآية المقدمة ، يعنى يومئذ يتولون الله ويؤمنون به ، ويتبرهون مما كانوا يعبدون)^(٦) . وفي الإيمان بالله والتبرؤ من عبادة غيره بعد الكفر ما فيه من معانى القرب من الله . ويذكر الشوكانى فى معناها : (والمعنى هنالك ، أى فى ذلك المقام النصرة لله وحده

-
- (١) ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة (ولى) وقارن أيضاً الصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ١٥ .
 (٢) سورة يونس آية ٢٣ .
 (٣) الرسالة بين .. نفس المصدر والصفحة .
 (٤) سورة الكهف آية : ٤٤ .
 (٥) المتوفى سنة ١٣٣٠ هـ .
 (٦) نزهة القلوب فى تفسير غريب القرآن هامش المصحف طبعة المكتبة السعيدية .

لا يقدر عليها غيره^(١) . وقوله : (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا)^(٢) ويكفى أن تدبر الآيات في سياقها فسنجد تلك الكلمة فيها لم تخرج عن معناها اللغوي وإن أحيطت بما يفسرها في ذلك المقام من الشرهيات أو بما يتفق مع جوهرها العام الذي جاءت فيه .

ومن ثم فليس لنا كما يقول (الأستاذ الدكتور محمود فاسم) أن نخرج هذا المصطلح عن المعنى الذي حددته القرآن بلسان عربي مبين .

ولننظر موقف المفسرين والعلماء المسلمين من أدل السنة وغيرهم من تلك الكلمة ونظرتهم إلى مدلولها^(٣) . يقول ابن جرير المصنف في تفسير تلك الكلمة (المراد بولي الله : العالم بالله تعالى المولع قلبه على طاعته المخلص في عبادته) ويعاقب انضمام الشوكاني على ذلك بأن هذا التفسير (هو المناسب لمعنى الولي المضاف إلى الرب سبحانه)^(٤) .

ويفسر ابن جرير الطبري الأولياء في قوله تعالى : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) بأنهم أنصار الله والأولياء جمع ولي وهو النصير وقد بينا ذلك بشواهد^(٥) . ثم ينقل الطبري ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إن من عباد الله لأناس ما هم بأنبياء ولا شهداء يغفلهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم

(١) فتح التدبر ج ٣ ص ٢٧٨ .

(٢) سورة النساء آية : ١١٩ .

(٣) حالة إطلاقها أو إضافتها إلى الله سبحانه وتعالى فقط .

(٤) فطر الولي في تفسير كلمة : (ولي) .

(٥) تفسير الطبري ج ٥ ص ١١٨ وتنظر الفهارس اللغوية لهذا الجزء

وما قبله في تفسير مادة ولي .

من الله ، قالوا : يا رسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم ؟ فإننا نحبهم ، لذلك ،
قال : هم قوم تحابوا في الله [بروح الله] على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها
فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعل نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون
إذا حزن الناس وقرأ هذه الآية : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون)^(١) . ثم يملق السبكي على هذا : « والصواب من القول في ذلك
أن يقال : (الولي) أعني ولي الله : هو من كان بالصفة التي رخصه الله بها وهو
الذي آمن راقياً قال الله : (الذين آمنوا وكانوا يتقون)^(٢) .

ويعرفنا الفخر الرازي بالولي فيقول : « أما أول من شو ؟ فيدل
عليه القرآن والخبر والأثر والمقول » .

أما القرآن فهو قوله تعالى في هذه الآية : « ألا إن أولياء الله الخ »
« الذين آمنوا وكانوا يتقون » فالإيمان هنا إشارة إلى كمال القوة النظرية ،
والتهوى إشارة إلى كمال النوة العملية ، ويستدل عليه من الأخبار برواية
عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيهم « هم قوم تحابوا في الله الخ »
الحديث المتقدم . ويروى من الآثار عن أبي بكر الأصم : أولياء الله :
« هم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان » وتولوا القيام بحق عبودية الله تعالى
والدعوة إليه » .

وأما المقول فأساسه الاشتقاق لأن الولي ههنا القريب ، والترتيب من الله
تعالى ليس قرباً مكانياً ، بل المراد به الامتزاق فلهذا الله والإيمان بقدرته
والثناء عليه وطاعته وهذا هو غاية القرب من الله . « فهذا الشخص يكون

(١) نفس المصدر ص ١٢١ .

(٢) نفس المصدر ص ١٢٢ ، ١٢٣ وينظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٢٢ .

ولما لله تعالى ، وإذا كان كذلك كان الله تعالى ولياً له أيضاً كما قال الله تعالى : « الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور » . ويجب أن يكون الأمر كذلك لأن القرب لا يحصل إلا من الجانبين . وقد المتكلمون : ولي الله من يكون آتياً بالاهتقاد الصحيح المبني على الدليل ، ويكون آتياً بالأعمال الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة ^(١) .

ويرى العلامة أبو السعود أن المراد بالقرب الذي يدل عليه كلمة الولي هنا ، هو القرب الروحاني كما يدل على ذلك كل من الإيمان والتقوى اللذين يرتبطان بهذه الكلمة . ثم يستطرد فيذكر ما ذكره الفخر الرازي من أنهم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان ، ويذكر ما ذكره كل من العاصري وابن كثير من الروايات والأخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم في وصفهم ^(٢) . ويتفق الإمام النسفي في كل ذلك مع هؤلاء المفسرين ^(٣) .

وفي ضوء هذه المعاني فإن الإمام الشوكاني يرى أنه لا بد لمن يريد أن يكون من الأولياء ، أن يكون متمسكاً بكتابات الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم مقتدياً به في أقواله وأفعاله ، وأزناً لكل عمل يأتي به بميزان الكتاب والسنة ، ويستدل لذلك بعرض رضى الله عنه فإنه مع كونه من كبار الأولياء ومع كون الرسول صلى الله عليه وسلم شهيداً له بأنه من المحبين ، فلم يكن يتمدد على ذلك بل كان دليله الكتاب والسنة في كل ما يعمل وما يدع ، فكان يشاور الصحابة رضى الله عنهم ويشاورونه ، ويراجعهم ويراجعونه ويحتج

(١) مفاتيح الغيب ج ٥ ص ١٤ .

(٢) هامس ص ٣ من مفاتيح الغيب للرازي ج ٥ .

(٣) تفسير النسفي ج ٢ ص ٢٦ .

عليهم ويحتجون عليه بالكتاب والسنة ويرجعون جميعاً إليهما^(١) .
« ومن خالف هذا ممن يطلق عليه اسم الولي فليس من أولياء الله عز وجل »^(٢) .

إذن فالمراد من كلمة ولي في القرآن الكريم في حال المدح وفي حال السببها إلى الله سبحانه وتعالى هو المحبة أو القرب أو الحماية والنصرة من الجانبين ، جانب المخلق وجانب الخالق سبحانه ، وهي المعاني اللفظية لتلك الكلمة . وتلك المعاني الثلاثة التي تدور فيها هذه الكلمة حينما يسمى بها الشخص ، معان عامة شاملة لكل ما من شأنه أن يقرب إلى الله حسب المفهوم الشرعي السابق للقرآن الكريم والحديث الشريف ، وحسب روح الإسلام العامة التي جاءت فجعلت الناس مرامية ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، إذ التقوى محلها القلب . وأن الإسلام يجمع بين الدين والدنيا ، فاستخدام كلمة الولاية بمعنى مخالف يخدم غرضاً شخصياً أو قضية خاصة لا صلة لها حينئذ بالدين وإن ادعى ذلك أصحاب هذا الرأي .

ويجب أن نلاحظ أن هذه الآيات التي تحدثت عن الولاية والأولياء ، إنما تعني أدل ما نعتى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين نصره وهزروه ووقروه وآووه ، وجاهدوا معه كما قال القرآن الكريم فيهم . (فالذين آمنوا به وهزروه ونصره واتبعوا النور الذي أنزل معه ، أولئك هم المفلحون)^(٣) . فهي تشير إلى أعمالهم لا إلى أنسابهم ، فإذا كانوا أولياء الله فذلك لأنهم نصروا دينه .

(١) قطر الولي في (الواجب على الولي فيما يصدر من أعمال) .

(٢) تنس المصدر .

(٣) سورة الأعراف آية : ١٥٠ .

وفي ذلك يقول (الدكتور أبو العلا هنيئى) : « ومن أوائل هذه الصفات : (صفات الولى) وأقدسها أن الولى شخص يؤيده الله وينصره . وقد ظهر منذ هذا المبنى في الإسلام قبل ظهور التصوف ، وأولياء الصوفية . أى ظهر منذ ابتدأت الدعوة إلى الإسلام ، وكان معنى الولاية نصره الله لا بد له من الله ، فالذين جاهدوا في الله كانوا أولياءه ، وكذلك الذين خاضوا فيهم قرأش وأذنتهم من أجل إسلامهم ، كل هؤلاء كانوا أولياء الله حسب النص ص القرآن في الواردة فيهم ، وفيهم جميعاً نزلت الآية : (الذين أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وورد الحديث : « من أذى لى ولية فقد عاتانى ... » (١) .

وهكذا كان استعمالها ، وظلت النظرة إليها بهذا المعنى إلى أن دخلت أوساط الشيعة ثم في دائرة الصوفية فأطاعتوها على أئمتهم ومشايخهم ، مراعين فيها اعتبارات أخرى غير هذه الاعتبار الإسلامية (٢) ، وأصبح لها مفهوم آخر إلى جانب المفهوم القرآنى الخاص .

وعلى هذا فإذا قال (نيكولسون) : « يعطى المسلمون اسم الول على الرجل الذى وصل إلى مقام الفناء عن ذاته وإرادته وبقى بالإرادة الإلهية » (٣) فليس المراد بهم المسلمون الذين ساروا على النهج المحمدى ، وإنما هم الذين قال الجرجاني على لسانهم في كتاب التعريفات : « إن الولاية هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه » (٤) وهم الصوفية الذين أخذوا هذه الكلمة

(١) التصوف الثورة الروحية في الإسلام ص ٢٩٦ .

(٢) قارن (الدكتور أبو العلا) في المصدر المتقدم في نفس الصفحة .

(٣) في التصوف الإسلامى وتاريخه ص ١٥٧ .

(٤) الصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ٢٦ .

من غلاة الشيمة وأطاعتوها على اللمتازين منهم حسب قواعدهم ومبادئهم ، تلك المبدىء التى قل فيها ابن تيمية ، إنها من جنس الطامات فإنه من المعلوم ، باتفاق الناس أن حال البقاء أكل من حال الفناء ، وهذه حال الأنبيا والمرسلين والملائكة المقربين ، ومعلوم أن الرسل يدعون العباد إلى الله تعالى ويعلمونهم ويحييهم ويأكلون الطعام ويثبون في الأسواق فلو كانت تلك الحال أكل لسكان من لم يرسل أكل من الرسل وهذا خلاف دين المسلمين واليهود والنصارى ولكنه يوافق غالبية الصحابة من المتفلسفة^(١) .

فهذا الفناء الذى يشير إليه (نيكولسون) ليس من الإسلام فى شيء وإنما يمكن أن نرده إلى فلسفة أفلاطون^(٢) كسامل أكبر من التوالى التى تأثر الصوفية بها - ذلك الذى يقول : « ليعتزل العالم الخارجى ولنتموجه بكليتنا

(١) بغية المرتاد فى الرد على القرامطة والباطنية ص ٢٣٣ .

(٢) فيلسوف مصرى متصوف . حذق الفلسفة اليونانية ، ودان بالديانة المسيحية بعد أن سطت عليها يد الغنوص بالنأويل والتحوير والتبديل ، وخلطها بالسحر والأساطير ، والعقائد الوثنية ، وقد عاش فى أول القرن الثالث الميلادى وتأثر علومه الفلسفية فى الإسكندرية ، وروما ، وبعض مدرج التمرق .

والغنوصية : شعبة دينية فلسفية متعددة الصور . مبدؤها أن العرفان الحقيقى هو الكشف عن طريق الحس التجريبى الحاصل عن اتحاد العارف بالمعروف ، لا العلم بواسطة المعانى المجردة والاستدلال . فهى نوع من التصوف يزعم أنه المثل الأعلى للمعرفة ، ويعتقد أنه ليست هناك حواجز أو فروق بين الأديان بعضها وبعض ، سواء كانت يهودية أو مسيحية ، أو وثنية . ومن هنا كان خطرها على الأديان وتأثيرها السيئ عليها . وهى مأخوذة من اللاهوت اليونانى « غوسيس » يعنى « معرفة » وقد نشأت فى القرن الأول الميلادى بتأثير اختلاط الثقافة اليونانية بثقافة الشرق ودياناته فى ذلك الحين .

نحو الداخل ، وانجهل كل شيء حتى كوننا نحن الذين نتأمل»^(١) .
وبناء عليه فليس ذلك الشخص الذى يتصف بمثل هذه الحالة أو يدين بها
من الولاية القرآنية في شيء .

والولى هو : المسلم ، والأولياء هم : المسلمون كلهم ، لأن الله اتخذهم أولياءه في
مقابلة أهدائه الكافرين به الذين ذكرهم أول سورة الممتحنة مخدراً المؤمنين
منهم في قوله : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا هدى وهدى وهدى أولياءكم أولياءكم) .

(ب) مفهوم الولاية عند غلاة الصوفية ، وصلة ذلك ، بمفهوم الإمامة عند
غلاة الشيعة :

رأينا كيفية دلالة كلمة (ولى) وأولياءه في القرآن الكريم ، وأنه يعنى بها
مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين والوه ونصروه ، وتمسكوا
بالاضطهاد والتهذيب من أجل نصرة دين الله ، وأنه لا مانع بعد ذلك من أن
تطلق تلك الكلمة على من ينطبق عليه نفس ذلك المعنى المتقدم ، أو على من
تشبه حاله حالهم على العبر .

لكن يظهر أن الشيعة يهتيم تلك الكلمة ، وما تنطوى عليه من معنى
بأنه فعل السحر في نفوس الناس ، فأطلقوها أحياناً على أئمتهم ، وعلى كبار

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٨٩ — ٢٩٠ ، وينظر أيضاً كتاب
التلويحات (للسهروردي الخليفي ضمن مجموعة في الحكمة الإلهية ص ١١٣ ،
١١٠ ، ١٠٦ ، ٤٠ . فهناك يصرح السهروردي بأن نظرية الفناء هذه مأخوذة
من أفلاطون . وهذا وإن لم يتبن دقيقاً كل الدقة ، إلا أنه يدل على أن
هؤلاء المتفلسفين من الصوفية إنما أخذوا هذا المذهب وغيره من المذاهب الفلسفية
الأخرى عن مصادر أجنبية عن الدين الإسلامى .

الدهاء فيهم ، ولو كانوا على ضد ما تحمل تلك الكلمة من معنى حسب الإطلاق اللغوي ، وحسب إطلاق القرآن الكريم لما في حال المدح . ثم أضفوا على ذلك الإمام صفات باطنية لا يمكن توفرها في غيره حسب زعمهم ، لتحقيق بعض الغايات السياسية والاجتماعية ، فأصبحت محصورة في طائفة خاصة بعد أن كانت صفة محتملة لأي إنسان يقوم بنصرة دين الله بن عباده المسلمين . ولم يلبث إطلاقها بهذا المعنى غير الشرعي أن نشأ في الأوساط الصوفية أيضاً ، وهو إن لم يأخذ الصفة السياسية كاملة إلا أنه قد أخذ صفة لاهوتية ، هي خليف من أديان سابقة سماوية وغير سماوية وثقافات أجنبية فيها المعنى الإلهادي ظاهر .

١ — الوصاية :

وقد بدأ تحريف تلك الكلمة (كلمة ولي) في أوساط الشيعة ، حين تزيدوا في معناها ، وحين بدأوا يطبقونها على أول ولي في ديارهم أو إمام ، وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضى الله عنه) ، فالفضل بن العباس ابن أبي طالب يصف علياً (رضى الله عنه) لمعنى سياسي بأنه ولي عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الوقت الذي يمينه فيه بأنه (ولي الله) وذلك في قوله :

وكان ولي العهد بعد محمد علي وفي كل الموطن صاحبه
هلي ولي الله أظهر دينه وأنت مع الأشقياء فيمن تجاربه^(١)

(١) يرد على الوليد بن عقبة بن أبي معيط في اتهامه لبني هاشم بتدبير قتل عثمان (رضى الله عنه) ينظر الصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ١٥ ويلاحظ أننا نعتبر علياً (رضى الله عنه) من كبار الأولياء من وجهة النظر القرآنية فقط على أنه صحابي جليل . أنظر « دراسات في الفلسفة الإسلامية للاستاذ الدكتور محمود قاسم ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

يشير بذلك إلى فكرة الوصاية التي تدعيها الشيعة لـأبي طالب وبنده^(١)، والتي يعتمدون عليها في حصرهم للإمامة فيهم، لأنهم في نظرهم من طينة غير طينة سائر البشر، « طينة مكنونة تحت العرش، أسكن الله فيها النور، فكانوا بشرًا نورانيين، أو هم بشر إلهيون، لأن النور الذي هو الله حل في هــد المطلب ثم صار في أبي طالب ثم صار في محمد (صلى الله عليه وسلم) ثم صار في علي بن أبي طالب، فهم آلهة كلهم »^(٢). فهي فكرة غنوصية راموا من ورائها بيان قداسة أهل البيت حفاظًا على بناء السلطة السياسية فيهم، وكان لها أثرها فيما بعد في دائرة المتصوفة في ظهور مذاهب الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، على ألسنة أوليائهم. وهي إحدى رواهب نظريات الفرس البديية في تأليهم للعلوكة وقولهم بالنور الذي ينقل من ملك إلى آخر^(٣).

وعلى هذا الأساس وأينما يثبتون الولاية لأبي طالب (رضى الله عنه) ثم ينقلونها إلى الأئمة من بعده.

٤ — تعلم الدين :

وهناك صفة ثانية أضيفت إلى مفهوم لولاية عند الشيعة والصوفية، وهي صفة العلم الدين الذي أخذته على بن أبي طالب من الرسول كما قالوا، ثم ورثه إياهم، ويرجعون هذا أيضا إلى فكرة الوصاية التي قالوا بها، وإلى المؤاخاة

(١) ينظر: الصلة بين التصوف والتشيع ج ١ ص ٥٥٤، ٧٨، ٩٢، ٦٠٦، ج ٢ ص ٢٣.

(٢) المصدر المتقدم ج ٢ ص ١٠، ثم ص ٩٢. من كتاب فرق الشيعة ص ٤٣.

(٣) الصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ١٠. قارن القاضي عبد الجبار في المغنى ج ٢٠ ص ١٢، ١٣.

لقد عقدتها الرسول (ﷺ) بينه وبين علي رضي الله عنه وإلى الحديث الذي وضعوه وهو : « أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب »^(١) . وبهذا فقد نسب إليه المتصوفة علم الباطن وخصوه « بأنه تلقى أصرار التأويل عن النبي صلى الله عليه وسلم » ، فجعل المتصوفة في البلاد الإسلامية يكادون يجمعون على أنهم يقتبسون طريقتهم من الإمام علي كرم الله وجهه ... بل يصرحون أنهم أخذوا عنه الحكمة كما يقول ابن أبي الحديد : « ولهذا نجد للباحث الدقيقة في التوحيد والمعدل ، مبهمة عنه في فرش كلامه وخطابه ، ولا نجد في كلام أحد من الصحابة والتابعين كلمة واحدة من ذلك ، وإذن فليس بمجيب أن نجد بعض العناصر الشيعية في التصوف »^(٢) . وفي هذا ما يليق لما ضروءاً على ذلك التزاوج الذي نراه بين التشيع والتصوف ، والذي يتمثل في تصوير أولياء الصوفية بصورة رلى الله على بن أبي طالب ، وإسماعيل ما يقال في أئمة الشيعة إلى أولياء الصوفية^(٣) . ومن ذلك وصف « التسنري »^(٤) . « الأولياء بأنهم » لا يزالون ينقلون من حال إلى حال ومن علم إلى علم ، فهم أبدأ في المزيد من العلم فيما بينهم وبين ربهم^(٥) . وصفة العلم اللدني هذه ،

(١) المصدر السابق ص ٢٣ . وقد أورد الشوكاني هذا الحديث وحديثاً آخر بمعناه في الموضوعات من كتابه (الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة) ص ٣٤٨

(٢) دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٣) ينظر الصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ٢٢ ، ٢٣ ، وحقائق التفسير لأبي عبد الرحمن السلمي ورقة ٦٣ .

(٤) أبو محمد سهل بن عبد الله التسنري ، توفي سنة ٢٨٣ هـ :

(٥) تفسير القرآن العظيم ص ٤٦ .

واختصاصه على رضى الله عنه بالتأويل هو والأئمة من بعده^(١) كما اختص محمد صلى الله عليه وسلم بالتنزيل ، مسببا يدهون ، جعلتهم يسندون إلى الأئمة أو الأولياء صفة العصمة وربما جعلوهم يزيدون فيها على الرسول ، ويحتجون لذلك بأن الرسول منه الوحي بلمبه فلا يقع في خطأ ، أما الإمام فليس منه الوحي فهو معرض للخطأ في إيصال العلم الأدنى أو التأويل الباطنى إذا لم يكن معصوما^(٢) .

وقد بدأت هذه الفكرة من هشام بن الحكم أحد تلاميذ الإمام جعفر الصادق وأتباعه ، ولزمت الشيعة ولم تنفصل عنه^(٤) بل

(١) دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ١٢٨ ، الصلة بين التصوف والشيعة ج ١ ص ١٣٥ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ٧٦ . ويرى الشهرستاني عن أصحاب أبي هاشم ابن محمد ابن الحنفية : « أن لكل ظاهر باطناً ، ولكل شخص روحاً ، ولكل تنزيل تأويلاً ولكل مثال في العالم حقيقة . والمنتشر في الآفاق من الحكم والأسرار مجتمع في الشخص الإنسانى : وهو العلم الذى استأثر به على عليه السلام ثم ابنه محمد بن الحنفية وهو أفضى ذلك السرى إلى ابنه أبي هاشم ، وكل من اجتمع فيه هذا العلم فهو الإمام حقاً » : الصلة بين التصوف والشيعة ج ١ ص ١٢٤ نقلاً عن الملل والأحزاب ج ١ ص ٢٤٣ . وربما كانوا هم الذين يعينهم للقاضى عبد الجبار بقوله « وربما قالوا لا بد أن يزيد (الإمام فى العلم على الرسول فى بعض حالاته) » المغنى ج ٢ ص ١٤ .

(٢) الصلة بين التصوف والشيعة ج ١ ص ١٤٦ . ج ٢ ص ٦٢ . ٦٤ . ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية ص ٢٢٦ . المغنى للقاضى عبد الجبار ج ٢ (الخاص بالإمامة) ص ١٤

(٣) منهاج السنة النبوية ص ٢٢٦ ، الصلة بين التصوف والشيعة ج ١ ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ . ج ٢ ص ٦٢ . وهشام هذا أحد الشيعة المتكلمين من الكوفيين توفى سنة ١٩٩

(٤) الصلة بين التصوف والشيعة ج ١ ص ١٤٨ .

تأكله شاة، وتمجج بإعلانها معتنقوها بعد ذلك وخاصة في دوائر الشيعة الإمامية، ثم الإمامية الإثني عشرية^(١) التي ما تزال موجودة إلى اليوم .

٣ — المصحة :

وبما أن الصوفية يدينون بمعية الشيعة في أن للقرآن ظاهراً وهو التنزيل وهو ما جاء به محمد بن عبد الله ﷺ وباطناً وهو التأويل^(٢) وهو ما تنقل به بيانته أئمة الشيعة وأولياء الصوفية حسب نظرية العلم الوراثة أو اللدني المتقدمة، فقد وصفوا أوليائهم أيضاً بالمصحة، فكانهم أشركوهم مع أولياء الشيعة أو أعتهم في ذلك أو قابلوا بينهم وبين الأنبياء، فالأنبياء يملكون رسالة التصوف أيضاً، والاثنان وجهان لحقيقة واحدة^(٣)، وكما سيتبين لنا من مقارنة الصوفية أوليائهم بالأنبياء وأن الولاية ما هي إلا نبوة باطنة وهي لا تنزل في الدنيا والآخرة لأن الوحي الإلهي والإنزال الرباني لا ينقطع إذ به حفظ العالم . فكيف يكون الصوفي نبي ولاية ورسولاً باطناً ولا يكون معصوماً^(٤) ؟ .

(١) المغني للقاضي عبد الجبار ج ٢٠ (الكلام في النبوات) ص ٢٤٨، ٢٥٦، ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية ص ٢٢٦، ٢٢٨، ورأس الحسين (رضي الله عنه) لابن تيمية ص ٥ .

(٢) ينظر على سبيل المثال : تفسير علي بن إبراهيم ص ٨٧، الصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ٢٣، ٥٥، ٦١، ٩٧، ٩٩، ج ١ ص ١٢٤، ١٣٥ .
ودراسات في الفلسفة الإسلامية ص ١٢٨، تفسير القرآن العظيم للتستري ص ٣، والرسالة القشيرية ص ٤٣ .

(٣) الصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ٦٣ .

(٤) نفس المصدر ص ٦٥ .

وتستوى هذه العصمة في كلام من أظهر منهم أنه سنى وفي كلام من أعلن منهم أنه شيعي أو باطني على حد سواء فالقشيري يرى : « أن من أجل السكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات والعصمة من المعاصي والخالقات »^(١) والشاذلي (أحمد) « يرى في غير لبس ولا إبهام أن من خواص التقرب ، إمداد الله له بالرحمة والعصمة والخلقة والنبية »^(٢) . ويرى ابن عربي « أن من شرط الإمام الباطن أن يكون معصوماً وليس الظاهر إن كان غيره يكون له مقام العصمة »^(٣) . « وأن تلقيات الموحدين تكون بحسب تجريده ودرجة قصده ودهشته في طريقة »^(٤) .

ويجب أن ننبه إلى أن الصوفية في كثير من الأحوال قد يعبرون عن العصمة بالحفظ مثل ما قال السكلاباذي : « ولطائف الله في عصمة أنبيائه وحفظ أوليائه ، من الفتنة أكثر من أن تقع تحت الإحصاء والعد »^(٥) . فنجد هنا مقابلة بين عصمة الأنبياء ، وحفظ الأولياء ، وهذه المقابلة قد أوردها القشيري أيضا بذلك الأسلوب الذي يعطى أنهما بمعنى واحد ، أو على الأقل أن العصمة قد تكلم فيها بالنسبة للأولياء^(٦) : « فإن قيل فهل يكون الولي معصوماً ،

(١) الرسالة القشيرية ص ١٦٠ .

(٢) الصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ٦٥ .

(٣) الفتوحات المكية ج ٣ ص ١٨٣ .

(٤) رسائل ابن عربي ، كتاب التراجم ص ٤ عن الصلة بين التصوف والتشيع

ج ٢ ص ٦٥ .

(٥) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٩٩ عن الصلة بين التصوف والتشيع

ج ٢ ص ٦٢ .

(٦) قال صاحب (تحفة الأصفياء) : « العصمة في حق غير الأنبياء جائزة .

وسؤال المجازز جائز . هامش ص ١٢ .

تجمل : أما وجوباً كما يقال في الأنبياء فلا ، وأما أن يكون محفوظاً حتى لا يصير على الذنوب إن حصلت هذات أو آفات أو زلات فلا يمنع ذلك في وصفهم^(١) ، ونلاحظ أنه تامل في إثبات الحفظ أو تلك العصمة حتى أثبتهما للأولياء ، بنفس إيراد السؤال في أن الولي يكون معصوماً بطريقة إجابته بقوله « أما وجوباً كما في الأنبياء فلا » الخ يفهم منه أن الحفظ هنا مراد به العصمة أو ما يقرب منها ، وخاصة أنه أورد هذا السؤال بعد تعريفه للولي ، وأنه « من نوال طاهته من غير تخلل معصية » أو « هو الذي يتولى الخلق بمبعثه حفظه وحراسته على الأمانة والنوال فلا يخاف له الخطيئة الذي هو قدرة المعبود » ، وإنما يديم ترفيته الذي هو قدرة الطاهة^(٢) ثم بعد ذلك جعل من كرامات الولي دوام التوفيق للطاعات ، والعصمة من المماض والخالفات ، كما تقدم . فقد أطلقوا الحفظ في جانب الأولياء ، ولكن أرادوا به العصمة التي تكون للأنبياء^(٣) ، فإننا إذا حللنا معنى « الحفظ » وجدناه بمعنى « المنع » ، و«العصمة» هي « المنع » ، كما أننا إذا نظرنا إلى مجمل أحوالهم وهبائهم وجدناهم يتصدرون بالحفظ العصمة بعينها^(٤) ، كما قال ابن تيمية : « والغالبية في المشايخ قد يقولون

(١) الرسالة ص ١٦٥ .

(٢) نفس المصدر ص ١١٧ ، ١٦٥ .

(٣) قارن . التصوف النورية الروحية في الإسلام للدكتور أبو العلا عفيفي

ص ٣٠٠ ، ٣٠١ ، والصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ٦٦ .

(٤) فمعناها في اللغة هو نفس المعنى في الإصلاح عند سائر الطوائف من المتكلمين والصوفية وأهل السنة من السلفيين ، فنجد صاحب (تحفة الأصفياء في بيان معنى القول بعصمة الأنبياء) يفسر العصمة في الاصطلاح بأنها : « حفظ الله تبارك وتعالى للمكلف من الذنب مع استحالة وقوعه » هامش ص ٧ على كتاب « انحاف أهل العناية الربانية » وينظر إلى هامش ص ١٣ .

ومن المفهوم دينا وعقلا أن وقوع الذنب ليس مستحيلا مع الولي كما يشير إلى ذلك أستاذنا الدكتور محمود قاسم في ملاحظاته على ذلك .

إن الولي محفوظ والنبي معصوم ، وكثير منهم إن لم يقل ذلك بلسانه فحاله حال من يرى أن الشيخ أو الولي لا يخطئ ولا يذنب^(١) ولكنهم تظاهروا بكلمة لفظ بدل العصمة ليوهوا الناس أن تصوفهم وصول بالإسلام وأنه يسير على «مدى الكتاب والسنة» فيكثر أتباعهم من جانب «يحفظوا على المتصوفة حياتهم» من جانب آخر ، وفي ذلك توطيد لما ذكرهم^(٢) ، وهون على بلوغ ما يحبون إليه من خلع الناس من الإسلام ، وإدخالهم في ذلك «الخطيئة العجيب من الحكمة الذي يجمع بين خرافات الفرس ووثنية الإغريق وعقائد اليهود الذين هرفوا دينهم من قبل»^(٣).

٤ — الفناء :

ومن المعاني التي تلزم العصمة أو تساويها عند هؤلاء «الفناء» في الله ، لأن الشخص إذا فنى في ذاته (أي ذات الله سبحانه) وغاب عن صفاته ، لم يتصور أن يخطئ ، وإذا أخسأ في الظاهر فإن له في الباطن ما يعلى هذا الخطأ أو يفسره بأنه هو الصواب «ون هذا قالوا» ، إن رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين^(٤) ، فليس تعريف الولي حينئذ «صادراً عن عقل واعي» وإنما هي النفس الكلية الموحدة تتصرف وتصدر عن المثل الأعلى^(٥) وهذا ما همل به في التشيع الإسماعيلي شرب اسم عيل الحمر «وقسوة الحاكم بأمر الله»

(١) منهاج السنة النبوية ج ١ ص ٤٤ .

(٢) قارن الصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ٦٧ ، ٦٨ .

(٣) دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ١٢٩ ، ١٢٧ ، ١٣٥ .

(٤) في التصوف الإسلامي وتاريخه لنيكولسون ص ٢١ .

(٥) الصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ٦٨ .

وأوضحه البعيدة عن المنطق الساذي»^(١).

ويظهر أن صفة «الفناء» هذه غلبت على أولياء الصوفية أكثر منها في أئمة الشيعة، نظراً لأن الصوف وجهه دينية في الأكثر، أما الشيع فالفالب عليه الاتجاه السيامي . ولذلك نجد الكلام في هذه الناحية قد كثر عند الصوفية وطالت ذبونه ، ولا عجب «الفناء» عندهم ، هو «نهاية الطريق» وعتبة الوصول إلى الله ، ولبات الولاية ومقامها»^(٢) . ولا أغلوا إذا قلت إنه أبرز أئمة الصوف أو أن النحوف كله ينتهي إليه : لأنه يكاد يجمع المذاهب الفلسفية التي يحتوى عليها التصوف ، والتي تفسر الولاية بتأثيرها المختلفة ، فأبو بكر الواسطي^(٣) يصل في وصفه لانشاء ، إلى مذهب الاتحاد أو الحلول ، فقد سئل عن «الولى» كيف يفنيه الله فقال : «في بدايته بمبادته وفي كونه بسره ولطافته ... ثم يدينه طعم قيامه به في أوقاته»^(٤) ثم يفسر هذا القيام بأن الله يكشف للولى فيه بأنه السامع منه إذا سمع والمبصر منه إذا أبصر ، والباطش منه إذا بطش، وهكذا قال تعالى مخاطباً النبي (ﷺ) «وماريت إذ رميت ولكن الله رمى» فهو وإن فسر هذا القيام بالمبدع بمحدث الولى موضع الدراسة ، وبذلك الآية القرآنية إلا أنه لا يقصد فهمها إلى المعنى الذي الفرائى ، ولكن إلى المعنى الباطني ، وكأنه يؤكد هذه الفكرة ، فكرة الفناء - التي صار فيها الولى في مقام الاتحاد أو الحلول - بمنزلة النصين

(١) نفس المصدر .

(٢) التصوف ، الثورة الروحية في الإسلام ص ٣٠٠ .

(٣) أبو بكر محمد بن موسى الواسطي توفي ٣٢٠ هـ

(٤) نفس المصدر والصفحة ، إيشتر الرسالة النشيرية ص ١١٨ ، وقارن

ابن عربى في الفصوص ج ١ ص ١٨٥ .

(الكريمين^(١)) ، فقد أصبح المبد في مقام الخو ، وصار الحق هو الذي يتصرف له .

والإنسان في مقام وحدة الوجود لا يختلف عنه - تقريباً - في مقام الحلول أو الاتحاد ، فابن عربي ، يرى أن العارف الذي صار في مقام كنهه ، وبصره الخ ، إذا تصرف بهيمته ، فليس تصرفه إلا عن جبر واضطرار ، وذلك أن الفناء في هوية الأحدية ، قد سلبه الاختيار وحرية التصرف ، فخرج عن تدبيره إلى تدبير غيره ، وعلى هذا الوجه يقول قوله على لسان الرسول ﷺ : « وما أدري ما يفعل بي ولا بكم »^(٢) فهنا نسبة تامة لأفعال العباد إلى الله ، واختلاق هم فيها بمجرد أسباب صورية اقتضتها أو اقتضت الاعتراف بها النشأة الدنيوية ، وهذا هو معنى البقاء المقابل للفناء ، وهما وجهان لحقيقة واحدة هي الوحدة الوجودية ، وهذا قريب من كسب الأشاعرة ، ومن رأى (ملبرانش) في الأفعال الإنسانية وغيرها ، ومن النظرية الفلسفية التي تعرف في العصر الحديث باسم نظرية الظروف أو المناسبات^(٣) .

كذلك يفرض عليه مذهب وحدة الوجود ، أن الأشقياء - إن كان في مذهبه أشقياء - إنما يتصرفون بتصرف الله ، فيما أنهم آلهة ، أو أنهم صور النعيمات الذات الإلهية ، فتصرفهم ، ليس بأشخاصهم ، وإنما هو بتصرف الله المطلق ، ليس لهم فيه إرادة ، أو أنهم أسباب مادية ظاهرة ، اختيرت - في مرأى العين - لتقوم بأفعال معينة أراد الله إنفاذها وإن كانوا في الواقع آلهة

(١) قارن : قطر الولي في (تحقيق آراء الاتحادية والصوفية) .

(٢) فصوص الحكم ج ١ ص ١٢٩ ، ج ٢ (تعليقات) الدكتور أبو العلا

عفيفي ص ٧٩ ، ٨٠ ، ١٥٦ .

(٣) ج ٢ (تعليقات الفصوص) ص ٨٠ .

وهذا المعنى هو الذى أرادته السحرة فى قولهم لفرعون « فاقض بما أنت قاض »
هلى أساس أنهم اهتمفوا به كإله أعلى منهم « وإن كان الكل أربابا بنسبة ما »
فهو الأعلى بما أعطيه فى الظاهر من التحكم فىهم ، فليس الأمر فى هذه الآية من
باب الاستماتة بفرعون ووعيده ، وإنما هو هند السحرة كما يقول ابن عربى ،
عن باب الأهتمام - على طريقة الكشف - بألوهية فرعون ، وأنه يظهر
من مظاهر الذات الإلهية^(١) ، وهذا هو مدار إسماء التصرف للإنسان هند
ابن عربى^(٢) .

ويروج أبو عبد الرحمن السامى لهذا الاتجاه الأخير فينقل عن الواسعلى
أبضا ، فى صدد تفسير قوله تعالى : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون » ، « أن حظوظ الأولياء مع تباينها ، من أربعة أسماء ، قيام كل فريق
منهم باسم منها : هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، فمن فى عنها بعد ملامتها
فهو الكامل التام »^(٣) .

وهذا مظهر آخر من مظاهر الفناء يعرضه علينا أبو عبد الرحمن السامى

(١) فصوص الحكم ج ١ ص ٢١٠ ، ٢١١ ، ج ٢ (تعليقات الدكتور أبو العلا
عفيفى) ص ٣١٤ .

(٢) قد أرشدنى إلى أصل هذه الفكرة ومراجعتها أستاذى الدكتور محمود
قاسم أثناء مراجعة هذه الرسالة .

(٣) ويشرح موقف كل فريق من هؤلاء فيقول : « فمن كان حظه من اسم ،
للظاهر لاحظ عجائب قدرته ، ومن كان حظه من اسم الباطن لاحظ ما جرى فى
السرائر من أنوار إلى أن يقول : وكل كوشف على قدر طاقته إلا من تولاه
الحق يره وقام عنه منه بنفسه ، فزى الاتحاد أو الحلول ما تلافى هذه العبارة الأخيرة ،
ينظر حقائق التفسير ورقة ٦٣ والرسالة القشيرية ص ١١٨ ، قارن فصوص الحكم
لابن عربى ج ١ ص ٤٩ — ٥٦ ، و ص ٦٨ ، ٦٩ ، ج ٢ ص ٤٠ من التعليقات ،

أيضاً ، وهو في الواقع صورة من صور وحدة الوجود ، أو رؤية الحق في الخلق أو الخلق في الحق : فمن علامات الولي أن يكون سلبياً في الحياة لا تبرز منه بادرة كرد فعل لما يحس به - إذا كان يحس - أو يلاقيه في الحياة ومن السامع لأنه في هذه الحالة « يرى الخلق لله تعالى فيعاشروهم على رؤية مأمنه إليهم »^(١) .

ومن ظواهر الفناء أيضاً الكشف والمشاهدة ، كما يقول أبو علي الهروزجاني : « الولي هو الفاني في حاله ، الباقي في مشاهدة الحق سبحانه ، تولى الله سياسته ، فتوالت عليه أنوار التوالي »^(٢) . وكما يقول ابن عربي في تعريف الأولياء ، بأنهم « المستغرقون في عين المروية الأحمدية بفناء الإنسية » وأنهم « الذين آمنوا بالإيمان اليقيني ، وكانوا يتقنون بحسب صفات النفس وموانع الكشف » وذلك لأنهم متصلون بالمبادئ العالية الروحانية كالعقل وما يليه »^(٣) . فوجهة الوجود عنده هي المقام الأسمى لحال الفناء ، والفناء عنده له نصيب من اسمه ، فهو في أحد مظاهره « إهلاك النفس » ويظهر أنه يقصد إهلاك حيوانيتها ، وبشريتها ، ووضعها في مصاف الجمادات ، فسنده أن أقرب الموجودات إلى الله الجمادات ، ثم النباتات ، ثم الحيوانات ، ثم الإنسان ، لما فيه من السفل والفسك ، فإنهما عائق له من الوصول . ويمكن للإنسان بناء على ذلك أن يصل إلى مرتبة القرب بإهلاك نفسه ، أو بإهلاك هذه الأشياء فيها ، والنزول بها إلى مرتبة الجمادات ، فإنه بعد ذلك يصعد إلى الملأ الأعلى ، ويلحق بالعقول المجردة ، وهذا

(١) المصدر المتقدم والورقة .

(٢) الرسالة القشيرية ص ١١٨ قارن في النصوص الإسلامية وتاريخه ص ٨ ، والرسالة القشيرية ص ١٤٢ قول أبي يعقوب السوءي في الفناء ، ص ٣٧ آخر فصل (الفناء والبقاء) .

(٣) تفسير ابن عربي ج ١ ص ١٤٤ .

هو طريق إبراهيم عليه السلام ، فإنه لم ينبج كبشاً في الحقيقة ، وإنما ذبح بشرية نفسه وحيوانيتها ، وكان الكبش هو الصورة التي تراعت له فيها نفسه في صورة ولده كي يمتها ، أو يذبحها تقريباً إلى الله وفناء فيه ^(١) . وأهل هذا هو مقام الموت ، الذي سماه مقام النار الآخرة ، وهو مقام الحياة الحقيقية أو النشأة الآخرة ، كما يسميها ، يشير بهذا إلى قوله تعالى : « وإن الدار الآخرة هي خير من الدار الدنية » على غير ما تشير إليه الآية . وفي هذا المقام يدرك الإنسان أن كل ما في الوجود منى ، أى منصف بذات الله وصفاته وقدرته سرته من صفات الله من السمع والبصر والعلم والحياة والقدرة الخ في الموجودات كلها ، أى أنها هي الله ، وإن ظهر فيها بصور وتعينات مختلفة ^(٢) ، أو هي وجوه وجوه حقيقة واحدة ، هي الذات العلية ، فكل ما في الوجود حي ، لأنه صورة من صور الله ^(٣) . وهذه الأشياء لانراها على تلك الحقيقة الباطنية ، أو الوجودية ، لما فينا من العقول والحواس .

أما إذا ماتت هذه الحواس والعقول ، فإنه من الممكن أن نرى السكون بما فيه على حقيقة الوجودية ، وإلى هذه الحالة نرى أن ما كنا نراه حال الحواس والعقول من خلالها أنها صور وروز وآلام وخيالات ، يجب أن تؤدول كما تؤدول أحلام النائمين ، ويستدل على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم « الناس نيام » فإذا ماتوا انتبهوا » ، ولولا ذلك لى غير حقيقته ، فهذا هو موت الحواس ،

(١) فصوص الحسك ص ٨٤ ، ٨٥ ، التعليقات ص ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) التعليقات ص ٢١١ ، الفصوص ص ١٥٤ (قد أرشدني إلى هذه الفكرة . ومراجعتها أستاذي الدكتور محمود قاسم أثناء إشراف سيادته على هذه الرسالة) .

(٣) نفس المصدرين المتقدمين ص ١٥٣ .

وحياة الروح ، أو « موت الجهل » ، وحياة المعرفة اليقينية الحقة «^(١) ،
 السهروردي يسمى هذا بالموت الأصغر^(٢) ، أو الفناء في الفلسفة^(٣) ، وقد
 جعله من علامات الاتحاد ، أى الاتحاد بالنفس ، لأن الاتحاد بالجسم غير ممكن
 عنده^(٤) وربما كان هذا هو مقام الخرس ، الذى يشير إليه (ابن عربى)
 فى النشأة الثانية لإدريس عليه السلام ، وفيه ينزل الإنسان « عن حكم عقله
 إلى شهودته ، ويكون حيواناً مطلقاً ، حتى يكشف ما تكشفت كل دابة ما هذا
 الثقلين^(٥) » ، وهنا يخرس الإنسان فيشاهد ما يشاهده من عالم الحقيقة ،
 أو وحدة الوجود ، ولكنه لا يستطيع النطق أو الإبانة عما يرى ، كما حدث
 لابن عربى نفسه ، حين أقيم فى هذا المقام فى إحدى الحالات ، وينصح
 السهروردي بالعمل على الوصول إلى هذا المقام « فإن كنت بنطقت صائراً
 من الصالحين ، فيوشك أن تصير بالصمت ملكاً من المتربين »^(٦) .

هذا وقد سبق كثير من الصوفية أيضاً ، ابن عربى إلى الكلام فى هذا
 المقام ، مقام الخرس ، أو مقام الخيرة والدهش ، وجعله ، ظهراً للمعرفة ،
 أو للمشاهدة كما جعله ابن عربى ، فهنا أبو القاسم القشيرى ، يرى أن سبب
 السكوت قد يكون حيرة البديهة ، « فإنه إذا ورد كشف عن وصف البقعة

(١) التعليقات ص ٢٢٠ ، الفصوص ص ١٥٩ .

(٢) مجموعة فى الحكمة الإلهية ص ٣٠ .

(٣) نفس المصدر ص ١١٤ .

(٤) نفس المصدر ص ٧٣ .

(٥) يشير الشوكانى إلى أن هذا من صفات المجازيب والبله والمجانين ، ولكنه
 لا يدل على قرب من الله ، لأن مثل هذه الأصناف ، ارتفعت عنها أهلية التكليف .
 قطر الولى ، فى (خوارق غير الأولياء) .

(٦) مجموعة فى الحكمة الإلهية ص ١٢١ .

خرست العبارات عند ذلك ، فلا بيان ولا نطق ^(١) . ويقول الواسطي : « من هرف الله تعالى ، انقطع ، بل خرس وانقطع » ^(٢) . ويقول أبو سليمان الداراني : « إن للمعرفة أقرب إلى الصمت منها إلى الكلام » ^(٣) .

والفناء بمعنى الموت المتقدم ، قد تكلوا فيه أيضا ، فالجنيد البغدادي يقول :

« التصوف هو أن يميتك الحق هناك ، ويحييك به » ^(٤) .

والإنسان يكون على هذه الحال من الفناء حينما يكون في مقام الجمع « أي الحال التي لا يميز فيها بين العبد والرب » ويسميه ابن عربي (القرآن) ويقابله الفرقان وهو أن يشعر المبدأ في حال اتحاده ، بالفرق بينه وبين الذات الإلهية ، وأن الذات الإلهية في هذه الحالة ، وقاية له ، وحماية لصورته الإنسانية وقد يكون هذا الفرقان قبل الدخول في الفناء التصوفي التام وهو حال القرآن ، وقد يكون بعده ، فيسمى « فرقانا » بعد قرآن ، وهي حال البقاء ، وفيه يعلم « أن الحق ، وانطلق (اللاهوت والناسوت) ولو أن بينهما اتحاداً ذاتياً - كما دلت عليه حال الفناء - إلا أن الحق متميز من الخلق ، امتياز الصورة من الجوهر الذي هي صورة له » ويسمى أيضاً بقاء بعد فناء ^(٥) .

(١) الرسالة القشيرية ص ٥٨ ، وينظر أيضاً ص ٥٩ .

(٢) نفس المصدر ص ١٤١ .

(٣) في التصوف الإسلامي وتاريخه ص ٦ نقلا عن تذكرة الأولياء .

(٤) الرسالة القشيرية ص ١٢٦ السطر الأخير في التصوف الإسلامي وتاريخه

ص ٣٢ .

(٥) فصوص الحكم ص ٨٩ ، ٩٠ ، التعليقات لأبي العلاء ص ٨٢ ، ٨٣ .

وهذا لا تعارض مع البقاء والفناء ، بل كلاهما وجهان لحقيقة واحدة هي الوحدة الذاتية مع الله ، فلا يصر الشخص بالبقاء بالله ، إلا بالنماء عن صور الرسوم ومظاهر الدنيا ، وفي هذه الحالة يكرن باقيا مع الله ، أو في الله ويكون الله هو الفاعل في الحقيقة ، أو هو عين السيد ومعه ويده الخ ، كما قال الواسطي ، فليست صفة الفناء سلبية (في الحقيقة) ، وإنما هي إيجابية في الوجود بالله ^(١) ومن هنا قول ذي النون المصري : « عرفت ربي بربي ، ولولا ربي لما عرفت ربي » ^(٢) . ويكاد يكون هذا المعنى الذي يراه ابن عربي في البقاء ، موجودا على صورة غير فاطقة هذا النطق عند الصوفية المتقدمين ^(٣) .

والذكر كذلك يرادف الفناء عند ابن عربي . فهو غياب الذاكر عن مذكوره ، وهو الحال التي يتحقق فيها الصوفي بوحدة الذاتية مع الله ، فذكر الله معناه عندهم الحضور مع الله ، والفناء فيه ، وإذا وصل الصوفي إلى هذا المقام انكشف له الحق « وأضحى كل أثر بين الواحد والكثير ، أي بين الحق والخلق والذاكر والمذكور ، وتحققت وحدة الإثنين » ^(٤) ، وذلك عندما يكون الإنسان في مرتبة الجمعية ، وحضوره بكل حواسه ، وقواه البدنية والروحية مع الله ^(٥) .

وابن عربي لا يفهم الذكر بغير هذا المعنى ، « والجليس مشهود المذاكر ،

(١) التعليقات ص ٢١٤ ، الفصوص ١٥٥ .

(٢) الرسالة القشيرية ص ١٤٢ ، في التصوف الاسلامي وتاريخه ص ٧ .

(٣) ينظر الرسالة القشيرية (فصل الفناء والبقاء) ، علم القلوب لمحمد بن

عطية المسكي (مخطوط) ص ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٠ .

(٤) التعليقات على الفصوص ص ٢٣٢ .

(٥) نفس المصدر والصفحة ، والفصوص ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

ومنى لم يشاهد الذاكر الحق الذى هو جليسه فليس بذاكر ، فإن ذكر الله صار فى جميع الابد لامن ذكره بلسانه خاصة ^(١) . والذاكر بهذا المعنى نكاد نجده عند السهروردى ^(٢) ، والغزالى ^(٣) ، كما نجد له أصولاً هند بقیة المتصوفة السابئين ممن لم يغلب عليهم التفلسف ، فذو النون المصرى ، يرى أن الذكر : « هو غيبة الذاكر عن الذكر » ، والبصلى يقول : « أليس الله تعالى يقول أنا جليس من ذكرنى » ^(٤) . بل لقد صور الذاكر الفانى بصورة من خرج هلى الطبيعة البشرية حتى أصبح يصرع الجن إذا اقتربوا منه ^(٥) . ووجدناهم أيضاً يرون أن الفناء فى الذكر يجعل صاحبه فى وحدة مع الله ، يقول الخراز ، وهو ممن أخذ عنهم ابن عربى كثيراً : « إذا أراد الله تعالى أن يوالى هبداً من هبيده ، فتح عليه باب ذكره ، فإذا امتلأ الذكر ، فتح عليه باب التقرب ، ثم رفعه إلى مجالس الأنس به ، ثم أجلسه هلى كرسى التوحيد ، ثم رفعه إلى الحجب ، وكشف له عن الجلال والعظمة ، وحينئذ يصير العبد زمناً فانياً . فوقع فى حظه سبحانه ، وبرى من دعاوى نفسه ^(٦) . والوصول إلى درجة الفناء ليس أمراً سهلاً عند ابن عربى ، بل هو بطريق الرياضة والمجاهدة ، وقوة الجمية بحيث يستطيع الإنسان أن يتخلص من حواسه ومن فكره ، ومن

(١) نفس المصدر ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٢) مجموعة فى الحكمة الالهية ص ١١٤ .

(٣) إحياء علوم الدين ص ١٩ ، كيمياء السعادة ص ٨٨ الملحق بمجموعة المنقذ من الضلال .

(٤) الرسالة القشيرية ص ١٠٢ ، فى التصوف الإسلامى ص ٧ .

(٥) القشيرية ص ١٠٣ ومن ذلك ما يرويه القشيري : « قيل إذا تمكن الذكر من القلب ، فإن دنا منه الشيطان صرع كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان ، فاجتمع إليه الشياطين ، فيقولون ما لهذا أفيقال : قد مسه الانس » .

(٦) الرسالة القشيرية ص ١١٨ ، ١١٩ .

مظاهر هذا الوجود الدنيوى ولذلك ، فقد جعل (الظالم) اسماً من أسماء الفانى ، أو من أسماء المعارف ، الذى ظلم نفسه بالجأهدة حتى أفناها عن هذا الوجود المادى وأبقاها بالحق ، ويستدل لذلك بقوله تعالى : (ثم أورثنا الكتاب الذى اصطفينا من عبادنا ، فهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) وجعل الظالم أرقى الثلاثة ، على ضد ما تقول إليه الآية (١) ، وجعل ضلال الظالمين فى آية (ولا تزد الظالمين إلا تبارا) هو حيرة المعارفين فى الله الذين غرّوا فى بحار العلم به وفى تمده بالوجود والنسب (٢) .

فالفناء عند ابن عربى على تمدد مظاهره ، بأسمائه المختلفة هو الحالة أو المقام الذى تسكتل المعارف فيه القدرة على رؤية الوجود واحداً ، والواحد كثيراً ، والكثير واحداً : ونسكاد نجد هذا المعنى عند الصوفية السابقين ، وإن كان دون هذا النطاق الصارخ بوحدة الوجود بكثير .

والطريق إلى ذلك الفناء أو تلك الولاية التى لا تتحقق إلا به ، أن لا يتماق الإنسان لا بالدنيا ولا بالآخرة كما يقول (إبراهيم بن أدهم) « أنجب أن تكون لله ولياً ؟ لا ترغب فى شيء من الدنيا والآخرة ، وفرغ نفسك لله تعالى ، وأقبل بوجهك عليه ليقبل عليك ويؤايلك » (٣) . ونلاحظ أنهم ينظرون إلى معنى الفناء على أنه معنى الولاية ، وأنهما معا من النولى والنوالى ، لله ومن الله (٤) .

(١) الفصوص ص ٧٢ ، ٢٣٣ التعليقات ص ٤٠ .

(٢) نفس المصدرين المتقدمين . ونلاحظ أن الصوفية المتقدمين ، يرون أن أرقى درجات المعرفة ، هو الوصول إلى درجة التحير والدهش . انظر على سبيل المثال فصل (المعرفة) فى الرسالة القشيرية .

(٣) الرسالة القشيرية ١١٨ .

(٤) نفس المصدر ص ١١٨ ، ص ٣٦ ، ٣٧ ، التمع للسراج ص ٦١ ، ٦٢ .

هذه هي أبرز صفات الولاية هذه غلاة الشيعة وعند الصوفية وهناك صفات أخرى قد وصف بها أولياء الشيعة وأولياء الصوفية وهي : الشفاعة ، النقية ، السكرامات والتفسير والتأويل^(١) ، فلا تطيل بل ابدت عنها ، لأن منها ما لا يتصل بشكوك الشخصية مثل الشفاعة والنقية ، ومنها ما يوجب إلى الأدياء جمهور أهل السنة والعلانية وإن كانوا لم يجهلوا بها من كلام الولاية ، وهي السكرامات ، ومنها ما يتصل بصفة العلم اللدني أو الوراثة ، وهي التفسير والتأويل .

وهكذا تحولت الولاية عند هؤلاء من المعنى القرآني الذي هو النصرة والحماية والقرب الذي يتوجه بها العبد إلى الله ولديته فيمنحه الله نصرة وحماية وقرباً في مقابلها ، إلى معان خاصة في طوائف خاصة لها شروط وعلامات غير تلك العلامات القرآنية ، وبعد أن كانت حقاً مشاعراً لجميع المسلمين أصبحت مقصورة على نفر نمتقل إليهم بطريق الوراثة في اللبس أو الروح من النبي ﷺ ثم من علي وبنيه رضي الله عنه ، فسكان الولاية بهذا المعنى امتداداً للنبوة ومقصورة على أئمة الشيعة وأولياء الصوفية^(٢) .

نرى هذا من الشيعة ثم من الصوفية رغم ادعائهم الانتساب إلى السنة وإلى الجماعة فيما يقولون ، وربما يعرفون المعنى القرآني لكلمة ولي وأنه من الممكن « بهذا المعنى العام أن يدخل الأنبياء في الأولياء ، كما يدخل فيهم للصوفية — كما يدعون — لأن صفة القرب من الله حفظ مشترك بين هؤلاء جميعاً ، إلا أن جمهور الصوفية يطلقون اسم (الولي) على : الصوفي الذي حصل في مقام

(١) ينظر الصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ٦٦٦ و ٦٧٠ .

(٢) التصوف ، الثورة الروحية في الإسلام ص ١٩١ ، ١٩٢ ، ينظر أيضاً المعنى (الكلام في الإمامة) ج ٢٠ ص ١٢ .

(٢ — قطر أول)

التقرب من الله بفضل قداسته وورعه وفنائه في محبة ربه ، ويعتبرون الولاية والنبوة مرتبتين مختلفتين مستقلتين إلى حد أنه يمكن المفاضلة بينهما »

« فإذا قالوا : إن الصوفية خاصة المسلمين ، والأولياء خاصة الصوفية ، فمضى هذا أن الأولياء (من الصوفية) خاصة المسلمين ، وأن الولاية أعلى مرتبة روحانية يصل إليها المسلم ^(١) وليست النبوة

وإذا كانت الولاية عند الصوفية هي أعلى مرتبة يصل إليها المسلم ، فإن الأمر كذلك عند الشيعة بالنسبة للولاية أو الإمامة ومن كلامهم في ذلك ما يرويه (الكليني) بإسناد يصل به إلى الإمام جعفر الصادق : « إن الله تبارك وتعالى ، اتخذ إبراهيم عليه السلام عبداً ، قبل أن يتخذ نبياً ، وإن الله اتخذ نبياً قبل أن يتخذ رسولا ، وإن الله اتخذ رسولا قبل أن يتخذ خليلاً ، وإن الله اتخذ خليلاً قبل أن يجعله إماماً ، فلما جمع له الأشياء قال : إني جاهلك للناس إماماً ، قال فمن علمها في حين إبراهيم قال : دون ذريتي ؟ قال : لا ينال هدى الظالمين » ^(٢) .

الولاية عند ابن عربي :

وقد أفصح عن هذا الاتجاه المشترك بين غلاة الشيعة والصوفية شخصية مزدوجة ، أو مركبة من التصوف والتشيع والفسفة هي شخصية ابن عربي . فالولاية عنده ثلاث مراتب : مرتبة الأنبياء ، ومرتبة الأولياء ولاية خاصة ، ثم مرتبة الولاية العامة .

وهو يعتبر مرتبة الأنبياء والرسول في الولاية مرتبة خاصة ^(٣) ، ولكنه

(١) التصوف ، الثورة الروحية في الإسلام ص ١٩٣ .

(٢) السكافي (كتاب المحجة) ورقة ٣٧ أ .

(٣) فصوص الحكم ص ٣١١ ، ١٦٠ .

في الواقع ، لا يقصد من هذه التخصيصية ، تفضيلاً للأنبياء على الأولياء ، وإنما يقصد بها ، إضفاء صفة مؤقتة ، على من يعطفهم الله من الأولياء --- إن كان يرى في النبوة ولاية --- يباغون بمقتضاها شريعة الظاهرة المنهكة بأمور الدنيا إلى المآل ، وبعد أداء هذه المهمة ، يباحقون بتهيئة الأولياء ، وينزل عنهم اسم النبوة والرسالة^(١) فلا يس النبي أهل من أولى ، إلا في نظر أهل الظاهر أو أهل الشريعة ، أما من اقترنت عنده (من المعروفة الباطنية) حالة أخرى تقتضيها مرتبة النبوة ، وهي الولاية فيعلم أن الولاية هي دلو رتبة باقية وهي المرتبة الباقية على الأنبياء والرسل في الدار الآخرة التي ليست بحل لشرع^(٢) .

ومقتضى اصطناء الله للأنبياء والرسل (عند ابن عربي) ، أو اختصاصهم بالرسالة ، أن لا يكون لهم فيها شيء من الإكتساب ، الذي يتمثل في الذوق ، والقوة الروحية والقادرة على الكشف أو المشاهدة^(٣) . التي يتمتع بها الأولياء ، وبها اكتسبوا ولايتهم أو نبوتهم العامة التي لا تشريع فيها^(٤) ، والأنبياء بناء على ذلك تأنيهم الشريعة بطريق الإخبار الذي يتميز عن إدراكه مالا يشل إلا بالذوق^(٥) .

ونلاحظ أن ابن عربي يجعل للعالم الإلهي ثلاث طرق ، يخص الأنبياء منها بأصناف طريق في نظره ، هذه الطرق الثلاث هي الذوق والكشف وهو طريق

(١) عنقاء مغرب ص ٧٠ ، التعليقات على الفصوص ص ١٧٤ .

(٢) الفصوص ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

(٣) الفصوص ص ١٦٠ ، والتعليقات ص ٢٧٤ .

(٤) التعليقات على الفصوص ص ٢٢٤ ، الفصوص ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٥) نفس المصدر ص ١٣٣ .

العلم الكامل ثم البحث والنظر ، وبلى الأول في الدرجة ، ثم الإخبار الذي خص به الأنبياء والذي يقول فيه : « والإخبار أيضاً يقصر عن إدراك ما لا ينال إلا بالذوق » (١) .

هذا إذا اعترف بالوحي الخارجي ، وأما هو في واقع نفسه وواقع مذهبه فلا يرى الوحي شيئاً خارجاً عن الإنسان ، ولكنه خيال يمسد من باطن النفس للنفس (٢) .

والمرتبة الثانية : وهي مرتبة الولاية الخاصة ، أو النبوة السامة التي لا شريع فيها وإنما مناطها العلم والمشاهدة ، لأن أصحابها لم يعودوا على هذه النشأة الأولى وإنما صاروا بفنائهم ، في النشأة الآخرة ، قد حشروا في دنياهم ، ونشروا في قبورهم فهم بشر إلهيون ، وفي الأرض معاديون ، فهم يرون سالا نرى (٣) ، وهم الذين يدركون ذوقاً ، أن السكرة عين الوحدة (٤) ، فهم قد اختصوا بطريق العلم الكامل ، وهو الذوق والكشف (٥) ويسمى ابن عربي ورثة ، لأنهم أخذوا علمهم عن الله مباشرة من حيث كونه ورث العلم عن الأنبياء ، بعد انقطاع نبوتهم ، وورثه إياهم (٦) ، فهذا هو الفرق بين علم الشريعة الذي وصلنا من النبي ﷺ ، وبين علم الأولياء الذي جاد به الله عليهم تجلياً ومشاهدة (٧) ، وهم هذه ابن عربي أفضل من الأنبياء نظراً لما هم عليه من ذوق

(١) نفس المصدر والصفحة ، والفتوحات ص ٣٣٥

(٢) الفصوص ص ٦١ ، ١١٦ ، التعليقات ص ٩٤ ، ٩٥ ، الفتوحات المسكية

ج ٢ ص ٤٢٩ ، قارن (الأحلام) للدكتور الطويل ص ٨٨ .

(٣) الفصوص ص ١٨١ ، (٤) التعليقات ص ١٧٠ .

(٥) الفصوص ص ١٢٣ ، (٦) الفتوحات المسكية ج ٢ ص ٣٣٥

(٧) الفصوص ص ١٣٣ ، عنقاء مغرب ص ٦٠ ، ٦١ .

أدركوا به علم الوجود ووقفوا به على سر القدر^(١) ، وما في النبي من ولاية ،
فإنما يرجع إلى قدر تدبيره من هذا العلم ، « ولذا فقاهه من حيث هو عالم ،
أنتم وأكمل من حيث هو رسول أو ذو تشريع وشرع^(٢) » ، والكون في هذا
العلم ، أرساحب المدد فيه ، هو خاتم الأولياء الذي يستمد به دوره ، بفضل نور
الحقيقة المحمدية التي يرضى إليها الصوفية باسم « القطب » ، والتي تقابل العقل
الأول هند (أفلاطون) و (الكلمة) عند المسيحيين^(٣) .

و يبلغ تفضيل ابن عربي للأولياء على الأنبياء ذروته ، حيث يصرح بأن
كل نبي « من لدن آدم إلى آخر نبي ما منهم أحد يأخذ إلا من مشكاة خاتم
النبيين » ، « أن خاتم الرسل « من حيث ولايته ليست به مع انخراطه للولاية ، نسبة
الأنبياء والرسل معه ، فإنه الولي الرسول النبي ، وخاتم الأولياء ، الولي الوارث
الأخذه عن الأصل ، المشاهد للمراتب^(٤) » ، بفضل خاتم الأولياء ، إنما « هو
باعتفاء مقام العيان » « وليس اختتم بالزمان^(٥) » ، ونظرا لأن النبوة لم تنقطع
في نظر ابن عربي ، بموت محمد ﷺ ، وأن هؤلاء الأولياء قد صارت لهم
النبوة والرسالة العامة من بعده^(٦) ، فقد جعل لهم التشريع والاجتهاد في ابتكار
أحكام جديدة بإلغاء حكم أو إثبات حكم لم يكن ، بناء على ما يراه هذا الإمام
أو المجتهد من جهة للكشف ، من ثبوت خبر عن الرسول ، لم يكن قد ثبت

(١) الفصوص ٦ ص ١٣٢

(٢) الفصوص ص ١٣٥ .

(٣) التعليقات على الفصوص ص ٢٤ ، ٢٥ ، الفصوص ص ٦٢ .

(٤) الفصوص ص ١٤ . (٥) عنقاء مغرب ص ٧١ .

(٦) الفصوص ص ٣٤ ، الفتوحات ص ٣٣٥ .

له ، أو عدم اتصال خبر قد أسند إليه ^(١) ، ولهذا فهم أئمة خلفاء ، وهم في الظاهر متبعون لشرع الرسول ﷺ ، ولكنهم في الباطن يأخذون عن الله بن مشكاة خاتم الأولياء « فله خلفاء في خلقه يأخذون عن محمد الرسول والرسول ، ما أخذته الرسل هليهم السلام ، ويعرفون فضل المتقدم هناك ، لأن الرسول قابل الزيادة ، وهذا الخليفة ليس بقابل للزيادة » ^(٢) وابن عربي في هذا ينهل من منهلين ، المنهل الأول ، قرآن الله وسنة الرسول ﷺ ، والمنهل الثاني هو فلسفة (أفلاطين) وما شابهها من الفلسفات الغنوصية الأخرى ، فبأنه تكمس المصدر الثاني على الأول ، وأخذ يؤول هذا الأخير ويطوِّه ، ليتشبه مع مبادئ الغنوصية وكثفت أفلاطين فظهر منه هذا الزيف ، وإن حاول أن يستتره بإيهام توكيده لسلطة الشريعة في الظاهر ، وإنما جاءت لهذا فقط . ولكن هذا غير مانقضيته الشريعة ، وغير مانقضيته مقام الأنبياء ، « فن الملام أن العقل ، والدين ، يقتضيان أن جانب النبوة والرسالة ، أحق بكل تحقيق ، وعلم ومعرفة ، وإحاطة بأسرار الأور وبواطنها » ^(٣) .

والمرتبة الثالثة : أو الشكل الثالث من أشكال الولاية هو الولاية العامة ،

(١) الفصوص ص ١٦٤ ، ١٦٣ ، ١٣٥ . ومن هنا ظهرت عندهم في التشيع صفة النأويل والتفسير الباطني . وهذا مرجع ابتداعهم في الدين ، تلك البدع المعروفة عندهم في التشيع ، فابن عربي هنا شيعي غال بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى .

(٢) فصوص الحكم ص ١٦٣ ، قارن التعليقات على الفصوص ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ ونلاحظ أنه في استعمال كلمة إمام ، يريد بها الولي في هذا المقام ، متأثر بأفكار الشيعة في الإمام المصوم . التعليقات على الفصوص ص ٢٢٤ .

(٣) نقض المنطق لابن تيمية ص ٧١

وهو ذلك النوع الذي اقتضته نزاهته التليفية ، والتي أفصح عنها في قوله :
 « قد انبلاؤني في الإله هائداً » وأنا اعتقدت جميع ما هددود^(١)

وقد جعلها حارية في عبادة المشركين لما بهبوا به ، وإلهم بذلك مؤنوز ،
 وافترضاء لزعيمهم فإن الله ينظر إليهم ، وينصرهم بهذا الإيمان ، على الموحدين الذي
 فرط في حق الله ، فالأول مؤمن ، ولكنه في عبادته قدير الله أخيراً النسبة ،
 والثاني صار غير مؤمن ، فانطبقت الآية « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » ،
 هلي الأول دون الثاني ، « فأى شخص صدق في احترام الألوهية واستحضرها ،
 وإن أخطأ في نسبتها ، ولكن هي مشهوده ، كان النصر الإلهي معه »^(٢) .
 وهو يجعل هذه الولاية من التولي ، وأنها مرض لوجوده ، وتطبيق لأسمائه
 تعالى (التولي) فقد تولى الخلق بالوجود في أهيانهم ، ويحفظ الوجود عليهم
 « وتولاهم بما رزقهم فيه قوام هيشهم ، ومصالحهم عموماً . . . » « فإن كل
 جزء من السلم مسبح لله تعالى من كافر وغير كافر »^(٣) ومن مظاهر هذه
 الولاية ، عاطف الوالدين على أولادهم والعكس ، وعاطف الحيوانات العجم
 كذلك ، وقيام كل أحد بخدمة الآخرين ، وهو يظن أنه يخدم نفسه كالناجر
 الذي يجوب الأقطار بيما وشراء يظن أنه يخدم نفسه ولكنه في الوقت ذاته ،
 قد نفع الكثيرين غيره « بما جعل الله في قلبه من ذلك ، بولايته »^(٤) ، فلمنا
 قلنا إن ولاية الله عامة المخلق ، لهذا جعل الوجود كله ناطقاً بتبديعه ، فلم
 يتول الله إلا المؤمنين ، وما ثم إلا مؤمن . والناس كلهم بهذا أولياء ، ولتولي
 بعضهم بعضاً ، كما قال « المؤمنون بعضهم أولياء بعض » « والذين كفروا

(١) التعليقات على الفصوص ص ٩٣ .

(٢) الفتوحات المسكية ج ٢ ص ٣١٦ ، ٣٢٧ .

(٣) نفس المصدر ص ٣٢٧ . (٤) نفس المصدر والصفحة .

بعضهم أولياءٌ بعضٌ . « فجعل الولاية بينهم تدرج » ، « فنفذ هي ولاية الحق ، وأسرارها ، وهي الولاية العامة » (١) .

(٢) مناقشة هذا المفهوم عند الشيعة والصوفية :

هذه هان في الولاية أصبح ما نصفها به أنها ليست من الإسلام في شيء وإنما هي « خليط من المذاهب الفلسفية التأليفية » (٢) أقامت على تلك السكامة على يد الشيعة ، واستعملوا صوفية المسلمين « في المعنى الذي استعملوها فيه صوفية غيرهم من أبناء الديانات الأخرى » (٣) . وهي محاولة دينية سياسية قصد بها عدم الإسلام من الداخل كدين ، وضربه من الخارج كدولة ، وإشادة الحياة الفارسية القديمة بما تشمل عليه من غوص وديانات وثنية مختلفة (٤) وقد وضع هذا في دهوة (إخوان الصفاء) وتخطيطهم لإعادة تلك الحياة ،

(١) الفتوحات المكية ج ٢ ص ٣١٧ ، ٣٢٨ .

(٢) دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ١٢٩ .

(٣) التصوف الثورة الروحية في الإسلام ص ٢٩٤ ويقول الدكتور أبو العلا في ذلك : إن تلك الاعتقادات سابقة على التصوف في البلاد الفارسية ، وفكرة الولاية بهذا المعنى أو ما يعادله كانت موجودة في البلاد التي فتحها المسلمون ، وكانت منتشرة انتشار الإسلام نفسه ، فلما ظهرت حركة التصوف في البلاد الإسلامية ، لم تخلق فكرة الولاية خلقاً ، وإنما شكلت أفسكار كانت جزءاً من التراث الروحي لهذه البلاد بأن أبرزت فيها الجانب الصوفي من الحياة الدينية ، وينظر إلى جانب ذلك : (المدخل إلى التصوف الإسلامي) ص ١٠ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٣٦ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ . وهناك يعترف مؤلف هذا الكتاب على نفسه دون أن يشعر بأن التصوف وارد أجنبي رغم ادعائه بأنه في بدء نبت إسلامي .

(٤) دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ١٣٥ ، ١٢٩ .

فقد برز فيها الجانب السيماسي بجوار الجانب الديني التلفيقي^(١) ، ودهوات الشيعة على السورم هي في الواقع تخطيط سيماسي ، إن تقنعت بقماع الدين ، كما أن دهوات المتصوفة كلها من هذا النجيل ، وقد رأينا الحلاج والسهورودي الحلبي ، قد ذهبوا ضحية هذا المنطلع السيماسي الباطني ، وهذا هو السبب في أن شخصيات أولياء المتصوفة قد نجت على فرار شخصيات أولياء الشيعة أو أممهم^(٢) . وليس التصوف بناء على هذا إلا ضرب من التشيع الباطني^(٣) .

(١) أما عن الجانب السيماسي فيظهر في مثل قولهم في مخاطبة المتشيعين : « وما يجمعنا وإياك أيها الأخ البار الرحيم محبة نبينا عليه السلام وأهل بيته الطاهرين وولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خير الوصيين صلوات الله عليهم أجمعين » ص ٢٤٢ ج ٤ ونلاحظ أن الشيعة على العموم يقصدون بآل البيت أولاد علي من فاطمة فقط مع أن المقصود بها في القرآن أولا وقبل كل شيء نساء النبي ﷺ كما نلاحظ نصهم على الوصاية في هذه المباراة والدعاء للأوصياء بالصلاة مع أنهم دعوا للرسول ﷺ بالسلام فقط . وفي موضع آخر يقول لأحد الإخوان : « اعلم أيها الأخ أن لنا إخواناً من كرام الناس متفرقين في البلاد فمنهم طائفة من أولاد الملوك والأمراء والوزراء والعمال والكتاب والأشراف ، وقد اخترناك أيها الأخ الرحيم لمعاونتهم لتكون مساعداً لهم ، فاذكر لهم ما ألقيناه إليك من حكمتنا وأسرار علمنا لتنبههم من نوم الغفلة ورقدة الجهالة فإن الله تعالى يؤيدك بنصره كما وعد أوليائه فتعال عز من قائل « ولينصرن الله من نصره » وقال تعالى « فإن حزب الله هم الغالبون » . الرسائل ج ١ ص ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٢٣ ، ٢٣٥ ، ٢٤٧ ج ٣ ص ١٧٧ . أما الجانب التلفيقي ، فالمعروف عن مبانيهم ومذاهبهم أنها علوية ، وباطنية ، وفيثاغورية ، وأفلاطونية ومجوسية الخ ماهاالك من ديانات ونية مقنعة في بعض الأحيان بقماع إسلامي وهذا ظاهر في ثانيا رسائهم كلها . ينظر مثلاً ج ١ ص ٨٥ ، ٨٦ ج ١ ص ٢٤٨ — ٢٥١ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ . إخوان الصفاء للدكتور جبور عبد النور ص ٢١ — ٣٤ .

(٢) الصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ٦٩ .

(٣) نفس المصدر ص ٥٦ — ٦٠ .

وأمام هذه المعاني وذلك الاختصاص المدهى من جانب الشيعة المنهورة ، لا يسمنا إلا أن نضربهم أمام المفهوم القرآني لكلمة (ولي) وأمام روح الإسلام العامة إن كانوا مسلمين ، فضلاً عن أن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) الذي انتسب إليه كلا الفريقين قد تبرأ منهم هو وأولاده ومما قالوه فيهم . فقد روى البخاري (رضي الله عنه) عن أبي بصير (رضي الله عنه) قال : قلت لعلي (رضي الله عنه) هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله ؟ قال : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، ما أعلمه إلا فوما يعطيه الله رجلاً في القرآن ، وما في هذه الصحيفة ، قلت : وما في الصحيفة ؟ قال : العقل ، وفكك الأسير ، وأن لا يقتل مسلم بكافر^(١) . وتبرأ الأئمة من أولاده ، من الفلاة ومما قالوه فيهم . فقد قال الإمام جعفر الصادق هؤلاء الفلاة : « لا تقاعد بهم ، ولا تنواكلهم ، ولا تشاربهم ، ولا تصانحهم ، ولا تنالكمهم ، ولا توارثوهم »^(٢) ولعله يرمى بذلك — خلافاً — إلى أنهم خرجوا من الدين ، فإن « من يحمل صفة الإمام صفة النبي يصح له أن يرجب في الإمام ما يجب للنبي ، كما أن من جعل صفة الإمام صفة الإله يصح أن ، يوجب فيه ما يجب لله تعالى »^(٣) . ويرى القاضى عبد الجبار أنهم بهذا القول قد « شاركوا النصارى في لفظ الاتحاد وفي همتهم وطريقتهم » ولا يجب ؛ « فالأصل فيهم الإلحاد لكنهم يستترون بهذه المذاهب » التي يقولونها في الأئمة^(٤) .

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٨٤ باب فضل الجهاد ، نقض المنطق ص ٦٥ ، ٦٦
(٢) الصلة بين التصوف والتشيع ج ١ ص ١٩٤ عن (معرفة أخبار الرجال ص ١٩١) قارن قطر الولي في (مبدأ الباطنية وكيف قاموا) ونقض المنطق لابن تيمية ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٣) المغنى للقاضى عبد الجبار ج ٢ ص ١٢ .

(٤) نفس المصدر ص ١٣ .

١ - فسكرة الوصاية :

وفسكرة الوصاية التي اهتموا عليها في إثبات الإمامة بالنص لـ (رضي الله عنه) ولأولاده من بعده ثم للولاية بناء على تلك الإمامة المرفوضة من أساسها^(١). ويدل القاضى عبد الجبار على نفي هذا النص ، بطريقة الغلاة أنفسهم في ادعاء هذا النص ؛ فهم يقولون : إنه ثبت عند طوائفهم خاصة دون بقية المسلمين ، فيقول لهم : إنه لو كان ذلك كذلك لكان من الممكن أن يقال لـ العباس هم الرسول (صلى الله عليه وسلم) مثلاً : ما قيل في علي ابن عمه ، ويختص بمعرفة قوم دون قوم ، ثم كان من الممكن أيضاً أن ينقطع هذا النقل عن المسلمين جميعهم «لأنه إن جاز انقطاع النقل فيما بينهم تسكينه عن بعض دون بعض جاز انقطاعه عن جميع المكافين ، لذلك أن

(١) ينظر منهاج السنة النبوية ج ١ ص ١٣٤ - ١٠١ ، و (العقد الثمين في إثبات وصاية أمير المؤمنين) : (علي بن أبي طالب) فستجد أن كل ما أمكن أن نصل إليه مع الإمام الشوكاني في بحث هذه الفسكرة إنما هو إثبات وصاية عامة في أمور عامة ليس للخلافة فيها تصريح ولا تلميح . وينظر الجزء الرابع كله من منهاج السنة النبوية فهو بمثابة إثبات إمامة أبي بكر ، ورد على من يقدم علياً على أبي بكر في أى شيء . وكذلك شطر من الجزء الثالث يدور حول هذا الموضوع ، وأن أمير المؤمنين علياً ليس له فضل على أبي بكر وعمر . ومن ذلك رده لاستدلال الرافضة أو الإمامية كما يدعو بقوله عَلَيْهِ السَّلَام لعلي رضي الله عنه : «أنت مني وأنا منك» أو «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟» حين خلفه على المدينة في إحدى الغزوات ، بأن مثل هذا الحديث الثاني بمثابة تطييب خاطر وكأنه يقول له : إنه وإن كان قد تركه في المدينة ولم يخرج معه للغزو فليس هذا امتحاناً ، وإنما هو تمكريم ، وأن الحديث الأول لم يقله عَلَيْهِ السَّلَام لملي فقط ، وإنما قاله في مناسبات عديدة لمكثير غيره من الصحابة وبعض القبائل ، فليس من خصائصه رضي الله عنه ، بل قد شاركه فيه غيره ممن هو دون الخلفاء الثلاثة ، وإذا كان كذلك لم يمكن دالاً على الأفضلية ولا على الإمامة ص ٧ ، ٨ .

ما أوجب إزاحة الالة في كبرهم يوجب إزاحة الالة في بعضهم» (١).

«ثم إن ما جرت عليه أحوال الصحابة يمنع من ادعاء هذا النص في الأصل» ومن الضروري أن يكون معلوما لجميعهم ، ولو كان الأصل كذلك، رأينا تطورات الإمامة على غير الذي حدث ، لأنه يجب «أن يكونوا مضطرين إلى معرفة إمامة أمير المؤمنين كاضطرارهم إلى أن صلاة الظهر واجبة وصوم رمضان واجب الخ» ولو كان كذلك لم يعقل أن تسير ظروف الإمامة على ما سارت عليه ، ولما صح ما قد ثبت عنهم من مواقف الإمامة والمنازعة ، إلى غير ذلك . ولا يمكن بعد ذلك إلا نسبة بغيهم إلى الارتداد والنفاق» (٢) وهذا عين الحال .

٢ - رد فكرة العصمة :

أما من ناحية العصمة ، فقد رأينا أنها صفة غلو ، وإخراج ثلثي والإمام من وضعه الطبيعي الذي سنده له الدين ، فليست العصمة لازمة لغير الأنبياء ، لا من جهة كونهم أولياء ، ولا من جهة كونهم أئمة .

أما من حيث أنهم أولياء ، فقد تقدم لنا أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مع كونه مشهوراً له بأنه من المحدثين بالنص النبوي (٣) ، كان يشاور الصحابة

(١) المغني ج ٢ ص ١١٩ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) وهو قول الرسول ﷺ : « إن في هذه الأمة محدثين وإن منهم عمر » وقد جاء هذا الحديث في الصحيحين والمحدث كما يقول الشوكاني . «الصادق الغانم المصنوب الدراسة» وقد جاء في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فراسة المؤمن فلما يرى نور الله » ينظر قطر الولي في (الواجب على الولي فيما يصدر من أعمال) ، و (العزيمة والتقرب التي في هذا الحديث) .

(رضي الله عنهم) ويشاورونه ، ويراجعهم ويراجعونه ، وعرفنا أنه رجع إلى رأي إحدى السماء حين اعترضت عليه في تمديد مهوور السماء . وفي هجر الرسول صلى الله عليه وسلم كانت تقع له وقائع يردعها عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هو ومديقه أبو بكر (رضي الله عنه) ^(١) ، يقول الإمام الشوكاني : « وألم أن أولياء الله غير الأنبياء ليسوا بمعصومين ، بل يجوز عليهم ما يجوز على سائر عباد الله المؤمنين » ^(٢) ويرى أن انتفاء هذه العصمة في حقهم لا يؤثر في ولايتهم ، وإذا وقع منهم ما يخالف الصواب ، فلا يخرجهم ذلك عن كونهم أولياء الله ، وإن كان قليلا ما يقع منهم ذلك ^(٣) .

بل إن هذه المخالفات قد تكون سبباً في رفع الدرجات وكثرة الحسنات إذا أعقبتها التوبة حق ولو كانت تلك المخالفات كفراً ، فإن داود عليه السلام كانت حاله عند الله بعد التوبة خيراً منها قبل ارتكاب الذنب ^(٤) . والله سبحانه وتعالى قد وصف أوليائه في القرآن الكريم بأنهم « الذين آمنوا

(١) ينظر مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ص ٤٣ .

(٢) قطر الولي في (الأولياء غير الأنبياء : ليسوا بمعصومين) ، ويقول في مكان آخر : « ... وأن من حاول منهم (من غير الأنبياء) أن لا يقع منه ذنب ألبتة فقد حاول ما لا يكون ، لأن العصمة لا تكون إلا للأنبياء ، فلو راموا أنهم لا يذنبون أصلاً ، راموا ما ليس لهم » . شر الجواهر على حديث أبي ذر . (مصور بدار الكتب المصرية) ص ٣٠ . وذلك في سبب تفسيره لقوله تعالى في هذا الحديث القدسي : « يا عبادي : إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفروني أغفر لكم » .

(٣) قطر الولي في (الأولياء غير الأنبياء : ليسوا بمعصومين) .

(٤) منهاج السنة النبوية ج ١ ص ١٣٠ وقد قال تعالى في ذلك : « فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب » سورة (س) آية ٢٥ . وهناك في آية أخرى : « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » فإن العبد يصل بعد التوبة

وكانوا يتقون»^(١) بعد أن وعدهم في صدر الآية بأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . وهذه التقوى لم ينهها عنهم في آية أخرى لأنهم عملوا بمحض السيئات ، بل وصف عملهم بأن فيه مية وأصوا ، ومع ذلك جمع لهم التقوى مع هذا العمل ، وذلك في قوله تعالى « والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء الحسنين ، لا يكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون »^(٢) . ونلاحظ أنه وصفهم بالتقوى بطريق القصر (هم المتقون) ، كما أنه جعل لهم ما يشاءون أو وصفهم بأنهم محسنون ، كما أنه سيجزيهم أجرهم على أحسن ما عملوا ، في مقابل توبتهم عن أسوأ ما عملوا الخ^(٣) .

وبهذه النظرة إلى الأولياء على أنهم بشر ، نظر الله سبحانه وتعالى إلى أنبيائه أيضاً على أنهم بشر ، فلم يعصمهم إلا من كبائر الذنوب ومن الخطأ في تافى أو أداء ما يبالغونه عنه من الشريعة إلى العباد ، أما بالنسبة للضعفاء التي لا تتصل بالأخلاق ، وفي بقية عيانهم العملية اليومية التي هي من اجتهاد منهم ، فهم معرضون للأخطاء ، ولكن لا يقرون على هذه الأخطاء فيتوبون من قريب بعد أن يذنبهم الله ، أو بعد ما يتبين لهم أنهم فعلوا خلاف الأولى^(٤) .

إلى مقام الحب الذي يشير إليه الحديث : « وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الخ . » ، قارن (نثر الجواهر على حديث أبي ذر) للشوكاني ص ٣٠ - ٥٠ .

(١) في الآية التي تقول : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون » .

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ج ١ ص ٤٣ ، ٤٤ .

(٣) منهاج السنة ج ١ ص ١٣٠ .

(٤) في صحيح البخاري : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لله أفرح

وهذه فضيلة منحةهم الله إياها وليست نقيصة فلو كان النبي لا يخطئ ولا يتوب إلى الله تعالى فينال محبة الله وفرحه بتوبته ، وترتفع درجته بذلك ، ويكون بعد التوبة التي يحبها الله منه خيراً مما كان قبلها ، لكان « في هذا غرض من مناصب الأنبياء وسلبهم هذه الدرجة ومنع إحسان الله إليهم وتفضله عليهم بالرحمة والنفرة » (١) .

وإذا كان هذا في جانب الأنبياء فلا وجه أن تمسك بها في جانب الأولياء ، كما أنه لا وجه لمن تمسك بها للأولياء اعتماداً على ما جاء في الحديث : « فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به . . الخ » « فإن العصمة بهذا المعنى خصي الله سبحانه بها رسوله وملائكته » وهو مقام النبوة لا مقام الولاية ، وإنما المراد بهذا الجزء من الحديث أن من وصل إلى مقام محبة الله بأداء الفرائض والإكثار من النوافل ، كان موثقاً في مدخل أحواله ، لا أنه صار معصوماً من الخطأ أو أنه صار في درجة الإخذ عن الله مباشرة (٢) .

بتوبة عبده من رجل نزل منزلاً وبه مهلكة ومعه راحلته عليها طباخه وشرا به فوضع رأسه فنام نومة ، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته حتى امتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله ، قال : أرجع إلى مكاني فرجع فنام نومة ، ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده « باب التوبة » كتاب الدعوات . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول عن نفسه : « والله إني لأستغفر الله وأتوب في اليوم أكثر من سبعين مرة » . باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة . كتاب الدعوات . فهذا الاستغفار من النبي صلى الله عليه وسلم مشعر بأنه صلى الله عليه وسلم معرض للخطأ ولو في الصغائر التي لا تنصل بالأخلاقيات أما ما يتصل بالأخلاقيات والمعاملات الشخصية فالرسول منزّهون عن الصغائر التي من هذا النوع

(١) منهاج السنة النبوية ج ١ ص ٢٢٦ .

(٢) قطر الولي في (العصمة والقرب التي في هذا الحديث ، وينظر أيضاً نفس المصدر في (المراد من أن الله سمع العبد وبصره) .

وأما انتفاء العصمة بالدسيسة للأئمة فيقول الإمام الشوكاني في ذلك : « عصمة
 علي وحجبة قوله ذهب إلى القول بهما جماعة من أهل البيت ، وذهب جماعة
 منهم وسائر المسلمين أجمعين ، إلى أن المصنوع إنما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 والحجة إنما هي ما جاء عن الله وحده » (١) . وقد أورد بعض الأحاديث التي
 استدل بها المالون بعصمة (علي) (رضي الله عنه) مثل حديث : « علي مع
 القرآن والقرآن مع علي وإن يفترقا حتى يردا على الخوض » وبين أن الجمهور
 أجاب عنها بأجوبة مختلفة ، منها القدر في أساسيتها ، ومنها أنها لا تدل على
 عصمة (علي) (رضي الله عنه) ولا على حجبة قوله ، وإلا لثبتت العصمة وحجبة
 القول لجماعة من الصحابة ، ورد فيهم ما يدل على نحو ما دللت عليه هذه الأحاديث
 كما ورد في حق ابن مسعود أن النبي ﷺ قال : « رضيت لأمتي ما رضيت لها
 ابن أم عبد » . وساررد في أبي حنيفة عامر بن الجراح « أنه أمين هذه الأمة » (٢) .
 ثم رد قول القائلين « بعصمة (علي رضي الله عنه) » ، وبين أنه إذا كانت قد
 وردت فيهم أحاديث بأنهم من أهل الجنة ، فإنه لا نالزم بين دخول الجنة والعصمة ،
 وإلا أثبتنا العصمة للمبشرين ، وكل أفراد الصحابة الذين وردت فيهم
 أحاديث تدل على أنهم من أهل الجنة ، كأصحاب بدر وأهل بيعة الرضوان ،
 وغيرهم من الأفراد (٣) .

ثم يبين ابن تيمية أن هذه دهمى من الرافضة ومن تقرب إليهم من المصنفين
 الغلاة ، لها ما دراهما من إخراج الناس من دين الإسلام إلى الدين الذي

(١) عقود الزبربد في جيد مسائل علامة ضمد . مخطوط بمكتبة صنعاء
 وتحت يدى نسخة نه ص ٥١ ضمن أجوبة مفيدة لشيخ الإسلام القاضي محمد
 ابن علي الشوكاني .

(٢) نفس المصدر ص ٥٢ .

(٣) نفس المصدر ص ٥٣ .

تعرضه أهواؤهم مضيفون إلى الأئمة ، وقد اختص بها من بين الشيعة الرافضة الإمامية ثم الاثنى عشرية ومن هم شر منهم ، وهم الإسماعيلية الذين يقولون بمعصية بنى عبده المنتسبين زورا وبهتانا إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وهم آمن هم في الإلحاد والنفاق^(١) . ثم إن هذه دعوى من غير دليل فإيس لهم حجة إلا ما يدهونه من أنه يجب على الله أن يجعل للناس إماماً معصوماً ، ليكون لطفاً ومصلحة في التكليف ، وهذا فاسد من وجوه ، أدناها أن هذا الإمام مفقود لا موجود ، فإنه لم يوجد إمام معصوم حصل به لطف ولا مصلحة ، ولو لم يكن في الدليل على انتفاء ذلك إلا المنتظر الذي قد علم بصريح العقل أنه لم يمتنع به أحد لكان هذا دليلاً على بطلان قولهم ، فكيف مع كثرة الدلائل على ذلك^(٢) .

هذا إلى أن هذا الإمام المنتظر أو المهدي أسطورة أو حديث خرافة ، فإن أهل العلم بالسواب أهل البيت يقولون : إن الحسن بن علي العسكري لم يكن له نسل ولا عتب . « ولا ريب أن العقلاء كلهم يمدون مثل هذا القول من أسفه السفه » فإن هؤلاء الجهال يدهون أن هذا المنتظر « المسمى باسم محمد ابن الحسن » كان عمره عند موت أبيه ، إما سائتين ، أو ثلاثاً أو خمساً على اختلاف بينهم وهذا يجب دينا وهقلا أن يكون تحت وصاية غيره ، فكيف يكون إماماً ومعصوماً من الخطأ ؟^(٣) .

فإذا تبين لنا أن أبا الأئمة وإمام الأولياء وهو (علي) رضى الله عنه هو

(١) منهاج السنة النبوية ج ١ ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ١٣٤ .

(٣) رأس الحسين من ص ٥ — ٧ .

وولده الحسن والحسين ، لم تثبت لهم العصمة ، أو لم يضافها إليهم نهى قرآني أو حديث نبوي ، فبأن لا تثبت لبقية الأئمة بعدم أولى

ثم إن هذا اللطف الذي يحتجون به ، قد جاء وسبق في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف ، ولم يصبح الناس في حاجة إلا إلى حاكم ، أو خليفة ، يختارونه من بينهم على صفة ينمض معها بالأمر ويكون في وضع المستشير دائماً^(١) .

ويتقدم القاضي عبد الجبار لإبطال هذه العصمة من طريق امتدلاطهم عليها بالمعجزة أو الخلق وكونه من شروط الإمام ودليل هدمته من الخطأ ، فيبين أنهم يوجبون ظهور المعجزة « لأجل العصمة » ، ثم يوجبون العصمة « لأجل المعجزة » وهذا تناقض ويوجب ألا يعرف واحد منهما^(٢) . وبعد هذا فالفائدة في ظهور المعجزة على الإمام وإثبات عصمته من الخطأ ، « قيام الطجة به على من يلزمه الاتياد له . فقد كان يجب أن يكون الطوارج وسائر من خالف حلياً أمير المؤمنين (من أتباعه) يعرفون ظهور المعجزة عليه » ولو كان قد ظهر لهم ذلك ما خرجوا عليه « ولما كان الأولى فيما يورده من الحجاج عليهم ذكر ذلك ليبين هدمته وزوال الخطأ من تديره ورأيه » . ولما لم يذكر معجزة ولا دليلاً خارقاً على رأيه^(٣) . ولا يجب ففكرة العصمة هذه لم يكن يعرفها ، ولم تكن قد عرفت من قبل لا بالنسبة للأنبياء ولا بالنسبة للأئمة ولا للأرباباء ، فلم تنطرق إليها الأسفار الدينية المسيحية ولا اليهودية ، ولا القرآن نفسه ولا حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم)^(٤) ، وإنما كان

(١) ينظر المغني ج ٢ (الكلام في الإمامة) ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٢) المصدر المتقدم ص ٢٤٩ .

(٣) المصدر المتقدم ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

(٤) الصلة بين التصوف والتشيع ج ١ ص ١٤٩ ، ج ٢ ص ٦٢ .

يكرر دائماً : « إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى » وأنه دائم الاستغفار والنوبة إلى الله الخ : وإما هي فكرة شيعية أصيلة تم أخذت طريقها إلى محيط المذهب . وإذا كان المسلمون من أهل السنة وغيرهم قد تكلموا فيها بعد ذلك بالنسبة للأنبياء ، ونفوها عن غيرهم ، فإنما ذلك مجازاة أو رد فعل لهذا الاتجاه الاتحادى السائد ، وإعطاء كل ذى حق حقه .

وحينئذ فلم يجد لإلزامهم كلمة « ولى » تلك الدمانى التى تقدمت وحصرهم لها فى دائرة محدودة أساس تعتمد عليه ، وأنه ليس لأولياء الله حقيقة شىء يتميزون به عن الناس لا فى نسب ولا فى مظهر ، ولا فى طريقة تند عن طريق السمكتاب والمنة ، فلا يتميزون بلباس دون لباس كما قيل : « كم من صديق فى قباء ، وكم من زنديق فى هباء » . بل يوجدون فى جميع أصناف أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والنجور ، فيوجدون فى أهل القرآن والعلم ، وفى أهل الجهاد والسيف ، وفى التجار والصناع والزراع الخ ^(١) فهم بإيمانهم وبأعمالهم وجودون فى أى مكان وفى أية طائفة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

٣ - ماذا وراء الاتفاق بين هاتين الطائفتين ؟

بقى علينا أن نمين سبب ذلك الاتفاق بين الغلاة من الشيعة وأصحاب المذهب فى الفلسفى . ذلك أن هدف هاتين الدعوتين -- (الشيعة الغالية والمصوفية) -- واحد وهو تنقيض دعائم الإسلام تأثراً بالغنوصية الفارسية ، وإحالة إلى خليط عجيب من الفلسفة الوثنية والدين ، وذلك تحقيقاً لأمال الفرس الناقين وغيرهم من أصحاب المبادئ الشعوبية ^(٢) ، وجعلوا محور

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) قطر الولى فى (مبدأ الباطنية وكيف قاموا) . ويقارن بذلك رسائل

إخوان الصفا ج ٤ ص ٢٤ ، ١٢٤ ، ٢١٥ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ج ٣ ص ١٢٧ .

حركتهم هذه هلياً وبلياً « وأظهروا محبتهم وهو الاتهم كذباً وانقراء ، كذبوا على أكابرهم الجامعين بين العلم والدين المشهورين بالعلاج والرشد »^(١) . ووصلوا بهم وبأنفسهم إلى ما رأينا من مرتبة النبوة ثم مرتبة الإلهية « وارتفعوا للتصوفة بأنفسهم بالمجاهدة وأحياناً بالعلم السري إلى نفس اللغز »^(٢) ، ومن هنا ترى أن للفيلسوف الشيعي والتصوف الفيلسوف هدفاً مشتركاً : « هو أن يكون للإنسان موضع قدم في الإلهية ، وتعرف شئون الدين والدنيا بقدر غيبية » . ليصلوا من وراء ذلك إلى غايتهم السيامية والاجتماعية والتفاف العامة حولهم وإيمان أكبر جزء بهم . وفي هذا كما قدمت ، عدم للنبيات والرسالات من طريق خفي^(٣) ، فضلاً عن الملبوط بمستوى كلمة (ولى) عما أراد لها القرآن الكريم ، مما دعا إلى استخفاف الناس بها ، وصارت من أهون المراتب أمامهم وأسوأها في الوصول إليها في نظرهم وفي نظر العامة بأرخص ثمن وأتفه جالب تقع خاص حقير أو جليل .

وأخيراً لعل سمو هذه الكلمة (كلمة ولى) بما تحمل من نهاية الحب والقرب والنصرة في الحرف السني وإطلاق الله سبحانه وتعالى لها على الصحابة في موقفهم من رسول الله ، وشيوع هذا الإطلاق في القرآن الكريم وحديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع ثناء الله سبحانه وتعالى على الصحابة بما لا ثناء بعده^(٤) ، هو الذي دفع الغلاة من الشيعة إلى إطلاقها على أئمتهم بهذه

(١) قطر الولي في (العنوان المتقدم) .

(٢) (Corrhiu . Henbui) : Histoire de la philosophie islamique (Gallimard. 1964.

(٣) الصلة بين التصوف والتشيع ج ١ ص ١٣٣ .

(٤) وذلك مثل قوله تعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوه بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها

العلماء المتقدمين ؛ ليرفعهم في نظر أتباعهم إلى تلك الدرجة والدنيا ، وذلك بأمر قاهر فهموه من حديث الرسول ﷺ : « من كنت مولاه فعلي مولاه »^(١) . وإلى جانب ذلك ، فهم يرون في (الولاية) ، سلطة عامة على الناس أجمعين يتولون بها شئونهم في الدين ، ثم جاء التصوف من بعدهم ، فوجدوا أيضاً تلك الكلمة أقرى في دلالتها في إطلاقها على المبتازين منهم ، خاصة وأنهم مختلفون في أصل كلمة صوفي وفي معناها أيضاً ، وكثير منهم قد خرج بأشتماقها عن أصله مخالفاً بذلك الفاهدة في الاشتقاق^(٢) . وبذلك سارت كلمة « ولي » علماً على الإمام في النصوص مثلاً صارت علماً على الإمام في التشيع ، واقتصر دأبها على هذا عند هاتين الطائفتين .

== الأنهار : سورة التوبة آية ١٠٠ . ينظر أيضاً سورة الحشر آية : ٩٦٨ . وسورة الإطلاق آية ٤ .

(١) تاريخ الفلسفة الإسلامية (لكوربان) مقدمة الإمام (موسى الصدر) .
(٢) دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ١٢٧ . قارن : الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٢٤ ، ورسالة الصوفية والفقراء ص ٣ ، واللمع للسراج ص ٤٠ ، ٤١ ، والمدخل إلى النصوص الإسلامية ص ٦٩ .

الفصل الثاني

شخصيات الأولياء وأصنافهم

بعد أن عرفنا مفهوم الولي في القرآن الكريم ، وبعد أن تكلمنا على هذا التحديد النعسي للولاية لدى الشيعة والمتصوفة ، فن واجبنا أن نورد نماذج الأولياء من ينطبق عليهم وصف القرآن الكريم والحديث الشريف ، لكي يتسنى لنا أن نميز شخصية الولي حقيقة من شخصية الولي الدهي ، ونكون بهذا قد أجبنا — عملياً — عن سؤالنا : (من هو الولي) .

وشخصية الولي في الإسلام كما يرى الإمام الشوكاني : هي شخصية إيجابية عليه ، تدور مع الحياة حيث تكون ، وترسم خطى الدين في كل ما أصراً ونهى أو رغب أو خوف . بل إن صاحبها ليتسامى فوق الالتزام بالمأثورات ، والمنهيات إلى الالتزام بالمندوبات والحبوبات^(١) لا يجب إلا لله ولا يبعض إلا الله^(٢) فهي شخصية عامة غير مقصورة على فئة معينة من الناس ، لا تنضوي

(١) ويعرفه فيقول : « ومن أعظم ما يتبين به من هو من أولياء الله سبحانه أن يكون محاب الدعوة ، راضياً عن الله عز وجل في كل حال ، قائماً بفرائض الله سبحانه تاركاً لمناهيه ، زاهداً فيما يتسكلب عليه الناس من طلب العلو في الدنيا والحرص على رياستها غير معجب بما من الله عليه من خصال الولاية حسن الأخلاق . كريم الصحبة إذا زاده الله رفعة زاد في نفسه تواضعاً وخضوعاً ، عظيم الحلم كثير الاحتمال . وبالجملة أعظم استغاله بما رغب الله فيه ونادى عباده إليه .
قطر الولي في (شخصية الولي) ، (وتواضع الولي وحقيقته) .
(٢) قطر الولي في (المعاداة من الولي كما يمكن أن تتصور) .

تحت لواء الصوفية ، ولا تحت لواء الشيعة ، وإنما تحدها هذه الصفات المتقدمة في أى طائفة أو في أى طبقة .

ويذهب ابن تيمية إلى هذا المبدأ ، غير التحديدى لشخص الولي ، فيراه عاماً في أى طائفة أو مجلس ، تحدهه مثل الصفات المتقدمة ، بل قد يكون مجهولاً لا ينطن إليه إلا من هو مثله ، ومن يزن الناس بأعمالهم ، لا بأشكالهم وألسابهم ، كما يقول الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » وكما تقول الحكمة المأثورة : « كم من صديق في قباء ، وكم من زنديق في مباء » . وأولياء الله هم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما تقول الآية القرآنية^(١) .

ونلاحظ أن القرآن والسنة ينظران في الأولياء إلى ممان سارية ، وأكبر ما تكون عملية اجتماعية إيجابية بالنسبة إلى الآخرين ، وهي أنى كانت لهم طريقاً إلى الله تعالى ولا يتهم له . فقد أخبر القرآن الكريم بأن أولياء الله هم الذين آمنوا وكانوا يتقون . وبين المؤمنين في قوله : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب . ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين وآتى المال على حبه ، ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب » وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحيز البؤس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون^(٢) . وبينت السنة أن الطريق إلى

(١) ينظر سورة يونس آية : ٦٢ ، ٦٣ ، « رسالة الصوفية والبقراء » ص ٢٥ ، ٢٦ وينظر أيضاً ص ١١٥ و ١١٦ من هذه الدراسة .

(٢) سورة البقرة آية : ١٧٧ .

الولاية ، هو أداء الفرائض والتقرب بالنوافل ^(١) ، والفرائض تشمل كل الفرائض والواجبات المطلوبة من الإنسان ، والنوافل تشمل كل الأهمال والمخالطة التي رغب فيها الشرع . فمن أجل هذه المعاني العملية التي في تلك الأعمال ، أطلقت كلمة « ولي » على الصحابة رضي الله عنهم ، ووضعت هلمما على كل من سار في هذا الاتجاه . وهو كل مسلم ، لأن المسلم أصبح بإسلامه وليا لله ومحبا له عكس الكافر الذي لم يؤمن فإنه أصبح عدوا لله .

وإذن فليس في الإسلام تمديد للولاية بالنسبة إلى شخص أو نسب أو طائفة . إنهم إنما ما نص عليه بمأريق القرآن ، كما في جانب الصحابة رضي الله عنهم ، أ ، بالجنة كما في العشرة المبشرين بالجنة ^(٢) . ومن انطبقت عليه هذه الصفات التي تقيمت ، بعد هؤلاء العشرة فهو « ولي » لله بينه وبين الله ، ولا يجوز له أن يعاملها على نفسه ، ومن الأكمل لمن « قوله ألا يشهروه بهذا الخطاب » لأن هذا سر بين الله والإنسان ^(٣) .

ومع عموم معنى الولاية فلا سبيل إلى حصر أصناف الأولياء ، وإن كان من الممكن الإشارة إلى بعض الأصناف كأدلة عمالية لذلك المعنى . فأول هذه الأصناف : الملائكة . ثم الرسل ، ثم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام :

(١) كما يقول الحديث الذي معناه « وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه . » ينظر عقيدة أهل السنة والفرقة الناجية لابن تيمية ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) مجموعة الرسائل ج ١ ص ٤٣ : وهم أبو بكر ، عمر ، عثمان ، علي ، طلحة ، الزبير بن العوام ، عبد الرحمن بن عوف ، أبو عبيدة عامر بن الجراح ، سعد بن أبي وقاص ، سعيد بن زيد .

(٣) ينظر قطار الولي في (الفضل الأولياء) .

ثم يشير الإمام الشوكاني إلى أصناف أخرى ، وهم : صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويبين أنهم الصنف الذي تنمّل فيه صفات الأولياء أتم تمثيل بعد الأنبياء ، وذلك لأن لهم النصيب الوافر من طاعة الله سبحانه ، ومن التقرب إليه بما يحبّه ويرضاه ، ومن العمل بكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد جمعوا بين الجهاد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبل والعمل بما جاء به والوقوف معه في السراء والضراء . ولهذا فهم خير العالم بأمره لا يفضلهم أحد إلا بالأنبياء والمرسلين ، فإذا لم يكونوا رأس الأولياء وصفوة الأتقياء ، فليس لله أولياء ولا أتقياء ، فتوّه صلى الله عليه وسلم « من عادى ولياً » يصدق عليهم صدقاً أولياً^(١) . ومن يأتي بعدهم ممن يقال له : إنه من الأولياء فليس يصدق عليه هذا الاسم إلا إذا كان متبعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله ، ومحصلاً من الأعمال ما حصله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) ، في حياته وبعد موته^(٣) .

وبهذا يتبين لنا أن لفظ الصحبة ، ليس له من انطه المعنى اللفظي فقط ،

(١) قطر الولي في (المكاشفات الصحيحة وأولياء المؤمنين) ، و (القدر ونفي احتجاج العصاة به) .

(٢) نفس المصدر في (المكاشفات الصحيحة . الخ) .

(٣) وذلك مثل ما هو معروف من جهودهم في نشر الإسلام في أرجاء العالم ، وفي ذلك يقوله الإمام الشوكاني : « قد أقاموا أعمدة الإسلام بسيوفهم ، وشادوا قصور الدين برماحهم ، واستباحوا الممالك الكسروية والقيصرية ، وأطفاوا الملة النصرانية والمجوسية ... وأوصلوا دين الإسلام إلى أطراف المعمورة من شرق الأرض وغربها ... ودان بدين الله سبحانه الأسود والأحمر والوثني والملي » . قطر الولي في (الصحابة ومركزهم من الولاية) .

وإنما يراد به كل ما أضافه لهم القرآن الكريم والحديث الشريف من جهود وآثر خالدة في سبيل نصرته دين الله سبحانه وتعالى^(١) . فله من ظروفه مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي نشر رسالته السماوية ما يحقق فيه كل معاني الولاية . وحينئذ فليست الولاية هنا للصنف من باب أنه صنف ، وإنما من جهة العمل .

وولاية الصحابة بهذا المعنى أصل قد أجمع عليه جميع العلماء من المسلمين كما تقدم^(٢) إلا من شذ منهم كالرافضة ، وأتباعهم من غلاة الشيعة واليهودية ومن نحاسوهم^(٣) ، ولذلك ثنى الإمام الشوكاني بعد ذكر المزايا للصحابة رضى الله عنهم بهاجمة أعدائهم من الرافضة ومن نحاسوهم ، وبين الأسباب التي حملتهم على ذم الصحابة رضى الله عنهم ، أو همهم بتقديسهم حتى قدرهم ، وهي أن هؤلاء ، لم يوافقوا حقيقة أمرهم إلا بقايا من الجوس ومن طوائف الشرك والإلحاد ، فلما ظهرت عليهم الشريعة الإسلامية وقهرتهم الدولة الإسلامية لم يجدوا سبيلا إلى مقاومتها بالسيف ولا بالجدال ، سترها ما هم فيه من الإلحاد والزندقة بحيلة تقبلها الأذهان فانتسبوا إلى أهل البيت المطهرين^(٤) .

(١) من ذلك قوله تعالى في المهاجرين والأنصار : « والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله ، والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا . لهم مغفرة ورزق كريم . والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم ، فأولئك منكم » سورة الأنفال ، آيتي : ٧٥ ، ٧٤ . إلى جانب ما تقدم في تحقيق معنى كلمة (ولى) ينظر أيضا قطر الولى : (موقف أهل البيت من الصحابة) .

(٢) ينظر أيضا : نقض المنطق ص ١٢٩ .

(٣) ينظر درامات في الفلسفة الإسلامية ص ١٢٩ ، ونقض المنطق ص ١٢٧ وما قبلها وما بعدها .

(٤) قطر الولى : (في مبدأ الباطنية وكيف قاموا) .

ثم لما وجدوا أن الكتاب والسنة يهملان مع مبائهم ، وقفوا منهما موافق
العداء ومن حامليهما أيضاً ، فقد حوا في السنة المطهرة ، « بعد قدحهم في
الصحابة رضي الله عنهم وجمالوا المتمسك بها من أعداء أهل البيت فأبطلوا
السنة المطهرة ، وتمسكوا في مقابلها بأكاذيب مفتراة » (١) ، وهذا هو باب
الفتنة ، وطريق القضاء على الإسلام ، فإنهم إذا نجحوا في التشكيك في حجة
هذا الدين والماشرين له من الصحابة رضي الله عنهم ، فقد نجحوا في التشكيك
فيه وتقويضه في نفوس أهله .

ولا يفوتنا في هذا العدد أن ننوه بجهود ابن تيمية في الدفاع عن الصحابة
رضي الله عنهم وإثبات ولايتهم وأنهم خير القرون ، ودحض الاتهامات الباطلة
التي يلحقها بهم هؤلاء الرافضة ، من الإمامية والإسماعيلية والقرامطة
وغيرهم ، ومعظم كتبه (المدينة) تدور حول هذا الموضوع (٢) .

ويذكر (الشوكاني) أيضاً من الأولياء : العلماء العالمين : واعتبرهم
مندرجين تحت كلمة (الولي) في قول الله سبحانه : « من عادى لي ولياً ، فقد
أذنته بالحرب » أو « فقد بارزني بالمحاربة » (٣) .

والعلماء العالمون صناديد — كما ينضيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم :
« العلماء ورثة الأنبياء » وكما ينضيه تكميم الله سبحانه وتعالى لسان قومه
شهاداتهم بهادته في قوله : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا

(١) نفس المصدر .

(٢) نذكر منها : منهاج السنة النبوية في نقد كلام الشيعة القدرية ، الفرقان
بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، بغية المراتد في الرد على القرامطة والباطنية .
شرح العقيدة الأصفهانية . مجموعة الرسائل والمسائل . نقض المنطق .
(٣) ينظر قطر الولي : في (نصيب العلماء العالمين من الولاية) .

« فاعلم » هم الذين إذا فتح الله عليهم بالمعارف العلمية عملوا بها ، ونشروها بين الناس ، وأرشدوا عباده إلى ما شرهه لأمنه ، ونهبوا الظالم إلى ظلمه ، والعاصي إلى عصيانه ، وعرفوا الأمة بحقوقها وواجباتها ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وأمسكوا عنه ، وكانوا عند قوله صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبأسانه » ، فإن لم يستطع فبقلبه » فضلاً عن أن يروجوا له ، فهم بذلك أضاء الله حقاً على شريعته وفي الدرجة الأولى من ولاية الله سبحانه (١) .

وهم عند الإمام الشوكاني أولياء أيضاً ، لأنهم يوضحون للناس ما وقع من أهل الزبح من تفسير كتاب الله « بأعريتهم وعلى ما هم فيه من التبعية » الذين حرفوا كلام الله ورسوله عن مواضعه ، وخالفوا بذلك تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفسير أصحابه ، والناصبين لهم ، « وما تقتضيه اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم » « ودرره إلى ما قد دعوا إليه من الباطل المبين » في الأمة والولاية والنبوة « الذي يعود في أصله إلى الإلحاد ورفض الأديان » (٢) .

وهم أيضاً أولياء لاتباعهم الكتاب والسنة والعمل بمقتضاها ، فهم بذلك مجتهدون متبعون لما أنزل الله في كتابه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهم حاملون بقوله تعالى : « انبئوا ما أنزل إليكم من ربكم ، ولا تتبعوا من دونه أولياء ، قليلاً ما تذكرون » (٣) .

(١) قطر الولي : في (العنوان المتقدم) .

(٢) نفس المصدر والعنوان — (حماية العلماء العاملين للأمة من التقليد) .

(٣) سورة الأعراف آية : ٣ ، ينظر قطر الولي : في (الرجوع إلى كتاب

نبله وسنة رسوله في مسائل الدين هو الطريقة العلمية) .

ويقابلهم في ذلك لائمسون بحض الرأي النابذون لكتاب الله وسنة
رسوله ، وكذلك المقلدون ، فإن المستدل بمجرد محض الرأي لا يعلم بما
أهله الله وحرمة ^(١) ، لأنه اعتمد على رأيه وترك الكتاب والسنة ،
وكتلك العالم المذلل ، يقر على نفسه أنه لا يعقل حجج الله ولا يفهم براهينه
ولا يدري بما شرعه الله لعباده في كتابه وعلى لسان رسوله ، بل هو تابع
لرأى من قلده مقر على نفسه ، بأنه لا يدري هل رأى الذي قلده فيه من الحق
أو من الباطل ^(٢) .

ويورد كدليل على ذم هذين الصنفين من العلماء قوله تعالى : (قل أرأيتم
ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا ، قل الله أذن لكم أم
على الله تفترون) ^(٣) .

(١) قطر الولى : فى حماية العلماء العاملين للأمة من التقليد .
(٢) لأنه من المعروف أن التقليد هو أخذ قول الغير دون دليل أو برهان ،
أو أخذ رأيه دون روايته . قطر الولى فى (الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله
فى مسائل الدين هو الطريقة العالمية) ، و (حقيقة المقلد والتقليد وحكمهما) .
(٣) سورة يونس آية : ٥٩ . ينظر : (حماية العلماء العاملين للأمة من التقليد)
فى قطر الولى ، و (حقيقة المقلد والتقليد وحكمهما) ويذكر الإمام الشوكانى أن علماء
المذاهب وفى مقدمتهم أصحاب المذاهب الأربعة ، بلغ من تمسكهم بسنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم واتباعهم للكتاب ، أن قدوا الحديث الضعيف على الرجوع إلى رأى . كما
أجمعوا أيضا على النهى عن تقليدهم والعمل مثل عملهم . وينظر فى بيان فساد التقليد
ووجوب الاجتهاد واتباع الكتاب والسنة لا رأى سواء أكان رأى الشخص نفسه
أم رأى غيره : من (حماية العلماء العاملين للأمة من التقليد) إلى (سد باب الاجتهاد
نسخة للشريعة) . وفى موقف الشوكانى من مقلدى عصره وجهاده لهم (جهاد
للمقلدين) من قطر الولى . ثم رسالة للمؤلف خاصة بالاجتهاد والتقليد . بعنوان :
(القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد) . طبع مصطفى البابى الحلبي . القاهرة .
سنة ١٣٤٧ هـ .

فيقدر ولاية العلماء المجتهدين لله وقربهم منه بقدر بعد المتوسكين ببعض
الرأى والمقلدين من الله . وقد تقرب منزلة هذين الصنفين من العلماء ، من
منزلة فلاسفة الباطنية وعلماء المتصوفة الغلاة في بعدهم عن الكتب والسنة ،
وبالنسبة بعدهم عن الله سبحانه وتعالى . فأما من الولاية الحققة ، هو السير على
منهج القرآن والسنة والتجرد من الآراء الدخيلة المحرقة للإسلام .

هذه هي شخصية الولي ، وهؤلاء هم النماذج الأولياء والأصنافهم ، وكأني
بالإمام الشوكاني هو وأتباعه ابن تيمية ، وقد قسمنا من هذا التمثيل بهذا
النموذج الأخير من علماء أهل السنة العلماءين^(١) ، الرد على الفلاسفة وغلاة
الشيعة والمتصوفة الذين رفعوا أنفسهم إلى مرتبة أعلى من مرتبة النبوة عندما
دخلوا الولاية على أنفسهم ، ورأوا أن الولاية اسمى من النبوة ، وبنوا هذه
الأفضلية على ما أضافوه لأنفسهم -- زوراً وبهتاناً -- من العلم الإلهي أو
الباطني الذي تعرضوا به عن الكتب والسنة ، سموه علم الأسرار والمخائيل ،
وانتهوا أخذه من أهل البيت^(٢) ، وأدعوا كذلك أن الرسول صلى الله عليه
وسلم لم يكن يعرف ذلك ، أو كان يعرفه ولكن لم يدينه لأصحابه لأنه لا تطيقه
غيرهم^(٣) .

و مع ذلك فإننا سنجد عند الشوكاني بعض رواسب التصوف أو مظاهره ،
نقطة رأيناها يريم بعض الهيام معهم في أودية الحب الإلهي الذي خرج به المتصوفة

(١) ينظر فيما يتعلق بابن تيمية ، نقض المنطق ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٧١ - ٧٣ ،
ثم من ص ١ - ٩٥ .

(٢) نفس المصدر ص ١٣٢ - ١٣٣ ، ص ٦٣ - ٧١ .

(٣) نفس المصدر ص ١٣٢ - ١٣٣ .

هن التسميت القرآني إلى المظهر البشري^(١) . وكذلك فإنه روى لبعضهم كرامات : منها أنه يورد لعبد الواحد بن زيد^(٢) إحدى كراماته فيقول : « وأصاب عبد الواحد ابن زيد الفالج فسأل ربه أن يطلق أعضاه وقت الوضوء ، فكان وقت الوضوء تطلق له أعضاؤه ، ثم تعود به »^(٣) .

كذلك يورد كرامة للجنيب يرفقه بها إلى درجة الأولياء المذكورين في الحديث موضع الدراسة ، فقد أتى بها كمال على أن العبد إذا تقرب إلى الله سبحانه على الطريقة التي رسمها الحديث ، يمار الله سبحانه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به وصاربت له القدرة على الأخبار بالمفيمات^(٤) .

(١) ومن قوله في ذلك :

وكيف ترى ليلى بعين تسمى بها هواها وما طهرتها بالمدايع
وتلتذ منها بالحديث وقد جرى حديث سواها في خررت المسامع
أجلك يا ليلى عن المين إنما أراك بقاب خاشع لك خاضع

يوجه هذا التزاؤ للذات العلية ، أو يقيس الشعور نحو حب الله بالشعور نحو حب المخلوق ، وفي الوقت نفسه يرد بذلك على المسكرين للحب الإلهي أو درجة الحب الإلهي التي يصل إليها الإنسان ، وأن هؤلاء المسكرين إنما يتسكرون شيئاً هم في شغل عن الوصول إليه ، ولذلك لم يعملوا من أجل ذلك الوصول . ينظر قطر الولي : في (مقام المحبة وإجابة الدعاء) .

(٢) من أوائل صوفية البصرة وصاحب الحسن البصري . توفي سنة ١٧٧ هـ .

(٣) قطر الولي : في (متى يسكون أطارق كرامة) .

(٤) وهي أن السري السقطلي شيخ الجنيد أمره أن يخرج يتكلم على الناس ، فسكأنه نادى مناد في الناس بأن الجنيد سيتكلم فجاءوا إليه أفواجا ، ولم يطاع على ما دار بينه وبين شيخه أحد فخرج وفي أثناء حديثه ، برز إليه رجل نصراني كان متخفياً وسأله عن معنى حديث : « اتقوا فراسة المؤمن » فأطرق قليلاً ، ثم قال له : أسلم فقد آآن لك أن تسلم ، فقام وجثا بين يديه وأسلم . قطر الولي : (الولي ومعرفة الغيبات) . وإذا نظرنا إلى القصة فسنجد أن طابع التلفيق فيها

وقد وقع الإمام ابن تيمية أيضاً فيما وقع فيه الإمام الشوكاني من تأثر بالصوفية في بعض المواضع ، فأقر جماعة منهم على ما قالوا وعلى ما سلكوا واعتبرهم أيضاً من الأولياء ، كما اعتبرهم الإمام الشوكاني^(١) ، فنهجه يستشهد به بعضهم في أكثر من موضع على سلامة الطريق ، وعلى خاصية المكاشفة كنافع ممتازة للأولياء ، وربما جمعهم مجتهدين فيما اختلوا لأنفسهم من طريق مثل الفقهاء تماماً بتمام . فيقول هن زهاد البصرة بأنهم صديقون ، كما أن أئمة الفقه في السكوفة صديقون أيضاً ، بل هم من أكمل صديقي زمانهم^(٢) وفي

شديد الظهور ، فهي دعاية لجهود الصوفية المزعومة في نشر الاسلام ، كما أنها دعاية لمبدأ إخبار الولي بالمنبيات . رجل نصراني يسأل عن معنى حديث « اتقوا فراسة المؤمن » فيستشف الجنيد أنه يريد أن يختبره عن طريق هذا السؤال ، وأنه قد أوشك أن يدخل في الاسلام ، فيعلن أنه قادر على استشفاف الغيب ، بذلك العبارة « أسلم فقد آن لك أن تسلم » . فالصلة بين موضوع الحديث وبين إجابته ظاهر فيها الأعداد والتلفيق ، وأن الحديث قد اختير موضوعاً للسؤال ليؤكد الإجابة أو تؤكد الإجابة لأنهما من جنس واحد ، فالإجابة بذلك الطريقة المتقدمة هي هي تفسير صريح لمعنى الحديث .

(١) يظهر أنهما متأثران بالفكرة السائدة ، بأن التصوف حتى القرن الثالث كان سنياً ، ولم يتفلسف أو لم تدخله المذاهب الإلحادية إلا في نهاية القرن الثالث . وأوائل الرابع ، ولكن الواقع أن التصوف كله من يوم نشأ والزهد من قبله لاصلة لهما بالسنة ولا بالقرآن في شيء . ينظر (دراسات في الفلسفة الإسلامية) : المبحث الخاص بالتصوف من ص ١٣٦ - ١٤٧ ، وكتاب (الصلة بين التصوف والتشيع) ج ١ ، ص ٢٦ ، وفي رأي أن ظهور هذين الكتابين في هذا العصر غير المفارقة القديمة إلى التصوف الاسلامي في قرونه الثلاثة الأولى وأنه سني .

(٢) وإليك عبارته : « والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتاده ، وفيهم المفتصد الذي هو من أهل اليمين » يشير بذلك إلى درجة أهل اليمين التي تشير إليها آيات الواقعة من آية ٢٧ : « وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود . وطلح منضود »

موضع آخر من رسالة الصوفية والفقراء يقرن أبا سليمان الداراني بالإمام أحمد بن حنبل فيقول : « وقد تكلم به (لفظ الصوفية) غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد بن حنبل وأبي ماسان الداراني وغيرهما »^(١).
 « يقول في الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، في معرض البرهنة على بطلان آراء ابن عربي : « فإن ابن عربي وأمثاله ، وإن ادعوا أنهم من الصوفية فهم من صوفية الملاحقة للفلسفة ، ليسوا من صوفية أهل العلم فضلاً عن أن يكونوا من مشايخ أهل الكتاب والسنة ، كالفضل بن عياض ، وإبراهيم بن آدم ، وأبي سليمان الداراني ، ومرووف السكرجي ، والجنيد بن محمد ، وسهل بن هبة الله التستري وأمثالهم ، وضوان الله عليهم أجمعين »^(٢).
 وفي شرح المنبذة الاصفهانية يصف بعض هؤلاء وآخرين منهم بأنهم « من خيار المسلمين ومهادتهم عند المسلمين »^(٣).

وفي مواضع أخرى يذكر أبا يزيد البهائي ، والشبلي كأمثلة الأولياء الصالحين .

مناقشة ابن تيمية والشوكاني :

والطريف في هذا الموقف أنه يمكن الرد على ابن تيمية من كلامه هو ومن كتاباته ، ذلك أنه زعمهم الإلتمية في عصره وشأنه في ذلك كشأن الإمام الشوكاني ، فهو زعيم السلفية في عصره هو الآخر ، وكل منهما يرى أن طريق

إلى آية ٢٥ . وقد جاءت هذه الدرجة به درج السابقين . ينظر آية ١٥ - ٢٦ من نفس السورة ، ورسالة (الصوفية والفقراء) ص ١٩ ، ٢٠ .

(١) المصدر السابق ص ٧ .

(٢) ص ٤٥ ، ينظر أيضاً ص ٥٢ .

(٣) ص ١١١ - ١١٣ .

(٩ - قطر الولي)

الله واضح ، وأن أى زيف أو انحراف منه يخرج صاحبه عن جادته إلى مذاهب مبتدعة ، وأهواء متبعة ، وأن خبر من سار على طريق الله أو طريق القرآن هم الصحابة رضى الله عنهم الذين خلا عصرهم من البدع ، ومن المتطرف في الزهد ، والتمذهب بمذهب التصوف ، وأنه من الممكن بعدهم أن نرى خروجاً عن جادة الإسلام ، وتفشياً للبدع والإلحاد . . الخ

كذلك قد فطن كل منهما إلى جناية الأعمال الجدلالية ، والمنطق العقيم ، والميتافيزيقا على المسلمين في بعض مسائل الدين .

فالأصل في أمر هذين الإمامين أنهما لا يعتقدان حقيقة أئمة المتصوفة ، ولكن يظهر أنهما أخذتا بتمويه الصوفية بادعائهم الانساب إلى السنة والجماعة فظننا أن هذا حق منهم حتى باغ بها الأئمة أن استشهدا بقول بعضهم على منية التصوف ، ومنية أولياء الصوفية ، بل لقد كان هذا الاستشهاد في معرفتي القول بضرورة تمسك الولي بالكتاب والسنة ، وأن الكتاب والسنة هما المقياس الوحيد للولاية الشخص^(١) .

ومن استشهد الإمام الشوكاني قوله : « وما أحسن ما قاله (أبو سليمان الداراني) : « إنها التمتع في قلبي الذكته من نكت النور فما أقبلها إلا بشاهدين هرايين : الكتاب والسنة »^(٢) . وقد أخذ الصوفية ، ومن يؤرخون لهم —

(١) ينظر قطر الرولى في (الواجب على الولي فيما يصدر من أعمال) وفي (نصيب العلماء العاملين من الولاية) .

(٢) نفس المصدر : في (الواجب على الولي فيما يصدر من أعمال) . ومن ذلك أيضاً ما نقله عن الجنيد : « علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة » . وعن أبي عمرو بن نجيد : « كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل » . كما نقل عن غيرهم « ينظر نفس المصدر ، وقارن : الفرقان لابن تيمية ص ٧٢ ، ٧٤ .

منهم — هذا الترويه تقيية من مثل هذين الإمامين الجليلين ، من ميوه سلفية ، أو معانية لمبادئ الصوفية وهذا هو السراج صاحب اللمع ، يزحى إلينا بعضاً من ذلك الترويه . يقول في معرضه بيان أصناف المتسكبين بالكتاب والسنة : « ... وهندى أن أولى العلم الفاضلين بالقسط ، هم المنتهضون بكتاب الله تعالى ، المحتملون في متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ... هم ثلاثة أصناف : أصحاب الحديث ، والفقهاء ، والصوفية »^(١) فقد قرن الصوفية بالفقهاء وأصحاب الحديث لكي ينجح في إدعائه أنهم على سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، على طريق القرآن الكريم . وهذه نعمة طالما بردها السراج في كتابه المذكور ، وقد ردها أيضاً في صدر رسالته في الصفحة الأولى منها ، وأتفق بها على مشايخه في أحاديثهم للفرقة في أبواب رسالته ، وكذلك فعل السهروردي في هوارف المعارف من أوله إلى آخره^(٢) ، يظهر أنه على هدى الكتاب والسنة ، ولكنه في باطنه وواقعه نبت أجنبي ، وروح غير إسلامي .

ويظهر أن التشدق بالتمسك بالكتاب والسنة كان نعمة عامة وشائعة في تلك المصوّر ، وطريقة متبعة للوصول إلى مأرب معين أو في سبيل المحافظة على

(١) اللمع ص ٢٣٣ ، هذا في الوقت الذي يفسر فيه المحبة في الحديث الذي معنا بالفناء معتصداً في ذلك بأقوال أقرانه من الصوفية . يقول في هذا الصدد : قال أبو يعقوب السوسى : لا تصح المحبة حتى يخرج من رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب : بفناء علم المحبة من حيث كان له المحبوب في الغيب ، وسئل الجنيد عن المحبة فقال : دخول صفات المحبوب على البذل من صفات المحب ، فهذا معنى قوله : « حتى أحبه فإذا أحببته كنت عينه التي يبصر بها ، وسمعه الذي يسمع به ، ويده التي يبطش بها » ص ٨٨ ، هذا مع ملاحظة أن الإمام الشوكاني نفى تفسير هذا الطلب ، وما ترتب عليه بالفناء ، ينظر قطر الولى : في (تحقيق آراء الاتحادية والصوفية) .

(٢) قارن : الصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ .

فلك المأرب ، فقد سمعناها تنسب إلى انطلفاء من بنى أمية وبنى العباس وهن .
لسان الشيمة ، وأخيراً عند المتصوفة ، والهدف هند الثلاثة واحد .

وبأنفذ تلك النفقة شداراً غرضاً ر هؤلاء الصوفية على كثير من الناس
ومهدوا لهم ، وصاروا من أهداهم الويرة ومن يريد لهم كما غرض أمر الشيمة
الغلاة من قبل ، وأصبحنا نجد رجلاً مثل الإمام الشوكاني أو ابن تيمية وقد
انصرف جميعه الأكبر إلى الجهاد في ميادين الجود والتأليم والبدع التي فشت
بين عامة الشعب ونفهاهم ، والمفظة والمفظة التي شغلت المتكلمين ومن
نحنا نحوم ، فلم ينفقت لدى الصوفية إلا إلى الشطط الظاهر ، والاطلاق الصريح
من بعضهم ، مثل ماظهر من الخلاج ، أو ابن عربي وابن سبعين ، والسهروردى
المتنول . فظن بن رفع ذلك الشعار المتقدم من المتصوفة ، أنه على دين الله
كما يدعى .

وقد وقع (نيكولسون) فيما وقع فيه ابن تيمية والشوكاني حتى ذهب إلى
أن المتصوف الإسلامي ، كان حتى نهاية القرن الثالث تقريباً واقعاً لتعاليم
الكتاب والسنة^(١) .

وقبل أن أورد ، رداً ان تيمية على نفسه أحب أن أشير صلياً إلى أن ماقدسه
من أن هؤلاء الصوفية مجتهدون قول غير مقبول ، إذ أن الاجتهاد لا يكون
إلا في استخراج الأحكام ، أو التماس المثل للأحكام والأعمال في غير صرائم
العبادات . أما العبادات والعقائد الدينية ، فليست مجالاً للاجتهاد ، وليس لنا
من إضافة إليها فوق ما نص عليه الدين منها^(٢) .

(١) في التصوف الإسلامي وتأريخه ص ٤٧—٧٧ ، الصلة بين التصوف والتشيع

ج ٢ ص ٦٧ ، ٦٨ .

(٢) إرشاد الفحول في أصول الفقه للشوكاني ص ٢٣٤—٢٣٦ ، قطر الولي :

في (حماية العلماء العاملين للأمة من التقليد) .

هؤلاء في بدوهم التي خرجوا علينا بها ، متأثرون بعناصر دخيلة على الإسلام ، وهو ما يقول به ابن تيمية ولا ينكره . فهو يرى أن في لبد الصوفية تقليد مسيحي (وهدى نبينا أحب إلينا ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبي لتظن وغره) كذلك يعتبرون على حساسية الخوف الزائدة عند البعض بين الذين كانوا يصنعون عند سماع القرآن ، ويقول : « ولم يكن في الصحابة من سجد له ، غدا ظهر ذلك أنكروه طائفة من الصحابة والتابعين » لأن الأهل التي كانت في الصحابة هي المذكورة في القرآن ، وهي لا تزيد على جبل القلوب ^(١) « ودموعهم » ، « وافشع رار الجلد » (الله نزل أحسن الحديث كتابا يشابهها ثاني ، فشعر منه جهلوا الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم ولوبهم إلى ذكر الله) .
فإنهم على مظاهر التأثير التي مدتها القرآن الكريم ، وهي من تأثير طبيعي ناتج من الشعور النفسي حقيقة ، وما بعد ذلك فهو تزيين متدل لا صلة له بالكتاب ، ولذلك قال عنه أحد التابعين : « ما بيننا وبين هؤلاء الذين يصنعون عند سماع القرآن إلا أن يقرأ على أحدهم وهو على حائط ، فإن خر فهو صادق » ^(٢) .

ويقف نفس هذا الموقف ، من حال الذكر التي يدعونها ويسندل لذلك بحال النبي صلى الله عليه وسلم « فإنه أمرى به إلى المسجدين القوس ، وروج به إلى السماء ، وأراه الله ما أراه ، وأصعب كباث لم يفهر عليه حاله » ^(٣) .

ويمكن أن تدبى مدى خروج هؤلاء التصرفية — وخاصة أليانهم — على الكتب والسنة من أقوالهم التي يفتونها لمزيدهم كوصف وإرشاد إلى طريق

(١) ينظر سورة الأنفال آية : ٢ .

(٢) سورة الإسراء آية : ١٠٩ .

(٣) ينظر رسالة : « الصوفية والنقراء لابن تيمية » ص ٤ — ٦ .

(٤) نفس المصدر ص ٩ — ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ .

الله كما يرون ، فهذا إبراهيم بن أدهم يعلن أنه قد تعلم المعرفة من أحد الرهبان ، و بروى قصته في ذلك أنه دخل على ذلك الراهب صومعته وسأله عن طعامه ، فقال له في كل ليلة (حصية) فقال له : « فما الذي يهيج من قلبك حتى تسكن بك هذه (الحصية) ؟ . قال ترى الذين بهذائك (يظهر أنه يريد : الاثكة) قلت : نعم . قال : إنهم يأتونني في كل سنة يوماً واحداً ، فيزينون صومعتي ، ويملأون حورلها يعظمونني بذلك ، وكلما تماقلت نفسي هن العبادة ذكرتها تلك الساهرة ، فأنا أحتمل جهد سنة لمن ساعة . . . فوق في قلبي المعرفة »^(١) . فقد ذكرت في قلبه المعرفة لسكنه لم يهدئها ما يريد به تلك المعرفة ، وهي ليست في الواقع إلا ما نامسه من سياق القصة ، وهي التجرد الكمال للعبادة والعزلة ، والإقلال من الطعام على ما يفعل ذلك الراهب ، لكي يحوز ذلك الرضا الذي وصل إليه هذا الراهب . فهذا منه دعوة إلى سلوك هذا الطريق واجتناب طريق القرآن .

وأبو يزيد البسطامي قد أعلن إسقاط النكاليف الشرعية عن طريق نداءه بمذهب وحدة الوجود ، وتبين هذا منه في نقده عن (القطب) لما فيه في طريقه إلى الحليج وأمره أن يعود قائلاً له : « إن الله هو ما تراه في بعين قلبك ، لأنه اختارني بيتاً له ، فإذا رأيته فقد رأيته ، وطفقت حول الكعبة ، وإذا هبتني فقد هبته وصيحت له . فلا تضل أني شيء غيره » ورحم أبو يزيد من طريقه ولم يهيج^(٢) . وبهذا يمكن أن نلاحظ بطوائف الباطنية الذين أسقطوا النكاليف ، وأباحوا المحرمات^(٣) ، أو المحظوم به .

(١) تلبيس إبليس ص ١٤٨ .

(٢) نيكولسون : في النصوص الإلامى وتاريخه ص ١٥٧ نقلاً عن المنشوى

لجلال الدين الرومي (طبعة بولاق ص ٥٩ ج ١)

(٣) أظن نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

وقد قال نيكولسون في شأنه : « إنه هو الذي أدخل في التصوف الإسلام
فكرة وحدة الوجود ، « التي كانت ذاتها ذبوعاً عظيماً في أنحاء فارس حتى
زمن الساسانيين »^(١) .

فأين هؤلاء من الكتاب والسنة ؟ وأين مركزهم من الولاية ؟ إن الأليق
بهم أن يكونوا من أولياء الشيطان ، على حد تصانيف ابن تيمية رحمه ، فضلاً
عن أن يتجسروا ويحصروا الولاية في دوائرهم وأصنافهم هم ، أرفق دوائر
الشيعة وأئمتهم . وسيكون الفصل التالي بمثابة دليل على ذلك ، إن شاء الله .

(١) في التصوف الإسلامي وتاريخه ص ٢٣، ٢٤، وقارن السهر رردى : « في
مجموعه في الحكمة الإلهية » ص ٧٤، ٥٠٣، ٥٠٤ .

الفصل الثالث

الطريق إلى ولاية الله

ولاية الله أر حبه لبني الإنسان كما الغاية التي حزننا إليها القوم السكريم والحديث الشريف ، والتي يسمى إليها كل مسلم بحب الله برسوله ^(١) ، ولعلنا قد لاحظنا فيما تقدم أن الخب من معاني الولاية ، فإننا قلنا في هذا التمسك : الطريق إلى ولاية أو إلى حب الله للإسلام ، كان ذلك يعني واحدة وكان ذلك ملتصقا مع الحديث موضع الدراسة ، الذي يصل نهاية الطريق الذي رسمه لملوك الأولياء وهو حب الله لاربي ^(٢) .

وفي هذا التحديد ، من الشرع السكريم للغاية التي يجب أن يسمى إليها كل مسلم ، وهي « حب الله لربه أو ولايته له » ، وهي إلى جانب هذا التحديد غاية سامية وهي أن يحب الله المرء .

وهذا التحديد ، وهذا الجوهر ، لا يفيد هذه التصروفة ، فبالدرجة الأولى ، لا نكاد نجد هذه التصروفة أضافاً على غاية واحدة يسمون إليها ^(٣) ،

(١) ينظر (بحث في وجوب محبة الله) للإمام الزواكاني . مخطوط رقم ٥٩ بحاجيبيع بمكتبة الجامع المقدس ، بمكة .

(٢) وذلك حيث يقول : « وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه » ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه » الخ .

(٣) ينظر المنقذ من الضلال ص ١٣٠ وهناك يذكر الغزالي عدة غايات للوصول لدى المتصوفة ، كل طريق يتجه إلى غاية مخالفة أو يصل إليها ، والغزالي نفسه في وموله متحير بين غايتين مختلفتين لا يدرى ماهو دهنهما ، فحين يذكر الفناء بالسكينة في الله سبحانه وتعالى يذكر أيضاً مشاهدة الذات العلية أو معرفة الله بالشهود واليمان ،

فمنهم من يجعل الغاية من سلوك طريقهم ، هي معرفة الله ، أو معرفة ذاته العلمية إيماناً بالبرهان ، وذلك للملادين ، وأما بالشهود والميامن وهذا للواعظين^(١) . ومنهم من يجعلها معرفة النفوس والقلوب والأزواج ، ويهتدون أنهم في النهاية يصلون بذلك إلى معرفة الله ، مستعينين على الحكمة الميراثية الدخيلة على الإسلام ، من شرف نفسه فقد عرف ربه^(٢) .

وأحياناً يجعلونها الفناء ، كما تقدم ، تزيينهم للولي^(٣) ، وأحياناً يجعلونها الطول أو الاتحاد ، أو وحدة الوجود كما هو معروف عند أصحاب هذه المدارس ، وإن كان الأساس فيها جميعاً هو الفناء^(٤) .

وتقدم عليهم حوزة إلى غاية يشبهونها بذلك الناية التي حدها القرآن والسنة ، وتعلق بها الحديث الذي معنا ، وهي حسب الله للعبد ، فيجعلون غايةهم ومظهر ولايتهم الوصول إلى درجة حسب الولى الصوفي لله ، وهو ما اشتهر في أرساليهم بالحب الإلهي . فهنا يظهر اختلافهم في الناية التي يصل إليها تلك الصوفى .

وأما بالنسبة للأمر الثانى . وهو هدم نحو أى غاية من تلك الغايات فإنما نرى أن في مدارس الطول والاتحاد ووحدة الوجود خروجاً على الدين ، وربما

(١) للدخول إلى التصوف الإسلامى ص ٥٣ ، وينظر أيضاً ص ٢٢ من تكملة الدراسة فهناك غاية إبراهيم بن آدم المعرفة أيضاً .

(٢) تاريخ الفلسفة فى الاسلام (لديبور) ص ٢٧ ، وينظر أيضاً نفس المصدر المتقدم والصفحة ، ورسالة القول الأشبه فى حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه ، ضمن مجموعة رسائل السيوطى ، الصلة بين التصوف والتشيع ص ٦٥ وينظر أن عطاء الله السكندرى وتصوفه ص ١٣٥ - ٢٥٠ .

(٣) راجع هذه الدراسة ص ٧٧ - ٨٩ ، ابن عطاء الله وتصوفه ص ٦٩ - ٢٢٠ .

(٤) فى التصوف الإسلامى ص ١٦٥ - ١٢٩ ، الإنسان عند الغزالى

ص ١٢٩ ، ١٨٠ .

إنكاراً لوجود الله كما في مذهب وحدة الوجود، وقد تقدم لنا الفناء وقوله ابن تيمية فيه . وأما المعرفة والحب الإلهي بالمعنى الصوفي ، فالمفروض كما في القرآن الكريم ، أن هذين بدء الطريق لا نهايته ، فإن للمعرفة خطوة أولى في الإيمان ، فلا إيمان بالله إلا بعد معرفته ، وهي أولى فطري كما يحدثنا القرآن بذلك في عشرات الآيات : « واثن سألتهم من خالق السموات والأرض يقولون خلقهن العزيز العليم »^(١) ، وسألتهم من خلق السموات والأرض يقولون الله ، فإيمان بالله أولاً بالبرهان دعوته الإيمان به على يد محمد (صلى الله عليه وسلم)^(٢) . فالمعرفة هذه انتهى جهدهم الصوفية — ومن هنا نحوم من أنباغ الأفلاطونية المحدثة — في سبيل التمسك عليها — كفاية — وهي خطوة أولى قبل الإيمان ، فلا إيمان إلا بمعرفة ، والإيمان خطوة أولى في سبيل الولاية ، فكل ولي مؤمن ، وليس كل مؤمن ولي ، ومن هنا يتبين لنا أن كثيراً من الصوفية ، قبل سلكهم طريقهم شاكون فهم يبدونه وهم غير مؤمنين بالله سبحانه ، وكذلك ينتهون منه وهم غير مؤمنين إلا بينهم وبين أنفسهم التي خيبت لهم أنهم آمنوا ، إيمان مشاهدة الذات العملية ، أو بالاستدلال على وجودها .

بكذلك الحب الإلهي الذي يتحدثون عنه ، إنما هو حب المخلوق للخالق . ذلك الجو النكفي ، والذي ينزع عن روح غير إسلامية ، أما الحب الذي يؤكده ولاية الشخص فهو حب الخالق للمخلوق والذي لا يصل إليه إلا بعد الإخلاص في أداء العبادات والأعمال ، ولذلك جعله الله رمز الولاية ونهاية الطريق في الحديث موضع الدراسة ، وجعل مظهره تكريم

(١) سورة الزخرف آية : ٩ .

(٢) ينظر سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٤٦ في إسلام أبي سفيان .

العبد أيما تكريم وجعل (الحب الإلهي لدى الصوفية) بدم الطريق ووضع الاختيار في الآية السكرية : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله »^(١) هذا إذا اعتبرناه حباً لله ، وإلا فهو في الواقع مظهر جذب غير إسلامي ، فقد شملت الآية السكرية بدم الطريق إلى الله ثم الطريق نفسه ثم نهايته ، وهي حب الله للإنسان^(٢) ، ولستكنهم لم يروا في الحب الإلهي إلا حب الخلق للخالق وهذا الحد وقفوا ، رغم أن الآية والحديث يعلقان بحب الله لعباده ، ولستكنهم ينكرون أن الله يحب ، كما ينكرون في الواقع أنه يُسبِّح^(٣) .

وإذا كانوا قد هضموا نظريتهم في هذا الحب بما جاء في الحديث « حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الخ » فإنهم فسروا الحديث على غير وجهه ، وجعلوه حجة لهم على مذهبهم في الفناء^(٤) ، وبذلك أن يكون الله سمع العبد

(١) سورة آل عمران ، آية : ٣١ .

(٢) فأول الطريق حب العبد لله ، والطريق نفسه هو اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونهايته أو غايته ونتيجته حب الله للإنسان .

(٣) الرسالة القشيرية ص ١٤٣ — ١٤٥ ، ولللمع للسراج ص ٨٦ . والأصل في إنكارهم أن الله يحب عباده كما يحبونه ، أنهم تأثروا بالمتكلمين من القدرية في جعلهم المحبة والارادة والرضا شيئاً واحداً ، وأن ذلك الشيء لا يتعلق إلا بعمدوم ، فلا يثبتون لله سبحانه إلا إرادته أن يخلق فقط ، وهي لا تتعلق إلا بعمدوم فاما أن يحب موجوداً من خلقه فهذا باطل عندهم . البهوات لابن تيمية ص ٦٦ ، والشفقة العراقيه لابن تيمية أيضاً ص ٥١ — ٥٥ .

(٤) وذلك كما قال أبو القاسم القشيري : « والمحبة توجب انتفاء المباينة فإن المحب أبدأ مع محبوبه ، وبذلك ورد الخبر » ص ١٤٨ رسالة القشيرية : وكما ينقل السراج عن الجنيد في رأيه عن الحب الإلهي « دخول صفات المحبوب على البذل من صفات المحب ، فهذا على معنى قوله : حتى أحبه فإن أحببته كنت الخ » ص ٨٨ =

ربهم ، بعد تفرقه إليه بالفرائض والنوائل كمظهر لحب الله للإنسان ، وسأله
الله سمع العبد وبصره كمظهر لحب الإنسان لله ، وانتهائه فيه إلى درجة السامع
والبصير ، واكتفائه بذلك من العمل على الوصول إلى درجة حب الله له (١) .
ويلاحظ أن هذا التكرار لا يكون للإنسان إلا إذا برهن على حبه لله ، بالمثل
اتباع سبيل المؤمنين ، فقد حرصوا أنفسهم من ذلك التكرار الذي كرم
الله به الإنسان ، ووقفوا دون الطريق للوصول إلى هذا التكرار ، ومن هنا
كان السمو في الوصول إلى درجة حب الله للإنسان ، الذي لا بد أنيه لحب
المصوف في التخلي من جانب الإيمان لله ، كما نلاحظ بذلك الآية التكرارية حبة
على هذا الدعاء أو التخلي « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » .
فالصوفية في حالة (المعرفة) وحالة (الحب الإلهي) قد انتهوا حيث يجب
البدء ، ومن هنا كان يذهب عن طرق الله ، وإذا كان هذا شأن المصوفة ،
في هذين الأمرين ، المتبولين — بعبارة — فهم في باقي الغايات للتربية
للمتدعة ، أكثر بعداً عن طريق الله .

وبقدر اختلاف غايات هؤلاء الصوفية من غاية الإسلام ، اختلف طريقهم
أيضاً عن طريق الله ، وأصبحت طريقهم ، لا تنم عن الإسلام في شيء ، وإنما
نتم عن المبادئ الأجنبية والنظريات التخيلية التي توجهها ، ولذلك فمن رأينا
الإمام الشوكاني يرسم الطريق إلى الله على غير ما يرسومه وحسب ما جاء
في هذا الحديث باختصار ، بحسب ما ورد به الشرع التوهم بالتفصيل ،

فهنا الحب من جانب العبد . يصل إلى السماء فيحسب بأنه لا شيء ، وأن
الله هو ، ومن هنا جاء مذهبهم في الملوك والآنحدر . فهذا حب الملوك من
أجله الحديث حتى يثبتوا له أملاً إسلامياً ، ولكن شتان بين هذا وذاك ، فهذا
حب الله للإنسان وذاك حب إنساني ، لم يزد على ذلك .

(١) ينظر أيضاً الرسالة القشيرية ص ١٣٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ .

لأنه يفهم الحديث على غير ما يفهمون ، ويرى أن حب الله للإنسان هو أسمى غاية يصل إليها العبد الطائع ، وأسمى مظهر لرضا الله عن الإنسان .

(١) الطريق إلى ولاية الله كما يراه الإمام الشوكاني :

يرى الإمام الشوكاني أن الطريق إلى الولاية ، يتلخص في ثلاث شعب ، الشعبة الأولى : هي الإيمان « بالله كما ندب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، والشعبة الثانية : هي أداء الفرائض واجتناب النواهي . والثالثة : فعل النوافل ، والاستسكات من غيرها .

الإيمان بالله :

ويقول هذه الشوكاني : إنه « الباب الأعظم للدخول إلى سوح الولاية » ، وإنه هو الذي يحدد درجة الولي من الولاية ، وحظه من العمل والثواب ، لأن الأسمى كما يقول إنه : « من لارم الإيمان القوي العمل السوي » .

وفي إشارته إلى أن الإيمان يجب أن يكون على الكيفية التي ندب إليها رسول الله ﷺ ، أن يكون إيماناً بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والقدر خيره وشره^(١) . ويرى أن أصعب هذه الخصال الإيمان بالقدر ، لأنه إذا حصل الإنسان على الوجه المقدر ، هانت عليه جميع الأمور^(٢) . وأن إيمان الشخص يتأثر بين القوة والضعف بدرجة إيمانه ، بالقضاء والقدر^(٣) .

(١) يشير بذلك إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خير وشره » .

(٢) قطر الولي في : (شخصية الولي) .

(٣) قطر الولي في : (الإيمان بالقدر وخاصة المؤمنين) ، (فوائد الإيمان بالقدر) ، (الإيمان بالقضاء ، والاستعاذة من سوءه) .

ويضيف الإمام الشوكاني إلى شعبة الإيمان درجة الإحسان ، وذلك حيث
 جمع الرسول ﷺ الحديث بين الإيمان والإسلام والإحسان ^(١) ، لأن
 من بلغ هذه الدرجة كان له الذروة العليا من الإيمان ، فمن يعبد الله كأنه
 يراه ، فإن لم يكن يراه ، فإنه يراه ، كان في الرتبة الأولى من النصيب بوجود
 الله ، وكان له غاية الإخلاص والانصراف إلى الله بالكلية ، وكأنه هو الذي
 أحبه الله فصار سمعه وبصره ويده فلا يفل إلا خيراً ، ولهذا كان من أولياء
 الله عز وجل الراسخين في الولاية ، والذين آذن الله سبحانه من عاداهم
 بالحرب ^(٢) .

ومن أعظم محصلات مقام الإحسان : كما يقول الإمام الشوكاني : الخشوع
 والخوف والخشية من الله عز وجل ، كما قال الله سبحانه : (ولين خاف مقام
 ربه جنتان ^(٣)) . وكما جاء في الحديث « سبعة يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل
 إلا ظله » وفيهم : « ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف
 الله تعالى » .

كذلك من محصلات هذا المقام ، الزهد في الدنيا ^(٤) ، في ضوء التشريعات
 الإسلامية ، والرفق ، والأناة والحلم ، وحسن الخلق وطلاقة الوجه ،
 وإنشاء السلام .

(١) ينظر صحيح مسلم ص ٣٠ كتاب الإيمان .

(٢) قطر الولي في (الإيمان والاحسان ولن يجتمعان) ، (الدعاء أعظم
 مظاهر الولاية) .

(٣) سورة الرحمن آية : ٤٦ .

(٤) وقد قيده ابن تيمية باسم : الزهد المشروع ، وعرفه : بأنه ترك ما لا
 ينفع في الدار الآخرة . مجموعة الرسائل والمسائل ج ١ ص ٢٢٠ .

كذلك من محصلات هذا اللقار ، المداومة على العمل الصالح ، ويستدل على كل ذلك بالأحاديث الثمينة والآيات القرآنية التي وردت فيها ^(١) .

(ب) أداء الفرائض :

وهي كما جاء في الحديث : — « ما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه » — أحب الفرائض إلى الله ، لأن في أدائها اشتغالاً للأمر ، وهو مظهر الطاعة ، وإظهار للنسبة العبدية وعظمة الربوبية ، ولا ينافي أنها أعظم تقربات إلى الله إن الله يحب للمتقرب بالنائلة ، بل من تقرب بها بعد أداء الفرض ، كان ذلك دليلاً على روح الإخلاص في الاشتغال لأداء الفرض ، فالنوافل وأدائها بعد الفرائض ، كالدليل على إحسان أداء الفرائض ، وحسن قبولها من الله سبحانه ^(٢) .

ومن هنا ، فليس أداء الفرض مسقطاً للمعصية فقط ، دون ترتيب ثوابها ، كما يتبادر إلى بعض الأذهان ، وإنما إذا أدى الفرض بروح الإخلاص ، كان له من الثواب إلى جانب النجاة من العقاب ، ما يتكافأ مع نية الأداء وروحه ^(٣) :

وقد ذهب الإمام الشوكاني إلى أن هذه الفرائض ، منها ما هي ظاهرة ومنها ما هي باطنة وهي محاربة للاعتقادات الباطلة ، وأن أداء الباطنة ، والامتنال لأمر الله فيها لا يقل ضرورته عن أداء الظاهرة ، بل إن أثر الباطنة في حياة الإنسان يكاد يكون أبعد أثراً من الظاهرة ، كما قال أحد وثني الهند

(١) ينظر قطر الولي في مقام الاحسان ولما يكون؟ ، (مقام الولي وإجابة الدعاء) .

(٢) نفس المصدر في (محبة الله بين أداء الفرض والنفل) .

(٣) نفس المصدر في (ليست الادامة شرطاً في القرب) .

بعد إسلامه : « جاهدت نفسي في كسر الوثن الذي أعبدته ليلة فغلبيتها وكسرتة ، وأنا في جهاد لها نحو عشرين سنة ، كسر الأصنام الباطنة فلم أقدر عليها ، ولا نفع جهادي لها أبداً »^(١) . فإن الرجل قد يؤمن بالله ، وملائكته وكتبه ورسله ، والقدر خيره وشره وهو مشتعل على شيء من هذه المعاصي الباطنة^(٢) مثل الحسد والعجب ، والكبر ، والرياء الخ .

١ — الفرائض الظاهرة :

والفرائض الظاهرة ليست فقط هي الخمس التي اشتمل عليها حديث حديث بنى الإسلام^(٣) على خمس ، واشتهرت بأنها هي أركان الإسلام بل هي كنزها جيداً يصعب حصرها ، و« مسر الإحاطة بها . » ناهيك أن رأس الفرائض الظاهرة « الجهاد » وليس من جملة الخمس التي اشتمل عليها حديث الإسلام ، وهي « معرفة لكل ذي علم وفهم » . ولذلك أثر الإمام الشوكاني عنهم ذكرها ، تفادياً للإحاطة^(٤) .

ولم ينته أن يلحق بذلك الفرائض الظاهرة ، ترك المعاصي ، فيجعل ترك المعاصي من أعظم فرائض الله ، وينكر أنه لا خلاف في أن الله افترض على المباد ترك كل معصية كائنة ما كانت ، « فكان ترك المعاصي من هذه الحيثية ، داخل تحت عموم قوله : « وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه »^(٥) .

(١) قطار التولي في (طهارة الباطن ، وأثرها في مركز الإنسان من الولاية) .

(٢) نفس المصدر .

(٣) ينظر صحيح البخاري ص ٩ .

(٤) نفس المصدر في : (الطريق إلى طهارة الباطن) .

(٥) نفس المصدر في (من أدام الفرائض وترك المعاصي) .

٢ — الفرائض الباطنة :

١ — إخلاص النية في أداء الأعمال ، وقد جعلها الشوكاني عمدة الأعمال التي تقرتب عليها صحتها أو فسادها ، والمرجع في ذلك هو حديث : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » وغيره من آيات القرآنية ، والأحاديث النبوية التي تمحض على الإخلاص ، وتنتهي عن الرياء ^(١) .

٢ — البعد عن سوء الظن غير المشروع ، وهن الحسد ، والتباغض ، والتدابير ، وبالإجمال كل ما جاء في الحديث . « إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث » ^(٢) إلى آخر ما نهى عنه من المعاصي الباطنة .

٣ — البعد عن الكبر والعجب « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات وهو يرى من الكبر دخل الجنة » . « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر » ^(٣) .

٤ — الصدق والبعد عن النفاق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان له وجهان في الدنيا ، كان له يوم القيامة لسانان من نار » ^(٤) .

٥ — الأمانة والبعد عن الخيانة ، فقد وردت الأحاديث بأنها من خصال النفاق ^(٥) .

(١) نفس المصدر في : (الطريق إلى طهارة الباطن) .

(٢) وإكاله : « ولا تجسسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا كما أمركم ، المسلم أخو المسلم : لا يظلمه ، ولا يحره » قطار الولى في : (الطريق إلى طهارة الباطن) .

(٣) قطار الولى في : (نفس العنوان المتقدم) .

(٤) نفس المصدر .

(٥) نفس المصدر .

٦ — الحجة ، والبغض ، والكراهة : فيجب الخير ولا يجب إلا الله
ولا يبغض الشر ولا يبغض إلا الله ^(١) .

٧ — الطيرة ، فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنها شرك ^(٢) .

٨ — الذنوب ، وهي أشهر من أن يستدل عليها ^(٣) .

٩ — الخشية والخوف من الله عز وجل ^(٤) .

١٠ — حسن الظن بالله ، وعدم الارتكان إلى طول الأمل ^(٥) .

١١ — الصبر « وقد ورد مدحه ، وكون الله مع الصابرين وما لهم من
الأجر العظيم في الكتاب والسنة » ^(٦) .

ويقتسم هذه المجموعة من الفرائض الباطنة بقوله : « وبالجملة ثمانية
الفرائض الباطنة ، والمحرمات الباطنة التي تركها من الفرائض يطول جداً ،
فلنقتصر على هذا المقدار » ^(٧) .

(ح) التقرب بالنوافل :

والنوافل عامة ، شاملة لجميع أجناس الطاعات من صلاة وصيام وزكاة
وحج . الخ كل ما ندب الله سبحانه إليه من غير إيجاب أو فرض ^(٨) .

وباستعراضنا للنوافل التي يذكرها الشوكاني يتبين لنا أن ظاهر الشرع

(١) نفس المصدر . (٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر والصفحة . (٥) نفس المصدر .

(٦) نفس المصدر والصفحة . (٧) نفس المصدر .

(٨) نفس المصدر في : (التقرب بالنوافل) .

الإسلامي على حد تعبير الصوفية — كفيل وحده بأن ينتج الولي الذي يباهي
بأنه الله سبحانه ملائكته ، فضلائه أن يسلك الإنسان في رتبة الملائكية كما هو
مطمعون من رياضاتهم وطرقهم ومجاهداتهم التي يسمونها علم الباطن .

١ — من نوافل الصلاة :

يذكر منها رواتب الفرائض الخمس كما هي مبرورة في مواضعها ، ويستشهد
على فضيلة كل راتبة والترغيب فيها بما شاء له الاستشهاد من الأحاديث
الشريفة ، ثم كذلك يذكر صلاة الليل مع الوتر ، ثم صلاة الضحى ، ثم تيمية
المسجد ، ثم الصلاة عقب الوضوء ، ويشير إلى أن الباب مفتوح أمام من يريد
التمتع بنوافل الصلاة في جميع الأوقات ماعدا أوقات الكراهة ^(١) .

٢ — من نوافل الصيام :

يذكر أن من تلك النوافل المؤكدة ، صيام شهر (المحرم) ، ويوم
عاشوراء ، وست من شوال ، كما ثبت في الحديث : « من صام رمضان وأتبعه
ستاً من شوال ، فسكأنما صام الدهر » وكذلك صوم شهر ذي الحجة ،
وأفضلها يوم عرفة ، وكذلك صوم شعبان وهذه هي المؤكدة من الصيام .
وبقية الأيام محل قبول من الله سبحانه بصيامها ، ماعدا الأيام المنهية عن
صيامها كأيام الأعياد ، وكما قال : يكفي في مشروعية مطلق التنقل بالصيام
حديث : « الصوم لي وأنا أجزى به » ^(٢) .

ثم يذكر بعد ذلك من النوافل التي قال الحديث عنها : « وما يزال عبدي

(١) قطر الولي في : (من نوافل الصلاة) .

(٢) نفس المصدر في : (من نوافل الصيام) .

يتقرب إلى النوافل حتى أحبه ، والى أثرت من الرسول صلى الله عليه وسلم وحض هليها ، نوافل الحج ، ونوافل الصدقة ، ونوافل الأذكار ، ثم يبين أن أفضل الذكر^(١) ، ما كان في دعاء الرب عز وجل لقوله تعالى : (اذهبوا فأنتم تكسروا) ، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين^(٢) . ويبين أن هناك أذكاراً مخصوصة بأوقات معينة وحالات خاصة وفوائد تلك الأذكار ، ويبين أن أفضلها هو كلمة التوحيد^(٣) ويضيف إلى تلك النوافل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضيلتها^(٤) ، ثم التسبيح وفوائده ، ثم الأدعية التي أثرت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم الأدعية التي أثرت عن الصحابة والصلاة ، وعند الأذان والإقامة ودخول المسجد إلى آخر ما هنالك من أذعية في الصلاة والصيام والحج والجهاد والسفر وغيرها^(٥) .

هذا هو الطريق إلى الولاية أو هذه هي مماله كما خطه لنا القرآن والسنة ، وهو الذي ينتج الشخص المحبوب لله سبحانه ، ونرى أنه رياضة أو مدرسة قد أعدها الإسلام تخرج فيها الإنسان ، وقد صقل خلقه وسمت نفسه ، وأصبح شخصاً صالحاً لنفسه ولوطنه ولدينه . ولننظر طريق الصوفية بقدر ماتسبح لنا هذه المقدمة .

(١) قارن هذا بما يراه ابن باديس في الذكر ، وأن أفضلها هو تلاوة القرآن الكريم . الأستاذ الدكتور محمود قاسم في كتابه « الإمام عبد الحميد بن باديس » ص ١٢٢ .

(٢) سورة غافر آية : ٦٠ .

(٣) المصدر المتقدم في : (أذكار التوحيد) .

(٤) نفس المصدر في : (الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضاها) .

(٥) نفس المصدر في : (التسبيح وفوائده — الأدعية داخل الصلاة) .

الرب (ب) الطريق إلى الله كما براه الصوفية :

لعلنا لا نحمد كثيراً هن الصواب إذا قلنا إن الطريق إلى الله كما أشار إليه الإمام الشوكاني ، من شأنه أن ينتج الشخص المحبوب لله والمفيد للمجتمع في الوقت ذاته ، وأن طريق الصوفية من شأنه أن ينتج الشخص المعبد لله ، وعن المجتمع في كثير من الحالات ، وذلك لما اشتمل عليه كلا الفريقين ، من أمور تفرق في غايتها ، كما اختلفت تلك الأمور نفسها في كلا الفريقين — في طبيعتها ، كما يجدر بنا أن نلجأ إلى أن هذا الطريق الإسلامي الذي أشار إليه الإمام الشوكاني ، ليس من المعتمدين المروءة من أوله إلى آخره لكي يكون للإنسان ولياً ، وإنما يكفي أن يؤدي ما يستطيع منه ، — ولو قل — بروح الإخلاص ، ليصل إلى درجة الولاية أو حب الله ، فمن الممكن أن يحبه الله ، وهو في أول هذا الطريق أو بعد أداء بعضه ، ثم لا يمنعه ذلك الحب من الاستمرار في تلك الطاعات والإكثار منها ، وهذا علامة ولايته ودليل استمرارها^(١) . نظريتي الإسلام ليس طريقاً آلياً ، مؤقتاً بوقت ولا محدوداً بحكم ، كطريق الصوفية ، وإنما يمكن للإنسان أن يكون حبيباً لله ، إذا آمن وأخلص النية بعد قليل من العمل ، وبعد قليل من الوقت . أما الصوفية فتطويعهم آلياً شكلياً ، خال في الأغلب الأعم من روح الإخلاص ، يؤمن بالكسب لا بالكيف ، فمنهم من لا بد من أن يمر المرشد بكذا وكذا وكذا حتى يصل ، وعندهم طريق له أول وله وسط وله آخر^(٢) ، أما طريق الإسلام ،

(١) قطر الولي : في (ليست المداومة شرطاً في القرب) ، (مقام المحبة وإجابة الدعاء) ، (ضلال المدعين لرفع التكليف) .

(٢) ينظر المتقدم من الضلال للغزالي ص ١٣١ . والإشارات لابن سينا قسمي ٤٠٠ ص ٨٠ النقط التاسع .

فنتسطيع أن نقول إن له أولاً وليس له آخر ، ففى وجدت روح الإخلاص .
فى العمل فقد وجد حب الله وولاية الشخص لله سبحانه . ومن هنا كانت
طريق الإسلام خالياً من روح العنينة والترويض والتكاف ، وكان طريق
الكثيرين من الصوفية فيه صنعة ورياضة وتكاف .

وطريق هؤلاء المتصوفة يجمع إلى جانب كثير مما قدمه (الشوكاني)
أساليبهم التى اختصوها بها وابتدعوها ، طبقاً لما تأثروا به من ثقافات أجنبية
من الدين الإسلامى ، وقد مر بنا قول إبراهيم بن أدهم ، إنه تعلم المعرفة من
راهب يقال له سيمان ^(١) .

وإن سينا يرى أن الصوفى يمكن أن يمر بثلاثة أسماء حسب تحفة بثلاث
صفات ، كل صفة تقابل اسماً : (فلزاهد) : هو « المعرض عن متاع الدنيا
وطيباتها » . (والمابذ) هو « المواظب على فعل العبادات من القيام ، الصيام
ونحوهما » . (والمعارف) هو « المنصرف بفكره إلى قدم الجبروت مستهياً
لشروق نور الحق فى سره » . « وقد يتركب بعض هذه مع بعض ^(٢) » .
وأرق هذه الثلاثة هو المعارف ، وهو الذى يتسامى فى عبادته وزهده لأنه سما
بنفسه وبفكره إلى مشاهدة نور الحق والانصراف إليه عن كل شيء فغيره ،
« فلزهد عند غير المعارف معاملة ما ، كأنه يشتري بمناخ الدنيا بمناخ الآخرة ،
وهذه المعارف تنزه ما عما يشغل سره عن الحق ، وتكبيره إلى كل شيء غير
الحق » . « والعبادة عند غير المعارف معاملة ما ، كأنه يعمل فى الدنيا لأجرة .
يأخذها فى الآخرة هى الأجر والثواب » .

(١) ينظر ص ١٤٠ من تلبس إبليس .

(٢) الإشارات والتبسيات قسماً ٣ ، ٤ ص ٨٠٠ النمط التاسع .

« وعند المعارف رياضة ما ، لعمري ، وقوى نفسه المتوهمة والمختلة ليجرهما
بالتهويد عن جناب القرور ، إلى جناب الحق ، فتصير مسألة السر الباطن
حينها يستجلى الحق لا تنازعه » .

« فيخلص السر إلى الشروق الساطع ، ويصير ذلك ملمسة مستقرة ، كما
شاء السر ، اطلع إلى نور الحق غير مزاحم من المهم بل مع تشجيع منه الله ،
فيكون منخرطاً بكلية في سلك أسرار القدس » (١) .

وقد أشار إلى نحو من هذا في رسالة له صغيرة ، وهي السمة (برسالة
الزيارة) (٢) .

وفي أغلب الظن أنهم لم يتمسكوا بأداء العبادات من صلاة وصيام »

(١) نفس المرجع ص ٨٠٢، ٨٠١ . ونلاحظ أن في عدم التنظر إلى جزاء على
العبادة تأكيد لفكرة « أنهم لا يسلكون طريقهم ، إلا للوصول إلى الإيمان أو
معرفة الله سبحانه » وأن هذا هو مطهر شكهم ، فلهذا عندهم ، ليست لطلب
الثواب ، وإنما هي للوصول إلى مرحلة التأكد من وجود الله ، ثم بعد ذلك
يسكنهم هذا التأكد ، وهذه المشاهدة ، ولكن هذا غير ما جاء به الدين ، فإن
الله ما طلب عملاً ، إلا بعد الإيمان وعند عاينه بالثواب ، وآمن به من العقاب ،
وفي الواقع ، أن الخوف ، والرجاء ، هما مطهر الإيمان بوجود الله ، فإذا لم يتجه
العمل إلى الرغبة في الجنة ، أو النجاة من النار لم يدل على اعتناق بوجود الله ،
وكان عملاً متجهاً إلى غير الله ، فإما إلى قصد منفعة خاصة ، وإما إلى الاستمانة
به على سلوك طريق التصوف ، كما هو قصد مطهرهم . يروي ابن تيمية : « قال
بعضهم : من عبد الله بالحب وحده ، فهو زنديق ، ومن عبد الله بالخوف وحده ، فهو
خارجي ، ومن عبده بالرجاء وحده ، فهو مرجي ، ومن عبده بالحب ، والخوف ،
والرجاء ، فهو مؤمن موحد » . التحفة العراقية في الأعمال القلبية ص ٦١، ٦٠ .

(٢) مخطوطة بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة رقم (٢٦٩٤ و) .

إلا للمريدين فقط ، لأنهم لا يزالون دون الوصول^(١) ، وربما كانت تلك
المبادات البدنية ، هي النصف الأول من اجتياز الطريق ، وبمده ينتقل
المريد إلى مقامات أخرى ، مثل التوبة والصبر والشكر والخوف والرجاء الخ .
على ما يوصي به تقسيم كتاب الإحياء الإمام الغزالي^(٢) ، فقد جعل النصف
الأول للمبادات أو للفرائض والنوافل التي أشار إليها الإمام الشوكاني ،
والنصف الثاني لبيان طريق الصوفية في إتمام السكال الروحي للنفس الإنسانية .

وفي هذه المرحلة الثانية التي يمر السالك فيها بالمقامات ، ربما يكتفي بذلك
للمريضة التي يسمونها روحية ، وربما يقتصر على الفرائض إلى جانب ذلك
ويترك النوافل كما أوصى بذلك الإمام الغزالي^(٣) .

ونضع في اعتبارنا ، ونحن نلتفت مع هؤلاء تبيين معالم طريقهم أنهم
شاكون متحسسون للإيمان باحثون عن الله ، فطريقهم ليس مؤسسا على
الإيمان ، وإنما هو ينتهي من الشك ، ويحاول أن ينتهي بالإيمان .

تبيين هذا في غابتهم المثلى من التصوف ، وهي مشاهدة الحق سبحانه
والإتصال به ، والاطلاع على أسرارهِ ، فكأنهم لا يقتنعون بالإيمان ، إلا إذا
كان هن مشاهدة ورؤية ، تبيح بهذا أقوالهم في مقامات التصوف وأحواله ،
وقد صرنا من هذه الأقوال ما يمكن أن نرى فيه ذلك ، من مثل قول إبراهيم

(١) ينظر السهروردي الحلي في مجموعة في الحكمة الإلهية ص ١١٤ ونفس
هذا أيضاً في قول أبي سليمان الداراني : أن الله يفتح للعارف ، وهو على فراشه ،
مالا يفتح لغيره وهو قائم يصلي . أنظر أيضاً قطر الولي في العناوين السابقة .

(٢) إحياء علوم الدين ج ٢ ص ١٩ ، ٢٠ كيمياء السعادة ص — ٩٠ .

(٣) قارن : في التصوف الإسلامي وتاريخه ص ٦٠ — ٦٢ .

ابن آدم وابن مينا وغيرهم^(١) كما أنه سيستقبلنا من هذا ما يمكن أن نؤكد به هذه الفكرة .

ويكفي أن ننظر في أصول طريقتهم من الزهد والعزلة والذكر أو العبادة أو الرياضة ، فس نجد الغاية منها هي الوصول إلى الإيمان القائم على المشاهدة والكشف ، لا الخوف من الله ، ولا الرغبة في جنته ، وقد مر بنا قول ابن عربي في تعريف الأولياء ، بأنهم الذين آمنوا بالإيمان اليقيني ، وكانوا يتقون سبب صفات النفس وموانع الكشف^(٢) .

أما العبادات والطاعات في الدين الإسلامي ، فهي الفروع بعد الأصل الذي هو الشهادتان ، وقد طلبت هذه العبادات من العبد ، لمنافع دنيوية وأخروية ، وليست لرؤية الله في الدنيا ، كما هو هدف الصوفية ، كما أنها لا اعتبار لها ، إلا بعد الإيمان القائم على التصديق ، والاعتقاد ، لا المشاهدة .

وهذا هو الفارق الأكبر بين طريق الصوفية وطريق الشرع الكريم ، فقد رأينا كما رسمه الشوكاني يبتدىء بالإيمان ، ومن هنا كان تمسك أهل السنة بالتكاليف الشرعية ويهتدي الكتاب والسنة ، وتذبذب الصوفية بين تلك التكاليف ، وبين الابتداعات التي ابتدعوها ، وسواء أجمعوا نهاية طريقتهم ، الفناء أم المعرفة ، أم حبهم لله أم المشاهدة أم الطلوع أم الاتحاد ،

(١) ويمكن أن نضيف إلى هذا قول أبي حفص : « منذ عرف الله تعالى ، ما دخل قلبي حق ولا باطل » ص ١٤١ القشيرية ، وقول الواسطي : « من عرف الله تعالى ، انقطع ، بل خرس وانقمع » نفس المصدر . وينظر في ذلك أيضاً ، غصن : المعرفة ، الولاية ، التوحيد في القشيرية .

(٢) ص ٨١ من هذه الدراسة .

فإن كل تلك النهايات تتداخل بعضها في بعض أو تلتقي في نقطة واحدة ،
وهي الوصول إلى حضرة الربوبية ، أو مشاهدة الذات ^(١) ، ثم الإيمان بعد
هذا الوصول ، وعلى تلك الحالات .

وهذا هو المسترى يحدد الإيمان ، بأنه « معاينة الغيب وكاشفة اليتيم »
ومشاهدة الرب ^(٢) .

ولننظر في بعض دروب ذلك الطريق ، ومسالمة التي يسلكونها للوصول
إلى هذا الإيمان ، أو ذلك العرفان ، ولن نعرض لها إلا بقدر ما نتبين تعارفهم
في سلوكها .

الزهد :

وهو المظهر العام للتصوف أو لرياضة المتصوفة ، فأبو يزيد البسطامي يقول
إنه وجد المعرفة بالله « ببطن جائع وبدن عار » ^(٣) . وسهل بن عبد الله
النستري كان ينهى عن الأكل الذي يقصد به تقوية البدن ، ويرى أن العجز
عن أداء العبادات لضعف البدن الناشئ عن قلة الأكل أفضل من القدرة على
أدائها مع امتلاء البطن ، وأن صلاة الجائع الذي قد أضعفه الجوع قاعداً ، أفضل

(١) ينظر هذه الدراسة ص ١٣٨ ، والمدخل إلى التصوف الإسلامي ص
٥٣ ، ٦٦ والمقصد من الضلال ص ١٣١ - ١٣٢ ، والإشارات والتنبيهات لابن
سينا قسم ٦٢ : ص ٧٦٢ - ٧٦٥ .

(٢) التصوف طريقاً وتجربة ومذهباً للدكتور محمد كمال جعفر ص ٢٠٧ .

(٣) الرسالة القشيرية ص ١٤ ، نذكر أيضاً بصدد ذلك قول إبراهيم بن أدهم
أن الراهب الذي تعلم منه المعرفة ، لم يكن يتناول في اليوم ، لا حمصة .

من صلاته قائماً^(١) . ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » .

ويعلق ابن الجوزي على ذلك ، بأن الإنسان إذا تقوى على القيام في الصلاة بالطعام ، كأن تناول هذا الطعام عبادة لأنه يعين على العبادة ، « وإذا تجوع إلى أن يهلى قاهداً ، فتد تسبب إلى ترك الفرائض فلم يميز له » ثم يتساءل : « أى قربة في هذا الجوع المعطل أدوات العبادة ؟ »^(٢)

ويعلق على كتاب الحكيم الترمذي الذي سماه (رياضة النفوس) بأنه في هذا الكتاب الذي يأخذ المرید بالشدة والمبالغة في إطالة الصوم ، يقضيه هلى أفراح النفس ، ويمنعها لذتها فتتملى غما^(٣) . وفي ذلك كبتها وتعويتها هن

(١) الإحياء للغزالي ج ٣ ص ٨٧ . في التصوف الإسلامى وتاريخه ص ٥١ :
قارن تلبيس إبليس ص ٢٠٠ .

(٢) المصدر المتقدم ص ٢٠٤ .

(٣) نفس المصدر ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ينظر أيضاً (مجموعة في الحكمة الالهية) للسهم وردى ص ١١٤ فهناك يقول « والصوم وأحسنه ما يؤخر فيه الإفطار إلى السحر لتقع العبادة في الليل على الجوع » فهذا فضلاً عن إرهاق النفس بتأخير الإفطار إلى السحر مخالفة لحديث شريفت صريح في هذا « ما زال أمتى بحجر ما عجلوا الفطر وأخروا السحور » والحديث يرمى من تعجيل الفطر ، إلى إظهار امتثال أوامر الرب ، حيث يتنوع عن الآكل حيث الأمر بالامتناع ، وحيث يبادر إليه حين يرذن له فيه ، ففي هذا تقدير لله ولأمره حق قدره ، كذلك قصد بتأخير السحور معنى صحياً حيوياً ، ففي تأخيره إعطاء فرصة لهضم طعام الإفطار ، ثم إراحة المعدة بعد ذلك ، حيث أنها قد عملت بعد طول راحة وفراغ ، وعدم إرهاق الجسم يتطويل فترة الصيام عليه ، وخاصة إذا كان يقضى نهاره في العمل . وبذلك نرى أن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم هو عين الحكمة ، وكلام الصوفية من أمثال السهرورى ، أبعد ما يكون عن الحكمة والعقل .

النهوض بواجبها الدنيوي والأخروي وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معناه : « نفسك واحملك فارفق بها حتى تبلغ المنزل » .

ويروى ابن الجوزي بهذه المناسبة قوله صلى الله عليه وسلم : « من أصابه جهد في رمضان فلم يفرط فمات دخل النار » ويقول بأن كل رجل هذا الحديث ثقات ، ويورده من طريق آخر أيضا ^(١) تأكيداً لصحته ، وحديثنا آخر بإسناده : « إن الله عز وجل يحب أن يرى آثار نعمته على عبده في ما كله وشربه » ^(٢) .

وهذه الرياضة الزهدية ، تتناول ضمن ما تتناول امتناعهم من أكل اللحوم والحلوى والفواكه ، والماء البارد ، والاكتفاء بخبز الشعير والخبز ، ومن قول بعضهم في ذلك : « أكل درهم من اللحم يقسى القلب أربعين صباحاً » ^(٣) .

فهذا الامتناع عن أكل اللحم إنما هو مذهب البراهمة الذين لا يرون ذبح الحيوان ، وليس من الإسلام في شيء . وأن الله عز وجل أعلم بمصالح الأبدان ، فأباح اللحم لتقويتها « فأكل اللحم يقوى القوة وتركه يضعفها ويسبب الخلق ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم ، يأكل اللحم ويجب الذراع من الشاة » ^(٤) ، « ويأكل الدجاج ويجب الحلوى ويستحب الماء البارد » ^(٥) ، « وكان الحسن البصري يشتري كل يوم لحماً ، وعلى هذا كان المالك » ^(٦) .

(١) نفس المصدر ص ٢٠٥ .

(٢) نفس المصدر ص ٢١٢ = ٢١٣ .

(٣) نفس المصدر ص ٢٠٣ .

(٤) نفس المصدر ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(٥) نفس المصدر ص ٢٤٦ . (٦) نفس المصدر ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

هذا إلى أن منع النفس شهواتها على الإطلاق ضار بالبدن فإن البدن يحتاج في قوامه إلى مختلف أنواع الأغذية : « وقد ركب في الطبع الميل إلى ما تميل إليه النفس وتحتاجه ، فإذا مالت النفس إلى ما يصلحها فتمت ففقد قوبلت حكمة الباري سبحانه وتعالى بردها ، فكان هذا مخالفا للشرع والعقل »^(١) .

هنا أن ذلك النوع من الحرمان والرياضة ، إنما يفرض أكثر ما يفرض على الشباب المرادين والمبتدئين في الطريق ، « ومن أضر الأشياء على الشباب الجوع ، فإن المشايخ يههرون عليه والكهول أيضا » ولكن الشباب لا يههرون على الجوع ، والسبب في ذلك « أن حرارة الشاب شديدة لذلك يحدوه ، ويكثر تحلل بدنه فيحتاج إلى كثرة الطعام ، كما يحتاج السراج الجديد إلى كثرة الزيت . فإذا صابر الشاب الجوع وتثبته في أول الشدود قمع نشوة نفسه ، فكان كمن يعرق أصول الشيطان » إضافة إلى ذلك أن المعدة ، حينها لا تجد غذاء فإنها تنجس إلى « أخذ الفضول المضممة في البدن فتغذيه بالآخلاق فيفسد الذهن والجسم »^(٢) .

وواضح أن هذا أسلوب لا يقره عقل ولا شرع ، بل إن الزهد بهذا المعنى لم يرد في الدين الإسلامي أصلا ، وما ورد في القرآن من لفظ الزهد ، فليس إلا لفظة واحدة ، وجاءت بمعنى عدم الرغبة من جانب القافلة السيارة في إبقاء يوسف عليه السلام على ملكيتهم في قوله تعالى : (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين)^(٣) ، لا بذلك المدلول الاصطلاحي لهذا

(١) نفس المصدر والصفحة . قرن ص ١٤٧ من المصدر المتقدم .

(٢) تلبس إبليس ص ٢٠٧ .

(٣) سورة يوسف آية : ٢٠ .

« الزهد الصوفي »^(١) ، وما جاء من الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية مما يشعر أنه يوحى بهذا المعنى الاصطلاحي الصوفي ، من مثل قوله تعالى : « املحوا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو ، وزينة وتفاخر بينكم ، وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ، ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد » ومفطرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا إلا سماع الغرور^(٢) . أو قوله تعالى : (زين للناس حب الشهوات ، من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك سماع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب »^(٣) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس » فليس المراد منه ذم الدنيا لذاتها ، وإنما إذا تكالب عليها فناس وضبعوا حدود الله ، وجاروا أهل الدين في سبيلها ، ودمواوها من غير علمها بدليل قوله تعالى : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » ؟ والحديث المتقدم : « إن الله يحب أن يرى آثار نعمته على عبده »^(٤) فليس في الإسلام زهد بهذا المعنى الصوفي ، وإنما الزهد المشروع إذا قلنا إن هناك زهد ، هو ترك ما لا ينفع في الدار الآخرة ، « وأما كل ما يستعين به العبد على طاعة الله فليس تركه من الزهد المشروع ، بل ترك الفضول التي تشغل عن طاعة الله ورسوله هو المشروع »^(٥) .

(١) قارن : الصلة بين التصوف والتشيع ج ٧ ص ٧٥٦ .

(٢) سورة الحديد آية : ٣٠ .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٤ .

(٤) ينظر تفسير الإمام الشوكاني ج ٥ ص ١٧٠ ، ١٧١ . تلبيس إبليس

ص ١٤٥ .

(٥) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ج ١ ص ٢٢٠ ، تلبيس إبليس ص

١٤٣ والتحفة العراقية في الأعمال القلبية ص ١٤ .

هلى أن عقيدتهم فى أن الزهد طريق وصول إلى معرفة الله ، أو إلى مشاهدته ليست أصيلة ولا ثابتة ، فإنهم ما لبثوا أن انقلبوا إلى حب الدنيا ولو من خير حلها بعد أن كانوا زاهدين فيها ، ولأرا بطونهم من أصناف الأطعمة إلى حد الإسراف والتخمة ، وأصبحوا بعد القرن الثالث الهجرى أهل دنيا ، وإن ادعوا أنهم أرباب دين ، وأهل شراة وتخمة ، وإن ادعوا أنهم أهل قناعة ورياسة^(١) . وهذا أكبر دليل على أنهم لا يوقنون بأن الزهد والجوع ، طريق إلى المعرفة أو الحب الإلهى ، وإنما هم أمور تأثروا فيها بغيرهم ، من أنما الديانات السابقة^(٢) ، وقلد هم خاطئين ، ثم لم يلتزموا بهذا التلاميذ فى كثير من الأحيان . وما أشبههم فى هذا بمالك الكلبيين من فلاسفة اليونان فى العصر القديم ممن أنوا بعد سقراط ، فقد ادعوا فى أول أمرهم أنهم يسرون على هدى سقراط ، « يؤمنون بأرائه الأخلاقية » وأن الثروة ليست هى التى تحتاج السعادة ، وإنما الفضيلة والقناعة هما اللتان تحتاجان ذلك ، ونصبوا أنفسهم أساتذة للناس ولكنهم ما لبثوا أن اندفعوا فى شهواتهم ، وهتكوا حجاب الحياء « واستحلوا تناول من مال الناس بغير إذن . . . »^(٣) .

الترهب وترك الزواج :

والفسكرة العامة عندهم « أن التجرد عن الأزواج والأولاد ، أعون على الوقت للفقير ، وأجهد لهم ، وألذ لمدسه والتزوج ، انحطاط من العزيمة

(١) تلبس إبليس ص ٢١٤ ، رسالة (الدواء العاقل فى دفع العدو الصائل) للإمام الشوكانى هامش ص ٦٢ ضمن رسالة (شرح الصدور بتحرير رفع القبور) لشوكانى أيضاً .

(٢) فى التصوف الإسلامى وتاريخه ص ٤٧ ، ٢٢٧ .

(٣) جمال الدين الأفغانى . للدكتور محمود قاسم . ص ١٢٠ — ١٢٣ .

إلى الرخص^(١)، ورجوع من التزوج إلى النقص، وتقييد بالأولاد والأزواج، ودوران حول نطاق الازواج، والنفات إلى الدنيا بعد الزهادة^(٢) هكنا يلخص أبو حفص عمر السهروردي رأى الصوفية في الزواج وأنه عائق عن الوصول، ثم يروي لأبي سليمان الداراني رأيه في ذلك ومنه قوله: «ما رأيت أحداً من أصحابنا تزوج فثبت هلى صرته»^(٣).

ويروي السمراني لرياح بن عمرو القيسي قوله: «لا يبلغ الرجل إلى منازل الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة، وأولاده كأنهم أيتام، ويأوى إلى منازل الكلاب»^(٤).

ومرجعنا في إبطال هذا الاتجاه قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل لم يبعثني بالرهبانية»^(٥) وقوله صلى الله عليه وسلم رداً هلى من أرادوا التشديد هل أنفسهم في العبادة وحياء الرهبنة «... أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، لستكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن

(١) ونرى هنا أنهم جعلوا الزواج رخصة مع أنه فى واقعه عزيمة وفرض واجب، وعلى فرض أنه رخصة فالمستحب إتيانه أيضاً دون أن يكون فى ذلك المحطأ، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب أن تؤتى رخصة كذا تؤتى عزائمه».

(٢) عوارف المعارف للسهروردي ص ٨٠، ٨١ من هامش إحياء علوم الدين ج ١.
(٣) نفس المصدر ص ٨١.

(٤) فى التصوف الإسلامى وتاريخه ص ٥٦ عن طبقات السمراني ج ١ ص ٤٠
٥٧ من المصدر الأول، حلية الأولياء ج ٦ ص ١٩٤ طبعة الخانجي الطبعة الأولى وفيها يروى (رياح) هذه العبارة عن مالك بن دينار.
(٥) ابن الجوزى فى تابيس إبليس ص ٢١٣.

رغب عن سنتي فليس مني» (١) .

وهناك أمراض عدة تصيب تارك الزواج ، منها : (المايلخوليا) ، (فقدان الشهية) (٢) ، (سوء الهضم) (٣) الخ .

عندما إلى أن هؤلاء ينحرفون إلى شعبة الصبيان ، والتملؤ بالبرد منهم (٤) .

السماع والفناء :

قد جعل الصوفية . السماع إلى الفناء . والأشعار للمحنة ، والأصوات الموقعة (٥) طريقاً إلى حب الله أو إلى معرفته ، وذلك لما في الفناء والأمان

(١) صفوة صحيح البخاري ج ٢ ص ٢ — ٥ ويعلق على ذلك شارح هذا الحديث « فيفطر لينقوى على الصوم ، وينام لينقوى على القيام ، ويتزوج لإعفاف النفس وتكثير النسل » هامش ص ٥ .

(٢) وينقل ابن الجوزي عن (أبي بكر محمد بن زكريا الرازي) الطبيب المشهور (٨٥٠ — ٩٣٣) أنه يعرف قوماً . لما منعوا أنفسهم من الجماع أصرب من التفلسف بردت أبدانهم وعسرت حركاتهم ، ووقعت عليهم الكتابة بلا سبب وعرضت لهم أعراض المايلخوليا ، وقلت شهواتهم وهضمهم ، قال : ورأيت رجلاً ترك الجماع ، ففقد شهوة الطعام ، وصار إن أكل القليل لم يستمرئ وتقايأه ، فلما عاد إلى عاداته من الجماع سكنت عنه الأعراض سريعاً « تلبس إبليس ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ . وهذا ما يؤيده أيضاً الطب الحديث .

(٣) تلبس إبليس ص ٢٨٥ .

(٤) نفس المصدر ص ٢٨٦ ، لبلى والمجنون في الأدبين العربي والفارسي

ص ١٦٢ ، ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٥) اللمع لأبي نصر السراج ص ٣٤٧ ، الرسالة القشيرية ص ١٥١ ، وعوارف

المعارف ص ١٠٥ — ١٠٩ .

وتنه ليهوا الى الذاص في سرعية الوصول الى الله عن طريق هذا السماع
 وانما به عبادته من العبادات التي تتبع في الطريق الى ولاية الله . فاستلوا
 على سرعته . بل قال تعالى : ^(١) الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
 أولئك الذين هداهم الله ^(٢) فإذا هم على صراط مستقيم
 فما كان السوفية بل كانوا كانوا فيهم أنزلوا
 الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم
 (أنزل أسرار الحديث كتابا باسمها
 ينشرونهم
 شاعة هذا السماع الصوفية
 ما يضمن على مجامع الاجتماع
 غير القرآن وحديث الرسول ﷺ .

أما هؤلاء المتصوفة ، فكان من انقاد عندهم في باب العبادة استماعهم
 للقرآن ، وكان أندرو منه أن يتأثروا اسماءه ، قال الطواصي ، وقد سئل « ما بال
 الإنسان ينصرف هذه سماع غير القرآن ، ولا يجد ذلك في سماع القرآن ، فقال ،
 لأن سماع القرآن صفة لا يمكن أن ينصرف فيه لشيء فليست ، وسماع
 التول ترويح فيصرف فيه » ^(٣)
 ذلك ولا شيا ، ونحوه كان يصاحبه الدف والشبابه وغيرها من أدوات

- (١) سورة الزمر آية : ١٨ .
- (٢) التحفة العراقية في الأعمال القلبية لابن تيمية ص ٨٥ .
- (٣) سورة الزمر آية ٢٣ ، ويشتر رسالة الصوفية والقرآن لابن تيمية ص ٦ .
- (٤) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ص ٣٨ ، ٣٩ ، ١٠ .
- (٥) رسالة القشيرية ص ١٥٥ . والترويح هو إثارة النفس من جميع
 نواحي الإحساس فيها ، وجعلها في موقف الحيرة والدهش .

الطرب ، فتأثرهم وتحرّكهم في الحقيقة ، إما هو للمعن : النعمة الموسمية ،
التي كان يختارها للوقع ، حسب مدى نفوس المستمعين وحسب ما يريد ، من
نوع الإثارة .

ومن هذا النابيس ، أنهم استدلوا ، باستماع الرسول ﷺ لشعر كعب
ابن زهير وحسان وغيرهم في الأحوال السادية ، لا في حال العبادة ، واستماعه
لبعض الغناء البريء من بعض الجوارى ، هل إباحة الغناء ومسامحه وإشاد
القصائد وتوقيفها ، وسط التصفيق والحركات الشاذة ، كطريق من طرق
العبادة والذكر^(١) . وانتقل أبو القاسم القشيري من سماع الرسول ﷺ
لقصيدة كعب بن زهير وغيرها ، بنظر أظنان إلى إباحتها « بالأطوار
الطيبة »^(٢) ، كباب من أبواب التعبد والذكر . وهذا من المغالطة بمكان ، فإن
استماع الرسول لهذه الأشياء كما قلنا ، كان في غير التعبد ، فكيف يستدلون
بهذا على إباحته في العبادة ، أو جعله طريقاً من طرق الذكر والوصول ؟

فليست هذه طريق الرسول ﷺ ولا طريق الصحابة رضي الله عنهم في
الحياة والذكر ، وإما كانوا إذا اجتمعوا وأرادوا السماع والذكر قرأوا واحداً
منهم القرآن والباقي ينصتون^(٣) ، ولم يحدث في الصحابة ولا التابعين ، أنهم
اجتمعوا لسماع القصائد الربانية ، لا بكف ، ولا قضيب أو دف ، أو شبابة
ولا بدونها ، لا في الحجاز ولا في الشام ولا في اليمن ولا في العراق ولا مهران ،
ولا خراسان ولا المغرب ، وما ينقل خلاف ذلك فهو كذب وافتراء ، باتفاق

(١) الرسالة القشيرية ص ١٥١ ، ١٥٢ ، اللمع ص ٣٣٨ — ٣٤٧ .

(٢) المصدر المتقدم ص ١٥١ .

(٣) للتحفة العراقية لابن تيمية ص ٥٨ ، ٥٩ ، مجموع الرسائل والمسائل

ص ٣٨ .

أهل الآفاق من أهل العلم وأهل الإيمان^(١).

وما يدعونه من أن الفناء بالقصائد الربانية وسماعها على طريقتهم يفتح حب الله وذكره فهو أدهاء بالكل ، فكذلك ما يفتحه « تزيك حبس الحب الذي يحرك من كل قلب ما فيه من الحب بتميت يسبح ، الحب الذي تارو القلان ، والإخوان ، والأوطان ، والمردان والنسوان ، كما يصلح لحب الرحمن »^(٢).

وإن كنت لا أوافق ابن تيمية على هذه التسمية الأخيرة ، فهو في الحقيقة يزيك حبس الحب ، إلا حب الرحمن ، إلا إذا تحياوا الرحمن --- حسب ضلالهم --- في جودات الجميلة ، من المرد والنساء كما هو حالهم^(٣).

وهذه الرهبانية التي ابتدعوها كطريق مفضل في الوصول إلى الله قد ألفوها ، باشتراح السباح والفناء ، فإنه إلى جانب أنه يلحق القلب من التفكير في عظمة الله سبحانه والقيام بعبادته ، فإنه يهفوه إلى اللذات والشهوات الحسية ، ومعظمها النكاح ، وليس تمام لذته إلا في المتجددات ، ولا سبيل إلى كثرة المتجددات من الحل ، لذلك يوقع في الزنا « فيمن الفناء والزنا تناسب من جهة أن الفناء لذة الروح ، والزنا أكبر لذات النفس ، ولهذا جاء في الحديث : « الفناء رقية الزنا »^(٤).

ويقرن ابن تيمية الفناء بالخمر ، وأن من تأثر به ، يفعل فعل من تأثر بشرب الخمر ، فالمازف خمر النفوس تفعل بها أعظم مما تفعل حميا الكوكوس ، فإذا

(١) مجموع الرسائل والمسائل - ١ ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) النخبة العراقية ص ٥٦ .

(٣) إلى والمجنون في الأدب العربي والفارسي ص ١٦٧ عن مصارع العشاق للسرارج طبعة القسطنطينية سنة ١٣٠١ .

(٤) تاليس ! بليس ص ٢١٥ .

سكروا بالأصوات حل فيهم الشرك ، مالوا إلى الفواحش والظلم ، فيشركون ،
ويقتلون ، ويذفون . وهذه الثلاثة موصوفة كثيراً في أهل سماع المارقي^(١) ثم
يذكر قصصاً وحوادث لهم ، ومنها ما رآه بنفسه^(٢) .

فإذا كان هذا أثر هذا النوع من السماع في الفرد ، فكيف يكون أثره
إلى ولاية الله وحبه ؟ وهذا نتيجة كل تزييد ابتدأه ، العبادات ، وإضمار
اسم القرب على مثل هذه الأسماء ، وهو ليست له الواقع إلا قرب للشبهان
لا لرحمن ، ولهذا فإن هذا السماع المحدث ليس من القرب لله شيء ، لأن القرب
والعبادات إنما تؤخذ من الرسوا ، صير الله هليم ، سلم « فكما أنه لا يرام
إلا ما حرمه الله ، لا دين إلا ما شره الله »^(٣) .

الخلوة والعزلة :

والخلوة والعزلة من المجاهدات العملية التي من شأنها أن تهيب السالك
« لأحوال الوجد والقناء والمسرفة »^(٤) ، لأنها في رأيهم تهيئ لانتقال المذمومة

(١) مجموع الرسائل والمسائل ص ١٠١ ، ١٠٢ ج ٥ .

(٢) ينظر نفس المصدر ص ١٠٢ ، ١٠٣ . ويرى ابن تيمية أيضاً أن سماع
الصوفية هذا ، هو سماع أهل الجاهلية وصلاتهم ، التي قال فيها القرآن الكريم
« وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية ، فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون » . وأن نتيجته ليست إلا وجداً في الهوى مذموم ، وأما لطم وشق
ثياب وصياح كصياح المحزون المحروم ، إلى غير ذلك من الأمار الشيطانية التي
تعتري أهل الاجتماع على شراب إذا سكروا به « مجموعة الرسائل والمسائل
ج ١ ص ٣٨ ، ٥٧ .

(٣) النحلة العراقية في الأعمال القلبية ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٤) ابن عطاء السكندري وتصوره ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

بالاعتناء بالكلية الخلقية التي أُسِّىَ سورها^(١)، فهم هذه أهل الصفوة، ومن
آثارها الرحلة به، وقد جعلها ضرورة للزبد في ابتداء أمره^(٢)، فهي في
مقدارها من الموصلة إلى الله، أو الموصلة إلى الأديان الجديدة^(٣)، فمن
أهم جهات البريق، وقد استعمل قول الاعتناء كما في رسائل الأقوال
الأنوارية، حيث استعمل في بيان ما اتفق عليه الناس من ذلك، فقول
ذي القعدة، حيث استعمل في بيان ما اتفق عليه من ذلك، فقول
أخيه عبد الله، حيث استعمل في بيان ما اتفق عليه من ذلك، فقول
المناجات في الأتيمر، حيث استعمل في بيان ما اتفق عليه من ذلك.

وحيث أن الطور الثاني القصير به العلم به، فإنه السامع.

والجنيح قويا : لا يسهل أن يسلم له شيء، ويترجح بدنه وقببه فليمتزج
الناس^(٤)، فبعدنا من أن ينهضوا قول الله تعالى : ولستم أناس يدهون
إلى الخير، وبأصغر من المعروف وبهم من المتكبر^(٥)، وقول الرسول
ﷺ : من رأيكم منكم منكم فليمتزج، ومنه : فإن لم يستطع فليسا له، فإن
لم يستطع فليقبله، وهذا أشبه بالإية (٦)، تركوا الناس لئلا يفرحوا
بأنفسهم بل وصلوا بحالة السامع منهم، بعض الأكلات إلى أن تركوا نفوسهم

(١) نفس المصدر، الصفحة ٦، الرسالة القشيرية ص ٥٠.

(٢) نفس المصدر، الصفحة ٦.

(٣) اللوح، السراج ص ٢٧١، ٢٧٧.

(٤) ينظر السراج في اللوح، الرسالة القشيرية.

(٥) الرسالة القشيرية ص ٥١.

(٦) المصدر المتقدم ص ٥١.

(٧) سورة آل عمران آية : ١٠٤.

على ما هي عليه من شر ، رخلوا بها بعيداً عن الناس ، حتى لا يصيب الناس من شرهم شيء ، وقد أبرز هذا أبو القاسم القشيري كتبه ليل للخلوة في قوله : « ومن حتى المنعجب إذا أثر العزلة ، أن يعتقد باهتزاله عن الخلق سالة الناس من شره ، لا يقتضيه ما ينبغي من شر الخلق »^(١) وكان الراجح أن يروى الوعيد منهم ، على معاملة الناس بالطريق ، بدلاً من أن ينأى عنهم . ثم إننا نلمس في هذه العبارة تواضعاً كاذباً ، أكدته بقوله بعد ذلك : « فإن الأول من التسميت نتيجة استهغار نفسه : « الثاني شهوة منبذة على الخلق ، ومن استهوفر نفسه فهو متواضع ، ومن رأى لنفسه ضربة على أحد فهو متكبر »^(٢) . والواقع أن كلا الانبياءين سواء في معارضة الاتجاه القرآني^(٣) .

وهم في هذه الخطوات قد ركبوا بين الشيطان فخرجوا بها على الدين ، وبدلاً من أن توصلهم إلى الله أوصلتهم إلى الشيطان .

يرى الإمام الشوكاني على قول أبي القاسم القشيري : « ولا يتم قرب العبد من الحق إلا ببعد عن الخلق »^(٤) بقوله : « فهذا إنما يكون فيمن لا نفع فيه للعباد » . أما من كان يفيدهم بعلم ، أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو جهاد في سبيل الله وقيام بما أوجب الله على مثله القيام به ، فهذا يكون قربه من الخلق أقرب إلى الحق »^(٥) .

(١) الرسالة القشيرية ص ٥٥ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) ينظر قطر الولي في (العزلة والولاية) .

(٤) الرسالة القشيرية ص ٤٢ .

(٥) قطر الولي في العنوان المتقدم .

فأزاهد هل هذا كما قال ابن الجوزي « لا يتعدى نفعه هتبه بابه » ، والعالم نفعه متعدد ، ولم قد رد إلى المصواب من متعدد ^(١) .

بل الغالب أنه لا نفع هناك مطلقاً في تلك الخلوات ، فمنظمتهم فيه قصد إليها دون علم ودين ، فقد يخرج الشخص منهم إلى الخيال ، فيبعد عن الجماعة والجماعة والعلم ، وقد يكون له عائدة فتضييع أو والدين يقطعهم ، وقد يكون عليه مظالم لم يخرج منها فيصيدها على أصحابها ، ولو مع ذلك لا يعرف أركان الصلاة ^(٢) ، ويرى ابن الجوزي أن النبي ﷺ نهى أن يبيت رجل وسعد ، وأن بعض السلف قال : « سرحنا إلى جبل تهيب ، فجاءنا سفيران ثوري فردنا » ^(٣) .

وهكذا يقصدون إنما كن التي ليس فيها أذان ، ولا مسجد يصلى فيه ، بل لا يتجهون إلا إلى المساجد المهجورة والمقابر وخاصة ، إذا كانت لأناس من صالحهم . وذلك كما كان يفعل ابن هربى في خلواته منسجماً حديثاً بذلك عن نفسه ^(٤) . ومن اهتزل منهم في الأربطة قد فاتهم السعى إلى المساجد

(١) تلبيس . بليس ص ١٤٦ .

(٢) نفس المصدر ص ١٤٥ ، ٣٧٨ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) فقد قال في الفتوحات السكية : « ولقد كنت انقطعت في القبور مدة ، منفرداً بنفسى فبلغنى أن شيخنا يوسف بن يحلف (خلف) السكومي قال : إن فلانا — وسماني — ترك مجالسة الأحياء ، وراح يجالس الموتى ، فبعثت إليه ، وقلت : لو جئى لرأيت من أجالس . فصلى الضحى ، وأقبل إلى وحدومامعه أحد ، فطلب على ، فوجدنى بين القبور قاعداً مطرقاً ، وأنا أتكلم على من حضرى من الأرواح ، فجالس إلى جانبى بأدب قليلاً قليلاً . فنظرت إليه فرأيت قد تغير لونه =

« وتوعدوا الفراش الراثة وتركوا السكسب » (١).

وبينما نبحث ابن الجوزي وابن تيمية يتدبران فيهم، فالتعب إذا بهما السراير
يسكنهم بنيران العظوة لهذا الاتجاه وبما من شأنه « ومن فالتعب بما يرويه من
بعضهم : « كان أبو المسيب رجلاً كبيراً ، كان يهردهن المسابح فالتعب ،
في رادفها إيماناً ، سجد ، فالتعب : « ربي أنت ؟ قال لي : أنا من كل مكان
فالتعب : من كان من كل مكان ، فالتعب : « قال لا يستريحش ابن تيمية ،
ولا يستريحش منه شيء ، قال : فالتعب إليه الشئ ، فالتعب إليه ، قال : ليس
هذا من تعب الاستطيل ، وإنما تأني ، قال : فالتعب إلى ، ويظلم ويسته

وضاق نفسه ، كان لا يقدر أن يرفع رأسه من القفل الذي نزل عليه ، وأنا أنظر
إليه وأبسم ، فلا يقدر أن ينفس لما هو فيه من الكرب ، لما فرغت من الكلام ،
وصدر الورد ، خفف عن السميع ، واستراح ، ورد وجهه إلى ، فقبل بين عني ،
فقلت له : « يا أستاذي ! من يجالس الربى أنا أو أنت ؟ » قال : « لا والله :
بل أنا أجالس الموتى ، والله لو طال على الحجاب فطمت » فسكان يقول : من أراد
أن يعتزل عن الناس ، فليعتزل مثل فلان ، « الفتوحات المسكية ج ٣ ص ٥٩٦ ، ٥٩٨ ،
أنظر (ابن عربي) حياته ومذهبه ، لأسين بلايوس ترجمه الدكتور عبد الرحمن
بدوي . ص ١٧٦ ، ١٨٦

فترى من هذا أن الخلوة على هذا الوجه ، كانت أسلوباً متمماً ، ومنتهجاً عندهم
في مراحل الطريق الصوفي ، بل وتسكاد أن تسكور أرقى الأساليب عندهم في
التعمق في أسرار الطريق ، وحالات الوجد والفناء ، كما يشير إلى ذلك تعليق
شيخ ابن عربي على هذا النوع من الخلوة .

(كان لأستاذي الدكتور محمود قاسم الفضل في إرشاده لي باستكمال فكرة
اختلاء الصوفية في المقابر ، بما كان يفعله ابن عربي في رياضته الصوفية باعتزاله
في المقابر) .

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ج ٥ ص ٩٣ ، تلبس إبليس ص ٢٧٨ .

وهام ، وهو يقول : صدق الله ، إن كان من دواب الإصطبل نأين
سبعة ؟ (١)

الطيرة وتلم لأبني :

ومن لوازم البر : إل إلى الله عند معرفته ، من فاهمه ، رؤية الله ، أنه
أو سلافة ، نزل التلم القدر على نازلة ، الواصلين ، بلو
المباشرة ، الله ، ويرسم لنا أبو طالب النزل الطيرة ، إن سئل
ذلك النوع من الطيرة ، أو يا محمد بن أبي الجواد ، الطيرة ، فقول
والطريق إلى ذلك يكون أن : بانطباع هذا في الدنيا ، الكلي ، وطلوع الحمة
من الأنوار ، الوادي ، من العلم ، ثم لا يخاف منه في زاوية مع الانقصار على
الرائض ، والرواقب ويحس فارغ القالب مجموع المهمة ، ولا يشرق فكيف
بقراءة قرآن ، ولا بالتأمل في تفسير ، ولا بخصب حديث . . . فلا يزال به
جلوسه في الخلوة قائلاً بلسانه : الله الله على الدوام مع حضور القلب ، حتى
يتهمى إن حالة يترك فيها تحريك اللسان ، ويرى كأن الكلمة جارية على
لسانه . ، ويبقى معنى الكلمة مجرداً في قلبه ، باضراً فيه . . . وهذا ذلك
إذا صدقت إرادته وصفت همته ، تلمع لواع الحق في قلبه ، وذلك من
طريق أحسن إلى المعلوم فيه وهو انجذاب الغاير بالأحلام ، وبالعالم الذي لا يأتي

(١) اللع من ٣٧٢ - ٢٧٨ .

(٢) عوارف المعار للسهروردي ص ١٧٧ - ١٧٩ ، المنقذ من الضلال للغزالي
ص ١٣٠ ، مجموعة الرسائل والمسائل ج ٥ ص ٨٥ .

(٣) الإحياء ج ٣ ص ١٩ ، ٢٠ ، كيمياء السعادة ص ٨٨ ، وقارن : المنقذ
من الضلال ص ١٣٠ - ١٣٢ .

عن طريق اليقظة والحواس وهو علم الأنبياء عليهم السلام^(١).

« بهضمهم يرى أن هذه الظلوة تكون أربعين يوماً » ، تقطع في الصيام مع التقليل من الطعام ، أثناءه ، والاقتصار على ما يقيم الأود ، مستعين في ذلك على الحديث الذي ينسبونه الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أحضر الله أربعين صباحاً ، ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه »^(٢) ، « على أن موسى عليه السلام ، لم يتلق الأرواح إلا بعد صيام الأربعين ليلة صياماً متواصلاً ، لم يدخل بعده فيها طعام » ، فدل هذا على أن خلو المعدة من الطعام أسهل كبير من الباب ، « حتى احتاج موسى إلى ذلك مستعداً للمكانة التي سيعملها » واليوم اللدنية في قلوب المنقطعين إلى الله تعالى ضرب من المكانة^(٣) . ريستولون هل ذلك أيضاً وعلى تظيم أمر هذه الظلوة ، بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأتها نوحى إلا بعد ما في غار حراء .

وطريقة أبي حامد هذه طريقة غير مشروعة ، فإنها فضلا عما فيها من بحاجة القرآن والحديث ، فإنها تقتصر على أداء الفرض ، والنافلة من المعروف أنهما من ذلك كمال طاعة العبد لله كما أن الذكر بالاسم المفرد مظهراً ، أو مضمرًا^(٤) بدعة في الشرع وخطأ في القول واللغة ، فإن الاسم المجرد ، ليس

(١) نفس المصدر ص ٨٦ — ٩١ .

(٢) عوارف المعارف ج ٢ ص ١٧٧ ، الرسالة اللدنية للنزالي ص ١٢٢ .

(٣) عوارف المعارف ج ٢ ص ١٧٨ — ١٧٩ ، قارن مجموعة الرسائل والمسائل ج ٥ ص ٨٥ .

(٤) كما يقولون ذكر الخاصة : الله الله ، وذكر خاصة الخاصة : هو هو ، المصدر المتقدم ص ٨٦ .

هو كلاماً لا إيماناً ولا كُفراً^(١) . فليس من جنس الكلام المقول ، ولذلك قال بعض من يأسر به من المتأخرين : « إله ليس قصداً ذكر الله تعالى ، واسكن بجمع القلب على شيء معين حتى تستمد النفس لما يرد عليها^(٢) » ، ولذلك لا يرد عليها إلا أحوال الشياطين ، والظلم والاضطراب الفكري .

والصوفية في هذا ، يشبهون السحرة أو السحمان ، أو ضحايا الزار ، حين يتركز انتباههم على كلمات معينة ، أو إيقاع مخصوص ، فيخرجون عن طورهم ، وبغيبون عن الظاهر ويسكنون في الخيال ، وفي ذلك العالم الذي خرجوا إليه من الوسوسة والاضطراب^(٣) وأبو سنان وإن اختار لفظ الجلالة في ذلك ، نأياً

(١) نفس المصدر ص ٨٦ ، والذي ورد في كلمات الذكر ما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » وفي حديث آخر « أفضل الذكر لا إله إلا الله » وقال : « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » ص ٨٦ . وبرد على من يروجون للذكر بالاسم المفرد اعتماداً على قوله صلى الله عليه وسلم « سبق المفردون » بأن المراد بالمفردين هو ما وصفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم رداً على سؤال بعضهم : « ومن المفردون يا رسول الله ؟ » قال : « الذين كروا الله كثيراً والذاكرات » كما ورد في صحيح مسلم . أنظر : (التحفة العراقية في الأعمال القلبية) ص ٦٢ .

(٢) المصدر المتقدم ص ٨٦ ، ٨٧ . بل يروي ابن تيمية عن بعضهم أنه قال له « ليس مقصوداً إجماع النفس بأي شيء كان ، حتى يقول : لا فرق بين قولك : يا حي ، وقولك (يا جحش) وهذا بما قاله لي شخص منهم وأنكرت ذلك عليه » ص ٨٧ .

(٣) وقد فسر ابن سينا هذا الكشف الصوفي بأنه اضطراب في الخيال وفي الحس ، وهو يظهر أيضاً عند المرضى والمرويين ، وله أيضاً طرق صناعية

بدراسة مثل هذه الظواهر ، مثل هذه الحالات في التصوف المسيحي^(١) أيضا .
وأما ما يحكيه بخلوته صلى الله عليه وسلم في غار حراء قبل الرسالة^(٢) ،
فإن ما فعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل الرسالة ، لسنا مأدورين باتباعه ،
إلا إذا كان قد شرعه بعد الرسالة ، ولكنه من حين جهاته الرسالة لم يصعد
إليه هو ولا خلفاؤه الراشدون ، وقد أقام في مكة بعد الرسالة وقبل الهجرة
بضع عشرة سنة ، دخلها في عمرة القضاء وطام الفتح ، وأقام بها قريبا من
عشرين ليلة ، وأتاه في حجة الوداع وأقام بها أربع ليال ، ومع ذلك لم يذهب
إلى غار حراء ولم يصعد إليه .

فهذه كانت طريقة لهم جميعا في الجاهلية ، ليس له ﷺ فقط وقد سنها
لهم جده عبد المطلب^(٣)

ومثل ذلك يقال فيما يسمونه بالأربعينية التي يدهون أن موسى وهيسى
عليهما السلام ، خطبا بعدها^(٤) ، بأن هذا خاص بأفرادهم كأبناء ورسل ،
ثم إنه شرع لهم وليس شرها محمد ﷺ ، كما شرع لموسى عليه السلام السبب
« والمسلمون لا يسبتون ، وكما حرم في شرعه أشياء لم تحرم في شرع محمد

(١) Las Problèmes de la vie mystique Par Roger

Bastide : P: 80 - 81, 125 - 128.

ويشتر تعليل ذلك أيضا عند فلاسفة الإسلام . انظر هامش ما مضى من
هذه الدراسة .

(٢) الغزالي في المنقذ من الضلال ص ١٣٢ ، والدكتور عبد الحليم محمود في
مقدمة المنقذ ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل ج ٥ ص ٨٥ .

(٤) نفس المصدر والصفحة ، في التصوف الاسلامي وتاريخه ص ٥٩ .

صلى الله عليه وسلم^(١) ، فليس هذا في الواقع إلا اتجاهها غنوصيا تلقينيا^(٢) ، فما يدهونه من العلم الدني أو رؤية الله أو الأنبياء أو الملائكة في هذه الغلوات محض افتراء وضلال ، مرجعه إلى خيالاتهم التي فسدت بما يصفونه في العزلة والخلوة^(٣) .

ويكفي في رد هذه العزلة والخلوة ، ما يحكيه أبو أمامة قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم للجهاد ، فرجل بفار فيه شيء من ماد ، فحدث نفسه بأن يقيم في ذلك الفار ، ويصيب ما حوله من البقل ، وينخل من الدنيا

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ج ٥ ص ٨٥ . وما يستدلون به على خلواتهم من أن أهل الصفة كانوا كذلك ، فإن هذا محض افتراء ، أو جهل بحالهم وواقع أمرهم ، فإنهم كانوا مهاجرين ، أو طارقين على المدينة بعد أن آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الأنصار والمهاجرين ، فكان من لم يتيسر له مكان يأوى إليه ، يأوى إلى تلك الصفة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم مؤقتا ، إلى أن يتيسر له مكان يأوى إليه ، فكانوا غير مجتمعين في وقت واحد ، كما كانوا تارة يكثرون ، وتارة يقلون . فتارة يكونون عشرة أو أقل ، وتارة يصل عددهم إلى السبعين ، وكان فقرائهم يكتسبون عند إمكان الاكتساب ، وية يملون عندما لا يمكنهم ذلك بسبب اشتغالهم مع الرسول في الجهاد ، ما يوصله إليهم أمرياء المسلمين من خير ، قال ابن الجوزي « وهؤلاء القوم ، إنما قعدوا في المسجد ضرورة ، وإنما أكلوا من الصدقة ضرورة ، فلما فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحال وخرجوا » تلبس إبليس لابن الجوزي ص ١٦٢ طبعة محمد منير الدمشقي سنة ١٣٤٧ هـ سنة ١٩٢٨ م ، ومجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية طبعة المنار ص ٣٧ - ٣٠ .

(٢) أنظر رسائل إخوان الصفا ج ٤ ص ٨٠ .

(٣) ينظر ابن تيمية المصدر المتقدم ص ٩٣ ، ٩٤ ، وتعليق السيد رشيد رضا على ذلك في هامش ص ٩٣ ، ٩٤ .

وذكر ذلك لاني صلى الله عليه وسلم فقال له صلى الله عليه وسلم : « إني لم أبحث باليهودية ولا النصرانية ، ولكنني بحثت بالحنيفية السمحة ، والذي نفس محمد بيده لفدوة أو روضة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ، ولقائم أجمعكم في الصنف خير من حملاته ممتين سنة » (١) .

هذه معالم من طريق المتصوفة إلى الله ، رأينا فيها كل ما يحتاج إلى السلام ، ويصطاد مع الغاية التي رضعها الله سبحانه وتعالى ، مقصداً لعباده من هباتهم ومن خفتهم ، ونرى أن يكونوا في الدرجة التي يحبهم الله فيها ، أو في موضع استحقاقهم بحبه سبحانه ، وكل ما حققوه في هذا السبيل ، أنهم حارلوا الوصول إلى الإيمان به ، أو معرفته ثم حبه ، ولم يتقدم هذا الحب المزعوم في طريقه خطوة نحو اجتلاب حب الله ، وإنما دار حول نفسه ، وصار في حلقة مفردة ، ولم يعد هلى صاحبه منه إلا تذييب النفس والهوس والبعده عما يقرب إلى الله أو الإيمان به ، حتى قال بعضهم « المحبة تشويش يقع في القلوب » (٢) .

فأين هذا من الغاية التي ذكرها الله سبحانه كنتيجة طبيعية لذلك في قوله : « ألا بدكر الله تعالى القلوب » (٣) ١٢

وابن تيمية مع ميله كثيراً إلى طريق كثير من الصوفية ، من لم يجهروا بالحلول ولا بالاتحاد . . ، شأنه في ذلك شأن المعتدلين ، أو ممن يحسنون الظن بالصوفية — ، يقول خلاصة رأيه في تلك الطرق وفي ما ابتدعتها من ليس في القرآن ولا سنة الرسول أنها « هند التحقيق طرق هضلة ، وإنما توصل إلى

(١) تلبس إبليس لابن الجوزى ص ٢٨٠ .

(٢) الرسالة القشيرية ص ١٤٥ . وينظر ما بعدها .

(٣) سورة الرعد : آية ٢٨ .

رضا الشيطان وسخط الرحمن ، كالمبادئ التي ابتدعها ضلال أهل الكتاب وللشركيين ، وخالفوا بها دين المرسلين ، فهو لاه (الصوفية) في الأحوال المبتدعية وأولئك « أهل الكتاب » وفي الأقوال المبتدعية «^(١) .

(ج) موازنة بين طريقة الإمام الشوكاني ، وطريقة الصوفية :

وبالموازنة بين طريق الإسلام مما أشار إليه الإمام الشوكاني ، وبين ما تقدم لنا من معالم طريقة هؤلاء القوم ، يتبين لنا كيف كان من هاجهم أمثال ابن الجوزي على حق فيما هاجهم فيه ، وإلى أي مدى كانوا محلاً للمعجب والوم من مثل ابن عقيل في تلك العبارة التي وجهها إليهم : « ما أعجب أموركم في الدين ، إما أهواء متبعة ، أو رهبانية مبتدعة بين تحرير أذيل المرح في الصبا واللعب ، وبين إهمال الحقوق وإطراح العيال ، والالحاق بزوايا المساجد ، فها عبدوا على عقل وشرع ؟ »^(٢) .

(١) النبوات ص ٦٥ .

(٢) تلبيس ! تلبيس ص ١٤٧ ، وقد منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غيل عبد الله بن عمرو بن العاص من مثل هذا حين قال له : « ألم أحدث أنك قلت لأصوم من النهار ولأقوم من الليل . ولأقرأ القرآن في ثلاث ؟ قال : بلى . قال : « فلا تفعل فإنك إذا فعلت ذلك هجمت له العين (أي غارت ودخلت في موضعها) ، ونفثت له النفس (أي ضعفت وكلت) . ثم أمره بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، فقال : إني أطيق أكثر من ذلك ؛ فانتهي به إلى صوم يوم وفطر يوم ، فقال : إني أطيق أكثر من ذلك . فقال صلى الله عليه وسلم : « لا أفضل من ذلك » . وقال : « أفضل الصيام ، صيام داود عليه السلام ، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، ولا يفر إذا لاقى . وأفضل القيام ، قيام داود ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، وأمره أن يقرأ القرآن في سبع » مجموعة الرسائل من المسائل لابن تيمية ج ٥ ص ٨٣ عن الصحيحين : البخاري ومسلم .

فطريقة هؤلاء القوم لا أصل لها في الإسلام ، وإنما يمكن أن نلتفت إلى أصولها في أي مذهب أو دين غير دين الإسلام ، وهو ما يقرره (نيكولسون) بعد عرضه لندج من طريق الصوفية ومذاهبهم المختلفة ، وذلك حيث يقول : « وليس هندي من شك في أن المذهب الغنوصي بعد ما أصابه من التغيير والتحوير على أيدي مفكري المسيحية واليهودية ، وبعد امتزاجه بالنظريات اليونانية ، كان من المصادر الهامة التي أخذ عنها رجال التصوف الإسلامي ، وإن بين التصوف والغنوصية مواضع اتفاق كثيرة هامة » ويقول أيضاً إذا نظرنا إلى الظروف التاريخية التي أحاطت بنشأة التصوف ، لزم علينا أن نعتبره وليد اتحاد الفلسفة الأفلاطونية الحديثة ، والديانة المسيحية ، والمذهب الغنوصي متأثرة بأفكار فارسية أو هندية^(١) .

ويشير الدكتور محمد مصطفى حلمي ، إلى «ظواهر التشابه بين التعاليم والمذاهب الصوفية في الإسلام ، فيوتفا على أن الزهد في التصوف الإسلامي يشبه الزهد والرهبة المانوية ، كما يشبه الزهد والقناعة ، والنهي عن ذبح الحيوان في الديانة المزدكية » وأن مثل هذه العقائد قد شاع فيما شاع بين المسلمين من تراث الفرس القديم ، ووجدت من تلقاها بالقبول من الشيعة ، ومن الصوفية وتأثرها بها^(٢) .

وقد سبق لي أن أشرت إلى أن الفناء^(٣) الذي يجهلون له الغاية من سلوكهم هذا الطريق ، وكذلك للمعرفة^(٤) ، إنما هما نأثر بالغنوصية ، واليونانية والمسيحية .

(١) في التصوف الإسلامي وتاريخه ص ٨١ .

(٢) الحياة الروحية في الإسلام ص ٤٢ .

(٣) ينظر ص ٦٩ من هذه الدراسة .

(٤) ينظر ص ١٢٤ — ١٢٦ من هذه الدراسة ، في التصوف الإسلامي

وتاريخه ص ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ .

وربما كشف لنا السهروردي للفتول عن حقيقة أولئك المنصوفة ، وعن تأثيرهم بالفنوص هندا ما روى لنا أنه رأى أستاذه أرسطو في النوم ، فسأله رأيته عن مجموعة من المنصوفة ؛ بل أقطاب المنصوف ، الذين يستشهد بهم ، وآراءهم كل من كتب في المنصوف أو تكلم فيه ، من مثل أبي يزيد البسطامي ، وسهل النستري ، وذو النون المصري ، والطحطاوي بن منصور الطلاج ، فقال فيهم : « أولئك هم الذلافة والحكاه ، عفاً ، ما وقفوا عند العلم الرسمي ، بل جاوزوا إلى العلم الشهري ، وما اشتغلوا بملائئ الميول ، فاهم الزلفى وحسن مآب ، فنهضوا بما تهركننا ، ونعلقوا بما نطقنا » وفي موضع آخر يتكلم السهروردي نفسه : وأما أنوار السلوك في هذه الأزمنة القربية ، فخميرة الأفيناغوربين وقعت إلى أخي أخيم (ذي النون المصري) ، ومنه نزلت إلى سيار نستر وشيعته ، ثم يضيف إلى ذلك بيان من كان لهم نصيب في الأخذ من التراث الفارسي : « وأما خميرة المسروانيين في السلوك : فهي نازلة إلى سيار بسطام (أبي يزيد) ، ومن بعده إلى فتى بيضاء (الطحطاوي بن منصور الطلاج) ومن بعدهم إلى سيار آمل وخرقان (أبو الحسن الخرقاني)^(١) .

هلى أن الأصل في تسمية هذا المذهب بالمنصوف ، وأصحابه بصوفية^(٢) ، يوفقنا هلى أن المنصوف في أصله إنما هو استيراد أجنبي ، ليس الإسلام فيه شيء ، لاني نشأته ولا في طريقته المتزيدة ، ولا في غايته أو غاياته المتعددة التي أثبتنا ، إنما تقف حيث يبدأ طريق الإسلام تنجها إلى غايته الواضحة المحددة ، وهي حب الله للإنسان ، وإن كان قد تزيى تصوفهم هذا بزى الإسلام في بعض الأحوال .

(١) مجموعة في الحكمة الإلهية ص ٥٠٣ ، ٥٠٤ .

(٢) ينظر : دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ١٢٧ ، في المنصوف الإسلامي

تاريخه ص ٦٧ ، ٦٨ ، المدخل إلى المنصوف الإسلامي ص ٦٩ — ٧٦ .

الفصل الرابع

الإنسان بين مظاهر حب الله له

(١) المنزلة الدينية للإنسان المتقرب إلى الله :

يصور لنا الحديث القدسي الإنسان بعد سلوكه ذلك الطريق إلى الله . وبعد قبول الله لذلك الأعمال ، بأن الله قد أحبه ، وأنه صار ممتع العبد الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به . الخ . ونريد أن نعرف فهم الإمام الشوكاني لهذه الجزء من الحديث وفهم الصوفية ، وأتباع الأفلاطونية المحدثة من الفلاسفة الإسلاميين .

١ — المسكنة الدينية للإنسان المتقرب إلى الله عند الشوكاني :

أما الإمام الشوكاني فإنه يرى أن معنى ذلك هو توفيق العبد في أعماله بحيث تصبح جارية صالحة موافقة للصواب ، وأن هذا المعنى هو ما يدل عليه منطوق القرآن والسنة^(١) . وأنه لا دلالة فيه مطلقاً على مذاهب الصوفية الفلسفية^(٢) .

٢ — ولكن الصوفية قد رأوا فيه سندا لمذاهبهم في الانقياد ثم الحلول .

(١) نظر الولي في (المقياس في قبول المكاشفات) ، (المراد من أن الله صار ممتع العبد وبصره) .

(٢) نفس المصدر .

والإتِّحاد، ووحدة الوجود^(١)، وكثيراً ما عملوا به في وجهاتهم المختلفة^(٢). فالجنيد يتكلم عن توحيد الخواص، ويبين أنه مقام من وصل إلى الفناء من نفسه « وهن دهوة الحول والقوة بذهاب جسمه وحركته بقيام الحق فيها أراد منه . . . وهذا غاية تحقيق حقيقة توحيد الموحِد الواحد، أن يذهب كما لو لم يكن ويتلاشى، وتنمحي أوصافه، ويبقى بأوصاف الحق كما لم يزل على معنى قوله : « صرت محمه وبصره، ويدن ورجله، وقلبه يسمع به ويبصر به . الخ »^(٣).

وذو النون المصري يتكلم عن المعرفة، ويرى أنها لا تسكُن إلا بالوصول إلى درجة الفناء ويستشهد هذا الفناء من قول الرسول ﷺ : « فإذا أحببته كنت محمه الذي يسمع به . . الخ »، ويصير الممارف بهذا — في مظهر الفناء الأكمل — متحرراً كبحركة الله، ناطقاً بما يجريه على لسانه، ناظراً بنور الله في بصره^(٤). وقد خرج الصوفية من هذا الفناء إلى الحلول والاتِّحاد ووحدة الوجود. فهذا أبو يزيد البسطامي الذي لا نكون مغالين فيه، إذا قلنا : إنه من الذين بشروا بهذه المذاهب الثلاثة جملة^(٥)، يقول في الفناء :

(١) نفس المصدر. وإذا استثنينا رجلاً مثل الحكيم الترمذي وجدناه يرى في هذا الجزء من الحديث أكمل مظهر لأعلى درجة لولى الله الذي أدى الفرائض وحفظ الحدود وتقرب بالنوافل فتنت له بذلك ولأية الله ص ٣٣١ ص ٢٣٢ ختم الأولياء.

(٢) ينظر ص ٢٠ — ٢٧ من هذه المقدمة.

(٣) علم القلوب لمحمد بن عطية المسكى ص ٦٩، ٧٠، وينظر الفناء عند ابن عربي في صدر هذه الدراسة.

(٤) في التصوف الإسلامي وتاريخه ص ١١٥.

(٥) ينظر من ص ٧٣، ٧٤ من هذه الدراسة، وفي التصوف الإسلامي وتاريخه ص ٢٣، ٢٤.

« شهوتي ومناي ، أن أقول مرة : لا إله إلا الله بغيوبة أبي يزيد وحضور أبي يزيد هن أبي يزيد مع لا إله إلا الله . . . كما جرى له في الدر مع الله حين أقول « بلى » فكان إقراره للرب بالربوبية ، والنفس بالمبودية ، ثم غاب عن الإقرار ، ونقى بالوحدانية ، مجرداً للواحد الفرد »^(١) .

وأبو يزيد يشير بذلك — (إقرار الدر بالربوبية بقوله « بلى ») — إلى قوله تعالى : (وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم هل أنفسهم ، أليس بربكم ؟ قلوا : بلى ، شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا هن هذا غافلين)^(٢) .

والصوفية يقولون إن الناس ، قد وحدوا الله حتى التوحيد ، وهم في عالم الاندناء قبل خريجهم إلى هذا الوجود ، فلا توحيد لهم بعد الخروج إلى ذلك الوجود ، إلا بالاضمحلال والفناء منه .

ولكن هذا الذي فهموه في الآية ، ليس هو المراد منها ، وإنما المراد أنهم وحدوا الله بفطرتهم بعد ولادتهم ، لما دهم بخلقه هل أنه خالقهم فقامت هذه الدلالة مقام الإشهاد ، كما يقول الحديث الصحيح : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه أو يمجسانه . . الخ » ، وكما تقول الآية الكريمة : « فأقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم »^(٣) .

ثم ينقل هن هذا الفناء إلى الاتحاد ، فيقول مخاطباً ربه : « . . . قربي

(١) علم القلوب لمحمد بن عطية المسكي ص ٦٦ .

(٢) سورة الأعراف . آية : ١٧٢ .

(٣) سورة الروم آية : ٣٠ ، وينظر تفسير الإمام الشوكاني في هاتين الآيتين

وقارن تفسير الحلاج للآية الأولى في : (الحسن بن منصور الحلاج ص ٧١ و ٧٢) .

يوحدانيتك ، وألبسني ربانيتك ، وارفعني إلى أحديتك ، حق إذا رأي خليفك
ظالوا رأيناك ، فيكون أنت ذاك ، ولا أكون أنا هناك » (١) .

والحلاج زعيم الفائلين بالحلول ، يتخذ الفناء أساساً لهذا المذهب (٢)
فلا يصل إنسان إلى مرتبة حلول الله فيه ، إلا بعد أن يفنى عن نفسه فناء
كاملاً ويحجب عنها بالله (٣) ، ويتمثل في ذلك الفناء بحديث الأولياء ،
ثالثه عقرون عنده بالله هم الذين « أفناهم الله عن أوصافهم الناشئة عن طبائعهم
ولم يردم إلى علومهم المستخرجة بحكم عقولهم . . . بل كان هو لسانهم
الذي به ينطقون ، وبصرهم الذي به يبصرون وأسماعهم التي بها يسمعون ،
وأيديهم التي بها يبطشون » (٤) .

وبرى الإمام الشوكاني ، أن الحديث بنصه ، يرفض هذه المعاني (٥) ، وأن
المسلم المتبصر في الإسلام ، لا يفهم منه إلا ذلك المعنى الذي قدسه .

وإذا رجعنا إلى صدر هذه الدراسة ، وجدنا أن فكرة الفناء هذه لا يقرها
الدين الإسلامي ، وليس لها في نص من نصوصه منه تمتد عليه فهو يتجاني
معها كناية بروحه وألفاظه (٤) .

والخطر في هذا الفناء الذي أوغل الصوفية في وصفه ، هو أنه يسلم ، إلى

(١) تلبس إبليس ٣٣٣ .

(٢) ينظر : الحسين بن منصور الحلاج ص ٧١ — ٧٢ .

(٣) نفس المصدر ص ٨٣ ٨٤ .

(٤) نفس المصدر ص ٨٩ .

(٥) قطر الولي في العنوان السالف .

(٦) ص ٦٩ من هذه الدراسة .

القول بالحلل أو الاتحاد، أو وحدة الوجود^(١)، فقد رأيناهم قالوا بالحلل والاتحاد، من حيث يظنون أنهم يتكلمون في الفناء^(٢)، وقد أشار الغزالي إلى هذا حين وصف حالة الفناء التي يصل فيها الشخص إلى مرتبة الكشف أو الشهود، وإن كان قد قال بخطأ هؤلاء الذين قالوا بالحلل أو الاتحاد^(٣) بل لقد جرت به عقيدته في الفناء، وأنه أسمى مقام يصل إليه الصوفي، في هباته أو توحيده إلى القول بوحدة الوجود من حيث لا يشعر^(٤).

وليس من شك في أن العقيدة الإسلامية ترفض هذه المذاهب برمتها لأنها تتنافى مع التوحيد والصوفية المعتدلون أو من هم حسنو النية، يرفضون

(١) أنظر المقدمة، في التصوف الإسلامي وتاريخه ص ١١٩

(٢) الرد الأقوم لابن تيمية ص ٤٧ .

(٣) المقتد من الضلال، ص ١٣١ و ١٣٢ .

(٤) جواهر القرآن ص ١٥ و ١٦، إحياء علوم الدين كتاب التوحيد والتوكل ص ٢٤٩٥ — ٢٤٩٨ ومن كلامه في التوحيد في هذا المصدر الأخير عن المرتبة الرابعة في التوحيد: « أن لا يرى (الموحد) في الوجود إلا واحداً، وهي مشاهدة الصديقين، وتسمية الصوفية « الفناء في التوحيد » لأنه من حيث لا يرى إلا واحداً، فلا يرى نفسه أيضاً، وإذا لم ير نفسه لسكونه مستغرقاً بالتوحيد كان فانياً عن نفسه في توحيده بمعنى أنه فنى عن رؤية نفسه والخلق». قارن جواهر القرآن .

وابن تيمية يرى في مثل هذا الكلام تشابهاً مع كلام القائلين بوحدة الوجود: بغية المرتاد للرد على القرامطة والباطنية . ص ٢٣ ضمن ج ٥ من مجموعة فتاوى ابن تيمية . والغزالي وإن وصل في قوله إلى هذا الحد، إلا أنه كما قدمنا يرفض الحلل والاتحاد، ويرفض فكرة الفناء الذي تذوب فيه النفس البشرية في ذات الله، فعنده أن الله سبحانه وتعالى غير ما يخلق . ولكن تأثره بالصوفية في نظرية الفناء، جعله يقع من حيث لا يشعر فيها وقع فيه من اعتنق هذه النظرية من أصحاب التصوف الفلسفي .

فكرة الحلول والاتحاد ، ويرون أن العقل والدين يحيلانها^(١) . وأما مذهب وحدة الوجود فلازمه ، إنكار الإله لأنه إذا لم يكن في الوجود إلا الله من إنسان أو حيوان ، أو نبات أو جماد ، وأن الله تعالى في هذه الموجودات ، أو هي مظاهر ومجالات لذاته^(٢) ، فإن معنى ذلك أنه ليس وراء الطبيعة شيء غيرها ، وليس فيها ما يدل على أنه لواحد كما قال الشاعر الربيعي القديم^(٣) ، وأنها قديمة ، وبذلك فليس لها حدوث ، وليس لنا أن نتصور الله في غير ذلك^(٤) .

وكما استبدل أصحاب مذهب الحلول ، والاتحاد بهذا الحديث الشريف ، فقد استبدل أصحاب وحدة الوجود به على مذهبهم أيضا . فهذا ابن عربي يرى في قوله تعالى : « واتخذ الله إبراهيم خليلا » . بأن الحق قد تخالط الله ، فصار الحق هو الباطن والاسم هو الظاهر ، وصار متخللا فيه بهيئة السمع والبصر ، واليد والرجل الخ كما تخالط الحق إبراهيم الخليل . أو تخالط إبراهيم الحق ، كالماء يتخلط بالصوفة فتدبو به وتتسع فإن الحق هو الظاهر ، فالخلق مستور فيه ، فيكون الخلق جميع أسماء الحق محميه وبصره وجهه نسيبه ، وإدراكه ، وإن كان الخلق هو الظاهر ، فالخلق مستور باطن فيه ، فالخلق

(١) دراسات في الفلسفة الإسلامية . بحث (العقل والتقليد عند الفزاري ص ٦٣ — ٦٧) .

(٢) ينظر فصوص الحكم لابن عربي ، فسنجد هذا المعنى ماثلا في كل فصل من فصوصه .

(٣) وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد .

(٤) قارن نقص المنطق لابن تيمية ص ٥٠ ، ومجموعة الرسائل والمسائل .

ج ٤ ص ٣٣ — ٨٢ ، ص ١٧ ، ١٨٦ وفصوص الحكم ص ٢١٠ .

جميع الخلق وبصره ويده ورجله ، وجميع قواه كما ورد في الخبر ^(١) ، وهذا هو إدراك المعارفين عنده بعد اجتيازهم مراحل الطريق ^(٢) ، فهم يدركون أن الوجود كله واحدا ، الخلق هم الحق ، والحق هو الخلق ، والمعارفون أيضا لا يرون الله شيئا سواهم ولا غير ما يحيط بهم من هوال المخلوقات ، وهم تمييزات ظهر فيها الحق ، فهو هيئتهم ، وسموهم ويدهم . الخ

ولسكن الإمام الشوكاني يرى أن طبيعة الحديث لا تتحمل هذا الاستدلال وتدفعه ، وثبت وجود الله ، وجوداً مهيئاً منفرداً فيه عن الخلق ، لا ذلك الوجود المطلق الذي يدهيه ابن عربي وامثاله ، وأن هذا واضح في الحديث من أوله إلى آخره ، فإب قوله : « من هادي لى ولياً » يثبت وجود مهاد ، ومعادى ، ويقضى وجود موال ، وموالى . وهكذا إلى آخر الحديث فإننا نلاحظ الأتيلية واضحة فيه ، حتى بعد وصول المبدأ إلى درجة حب الله له ، وهي الحالة التي يدهي ابن عربي ومن نحوه أنها مظهر فناء لاتيلية والبقاء بالواحدية ، والتي بها يدركون أن الوجود واحداً ، وأن الحق هو الخلق ^(٣) . الخ . فلاحظ الأتيلية في ذلك الجزء الأخير من الحديث :

-
- (١) الفصوص ص ٨١ ، وينظر صفحات : ١٨٩ ، ١٣١ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، قطر الولي : في العنوان السالف مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ص ٦١ ، ٦٢ .
- (٢) فصوص الحكم ص ١١٣ ، ١٨٦ ، والفص النوحى ، والفص العزيرى ، والموسوى .
- (٣) قارن ، الفتوحات المسكية ج ٤ ص ٥١٤ ، إحياء علوم الدين ص ٢٤٩٥ ، ٢٤٩٨ ، جواهر القرآن ص ١٦ ، ٧٥ ، الرد الأقوم على ما في كتاب فصوص الحكم ص ٤٧ ، الأحلام للدكتور الطويل ص ٨٨ ، فاسفة الأخلاق في الإسلام ، ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

« وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس هبدي المؤمن ، بكرد الموت وأكره إسائه » .

وبهذا التصريح بالاثنية ، يكون الحديث قد رد على كل تلك المذاهب ابتداء من النناء إلى وحدة الوجود^(١) .

ويرى الإمام الشوكاني ، أن الأولى لهم ، أن يعترفوا بأنهم متأثرون في القول بوحدة الوجود ، بذهب التنويه من الجوس والفنوصيين في أصل العالم وأنه إلهان ، إله النور وإله الظلمة ، وأنهما مندجان مع بعضهما ، وهنهما معا صدرت الموجودات^(٢) ، بدلا من أن يتكافرا ذلك في آيات القرآن الكريم أو أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

والإمام الشوكاني بهذا ، يأتي لنا ضوئاً على أصل ذلك المذهب ، فالرجح فيه غير إسلامي ، وقد تأثر إلى — جانب التأثير بالمصدر الغنوصي — بنظرية الفيض عند أفلوطين^(٣) ، وعند أتباع الأفلوطينية من الباطنية الإسماعيلية وإخوان الصفا ، وفلاسفة الإسلام^(٤) .

فنظرية الفيض سواء أ كانت عند أفلوطين ، أو هذه الفارابي ، رائد فلاسفة الأفلاطونية المحدثة من الماهين ومن الباطنية تقوم على أن الكون

(١) قطر الولي : العنوان السالف ، الرد الأقوم ص ٤٨ .

(٢) قطر الولي : العنوان السالف .

(٣) تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٩١ — ٢٩٥ .

(٤) آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٢٤ — ٢٦ ، راحة العقل للكرماني . ص ٦٠ ، ١٣٠ — ١٣٩ (من أين استقى ابن عربي فلسفته التصوفية ص ١٥ — ٢٧) بحث نشر في مجلة كلية الآداب مايو سنة ١٩٤٣ للدكتور « أبو العلاء هفني » مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٢٦ .

صدر عن الله ، سواء أكان بطريق التسلسل الطويل كما عند الفارابي نفسه أو للتسلسل المختصر كما هو عند أفلوطين^(١) وهذه النظرية تؤول في واقعها إلى القول بوحدة الوجود ، سواء قصد بذلك أصحابها ، أو قالوا ذلك بمباراة غير مباشرة^(٢) ، فنزلة العقل الكلّي من الله عند أفلوطين ، هي منزلة شمع الشمس من الشمس ، أو الحرارة من النار ، البرودة من الثلج ، والشمع هو الشمس أي هو جزؤها ، وكذلك الحرارة والبرودة ، فهي هي النار ، أو الثلج^(٣) ، أو هي مظاهر ومجالات تلك الأشياء ، كما يقول ابن عربي ، إن الخلق هو الخلق ، والخلق هم الخلق ، أو هم مظاهر ومجالات ظهر فيها الحق الواحد بمظهر الكثيرة والتعدد ، فهو واحد بالذات ، كثير بالإضافات^(٤) ، كما قالهم :

وما للبحر إلا الموج لأشياء غيره وإن فرقة كثرة المتعدد
وقوله :

البحر لا شك هندی في توحده وإن تعدد بالمواج والزبد
ولا يفرقك ما شاهدت من صور قالوا أحد الرب ساري العين في العدد^(٥)

(١) لأنها عند الفارابي يصل الفيض إلى إحدى عشرة درجة ، أو أحد عشر عقلا ، أما عند أفلوطين فإن الفيض يصل إلى درجتين فقط ، العقل الكلّي ، والنفس الكلّية .

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٩٦ ، مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ص ٢٦ .

(٣) تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٩١ ، ٢٩٢ .

(٤) فصوص الحكم ص ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٠٢ — ١٠٤ ، ٦٤ ، ٦٥ .

(٥) مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٢٣ .

والخلق بهذا «حق مشهود في خلق متوهم»^(١) «وخلق العالم بهذا ، ليس خلقاً له من المبدء ، وإنما هو تعين للذات الإلهية أو تحول لها في تلك الصور»^(٢) .
ونستطيع أيضاً أن نرى في مذهب (وحدة الوجود) ، صورة أخرى لمذهب الأشاعرة ، في الجوهر والأعراض ، فإنهم يقولون إن العالم كله واحد بالجوهر ، كثير بالأعراض ، وهذا الرأي ، قد قال به «ديمقريطس» آخر الفلاسفة السليبيين من اليونان . وهذه وإن كانت نظرية في العالم إلا أن ابن عربي وأمثاله أخذوها ، وجعلوها في الله وفي العالم بها^(٣) .

كما أنهم تأثروا أيضاً في القول بوحدة الوجود ، بمذهب الجهمية ، وللمعزلة في نفى الصفات والجهة عن الله سبحانه ، وأنه «ليس في جهة ، ولا في مكان ، ولا ذو في السماء» أو هو في كل مكان ، وليس هو في مكان ، ولا يختص بشيء ، يجمعون بين القولين المتناقضين^(٤) ، وصرادهم بذلك كما يقول ابن تيمية : «إنه ما فوق العرش شيء أصلاً ، ولا فوق السموات إلا هدم محض» فكان هذا «مما أوقع الاتحادية في قلوبهم : «هو نفس الموجودات» لأنهم إذا لم يملوا أنه ليس هناك إلا هذا الوجود الخلق ، ولا فوق العالم شيء آخر ، «لزم أن يقولوا : (الله) هو هذا الوجود الخلق » ، وهذه بعينها هي حجة الاتحادية»^(٥) .

(١) ص ٩٠٨ .

(٢) فصوص الحكم ص ٦٠ ، ٢١١ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ٤٣ من التصدير .

(٣) من أين استقى ابن عربي فلسفته التصوفية ص ٣٩ — ٤٠ ، مجلة كلية

الآداب مايو ١٩٣٣ .

(٤) ينظر فصوص الحكم لابن عربي ص ١١١ ، ١٧٧ ، مجموعة الرسائل

والمسائل ج ٤ ص ٢٦ .

(٥) نفس المنطق لابن تيمية ص ٥٠ ، فصوص الحكم ص ١١١ ، ومن =

(ب) إسناد الكرامات للأرلياء :

١ — رأى الإمام الشوكاني :

من مظاهر حب الله لا لبس عند الشوكاني ، أن يكرمه بإجابة دعائه^(١) ، أو بتوفيقه في إدراك شيء مجهول عن طريق إحساسه أو فراسته وهو ما يسميه بالكشف ، كما في الحديث الشريف : « اتقوا دراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله » . وحديث « قد كان في الأمم قبلكم محمد ثون ، فإن يكن في أمي منهم أحد ، فمهر منهم »^(٢) ، أو « موتته إياه ، على أصم أقوى من طاقته في العادة وتسبيله له ، أو تجنيبه خماراً كان مخففاً »^(٣) . الخ .

وهذه الكرامات ، هي في الواقع منحة من الله سبحانه ، وتكريم لذلك العبد الذي أحبه الله واتبع رسوله فأحبه الله ، كما نطق بذلك الحديث « ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به . . الخ » فالعمل فيها لله أولاً وأخيراً^(٤) .

= كلام ابن عربي في ذلك : « وما رأينا قط من عند الله في حقه تعالى في آية أنزلها ، أو إخبار عنه أو صلة إلينا فيما يرجع إليه ، إلا بالتحديد تنزيهاً كان أو غير تنزيه ، أو له الملاءم لئلا ما فوقه هواء ، وما تحته هواء ، فكان الحق فيه ، قبل أن يخلق الخلق ، ثم ذكر أنه استوى على العرش ، فهذا أيضاً تحديد . ثم ذكر أنه في السماء ، وأنه في الأرض ، وأنه معنا أينما كنا ، إلى أن أخبرنا أنه عيننا ونحن محدودون ، فما وصف نفسه إلا بالحد . النصوص ١١١ .

(١) قطر الولي في جواز الكرامات .

(٢) قطر الولي في (المقياس في قبول المكاشفات) .

(٣) نفس المصدر في (جواز الكرامات) (المراد من أن الله صار جميع العبد

وبصره) .

(٤) قطر الولي في (جواز الكرامات) . وإلى هذا ذهب ابن تيمية أيضاً .

أنظر (النبوات) ص ٢٠٧ ، الفرقان ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

٢ — رأى الفلاسفة الإشرافيين والصوفية :

حقاً إن الفلاسفة الإشرافيين ، ومن نبتا نفوسهم من الصوفية يستدلون بالحديث على وقوع الكرامات ، غير أنهم ردوها إلى طبيعة النفس ، وقوة ذاتية فيها ، حصلت لها بعد صفائها بالرياضة والمجاهدة ، ووصولها إلى درجة العرفان ، وتحولها إلى جوهر أمسي من جوهرها ، هو جزم الملائكة ، وقربها من طبيعة الإله ، فأصبحت لها القدرة على التأثير في الكون والتعرف فيه ، كقدرتها على تأثيرها في جسمها وتصرفها فيه ^(١) .

فكانت الرياضة والمجاهدة ههنا ليست ، من باب التقرب إلى الله ، وإنما هي ، لتغيير جوهر النفس كما قالوا ، وجعلها في مدد نفوس الملائكة بحيث تستطيع الإيمان بتلك الخوارق ^(٢) . وهنا يظهر الفارق بينهم ، وبين طريفة

(١) راحة العقل للكرماني ص ٩٧ ، والإشارات والتنبيهات لابن سينا ص ٨٧٨ — ٨٨٦ ، ص ٨٩٢ ، ٨٩٩ . قسم ٣ ، ٤ طبعة دار المعارف ، السهروردي مجموعة في الحكمة الإلهية ، (كتاب التلويحات ص ٢٢ ، ٩٧ ، هيا كل النور ص ٨٥ — ٨٧ . ومن تعليل السهروردي لذلك » . . اعلم أن النفس غير منطبعة في البدن ، وقد خضعها البدن . . . وإذا كان كذلك فلا عجب أن يكون لبعض النفوس قوة إلهية ، تكون بقوتها كأنها نفس العالم ، يطيعها المنصر ، طاعة بدنها لها سيما وقد علمت أن جميع المنصريات ، وجميع الأجرام ، مطيعة للمجردات فإذا زادت النفس في التجرد والتشبه بالمبادئ واردات قوة . . فيكون لها التأثير بكثر من الغرائب ، وأيضاً ، قد يحركون أجساما يعجز عن تحريكها النوع » ص ١٢ التلويحات . ينظر أيضاً ص ٥٠٣ — ٥٩٥ من نفس المجموعة .

(٢) السهروردي : مجموعة في الحكمة الإلهية ص ١٠٦ ، ١١٢ ، ١١٣ ، وابن سينا ، الإشارات والتنبيهات قسم ٣ ، ٤ : ص ٧٥١ — ٧٦٧ ، ٨٢٨ ، ٨٣٤ وآراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي ص ٦٦ ، ٦٧ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٨٤ — ٨٧ ، رسائل إخوان الصفا ج ٢ ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

القرآن التي يدين بها الإمام الشوكاني ، فإن هذه الأخيرة ، تغلب النظرة فيها إلى إظهار طاعة الله سبحانه ، والتقرب إليه ، وما فيها من نظرة إلى النفس ، لا يبدو أن يكون نظرة تأديبية ، وأثراً أخلاقياً ليس خبر . وعلى قدر الفارق بين الطريقتين كان الفارق بين النتيجةين ، والاختلاف بين الفاتيتين .

والنفس التي تنيرت ، أو تطورت هذا التطور ، هن طريق الرياضة والجاهدة ، هناك نفس أخرى تشبهها ، هي نفس السحرة والسكمان ، كما أن هناك نفس ثالثة قد تنيرت هذا التنير ، ولكن بطريق المرض أو الجنون ، وهم يعتبرون تلك النفوس الثلاثة ، في مستوى يكاد يكون واحداً ، في الإيمان بالسكمانات والتأثيرات من كشف ، أو قدرة على التأثير في الغير ، وفي مظاهر الطهيمية (١) ، فسووا بذلك بين الولاية وبين السحر والسكمانات ، والجنون ، وما إليه من الأمراض النفسية الأخرى ، بل وبين النبوة . وجعلوا المعجزات من باب السحر والسكمانات والنجامة ، تأها ترجع إلى سيطرة النفس على البدن ، وفقد العقل والفكر ، ته على سيطرته على الوعدان والخيال (٢)

وبهذا فلا مظهر للولي أو النبي يختلف هن مظاهر الساحر والسكمان ، وصارت السكمانات من أفعال الشخص ، وكذلك المعجزات من أفعال النبي ، ولم يعد هناك تكريم من الله للولي ، ولا تأييد منه للنبي ، بل ضاهت الولاية والنبوة ، في نموذجة السحر والسكمانات ، وحالات الجنون واختلاط الأهصاب .

(١) آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٧٧ ، التلويحات ص ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٣ ضمن مجموعة في الحكمة الإلهية للسهروردي ، الإشارات لابن سينا قسمي ص ٤٣ ، ٤٤ ، ص ٧٨٧ — ٨٩٩ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٦ ، معارج القدس المنسوب إلى الغزالي ص ١٦٥ ، ١٦٥ ، ١٥٧ — ١٤٩ .

(٢) نفس المصادر المتقدمة وصفحاتها ، هياكل النور للسهروردي ص ٨٢

وحيلند ؛ فلا صلة بينهم وبين ما يستدلون به من الحديث : « ولا يزال
عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه » ، فإذا أحببته كنت سمعه . . . إلخ » ،
وإنما يمكن أن نتلمس تلك الصلة في نظرية المعرفة الإشرافية ، التي يدعون
بها في نظريتهم في الولاية والنبوة ؛ والتي تقوم على نظرية انقياض سواء كانت
قارابية أم أفلوطينية ^(١) ، فكلتا النظريتين ترى أن الإنسان جوهرًا إلهيًا
ومق ما حصل على الخلاص من هذا العالم فقد ظهر فيه هذا الجوهر ، وغابت
إلهيته ، أو ملائكيته على بشريته وصارت نفسه من القوة بحيث تستطيع أن
تصرف تصرف الإلهيين أو الملائكة ^(٢) ، وهو ما دعا الصوفية الذين هاجمت
هليمهم الفاسفة ، إلى إدناء الألوهية ، والقفول بالحلول أو الاتحاد ، أو وحدة
الوجود ، ثم ادعاء القدرة على إظهار الخوارق أو الكرامات ^(٣) .

(١) آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٨٢٦٢ ، تاريخ الفلسفة اليونانية • يوسف
كرم ص ٢٨٨ - ٢٩٥ ، ابن سينا الاشارات ص ٨٦٢ - ٨٧١ قسمي
٤٠٣ ، ٨٧٤ - ٨٨٦ من نفس المصدر ، ومعارج القدس المنسوب إلى
الغزالي ص ٢٣٤ ، ص ٥٦ - ١٦٧ ، السهروردي ، مجموعة في الحكمة
الالهية ص ٥١ - ٩٧ ، هياكل النور ص ٨٥ ، راحة العقل للكرماني
ص ٤٠١ - ٤٠٥ .

(٢) نفس المصادر المتقدمة والصفحات ، راحة للعقل للكرماني ص ٤١٧

(٣) السهروردي مجموعة في الحكمة الالهية ص ٦٧ - ٥٠٤ ، ٥٠٣ ، ٩٩
تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٢٣١ - ٣٠٤ ، ٣٣٨ - ٣٧٧ ، ٣٨٦
الصلة بين التصوف والتشيع ص ٢٦ - ٤٩ وقارن أيضاً ص ٣٣ ، ٥٨٢٤
فقد جعلوا تلك القوة النفسية مظهرًا لمعرفة اسم الله الأعظم الذي عن طريقة
يحيون الأجسام النوعية من صورة إلى أخرى ، وهو ما شاع في أوساطهم بمعرفة
الكيمياء ، وتعلمها فهي ليست كيمياء مادية ، وإنما هي كيمياء نفسية ، ويعلق
الدكتور الشبلي على ذلك بقوله : ولهذا وجدنا الكيمياء مقترنة دائماً بعلم الباطن
والأشراف على كثير من علم الفلسفة ويبدو أن الهدف من هذه الكيمياء تحقيق

ولأنهم يفسرون الكرامات بقوى النفس ، ويلسجونها إلى ذلك التخصيص
فقد أشموا نظريتهم في المعرفة أعمال السحرة والكهان ، وفسروها بها . وبهذا
قد سجلوا على أنفسهم ، أنهم لا يستقون آراءهم من هذا الحديث الذي معنا ،
وإنما من تلك النظرية التي تمت بسبب كبير إلى الغنوصية ، وفي واقعها
الإلحادى ^(١) كما أشار إلى ذلك الإمام الشوكانى .

أما الإمام الشوكانى ، فلأنه لا يؤمن بشيء من ذلك ، فقد رفض أن
تكون أعمال السحرة والكهان أو المجانين والمرضى ، من قبيل كرامات
الأولياء ؛ لأن كرامات الأولياء إنما أكرمهم الله بها ، لأنهم أحبواؤه وأولياؤه
وأما أولئك فمنهم من أبعد عن هذا التكريم ؛ لأنه هدو لله ^(٢) ، ومنهم من
لم يأبه الله له ، لبلوغه من اختلال العقل وعدم أحتيائه للتكليف أن لا يكون
له ولياً ، ولا عدلاً ^(٣) ، وحينئذ فلا مجال لإسناد أعمالهم بهذا الحديث ، وإنما
يمكن أن يلتبس هذا الإسناد في نظرية المعرفة عند الحكماء من أتباع
الأفلاطونية الحديثة ^(٤) .

القدرة الروحية على التصرف في الأشياء على نحو مماثل تغير الإكسير المعادن .
الحسية إلى شريفة ، وإكسير الكيماويات النفسية هو اسم الله الأعظم الذى يحقق
كل المعجزات مادية ومعنوية مما لا يصل إليه الإكسير المادى فى تأثيره ص ٣٣
ينظر أيضاً فى التصوف الإسلامى وتاريخه ص ١٨ ، ٢٢ ، ٢٦ فيما ينصل بوحدة
الوجود .

(١) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية تبع ج ٥ ص ٩٣ ، ٩٤ الفرقان .
له أيضاً ص ٨٨ — ٩٣ .

(٢) قطر الولى فى (خوارق غير الأولياء) .

(٣) قطر الولى فى نفس العنوان المتقدم .

(٤) نفس المصدر .

الفصل الخامس

أفضل الأولياء

(أ) رأى الإمام الشوكاني :

يرى الإمام الشوكاني أن أفضل أولياء الله من البشر هم الأنبياء ، وأفضل الأنبياء ، الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وأن أولياء الله غير الأنبياء لا يزالون في درجاتهم مع الأنبياء والرسل كدرجة التابع من المتبوع^(١) .

(ب) رأى الصوفية :

ولكن الصوفية والشيعة كما تقدم لنا يصنفون الأولياء بهجات^(٢) ، أباحت لمن رام الدخول في مفاضلة بين الأولياء والأنبياء ، من متفلسفي الصوفية ، أن يفصل الأولياء على الأنبياء ، ويرى في الأولين تفرقا في البحث الفكري ، والعالم الذوقي مما ليس للآخرين^(٣) ، ولعل أبرز مظاهر هذا التفضيل ، ما يدعيه بعض الصوفية من حلول الله فيهم أو اتحادهم به ، مما ينضدن القول بألوهيتهم ، وتصرفهم في الأكوان وفي الناس^(٤) .

(١) قطر الولي في (أفضل الأولياء) .

(٢) ينظر ما مضى من هذه الدراسة .

(٣) ينظر على سبيل المثال ، فصوص الحكم ص ١٣٣ ، ١٨١ ، ١٨٢ .

١٥٦ ، التعليقات ص ١٣٩ ، ١١٧ ، ١٦٤ .

(٤) الصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ٤٦ — ٤٩ ، الإشارات قسم

٣ ، لابن سينا ص ٨٩٢ — ٨٩٩ مجموعة في الحكمة الإلهية للمهر وردى

ص ٩٧ .

هذا في التصوف المتقدم^(١) ، وفي التصوف المتأخر رأينا الذين غلب عليهم التفاسف ينحون هذا النحو ، وإن كان بصورة غير سافرة ، فتد حاولوا تقييدها ، بنظائرهم أنهم يشيدون بالنبوة ويثبتونها في انفسهم^(٢) ، ولكنهم رغم هذا لم يفعلوا أكثر من إثبات محامهم على النبوة وتفضيل الولاية عليها ، أو مساواتها بها على الأقل ، فاسهروردي المقتول ، قد جعل النبوة طريقاً مماثل طريق الولاية وهو شدة الاتصال بالمثل افعال ، وإن كن يميز النبي عن الولي بأن يشترط فيه ، أن يكون مأموراً من السماء بإصلاح النسخ^(٣) ، كما أنه يجعل النبوة دائمة غير متقطعة ، ويرى أنها لم تنضم بمحمد صلى الله عليه وآله وكأنه يرى بذلك إلى أن الفلاسفة أو الأولياء المتأملين ، ليسوا في الواقع إلا أنبياء فإن هقيديته ، أن الأرض لا تخلق من متوغل في التأله ، لأنها لا تستغنى عن إمام . وما دام قد جعل طريق الإثنين واحداً فمن المنطوق عنده أن النوعين متساويان ، بل يبالغ به الأمر إلى أن يفضل الولي على النبي ، لأن الولي عنده أكمل من النبي ، ولأولياء ، أو الفلاسفة السالكين ، وإن كانوا يتساوون مع الأنبياء في التأله ، إلا أن النبي يهزم عن الفلاسفة المتأملين في البحث والحكمة ، ومن هنا كان الصنف الأخير أحق من الأول بالخلافة عن الله والتلقى عنه^(٤) ، وبهذا فقد أنكر نصاً منصوص الدين

(١) ينظر ما تقدم من هذه الدراسة .

(٢) ينظر في ذلك مثلاً ، هياكل الدور للسهروردي ، الهيكل السابع وخاصة ص ٨٧ من الطبعة الأولى تحقيق الدكتور (أبو ريان) .

(٣) مجموعة في الحكمة الإلهية ص ٩٥ ، قارن : أصول الفلسفة الإشراقية عند السهروردي ص ٣٠٦ .

(٤) أصول الفلسفة الإشراقية ص ٨٩ نقلاً عن مقدمة حكمة الإشراق للسهروردي .

وأصلاً من أصوله ، وهو اكتمال النبوة والرسالة بمحمد ﷺ فضلاً عن إزرائله مقام النبوة مما تسبب في مقتله على يد صلاح الدين الأيوبي^(١) ، الذي قضى على الخلافة الإسماعيلية في مصر .

والسهروردي في هذا متأثر بالترامطة والباطنية الذين يرون أن الإمام أرقى الواصلين في عصره . وأكثرهم اعتقاداً لتأني إشراف الأنوار الدنيا ، وهو مأمور من هذه القول ، ومفوض منها لنولي الإمامة^(٢) . وأن الأرض لا تستغنى عن ضرورة من الإمام ، لأن الفيض دائم وباقي مبدوءة^(٣) . وهذه الفيض فإن الإمام يفوق درجة النبي في كثير من الأحوال .

وهذا الاتجاه هو أبرز ما يميز فلسفة ابن عربي وتصوفه ، فإن النبوة هذه أيضاً لم تنقطع ولم تنته عند محمد ﷺ ، ويستند في ذلك مبدأهم الباطني في التأويل الذي يحرفون به الكلام عن مواضعه ، فيرى في تسمية أبي بهجائه نفسه في كثير من آيات القرآن الكريم بالولي وهم تسمية النبي ، دليل على هدم انقطاع النبوة أو الرسالة ، فإن لفظ النبي أو الرسول فيه مظهر للعبودية والترب والتواضع من الله ، فلا ينبغي ذلك الاسم أن يرتفع بمجابهة إلى درجة مشاركته لله سبحانه في اسمه ، أما لفظ الولي فيه مشاركة العبد للرب في الاسم ، وهذا يشق على المخلصين من الأولياء ، أن يزاحوا البارئ تعالى في اسمه تواضعاً منهم ، فلذا أبقى لهم النبوة والرسالة دون انقطاع إكراماً لهم ، والرسول صلى الله عليه وسلم وإن كان قد نفاها بعده ، أو جاء هذا في القرآن

(١) أصول الفلسفة الإشراقية ص ٩١ ، هياكل النور ص ١٢ (السهروردي) نساجي الكيالي ص ٢٧ — ٣٠ .

(٢) أصول الفلسفة الإشراقية ص ٨٨ .

(٣) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ص ١٨٢ ، ١٨٣ ، ص ١٨٨

الكريم ، فإنها ما انتظم منها إلا الاسم ، وإلا هو الوحي الخاص بالرسول
والتي من نزول الملك على أذنه وقلبه ، وأما هي من حيث هيئتها وحكمها
غما نسخت ، بل باقية في الأولياء والعلماء والمجاهدين ولهم الأنبياء^(١) .
باقية في الأولياء والعلماء بالنسبة لسلهم الباطن ، وبالنسبة أيضاً لورثة
النسري^(٢) . وهذا ينبغي منه على أن النبوة نوعان : نبوة تشريع ، وهي

(١) فصوص الحكم ص ١٣٤ — ١٤٥ ، الفتوحات المسكية ج ٢ ص ٣٣٥ ،
ومن قوله في ذلك : « وللاولياء في هذه النبوة مشرب عظيم ولا سيما النبي
ﷺ قد قال فيمن حفظ القرآن « إن النبوة قد أدرجت بين جنبيه ، فإنها له غيب ،
وللهي شهادة » ، ولكن الإمام الشوكاني قد ذكر في الفوائد المجموعة في
الأحاديث الموضوعة « باب فضائل القرآن » حديث رقم (٧١) ونصه : « من
قرأ ثلث القرآن أعطى ثلث النبوة ، ومن قرأ ثلثيه أعطى ثلثي النبوة ، ومن قرأ
القرآن فكأنما أعطى النبوة كلها » فذكر في سننه من هو كذاب ، ومن
يروى الأباطيل ، مما يشمل على القول بسنن حديث ابن عربي الذي يستدل به ،
وهذا لأن شرط الفضل ليس العلم ولا الحفظ وإنما الشرط العمل .

(٢) فصوص الحكم ص ١٣٥ ، ومن قوله في ذلك : « إلا أن الله لطف
بعباده ، فأبقى لهم النبوة العامة التي لا تشرع فيها . . . وأبقى لهم الورثة في
التشريع فقال : « العلماء ورثة الأنبياء » وما تم ميراث في ذلك ، لا فيما اجتهدوا
فيه من الأحكام الشرعية . ويعني بالاجتهاد ، اجتهد الأولياء والأئمة الخلفاء ،
على مقتضى الذوق والكشف ، لا اجتهد العلماء المعروف ، المبني على النظر
والاستدلال ، والبحث في القرآن والسنة ، ينظر الفصوص ص ١٦٢ ، ١٦٤ ،
والتعليقات ص ٢١٥ ، والفتوحات ج ٢ ص ٦٦٦ . وهو بهذا ينسخ حكم
الشريعة المحمدية ، بحكم علم الباطن الذي أتى به الأولياء عن طريق الاجتهاد
المبني على الذوق ، خاصة وأنه سبحانه أنبياء ورسلا ، بعد محمد ﷺ ولهم الزيادة
في إثبات حكم أو نسخه حسب ما يصح لهم من الأحاديث بناء على ذوقهم
واكتشافهم ، انظر الفصوص ص ١٦٤ ، ١٦٣ .

النبوة الخاصة التي أتى بها المرسلون من طريق جبريل ، أو العقل الفعال وهي التي ختمت فقط بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ونبوة هلم وهي النبوة العامة التي يتصف بها الأولياء والأئمة وهي التي لم تلته بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وهلمها ليس من جبريل ولا عن طريق العقل الفعال ، وإنما هلمها من الله مباشرة ، ومن نفس الممدن الذي يأخذ منه جبريل ليروح بالذي يأخذه إلى الرسول^(١) ، ويستبدل لذلك بقول أبي يزيد البسطامي في مقارنته بين الكتاب والسنة — وأنها وصلا إلينا عن طريق الصحابة ثم التابعين ثم تابعيهم ... الخ — وبين هلمهم الذي الذي أخذوه من الله مباشرة « أفندتم هلمكم مينا من بيت ، وأخذنا هلمنا من الحى الذي لا يموت »^(٢).

فإلى جانب المقابلة بين التأويل والتزويل ، وتفضيل الأول على الثاني ، نجد خطأ من قدر الصحابة (رضى الله عنهم) وهو اتجاه رافضى وباطنى ملحوظ.

ويفصح عن هذا الاتجاه عند ابن عربى ، ما يراه فى الشرائع السماوية ، وإنها إنما يحتاج إليها ، للتعرف بأحوال الدار الآخرة ، وأن أمور الدنيا يستوى فيها تشريع الفلاسفة والحكماء مع تشريع الأنبياء^(٣) ، بل لند ذهب إلى أن الولي يحصل فى هلمه إلى ما يتصور الرسول عنه فيما يتعمل بالله وأسمائه وصفاته ، وذلك لأن النبي صاحب شرع وتشريع فخط لا صلة له بالملميات ، « فإذا رأيت النبي ينسكلم بكلام خارج عن التشريع فن حيث هو على وعارف ،

(١) فصوص الحكم ص ٦٢ ، ٦٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٦٢ ، ١٩٦٢ ، التعليقات على الفصوص ص ٢٢٢ . انظر أيضا ما مضى من هذه الدراسة .

(٢) الفتوحات المسكية ج ٢ ص ٣٣٥ .

(٣) الفتوحات المسكية ج ٢ ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

ولهذا مقامه من حيث هو عالم أتم وأكمل من حيث هو رسول^(١) ، فإذا كانت النبوة قد انقضت ، والرسالة قد ختمت فمن حيث هي نبوة تشرع ، وأما النبوة بالمعنى العام الذى يفهمه ابن عربى وقرناؤه ، أى نبوة الأولياء التى يتلقون فيها من الله مباشرة ، فإنها لم تنقطع^(٢) . ولهذا قال ابن سبعين : لقيه زدت حديث : « لاني بعدى » : « نبيا هربيا »^(٣)

وبطل ابن عربى هذا التفوق الذى يلبسه إلى الأولياء ، بذلك الذوق الصوفى أو الوعى الداخلى ، وذلك النظر العقلى ، الذى يتمتع به الأولياء^(٤) دون الأنبياء ، والذى يقوم بمهمة التأويل . وقد اعتبره أسمى سمة من الوعى الخارجى الذى يصفه بالسذاجة والقصور من إدراكه مالا ينال إلا بالذوق والعقل^(٥) . فالأولياء هذه يتلقون الوعى ، كما يتلقاه الأنبياء ، ولكن رضى

(١) فصوص الحكم ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٢) نفس المصدر والصفحة ، والتعليقات ص ٢٢٥ ، الفتوحات ص ٢٦٦ .

(٣) شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية ص ٩٣ ، ٩٤ .

(٤) القصص ٦٣ ، التعليقات عليها ص ٣٢ .

(٥) ومن قوله فى ذلك : « فلما كانت الأنبياء لا تأخذ علومها إلا من الوعى الخارجى الإلهى ، فقلوبهم ساذجة من النظر العقلى ، لعلمهم بقصور العقل من حيث نظره المنكرى عن إدراك الأمور على ما هى عليه . والاختيار أيضاً يقصر عن إدراك ما لا ينال إلا بالذوق فلم يبق العلم السكامل إلا فى التجلى الإلهى ، وما يكشف الحق عن أعين البصائر والأبصار من الأغشية فتدرك الأمور فديما وحديثها على ما هى عليه فى حقائقها وأعيانها » فصوص الحكم ص ١٣٣ ، وفى تعبيره هنا بالوعى الخارجى إشارة إلى مذهبه فى الوعى ، وأنه قسمين : خارجى وهو الوعى الخاص بالأنبياء الذى ينزل بالشريعة الظاهرة مع جبريل عليه السلام ، ودخلى وهو ما تدركه نفس الولي — بطريق الذوق والتجلى — عن الله مباشرة ، وهو الوعى الخاص بالأولياء الذى به يتلقون الشريعة الباطنة عن

الأولياء يأتيهم بتجلى الحق لهم وشاهدته ، وفى مجىء الوحي بهذه الطريقة ههنا من الشيطان ، « فهو وحى خالص لا يشوبه ما يفسده »^(١) . بسبب أنه من الذات الهية مباشرة على عكس وحى الأنبياء فى نظره الذى يأتيهم من طريق جبريل ، وهو بذلك لا يهتدو أن يكون مجرد إخبار لا ذوق ، ولا اجتهد للنبي فيه . كما أنه يرى أن مرجع النازل عند الأنبياء ، هو ما يوصيهم من العلم ، انبساطى الذى عليه الأولياء : « فرجع الرسول والنبي المشرع إلى الولاية وانهم ، ألا ترى الله تعالى قد أمره بمطالب الزيادة من العلم ، لأنه غيره ، فقال له أرى (وقل رب زدنى علما) وذلك أن المشرع تكليف بأعمال مخصوصة محلي هذه الدار ، والولاية ليست كذلك »^(٢) .

ويصف ابن تيمية هذا الاتجاه الذى يجده أيضاً عند إخوان الصفاء ، وابن سينا وغيرهم فيقول : « فإن هؤلاء الملاحدة من للتفاسفة ومن سالك سبيلهم من المخالفين ! » جاء به الرسول فى الأمور العلمية ، كالوحدانية والمعاد وغير ذلك يقولون : إن الرسول أحكم الأمور العملية المتعلقة بالأخلاق والسياسة المدنية والمدنية ، وأتى بشريعة عملية هى أفضل شرائع العالم »^(٣) . وأما الأمور العلمية التى أخبر بها من صفات الرب وأسمائه وملائكته وكتبه ورحله واليوم الآخر — فلما رأوها تتخالف ما هم عليه ، صاروا فى الرسول فريضة : فغلطهم يقولون : إنهم لم يكن يعرف هذه المعارف وإنما كمال فى الأمور العملية .

الله ، أو عن النفس مباشرة لأن مذهبه فى وحدة الوجود لا يفرق بين ذات الله وذات الولي أو الإنسان فهذا الأخير عنده جزء الأول أو صورة من صور .

(١) الفتوحات المكية ج ٢ ص ٦٠ ، ٦١ .

(٢) فصوص الحسك ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٣) نقض المنطق ص ٨٥ .

وأما الأمور العلمية ، فالفلاسفة أعلم بها منه ومن غيره من الأنبياء »^(١) .

« ويدين صلة هؤلاء بالشيعة الغلاة فيقول : وهؤلاء يقولون : إن هلميا كان غليساوفا ، وإنه كان أعلم بالعليات من الرسول ، وإن هارون كان فيلسوفا ، وكان أعلم بالعليات من موسى »^(٢)

والفريق الثاني منهم يقولون : « إن الرسول كان يعلم علمهم ، فيعرف أن الرب ليس له صفة ثبوتية ، ولا يرى ولا يتكلم ، وإن الأبدان لا تقوم إلى آخر ما يقول به الباطنية في الباطن ، ولا يمكن ما كان يظهر ذلك للمامة »^(٣)

ويعلق على هذا استاذنا الدكتور محمود قاسم بقوله : « فلا مغل أن النتيجة واحدة رغم وصف الرسول بالجهل عند الفريق الأول ، ووصفه بالكذب عند الفريق الثاني ، وهي أن التأويل يفسخ التنزيل »^(٤) أوعلى هلميه على الأقل .

وهكذا نجد الولاية الصوفية التي تقوم على السلم الباطني الآن عن طريق الفيض الإلهي ، والتي رأى فيها الفارابي السعادة الكاملة^(٥) ، والتي قال فيها أحد الغلاة من أولياء الشيعة : « إن الله أرسل محمداً بالتنزيل ، وأرسله هو بالتأويل »^(٦) . تنحصر العلم على نفسها ، وتخلي الأنبياء والرسل عنه ، وهو اتجاه

-
- (١) نفس المصدر ص ١٣١ ، قارن رسائل إخوان الصفا ج ٤ ص ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ إلى ١٩٦ .
 (٢) نقض المنطق ص ١٣١ .
 (٣) نفس المصدر ص ١٣٢ .
 (٤) من إضافاته أعضاء مراجعة الرسالة .
 (٥) آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٦٦ .
 (٦) قائل هذا هو أبو منصور المجلي . الهلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ٥٧ ، ١٣٤ ، ١٣٦ .

فسلماني كذلك التتيا في تصوف ابن عربي .

وعما يظهر غلو ابن عربي تشييه ، تفسيره للنبا العظيم ، في قوله تعالى .
(هم يتساءلون من النبا العظيم) بعلى بن أبى طالب وظهوره في الوجود^(١)
وهي فكرة الشيعة الفلاة الذين وصلوا به إلى درجة الألوهية ، وفكرة
الباطنية على العموم .

فكرة خاتم الأولياء عند ابن عربي ومناقشتها :

وترتبط فكرة ابن عربي في العلم الباطن بفكرة خاتم الأولياء قياساً على
خاتم الأنبياء ، وفي رأى ابن عربي أن خاتم الأولياء ، يملو على الأنبياء ،
وهو الرسول صلى الله عليه وسلم^(٢) لأنه يستقي من الله مباشرة ، أى من
المعدن الذى يأخذه منه الملك الذى يوحى به إلى الرسول^(٣) في حين يمد
خاتم الأولياء أيضاً مصدرًا يستقي منه الأولياء والأنبياء ، الذين ينح لهم
علم الباطن^(٤) .

وذلك راجع عنده إلى أن الرسالة والنبوة — أهني نبوة التشريع
ورسالته — تنقطعان ، والولاية لا تنقطع أبداً ، فهذا مظهر أفضالته عنده ، جعل

(١) سورة النبا آية : ١ ، تفسير ابن عربي ج ٢ ص ١٨٤ ، قارن الصلة بين
النصوف والتشيع ج ١ ص ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، السكافي ج ٢ ورقة ٣٧ مخطوط بدار
الكتب (رقم ٢١٢٢٦ ب) لصاحبه أبو جعفر محمد بن يعقوب السكافي .

(٢) يلاحظ أن ابن عربي يتكلم هنا عن ختم الولاية المحمدية ، لأنه يرى أن
الحتم ختان : ختم الولاية المطلقة ، وهو عيسى عليه السلام ، وختم الولاية المحمدية .
وهو ما تتكلم عنه هما (انظر الفتوحات ج ٢ ص ٦٤) .

(٣) فصوص الحكم ص ٦٢ .

(٤) نفس المصدر والصفحة .

خاتم الأنبياء والأنبياء يأخذون من خاتم الأولياء^(١) ، عليهم الباطن الذي يتصل بالله ولكون ؛ — إن كان عندهم شيء من هذا العلم . ويعمل ذلك بتعليم ، مبنى على المغالطة وتنقيح الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فيرى أن ختم الله سبحانه نبوة التشريع بمحمد صلى الله عليه وسلم « صير من كان نبيا عند بعثته صلى الله عليه وسلم وليا بحسن الاستماع وحكم الاتباع ، والتحق بالامة ، كذلك جرى الحكم في هذا الولي الآتي بهذا انتمت العلى ، فليس اختتم بالزمان ، وإنما هو باصتيه مقام العيار »^(٢) . فلهذا عرف أن مرتبة الرسل والأنبياء ، باقية في الدنيا والآخرة (ومن يطع الله والرسول ، فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين ، والصديقين . . .) ثم إن هؤلاء الرسل ، كانوا المثل العليا التي أمر الله رسوله بالمثل بها « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » . « أولئك الذين هدى الله فبهم دام اقتد » . . فكيف يكون جزاؤهم على حسن طاعتهم وصبرهم على أذى قوتهم في تبليغ رسالتهم ، أن يعصى اسمهم من ديوان النبوة^(٣) ويلاحقون بالأولياء العاديين من الأمة ؟ . ثم بعد ذلك يأخذون من مشكاة خاتم أولياء الصوفية ؟ .

ولقد ذهب في تكميل نظريته هذه ، وتأكيده اتجاهه الفيلسفي المخالف لروح الإسلام ، إلى أن مثل خاتم الأولياء ببلبلتين ، إحداها فضة ، ويشير

(١) نفس المصدر ص ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ .

(٢) عنقاء مغرب ص ٧١ .

(٣) كما صرح بذلك في جانب العزيز في جعله العبارة التي ينسبها إلى الله « لأحسون اسمك من ديوان النبوة » وعدلاوعيدا ، أى وينقله إلى ديوان الولاية ، هيأته الأمر والوحي على التجلى ، بعد أن كان يأتيه بالتلقين والإخبار فقط ينظر الفصوص (الفص العزيز) ص ١٦٤ ، ١٣٦ .

بها إلى الظاهر الذي يتبع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ، والأخرى ذهباً ويشير بها إلى علم الباطن الذي يأخذه عن الله مباشرة . « ولما كان الذهب أفضل فالنأويل أفضل من التنزيل ، أي أنه ناسخ له في التحليل الأخير »^(١) .

ولعله من الواضح أن فكرة خاتم الأولياء هذه فكرة داخلية ، قصد بها التمازج بين الشرع الظاهر والشرع الباطن ، وليست من الإسلام في شيء ، وبؤكده هنا ما يروي ابن عربي من أن الله قد أكرم محمداً صلى الله عليه وسلم فجعل من أمته رسلاً بعده (يقصد بهم الألياء) وأن خاتم الأولياء هذا ليس له هؤلاء الرسل من بعده أرق منه^(٢) ، وهو إن لم يكن علوياً في السبب ، فهو في هادي إلى المشهد والولاية ، ومقامه فوق مقام الصديق لأنه « أخذ نوره من مشكاة النبوة بالوراثة الروحية » وهو « أكبر من مشكاة الصديقية »^(٣) .

والوراثة الروحية هذه هي الأخذ عن الله مباشرة ، لأن في رأيه أن كل نبي يموت ، يرفع الله شريعته عنده ، ويرثها عنه ، وقد جاد بهذه الشرائع على أولياء علم الباطن . « فهم أتباع الرسل مثل هذا السند العالي المحفوظ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »^(٤) .

(١) من تعليقات أستاذي الدكتور محمود قاسم أثناء مراجعته هذه الرسالة ، وأنظر من باب التقابل بين هذا التحليل ، وبين تصريح ابن عربي بوجهته هذه في موضع آخر . الفصوص ص ١٦١ — ١٦٤ .

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ١١ .

(٣) عنقاء مغرب ص ١٨ ، ١٩ نقلاً عن الصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ١٧٥ ، ١٧٧ ، ينظر كذلك عنقاء مغرب ص ١٧ ، ٢٠ ، ٧٧ ، ٧٩ المطبعة الرحمانية سنة ١٣٥٣ .

(٤) الفتوحات ج ٢ ص ٣٣٥ .

ونلاحظ أن في تفضيل هذه الوراثة المدعاة ، على رتبة الصديقية مظهر من مظاهر (الرفض) والباطنية ، كما يقول الإمام الشوكاني ^(١) .

وهذا الذي يقوله في علم الأولياء ، هو ماذهب إليه الشيعة الغالبة في علم (علي) رضي الله عنه والأئمة من بعده ^(٢) .

وفكرة خاتم الأولياء ، فكرة باطلة لم يرد بها شرع ، ولا يوافق عليها هقل ، وهي من اختراع الحكيم النزمذي ، ثم صار يقول بها ويدعيها لنفسه ، كل من تسول له نفسه الطعن على الأنبياء ، أو إبطال الشريعة الإسلامية ، من أتباع الباطنية الغنوصية ^(٣) .

ومفهوم التمييز في هذا أن يصلوا في نظر أتباعهم إلى رئاسة خاتم الأنبياء ^(٤) ، فإن كون الرسل والأنبياء بما فيهم النبي الخاتم ، يأخذون منهم من ولاية من مشكاة خاتم الأولياء ، معناه أن خاتم الأولياء أفضلهم وأرق منهم في العلم والمعرفة ، وأن العلم الباطن هو السائد ، وناسخ للشرع الظاهر كما تقدم ، وهذا الذي ابتدع ذلك قد تناقض هذا الابتداع وأبطله بنفسه ، فإنه لما ذكر هذا في كتاب (ختم الولاية) ادعى بأنه يكون في المتأخرين بناء على هذا من درجته عند الله أعظم من درجة أبي بكر وعمر ، ثم قال بعد ذلك بعدم أفضلية أحد على أبي بكر وعمر ، كرد لبعض الآراء التي تشترط في الولاية العزلة

(١) قطر الولي في : (مبدأ الباطنية) .

(٢) الصلة بين التصوف والتشيع ج ٢ ص ٥٧ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، وقارن صدر هذه الدراسة في (فصل مفهوم الولاية عند الشيعة والصوفيا ص ٧٢ — ٧٤) .

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٨٤ ، ٨٥ ، مجموعة الرسائل والمسائل ج ١ ص ٥١ ، ج ٤ ص ٥٩ .

(٤) نفس المصدر ج ١ ص ٥١ .

عن الناس^(١) .

وأخر الأولياء في الحقيقة ، كما يدل عليه المعنى القوي لمذنبين اللفظين ، وكما يفهم من سكوت الدين عن هذا الاسم وعدم ورود شيء بشأنه ، وهو آخر مؤن تقي تقوم عليه القيامة ، وليس هو بخير الأولياء ولا أفضلهم ، لعدم ورود نص في هذا ، بل أفضلهم أبو بكر ، ثم عمر اللذان ما طلعت الشمس ، وما غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل منهما بنص الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك^(٢) .

كما أن رتبة الصديق — وهي رتبة أبي بكر رضى الله عنه — هي أعلى رتبة بعد النبي ، وهي فوق رتبة الخلد ، « لأن الصديق يناق عن الرسول المصوم كل ما يقوله ويفعله ، والحدث يأخذ عن قلبه أشياء ، وقابله ليس بمصوم ، فيحتاج أن يعرضه على إمام به النبي المصوم صلى الله عليه وسلم » وهو ما كان يفعله عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع الصحابة رضى الله عنهم ولا يقوله لهم أنا أحدث ملهم مخاطب فيأبى لكم أن تقبلوا مني ، ولانعازوز « فكان يحتج لهم ، ويحتجون عليه بالسكناب والسنة^(٣) .

(١) نفس المصدر ج ٤ ص ٥٩ .

(٢) المصدر المتقدم ج ١ ص ٥٢ ، ج ٤ ص ٦٠ ، ويروى ابن تيمية في ذلك عن الترمذي وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في أبي بكر وعمر : « هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين » قال الترمذي حديث حسن . وفي صحيح البخاري عن علي (رضي الله عنه) أنه قال له أبا : يا أبا ، من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : « يا بني ، أبو بكر » قال ثم من ؟ قال : « عمر » . وروى بضع وثمانون نفساً عنه أنه قال : « خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر » . نفس المصدر والصفحة .

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٢٠ .

فليس هناك خاتم الأولياء بهذا المعنى الباطني ، « فإن الولي لا يأخذ من الله إلاّ بواسطة الرسول إليه » وحتى إذا كان عهداً قد ألقى إليه شيء من طريق الإلهام فإنه يجب عليه أن يزنه بهيزان الكتاب والسنة ، وهما واسطة الرسول صلى الله عليه وسلم^(١) .

وعلى هذا فكل « من بلغه رسالة رسول لا يكون ولياً لله » إلا إذا اتبع ذلك الرسول الذي أرسل إليه . وكل من بلغه رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لا يكون ولياً لله إلا باتباع محمد صلى الله عليه وسلم^(٢) . « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله »^(٣) . « قل أطيعوا الله والرسول » فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين^(٤) .

وهي هذا فليس هناك مجال للمفاضلة بين الأولياء والأنبياء ، فضلاً عن أن يقول أحد بفضل الأولياء على الأنبياء ، لأن هؤلاء نوع ، وهؤلاء نوع آخر ، والمفاضلة لا تكون إلا بين أبناء نوع واحد ، كالمفاضلة بين الأولياء بعضهم وبعض ، أو بين الأنبياء بعضهم وبعض ، وكل اتجاه يخالف ذلك فهو يحمل بين ثماياه روافد خبيثة ، قد أبدته بها عناصر إلهادية لا تؤمن بدين^(٥) .

(١) نفس المصدر ص ٧٠ ، ٧١ ، ٨٦ ، ٨٧ ، مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٦٤ .

(٢) الفرقان لابن تيمية ص ٨٦ .

(٣) سورة آل عمران آية : ٣١ .

(٤) نفس السورة آية : ٣٢ .

(٥) ينظر : قطر الولي في (نصيب العاملين من الولاية) وقارن : نشأة الفسك والفلسفي في الإسلام للدكتور للنشار ص ٤٥ .

نهاية المطاف

وبهذا ، ننتهي إلى أن الولاية الصوفية ، والإمامة هذه القلعة من الذممة ،
لا تصلح كلاًهما أن تكون قدوة لنا ، ولا أن يكون طريقهما طريقاً بوصول
إلى درجة الولاية لله سبحانه ، التي نتمناها بها في حديث الأولياء ، أو في غيره
من آيات القرآن الكريم .

ولمّا الطريق إلى ذلك ، هو الطريق الذي رسمه القرآن الكريم ، وجاءت
به السنة الصحيحة .

وقد تقدم الإمام الشوكاني ، فساهم ضمن من ساءلوا من العلماء السابقين ،
وغيرهم من أئمة السنة الصحيحة الخالصة من كل شوب ، في كشف هذا الطريق
وتعميده ، لمن لم يستطع وحده تبيين معالمه ، وسط هذه الأدغال ، وتلك البدع ،
التي حاول بها هؤلاء الصوفية ومن انحازهم من الفلاسفة ، أن يطمسوا تلك
المعالم ، وأن يطفئوا نور الله بأفواههم ، وقدّم لنا كتابه : (قطر الولي على
حديث الولي) الذي هو موضع التمتع ، وهذه الدراسة .

الفقرة الثالثة

قطر الولي على حديث الولي

الإمام محمد بن علي الشوكاني

المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ

النسخ التي رجعت إليها في التحقيق

بعد البحث والجهد ، لم أجده إلا مخطوطتين اثنتين ، الكتاب :
(قطار الولى) .

الأولى — نسخة بخط المؤلف (محمد بن علي الشوكاني) وتوجد بمكتبة
الجامع الكبير بصنعاء في مجلد واحد مع (نثر الجواهر على حديث أبي ذر)
للمؤلف تمت (رقم ٨٦٦ ، حديث) وقد انتهى من كتابتها سنة ١٢٣٩ هـ
وهي بحجم متوسط ، وقد أحضرت هذه النسخة ، وأخذت لها صورة على
(ميكرو فيلم) عن طريق معهد المخطوطات بالجامعة العربية بالقاهرة ، فاستبطنات
معه خروج هذه الصورة ، فأخذت لذلك النسخة صورة أخرى (بالفوتوستات)
بدار الكتب المصرية . وهذه الصورة الأخيرة ، موجودة الآن بدار الكتب
المصرية تحت رقم (٣٣٤٧٤ ب) إلى جانب الصورة التي هي ، ولقي أخذتها
أخيراً من معهد المخطوطات بالجامعة العربية . وكانت هذه النسخة بحالة جيدة ،
حينما أحضرتها للتصوير ، ليست بها خروم ، ولا تآكل ، أو تلف ، أو تشويه
يؤثر على وضوح الكتابة ، أو هدم اتصال الكلام .

وهذه صفحات هذه النسخة ١٣٦ صفحة ، ومكتوبة بخط الرقعة الخالي من
الخط في أكثر الأحوال ، وكتابتها تتسم بطابع التسرع ، ففيها كثير من
الاشتباه إلى جانب الخطأ في كثير من الآيات القرآنية ، وتكرار بعض
الكلمات أو نقصها ، ونقص بعض الحروف ، ونقص بعض البعض وعدم
التجويد ، مما يعطى أنها مسودة لم تبيض بعد كما أشار إلى ذلك ، كاتب النسخة
الثانية حين نقلها من هذه النسخة .

وفي بعض الأحيان ، يكتب الإمام الشوكاني ، التضاد (ظ) حسب نطقهم ، وكذلك قد يصل كلين ، من شأنهما أن يفصلا مثل : (ما) اسم موصول بعد (كل) في قوله (كلما يناله)

والإمام الشوكاني فيها يسكادية تزم قصر الممدود وتسهيل الممدودة وهدم كتابتها إذا جاءت في الوسط ، كما أن فيها بعض الأخطاء الإملائية ، والنحوية ، رغم أن الإمام الشوكاني ، يعتبر حجة في النحو وفي آخر صفحة فيها (ص ١٣٦) تعليق لثلاثة من الفراء العلماء وتقريراغهم وتوقيعهم ، إلى جانب توقيع الإمام الشوكاني

وقد اهرت هذه النسخة الأصل ورمزت إليها ، بحرف (أ)

الثانية : مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم (٥٦٤ حديث) بالمكتبة النيمورية كتبت من النسخة (أ) بخط رقعة واضح ، منقوط إلا في القليل ، بخط مجهول (سنة ١٢٤٠ هـ) ، وقد قرأها وأجازها بعد الكتابته تلميذ المؤلف (محمد بن أحمد الشاطبي) .

وهي في حجم متوسط ، صفحاتها (٢٢٤) وحالتها جيدة ، لولا أن بها بعض الخروم ، التي كادت أن تضيع معالم بعض الحروف .

وكانها ، يلتزم تسهيل الممدودة ، مثل الشوكاني ، وقصر الممدود ، وأخطاء (أ) تسكاد تكون كلها فيها ، وتزيد عليها (ب) ، في أن بها بعض حالات سقوط الكلمة أو الكلمتين ، أو السطر بأكمله ، أو الآية القرآنية كلها ، التي أثبتوها مسودة الشوكاني ، إلى جانب بعض التصحيف من الناسخ ، وهي تمتاز بإثبات بعض الكلمات التي يقتضيها المقام أو الأسلوب ، والتي سقطت من المؤلف في (أ) وكذلك بعض الحروف ، أو إثبات بعض الحروف التي

تتمشي مع الأسلوب ، والتي يكون الشوكاني ، قد وضع في مقابلها ، حرفاً لا يتمشى مع السياق ، أو لا يستقيم به الأسلوب .

كما أن روايتها بعض تعليقات من الفراء ، لتوضيح كلمة ، أو ذكر مناسبة .

وقد نقل النسخ هذه المسخة دون تبويب أيضاً ، هلى فرار الأصل .

وقد رمزت إليها بالحرف (ب) .

منهج تحقيق النص

١ — وضعت أرقام صفحات الأصل ، بالماش الآين من التحقيق .

٢ — قد يسقط في الأصل ، كلمة أو حرف ، من كلمة ، أو يأتي (بهن) في موضع (على) ، أو (فيه) بدل (فيها) ، أو يفتل خطاً إملائياً أو نحوياً ، فأضع الساقط أو ما أراه ، هو التصواب بين معقوفين ، وأنبه عليه في الماش .

٣ — الأخطاء ، أو الزيادات ، في كلمتا اللسخين ، أو النقص في (ب) نبهت عليها أيضاً .

٤ — ما جاء من خطأ من المؤلف في الآيات القرآنية أصلته دون أن أنبه عليه ، أما ما جاء منه من تغير بعض ألفاظ الأحاديث أو زيادتها ، أو نقصها ، فقد نبهت عليه عند المنور هل هذه الأحاديث في مصادرهما الأصلية .

٥ — لاحظت أن الناسخ ، في (ب) يذكر كلمة تعالى دائماً ، بعد لفظ الجلالة ، مخالفاً بذلك الأصل ، فكنت أنبه عليه في البدء ، فلما وجدته مبدأً مطرداً ، اكتفيت بإثبات لفظ الجلالة فقط كما جاءت في الأصل ، دون أن أنبه على المخالفة في (ب) .

٦ — ما وجد من اختلاف بين اللسخين ، وازنت بينه ، وأمضيت ما هو أقرب إلى التصواب ، فإن كان التصواب في (أ) ، أشرت إلى الاختلاف في (ب) ، وإن كان في (ب) أثبتته بين معقوفين ، بدلا من الخطأ في (أ) ونبهت على ذلك .

٧ — حققت النصوص التي نقلها الشوكاني عن غيره ، في مصادرهما التي نقلها عنها ، إلا ما تعذر الوصول إليه ، وهو قليل جداً .

٨ — يلاحظ أن الإمام الشوكاني قد خرج كل الأحاديث التي استدل بها فسكانني بذلك مؤنة هذا العمل .

٩ — ترجمت للأعلام ، إلا ما تمندر الوصول إليه ، وهو قليل جداً وغالبه من رجال السند في الأحاديث ، وقد عرف بهم الشوكاني نفسه إما بالضعيف أو التوثيق ، وما ترجمت له ثم تكرر ذكره ، لم أشر إلى مكان الترجمة ، اعتماداً على إمكان الوصول إليه — لمن لم يقف على ترجمته السابقة — من فهرس الأعلام المثبت في النهاية .

هذا ، وقد قمت بتبويب أجزاء الكتاب وهنوتها ، حسبما هو موجود في التحقيق .

صورة لصفحات النسخة التي كتبها
الإمام الشوكاني بخطه وهي الرموز إليها بحرف (ا)

[illegible]

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وآله الأكرمين ، ورضي الله عن
صحابته الأفاضلين وبعد :

فإنه لما كان حديث : (من هادى لى ولياً) قد اشتمل على فوائد كثيرة
المنفعة ، جلية القدر لمن فهمها حق فهمها ، وتدبرها كما ينبغي ، أحببت أن أفرد
هذا الحديث الجليل ، وألف مستقل ، أثمر من فوائده ما تبلغ إليه الطاقة
ويصل إليه الفهم ، وما أحق به أن^(١) يفرد بالتأليف ، فإنه قد اشتمل على كلمات
كثيرة ، الواحدة منها تحتها من الفوائد ما يستغنى على البعض منه . وكيف
لا يكون كذلك وقد حكاها عن الرب سبحانه من أوتي جوامع الكلم ، ومن
هو أفصح من نطق بالضاد ، وخير العالم بأسره ، وأجل خلق الله ، وسيد ولد
آدم صلى الله عليه^(٢) وآله^(٣) وسلم ؟ .

ولم يستوف شراح الحديث رحمتهم الله ما يستحقه هذا الحديث من الشرح .

(١) في ب (أن يفرد) .

(٢) في ب (صلى الله تعالى) .

(٣) في ب : زيدت (وعلى آله) .

فإن ابن حجر (*) رحمه الله لم يشرحه في فتح الباري (**) إلا بنحو ثلاث ورق (١) مع أن شرحه أكل شرح البخاري (***) ، وأكثرها تحقيقا ، وأعمها نفعا . ولا حاجة لنا (٢) في الكلام على رجال إسناده ، فقد أجمع أهل هذا الشأن أن أحاديث الصحيحين أو أحدهما كلما من المعلوم صدقه بالمقبول . المجموع على ثبوته . وهند هذه الإجماعات تندفع كل شبهة ، ويزول كل تشكيك .

وقد دفع أكبر الأئمة من تعرض للكلام على شيء مما فيهما ، وردوه أباغ رد ، وبينوا صحته أكل بيان . فالكلام على إسناده بهد هذا ، لا يأتي بفائدة يعتد بها . فكل رواة قد جازوا القنطرة ، وارتفع عنهم القيل والقال ،

(١) وذلك من نصف ص ١٩٢ إلى نهاية ص ٢٩٨ ج ١١ من الطبعة الأولى الميرية سنة ١٣٠١ هـ .

(٢) في ب : سقطت كلمة (لنا) .

الأعلام

(*) هو قاضي القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد السكتاني العسقلاني الأصل المصري الشافعي ، المعروف بابن حجر ، لم يكن في عصره حافظ سواء وزادت مصنفاته على مائة وخمسين ، وهو صاحب فتح الباري بشرح صحيح البخاري : (٧٧٣ — ٨٥٢ هـ) .

(**) تقدم التعريف به . ينظر : معجم المطبوعات العربية والمعربة (لسركيس) ص ٧٧ — ٨١ .

(***) هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ، صاحب (الجامع الصحيح) أجل كتب الإسلام وأفضاها بعد كتاب الله العزيز (القرآن) ولد ببخاري سنة ١٩٤ هـ ، ومات في (خرتك) إحدى قرى سمرقند سنة ٢٥٦ هـ .

وصاروا أكبر من أن ينسكلم فيهم بكلام ، أو ينناولهم طعن طاعن ، أو توهين موهن .

وتيمية (قطر الولي على حديث الولي) . قال في الصحاح : والولي المعار بعد الوسمي ، سمي ولياً لأنه يلي الوسمي . وهو من حديث أبي هريرة (٥) . ولفظه في البخاري هكذا : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله تبارك وتعالى قال : من عادى لي ولياً ، فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال (١) عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده الذي يمس به ، وجله الذي يمشى بها ، وإن سألني لأعطيته ، وإن استعاضني أعوضته ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت ، وأكره إساعته » (٣) . انتهى .

(١) في ب : (ما زال) .

(٢) في ب (يده التي ورجله التي) وقد أجاب الشوكاني عن ذلك التذكير في موضع التأنيت حين شرحه لهذه العبارة .

(٣) بين ألفاظ الحديث هنا وفي فتح الباري في الصفحات المشار إليها فيما تقدم ، وفي طبعة (الشعب ص ١٣١ ج ٨) ، اختلاف يسير في الألفاظ ، وليس له تأثير في المعنى . وقد قال ابن تيمية عن هذا الحديث : إنه أصح حديث روى في الأولياء . الرد الأقوم على ما في كتاب فصوص الحكم ص ٤٧ ، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٢٣ .

وقد خرج السيوطي من عدة طرق فقال فيها : كل رجال أسانيد هذه الطرق =

الأعلام

(٥) هو الإمام الفقيه المجتهد عبد الله بن عامر الدرسي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثر الصحابة رواية للحديث ، توفي سنة ٥٧ هـ .

قوله : « إن الله [تبارك] »^(١) وتعالى » ، قال^(٢) : هذا من الأحاديث الإلهية القدسية^(٣) ، وهو يحتمل أن يكون مما تلقاه صلى الله عليه وآله وسلم ، هن ربه بلا واسطة ، ويحتمل أن يكون مما تلقاه صلى الله عليه وآله وسلم هن ربه^(٤) بواسطة الملك .

== قد حازوا القبول ، إلا (خالد بن مخلد) في رواية (الذهبي) في الميزان فإن الذهبي لم يقبله منه إلا لجيئه من طريق البخاري ، وإلا عبد الواحد في رواية أحمد بن حنبل ، فقد اختلف فيه ، وثقة البعض ، وضعفه البعض . وقد ذكر السيوطي زيادة في آخره : « تبدأ من قوله : » وإن من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة ، فأكفه عنه أن لا يدخله عجب في فيفسده ذلك » . (القول الجلي في حديث الولي) ص ٢٥٩ ضمن مجموعة رسائل السيوطي رقم ٢٥ مجاميع مخطوط بدار المکتب المصرية . وقد خرج أيضاً ، الأستاذان : الدكتور عبد الحليم محمود ، وطه عبد الباقي سرور . ضمن الأحاديث التي خرجها في كتاب (اللع) للسراج ، فقال عنه : « هو حديث قدسي ، رواه البخاري عن أبي هريرة ، وأحمد عن عائشة ، والطبراني في الكبير ، عن أبي أمامة ، وابن السني عن ميمون . وقد أخطأ من زعم أن البخاري انفرد بروايته » . اللع للسراج ص ٥٦٥ رقم (٣٠) . وبعد هذا ، فلا اعتداد بقول من قال : إن هذا الحديث من غرائب البخاري ، مثل السيد محمد رشيد رضا وغيره .

(١) (تبارك) سقطت في نسخة (أ) ، ولا بأس من وجودها .

(٢) الفائل : ابن حجر .

(٣) الحديث القدسي : هو ما كان افظه من عند الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومعناه من عند الله بالإلهام ، أو بالثمام ، دون واسطة جبريل عليه السلام ، وأضاف الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرب عز وجل ورواه عنه ، وليس منظوراً في نظمه إلى إعجاز . أما سائر أحاديثه صلى الله عليه وسلم غير القدسية ، فلم يضافها إلى الله تعالى ولم يروها عنه . (قواعد الحديث لمجدال الدين القاسمي ص ٦٦) .

(٤) (عن ربه) سقطت في : (ب) .

قل الكرماني (*) : « يحتمل أن يكون من الأحاديث القندية ، ويحتمل أن يكون لبيان الواقع . والراجع الأول » .
وقد وقع في بعض طرق هذا الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم حدث به عن جبريل عن الله عز وجل .

الأعلام

(*) محمد بن يوسف بن علي الكرماني ثم البغدادي ، له شرح على البيهقي يسمى بالسكواكب الدراري ، (٧١٧ - ٧٨٦ هـ) .

الفصل الأول

من هو الولي ؟

تعريف الولي :

قوله : من عادى لي ولياً قال في الصحاح : والولي ضد العدو انتهى .
والولاية ضد العداوة . وأصل الولاية المحبة والتقرب كما ذكره أهل اللغة .
وأصل الماء البض والبيد . قال ابن حجر في فتح الباري : المراد بولي الله
العالم بالله تعالى [المراتب] (١) على طاعته المخلص في عبادته ، انتهى (٢) .

وهذا التفسير للولي ، هو المناسب لعنى الولي للضاف إلى الرب سبحانه .
ويدل على ذلك ما في الآيات القرآنية . كقوله سبحانه (٣) : (إلا إن أوليائه
الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشري
في الحياة الدنيا والآخر ، لا تبدل الكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) (٤)
وكقوله عز وجل : (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات
إلى النور) (٥) .

وكقوله سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف
يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين أذلة على الكافرين ، يجاهدون
في سبيل الله ، ولا يضافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله
واسع عليم . إنا وإبراهيم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون

(١) في أ ، ب والأصل الذي نقل عنه الشوكاني ، وهو (فتح الباري) :
(المواضع) بالضاد .

(٢) ج ١٣ ص ٢٩٣ .

(٣) في ب (تعالى بدل سبحانه) .

(٤) سورة يونس ، آية : ٦٢ - ٦٤ .

(٥) سورة البقرة ، آية : ٢٥٧ .

الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم
الغالبون^(١) . وغير ذلك من الآيات . فأوليا الله هم^(٢) خاص عباده المقامون
بطاهاته المخلصون له .

أفضل الأولياء :

وأفضل أولياء^(٣) الله هم الأنبياء ، وأفضل الأنبياء هم المرسلون ، وأفضل
المرسل هم أولو العزم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، ومحمد صلى الله عليهم
وسلم وأفضل أولى^(٤) الله نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو الذي أنزل
الله سبحانه^(٥) عليه : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)^(٥) .
فجعل سبحانه صدق محبة الله عز وجل متوقفة على اتباعه ، وجعل اتباعه
تسبب حصول المحبة من الله سبحانه .

وقد أدهت اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه وأولياؤه^(٦) .
(قل فلم يعذبكم بذنوبكم ، بل أنتم بشر من خلق ، يغفر لمن يشاء ، ويعذب
من يشاء ، والله مالك السموات والأرض ، وما بينهما إليه المصير)^(٧) . بل

(١) سورة المائدة آية ٥٤ — ٥٦ .

(٢) وهم المسلمون الذين آمنوا بالله سبحانه وبأنبيائه ، وملائكته وكتبه
ورسله... إلخ .

(٣) في (ب) (أولياء الله سبحانه) .

(٤) في (ب) بعد سبحانه : (وتعالى) .

(٥) سورة آل عمران ، آية : ٣١ .

(٦) في (ب) لا توجد (وأولياؤه) .

(٧) سورة المائدة آية : ١٨ .

أدعوا أنه لا يدخل الجنة إلا من كان منهم^(١) . (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين. بل من أسلم وجهه لله وهو محسن ، فله أجره عند ربه ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ^(٢) . بل قد ادعى ذلك مشركو العرب كما حكى الله سبحانه ذلك عنهم بقوله : (وإذ يمشرك بك الذين كفروا ليثبتوك ، أو يقتلوك ، أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) إلى قوله : (وما كانوا أولياءه ، إن أولياؤه إلا المتقون ، ولكن أكثرهم لا يعلمون) ^(٣) . وهم في الحقيقة أولياء الشيطان ، كما قال عز وجل : (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان ، إن كيد الشيطان كان ضعيفاً) ^(٤) وقال سبحانه : (فإذا قرأت القرآن ، فاستمع له بالله من الشيطان الرجيم ، إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . إنما سلطانه على الذين يتولونه ، والذين هم به مشركون) ^(٥) . وقال سبحانه : (وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا ، إلا إبليس كان من الجن ، فسق هن أمر ربه ، أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني ، وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً) ^(٦) .

(١) يظهر أنه أخذ هذه الفكرة عن ابن تيمية . انظر الفرقان بين أولياء الرحمن ، وأولياء الشيطان ص ٢٧ - ٢٩ . طبعة صبيح سنة ١٩٥٨ .

(٢) سورة البقرة آية : ١١١ ، ١١٢ .

(٣) سورة الأنفال آية : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ .

(٤) سورة النساء آية : ٧٦ .

(٥) في أ ، ب (وإذا قرأت) وهي خطأ .

(٦) سورة النحل آية : ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ .

(٧) سورة الكهف آية : ٥٠ .

[وقال سبحانه ^(١)] : (ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً) ^(٢) وقال سبحانه : (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم للطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات) ^(٣) .

وقال سبحانه : (إنما ذلکم الشیطان یخوفکم أولیاءه ، فلا تخافوهم ، وخانن إن کنتم مؤمنین) ^(٤) . وقال : (إنما جعلنا الشیاطین أولیاء للذین لا یؤمنون) ^(٥) وقال : (اتخذوا الشیاطین أولیاء من دون الله ، یمسجون أنہم مہتدون) ^(٦) وقال سبحانه : (إن الشیاطین لیوحون إلى أولیائہم لیبغوا لکم) ^(٧) . وقال الخلیل ﷺ ^(٨) : (یا أیت ربی أخاف أن یمسک ہذا رب من الرحمن ففسكون الشیطان ولیاً) ^(٩) . وثبت عنہ صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم أن الصبیحین وغیرہا أنه قال : « إن آل أبی فلان لیسوا لی بأولیاء ، إنما وولیّ الله وصالح المؤمنین » . وهو کہول الله سبحانه : (وإن نظام را عبایہ ، فإن الله

(١) لا توجد في (١) ولعلها سهو من المؤلف إذ بها تتميز الآيات بعضها من بعض خصوصاً وأنها من سور مختلفة ، وأن المؤلف سلك ذلك المسلك قبل هذه الآيات وبعدها .

(٢) سورة النساء : ١١٩ .

(٣) سورة البقرة : ٢٥٧ .

(٤) سورة آل عمران : ١٧٥ .

(٥) سورة الأعراف : ٢٧ .

(٦) سورة الأعراف : ٣٠ .

(٧) سورة الأنعام : ١٢١ .

(٨) في (ب) سقطت من الناسخ (صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم) .

(٩) سورة مريم : ٤٥ .

هو مولاه وجبريل وصالح للومنين ، ولللائسكة بعد ذلك ظهير^(١) .

طبقات الأولياء :

قال الإمام تقي الدين ابن تيمية * رحمه الله : هـ (فصل) وأولياء الله
على طبقتين : سابقون ، مقربون ، وأبرار أصحاب يمين مقصدون . ذكرهم الله
صحيحانه في هذه مواضع من كتابه ، في أول الواقعة ، وآخرها ، وفي سورة
الإنسان ، والمطففين ، وفي سورة قاطر ، فإنه صحيحانه ذكر في الواقعة ، القيامة
الكبرى في أولها ، وذكر القيامة الصغرى^(٢) في آخرها . فقال في أولها : (إذا
وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة ، إذا رجعت الأرض رجاء ،
وبست الجبال بما ، فكانت هباء منبثاً ، وكنتم أزواجا ثلاثة ، فأصحاب
الميمين ما أصحاب الميمين وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون
السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم . ثمة من الأولين وقليل من
الآخرين^(٣)) فهذا تقسيم الناس إذا قامت القيامة الكبرى التي يجمع الله فيها
الاولين والآخرين كما وصف في كتابه في غير موضع . ثم قال في آخر السورة

(١) سورة الطلاق : ٤ .

الأعلام

(*) هو أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الدمشقي . نشأ في بيئة
علم وأدب ، ولد في ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ . درس في دمشق ونضج في دراسته ،
حتى صار أحد الأئمة الأعلام ، وزادت مؤلفاته على الثلاثمائة ، وكان له فضل كبير
في جهاد للتتار ، وإنزال الهزيمة بهم . توفي سنة ٧٢٨ هـ .

(٢) القيامة الكبرى : هي يوم القيامة عند انتهاء الدنيا . والصغرى : هي
موت الإنسان في دار الدنيا .

(٣) سورة الواقعة : ١ - ١٤ ، من ٨٣ - ٩٦ .

« فقلوا » ، أى فهلا ، (إذا باغت الحلقوم وأنتم حيلثتم أنظرون . ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون . فقلوا إن كنتم غير مدبرين . ترجعونها إن كنتم صادقين . فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم . وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جهيم . إن هذا لموحي اليقين . فسمح باسم ربك العظيم) . وقال في سورة الإنسان : إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً . إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً ، إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً . عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجييراً . يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً . ويطعمون الطعام على حبة مسكينة ويتواكفوا . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً^(١) الآيات .

وكذلك في سورة المطففين : (كلا إن كتاب الفجار لفي سجين ، وما أدراك ما سجين . كتاب مرقوم . ويل يومئذ للمكذبين . الذين يكذبون بيوم الدين ، وما يكذب به إلا كل معتد أثيم . إذ اتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين . كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون . كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . ثم إنهم لعمالوا الجحيم . ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون ، كلا إن كتاب الأبرار لفي هلمين . وما أدراك ما هلمين . كتاب مرقوم يشهده المقربون . إن الأبرار لفي نعيم . على الأرائك ينظرون . تعرف في وجوههم نضرة النعيم . يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك . وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم . عينا يشرب بها المقربون)^(٢) .

(١) آية : ٤٣ - ٩ .

(٢) من آية ٧ - ٢٨ .

ثخن ابن عباس (*) وغيره من السلف : قالوا بمزج لأصحاب اليمين مزجا .
 ويشرب بها المقربون صرفا . وهو كما قالوا ، فإنه قال يشرب بها المقربون
 ولم يقل منها . لأنه ضمن قوله يشرب معنى يروى ، فإن الشارب قد يروى
 وقد لا يروى . فإذا قيل يشرب منها لم يدل على الرى ، وإذا قال (١) يشرب
 بها كان المعنى يروون بها فلا يستأجرون معها إلى ما هو دونها . فلهذا شربوها
 عرفاً . بخلاف أصحاب اليمين فإنها مزجت لهم مزجا . وهو كما قال في
 سورة الإنسان : (كان مزاجها كافورا . حينما يشرب بها عباده الله
 يفجرونها تفجيرا) .

فعباد الله هم المقربون المذكورون في تلك السورة .

وهذا لأن الجزء من جنس العمل ، في الخير والشر ، كما قال صلى الله عليه
 وآله وسلم : « من نفس [هن (٢)] مؤمن كربة ، من كرب الدنيا نفس الله

(١) في ب (قيل) وهي علاوة على الخطأ في النسخ خطأ في الفهم أيضاً فإن
 المراد ، قال الله تعالى يشرب بها كما تقدم في الآية : (يشرب بها المقربون) . أما
 قيل التي قبلها ، فالمراد بها قول أي أحد غير الله ، لأن مثل هذا التعبير غير الدقيق
 (يشرب منها) لا يجوز أن يسند إلى الله ، ولا أن يكون من أسلوب القرآن ،
 في مثل هذا المقام .

الأعلام

(*) ابن عم النبي ﷺ ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم
 منه ببسر وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين ، وتوفي النبي ﷺ وهو ابن ثلاث
 عشرة سنة ، وكان يسمى البحر لغزارة علمه ، وكان مهر وعثمان (رضى الله عنه)
 يدعوانه فيشير عليهما مع أهل بدر ، وكان يفتى في عهدهما إلى أن مات سنة ٦٨ هـ
 صفوة الصفوة لابن الجوزي ج ١ ص ٣١٤ - ٣١٩ .

(٢) في أ ب (على) ، ولكن الأصح عن ، كما ورد في نص الحديث ، وكما
 نقل ذلك ابن تيمية .

الله منه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله له في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ، ستره الله في الدنيا والآخرة . والله في هون . العبد ما كان [العبد ^(١)] في هون أخيه ، ومن ملك طريقاً يلمته من (فيها ^(٢)) هلك سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه ^(٣) بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وحشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكروا الله تعالى ^(٤) فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله ، لم يسرع به نسبه . رواه مسلم في صحيحه ^(٥) وقال : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » . قال الترمذي : حديث صحيح . وفي الصحيح ^(٦) : « يقول الله تعالى : خلقت الرحم ، وشققت لها

-
- (١) سقطت من (أب) وهي موجودة في نص الحديث، وفي رواية ابن تيمية .
 (٢) في نص الحديث ، وفي رواية ابن تيمية (فيه) بالتذكير .
 (٣) هكذا وردت في (ب) وهي مطابقة لما جاء في نص الحديث ، وفي رواية ابن تيمية ، ولكن الذي جاء في (أ) (يتدارسون) فقط دون الضمير .
 (٤) لا توجد في (ب) كلمة (تعالى) ، كما أنها غير موجودة في نص الحديث ، ولا في رواية ابن تيمية .

(٥) الجزء الثامن : كتاب الذكر ص ٧٩ .

(٦) في الفرقان الذي نقل عنه الشوكاني : (وفي الحديث الآخر الصحيح الذي في السنن) ويروي المحقق أن في صحيح الترمذي لهذا الحديث نقل . أنظر الفرقان ، تحقيق : (محمود عبد الوهاب فايد) ص ٤٣ .

الأعلام

(*) هو الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كرشان القشيري ، النيسابوري صاحب الصحيح المشهور باسمه ، فاني كتب الحديث ، بعد صحيح البخاري توفي سنة ٢٦١ هـ .

الاصحاب من اسمي ، فمن وصلها ، وصلته ، ومن قطعها ، قطعته » . وقال : « من وصل صفا وصله الله ، ومن قطعه قطعه الله » . ومثل هذا كثير ^(١) .

أصناف المؤمنين أو الأولياء :

« وقد ذكر الله ^(٢) أوليائه المقتهدين ، والسابقين ، في سورة فاطر بقوله : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير . جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ، ولؤلؤا ولباسهم فيهاحريراً . وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور . الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ، ولا يمسنا فيها لغوب » ^(٣) .

وهذه الأصناف ^(٤) الثلاثة هم أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) خاصة ^(٥) كما قال تعالى : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) الآية . وأمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هم الذين أورثوا الكتاب بعد الأمم المنقذة . وليس ذلك مختصاً بحفاظ القرآن بل كل من آمن بالقرآن فهو من هؤلاء . وقسمهم إلى ظالم لنفسه ، ومقتصد ، وسابق بالخيرات . بخلاف الآيات التي في التواقعة والمطفئين ، والانفطار والإنسان ^(٦) . فإنه دخل فيها جميع الأمم المنقذة كافرهم ، ومؤمنهم .

(١) انتهى كلام ابن تيمية في المصدر المتقدم من ص ٤١ - ٤٤ .

(٢) في (ب) يوجد (وقد ذكر الله تعالى أوليائه) بزيادة (تعالى) .

(٣) آية ٣٢ - ٣٥ .

(٤) في (ب) توجد « الأوصاف » بدل (الأصناف) .

(٥) أي كل من آمن فهو من الأولياء .

(٦) هذه الكلمة وهي اسم سورة (الإنسان) ليست موجودة في (الفرقان)

وهذا التقسيم لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم . فالظالم لنفسه أصحاب الذنوب المهيرون هليها . والمقتصص المؤدى للفرائض المجتنب للمحارم ، والسابق بالخيرات هو المؤدى للفرائض والنوافل المجتنب للمحرّمات والمكروهات كما فى تلك الآيات ^(١) .

ثم ذكر ^(٢) الله سبحانه المفاضلة بين أوليائه المؤمنين ، فقال : (أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض والآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً) ^(٣) . بل بين سبحانه التفاضل بين أنبيائه فقال : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) ^(٤) . وقال تعالى : (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً) ^(٥) .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أنى فعلت كذا لكان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » .

(١) انتهى أيضاً من الفرقان لابن تيمية ص ٤٧ - ٤٨ ، ببعض التصرف من جانب الإمام الشوكانى .

(٢) لا يوجد لفظ الجلالة فى (ب) .

(٣) سورة الإسراء آية : ٢١ .

(٤) البقرة : ٢٥٣ .

(٥) الإسراء : ٥٥ .

وفي سنن^(١) أبي داود عن عوف * بن مالك أنه حدثهم أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قضى بين رجلين ، فقال المتقضى عليه لما أدبر : حسبي الله ونعم الوكيل ، فقال^(٢) النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله يلوم على المعبز ولكن عليك بالكسب فإذا غلبك^(٣) أمر فقل^(٤) حسبي الله ونعم الوكيل »

وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة وعمر بن الخطاب^(*) بن المصعب عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » . وروى من طرق خارج الصحيحين « أن المصعب هشرة أجور » .

وقال الله سبحانه : (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقال أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقالوا وكلا وعد الله الحسنى)^(١) وقال سبحانه : (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على

(١) ينظر ص ٢٦٤ .

(٢) في الأصل بعد فقال كلمة (إن) ولا داعي لها .

(٣) في ب (عليك) بالعين ، والياء ، وهو خطأ .

(٤) في (ب) سقطت تلك الكلمة : (فقل) .

الأعلام

(*) هو عوف بن مالك الأشجعي الجيب الأمين إلى رسول الله ﷺ وكان ممن شهد فتح مكة توفي سنة ٧٣ هـ . شذرات الذهب ج ١ ص ٧٩ .

(**) من كبار الصحابة رضى الله عنه فاتح مصر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وكان له دور خطير في السياسة الإسلامية في الخلاف بين علي بن أبي طالب ومعاوية ابن أبي سفيان .

(١) الحديد (١٠) .

القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى . وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً هظيها . درجات منه ومفخرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً ^(١) . وقال : (أجمعتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوفون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين . الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يبشركم ربهم بدرجة منه ورضوان وجنت لهم فيها نعيم مقيم خالد في فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم) ^(٢) ، وقال : (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعملون والذين لا يعملون إنما يتذكر أولوا الألباب ^(٣)) . وقال : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) ^(٤) .

الأولياء غير الأنبياء ليسوا بمعصومين :

واهم أن أولياء الله غير الأنبياء ليسوا بمعصومين ، بل يجوز هليهم ما يجوز على سائر عباد الله المؤمنين . لكنهم قد صاروا في رتبة رفيعة ومنزلة هلية . فقل أن يقع منهم ما يخالف الصواب وينافي الحق . فإذا وقع ذلك فلا يخرجهم عن كونهم أولياء الله ^(٥) . كما يجوز أن يخطيء المجتهد وهو مأجور على خطئه حسبما تقدم أنه إذا اجتهد فأصاب فله أجران ، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر .

(١) النساء : ٩٥ - ٩٦ .

(٢) براءة : من الآية ١٩ - ٢٢ .

(٣) الزمر : ٩ .

(٤) المجادلة : ١١ .

(٥) في (ب) (أولياء الله) .

وقد تجاوز الله سبحانه هذه الأمة عن الخطأ واللبس ، كما قال سبحانه :
(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)^(١) . وقد ثبت في الصحيح « أن الله
سبحانه قال : بعد كل دهوة من هذه الدعوات : قد فعلت » وحديث « رفع
عن أمي الخطأ واللبس » قد كثرت طرقه حتى صار من قسم الحسن لغيره
كما هو معروف عند أهل هذا الفن .

المقياس في قبول الواقعات والمكاشفات .

ولا يجوز للولي أن يعتقد في كل ما يقع له من الواقعات والمكاشفات
أن ذلك كرامة من الله سبحانه ، فقد يكون من تلبس الشيطان ومكره .

بل الواجب عليه أن يعرض أقواله وأفعاله على الكتاب والسنة ، فإن
كانت موافقة لما فهمى حق وصدق وكرامة من الله سبحانه . وإن كانت
مخالفة لشيء من ذلك ، فليعلم أنه مخدوع مذكور به ، قد طمع منه الشيطان
فلبس عليه .

إمكان وقوع المكاشفات :

وليس لمنكر أن ينكر على أولياء الله ما يقع منهم من المكاشفات
للصادقة الموافقة للواقع . فهذا باب تدفحه رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ، كما ثبت في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تد كان في الأمم
قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد منهم فعمر بنهم » . وفي لفظ في
الصحيح : « إن في هذه الأمة محدثين وإن منهم عمر » . والحديث الصادق
الظن المصيب الفراسة . وحديث : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه يري بنور الله »

أُخرجهُ الترمذى (*) وحسنه .

الواجب على الولي فيما يصدر من أعمال :

وقد كان عمر رضى الله عنه مع كونه مشهوداً له بأنه من المحدثين بالنظر للنبوى (١) يشاور الصحابة ويشاورونه ، ويراجعهم ويراجعون ، ويحتج عليهم بالكتاب والسنة ، وبوجهون جميعاً إليهما ، ويردون ما اختلفوا فيه إلى ما أمر الله (٢) بالرد إليه من الرد إلى الله سبحانه وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فالرد إلى الله هو الرد إلى كتابه والرد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته هو الرد إلى ما صح من سنته .

فحق على الولي وإن بلغ في الولاية إلى أعلى مقام وأرفع مكان ، أن يكون مقتدياً بالكتاب والسنة ، وازناً لأفعاله وأقواله بميزان هذه الشريعة المطهرة ، واقفاً على الحد الذي رسم فيها ، خير زائع عنها في شيء من أموره ، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الصحيح أنه قال : « كل أمر ليس على (٣) أمرنا فهو رد » . وإذا ورد عليه ورد يخالف للشريعة رده ، واهتد

(١) في (ب) لا توجد كلمة (النبوى) .

(٢) في (ب) توجد كلمة (تعالى) بعد لفظ الجلالة .

(٣) في (ب) (عليه أمرنا) .

الأعلام

(*) هو أبو عيسى بن محمد بن سورة بن الطحال السلمي البوفوى الترمذى نسبة إلى (ترمذ) بإقليم خراسان . (معجم المطبوعات العربية والمصرية ج ٤ ص ٦٣٢ ، ٦٣٣) أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث ، وصنف كتاب الجامع (جامع الترمذى) (أو) الجامع الصحيح (ثالث الكتب الستة من أمهات الحديث ، ويقال له السنن أيضاً . وكان سبب شهرته . توفي سنة ٣٧٩ هـ .

أنه من الشيطان ، ويدافع ^(١) ذلك بحسب استطاعته ، وبما تبلغ إليه قدرته . قال الله سبحانه « فاتقوا الله ما استطعتم » ^(٢) . وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) ^(٣) . وقال تعالى : (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وهمها ما اكتسبت) ^(٤) . وقال تعالى : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا تكلف نفساً إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) ^(٥) . وقال سبحانه : (وأوفوا الكيل والليزان بالقسط لا تكلف نفساً إلا وسعها) ^(٦) . ومن خالف هذا من يطلق عليه اسم الولى فليس من أولياء الله عز وجل .

وما أحسن ما قاله (أبو سليمان ^(٧) الداراني) : (إنها لنتع في قلبي النكنة من نكت النجوم فلا ^(٨) أقبلها إلا بشاهدين هديلين الكتاب والسنة) ^(٩) .

-
- (١) في (١) (ويدافع ذلك) بالباء . ولكن يدافع هي المقصودة وهو واضح .
 (٢) التغابن : ١٦ .
 (٣) آل عمران : ١٠٢ .
 (٤) البقرة : ٢٨٦ .
 (٥) الأعراف : ٤٢ .
 (٦) الأنعام : ١٥٢ .

الأعلام

(*) أبو سليمان الداراني نسبة إلى داريا وهي قرية من غوطة دمشق وهو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الداراني الزاهد المشهور . روى الحديث عن الربيع ابن صبيح وعن أهل العراق . (الباب في تهذيب الأنساب ج ١) وهذه العبارة وردت في تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٦٢ .

(٧) في (ب) (فاقبلها) .

(٨) الفرقان ص ٣٢ وتلبيس إبليس ص ١٦٢ .

يقول (الجنيد) (*) رحمه الله : « علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ، فن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يصح له أن يتكلم في علمنا » . وقال « أبو عثمان (١) النيسابوري » : « من أمر على نفسه الشريعة قولاً وفعلًا نطق بالحكمة ، ومن أمر على نفسه الهوى قولاً وفعلًا نطق بالبدعة » ، لأن الله تعالى يقول : « وإن تطيعوه تهتدوا » (٢) . وقال (أبو عمرو بن (*) مجيد) « كل [وجد] لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل » (٣) .

خوارق غير الأولياء :

وإذا هرفت أنه لا بد للولي من أن يكون مقتدياً بأقواله وأفعاله بالكتاب والسنة ، وأن ذلك هو المعيار الذي يعرف به الحق من الباطل ، فمن ظهر منه

(١) في (ب) (أبو موسى) وهو خطأ . وستأتي ترجمته في الفصل الثالث باسم الحيرى ينظر أيضاً حلية الأولياء ص ٢٢٩ ج ١٠ .
(٢) سورة النور : ٥٤ .

(٣) الفرقان ص ٣٢ وفي (١) (كل واجد) والألف ليست واضحة ووجد هى الصحيحة كما نرى من السياق .

الأعلام

(*) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الحزاز لأنه كان يعمل الحزاز صوفى من العلماء بالدين مولده ومنشأه ووفاته ببغداد . قال أحد معاصريه : (مارأت عيناي مثله : الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه ، والشعراء لفصاحته ، والمتكلمون لمعانيه) وهو أول من تكلم في التوحيد ببغداد . وعده العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة توفي سنة ٢٩٧ هـ (الأعلام ج ٢ ص ١٣٧) .

(**) هو أبو عمرو بن نجيد من كبار الملامية ، وتلميذ أبي عثمان الحيرى شيخهم توفي سنة ٣٦١ هـ .

شيء مما يخالف هذا المعيار فهو رد عليه ، ولا يجوز لأحد أن يعتقد فيه أنه
ولى الله ، فإن أمثال هذه الأمور تكون من أفعال الشياطين ، كما اشاهدهم
في الذين لهم تابع من الجن . فإنه قد يظهر على يده ما يظن من لم يستهضم
هذا المعيار أنه كرامة . وهو في الحقيقة مخارق شيطانية وتلبسات إبليسية .

ولهذا تراه يظهر من أهل البدع^(١) ، بل من أهل الكفر ومن يترك
فرائض الله سبحانه ويتلوث بمصائبه . لأن الشيطان أميل إليهم للاشتراك
بينه وبينهم في مخالفة ما شرعه الله سبحانه لعباده .

وقد يظهر شيء مما يظن أنه كرامة من أهل الرياضة وترك الاستكثار من
المطعم والشراب على ترتيب معلوم ، وقانون معروف . انتهى انتهى حاله إلى^(٢)
أن لا يأكل إلا في أيام ذوات العدد ، ويتناول بعد مضي^(٣) أيام شديداً يسيراً .
فيكون له بسبب ذلك بعض صفاء من الكدورات البشرية ، فيدرك مالا
يدركه غيره ، وليس هذا من الكرامات في شيء . ولو كان من الكرامات
الربانية ، والنفصلات الرحمانية ، لم يظهر على أيدي أعداء الله ، كما يقع كثيراً
من المرتاضين من كفره الهند الذين يسمونهم الآن (الجوكية) .

وقد يظهر شيء مما يظن أنه كرامة على لسان بعض المجانين . وسبب ذلك
كما ذكره الحسكاه أنه قد ذهب عنه ما يصنعه الفكر من التفصيل والتدبير ،
الذين يستمران للعقلاء . فيكون لعقله إدراك لا يكون للعقلاء ، فيأتي في بعض
الأحيان بمكاشفات صحيحة ، وهو مع ذلك متلوث بالنجاسة مرتبك في
اللتاذورات قاهمة في المزابيل ، وما يشابهها فيظن من لاحقيقة عنده أنه من

(١) في (ب) (من أهل الكفر) دون (ل) .

(٢) لا توجد (إلى) في ب .

(٣) لا توجد كلمة (مضى) في ب .

أولياء الله ، وذلك ظان باطل ، وتخيّل مختل ، وهو في الحقيقة مجنون قد رفع الله عنه قلم التكليف ، ولم يكن ولياً لله ، ولا هدواً .

المكاشفات الصحيحة وأولياء المؤمنين :

وقد تكون المكاشفة من رجل جعله الله سبحانه بن المحدثين حسب ما سبق تختميق ذلك وهذه طريقة أثبتها الشرع ومسح بها الدليل .

والغالب أن ذلك لا يكون إلا من خاص المؤمنين كما سبق في حديث « اتقوا فراسة المؤمن » .

وهذا التحديث هو شيء يوقه الله ^(١) في روح من كتب له ذلك ، فيملقيه إلى الناس فيكون مطابقاً للواقع ، وليس من الكهانة ، ولا من باب النجامة والرمل ولا من باب تلقين الشيطان كما كان يقع لعمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وسياتي في هذا الحديث الذي نحن بهدد شرحه أنه لا يزال العبد يتقرب إلى الله سبحانه بالنوافل حتى يحبه ، فإذا أحبه كان سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبعش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولسانه الذي يكلم به إن شاء الله على معاني هذه الألفاظ النبوية .

وفي القرآن الكريم من ذلك الكثير الطيب كقوله سبحانه : « ومن يعط الله الرزق فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين ، والصديقين ، والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً » ^(٢) .

ولاصحابه ، رضي الله عنهم ، النصيب الوافر من طاعة الله سبحانه ومن

(١) توجد في (ب) كلمة (تعالى) بعد لفظ الجلالة .

(٢) النساء : ٦٩ .

للتقرب إليه بما يحبه ، ولهذا صاروا خير القرون كما ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية من وجوه كثيرة ، وثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الصحيح من طرق كثيرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « لا تسبوا أصحابي فواللهي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذمباً ما بلغ مدّ أحدكم ولا ضيعة » فانظر إلى هذه المزية المظيمة ، والخصيصة الكبيرة التي لم تبلغ من غيرهم إنفاق مثل الجليل الكبير من الذهب نصف المدة الذي ينقعه الواحد منهم ، فرضى الله ^(١) عنهم وأرضاهم .

فهم أفضل أولياء الله سبحانه وأكرمهم عليه ، وأعلام منزلة عنده ، وهم الذين عملوا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

فمن جاء بعدهم ممن يقال له إنه من الأولياء ، لا يكون ولياً لله إلا إذا اتبع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واهتدى بهديه واقتدى به في أقواله وأفعاله .

شخصية الولي :

واعلم أن من أعظم ما يثبني به من هو من أولياء الله سبحانه أن يكون بحجاب الدهوة ، راضياً عن الله عز وجل في كل حال ، قائماً بفرائض الله سبحانه ، تاركاً لمناهيه ، زاهداً فيما يتسكالب [عليه] ^(٢) [الناس من طامع الغنى في الدنيا ، والحرص على رياستها ، لا يكون لنفسه شغل بملاذ الدنيا ولا بالتكاثر منها ولا بتحصيل أسباب الغنى ، وكثرة اكتساب الأموال والعروض إذا وصل إليه القليل صبر ، وإن وصل إليه الكثير شكر ، يستوى عنده المدح والذم ، والفقر والغنى ، والظهور والخلو ، غير معجب

(١) في (ب) توجد (تعالى) بعد لفظ الجلالة .

(٢) لا توجد في الأصل ولكن سلاسة الأسلوب تقتضيها .

بما من الله به عليه من خصال الولاية، إذا زاده الله رفعة، زاد في نفسه تواضعاً وخضوعاً. حسن الأخلاق كريم الصحبة عظيم الحلم كثير الاحتمال .

وبالجملة فمعظم اشتغاله بما رغب الله فيه ، وندب عباده إليه فمن كملت له هذه الخصال ، وانصف بهذه الصفات ، واتسم بهذه السمات ، فهو ولي الله الأكبر الذي ينبغي لكل مؤمن أن يقر له بذلك ، ويتبرك بالنظر إليه ، والقرب منه .

ومن كان فيه بعض هذه الخصال ، واشتمل على شطر من هذه الصفات ^(١) فله من الولاية بقدر ما رزقه الله سبحانه منها ، ووهب له من محاسنها .

والباب الأعظم للدخول إلى سوح ^(٢) الولاية هو الإيمان بالله كما ندب إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال لما سئل عن الإيمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والقدر خيره وشره .

وأصعب هذه الخصال الإيمان بالقدر فإنه إذا حصل له ذلك ^(٣) هلى الوجه المتبرهات عليه جميع الأمور ^(٤) ، وفرغ من شغل قلبه بما نزل عليه من المقادير خيرها وشرها .

ولأينافى ذلك تعوزه (صلى الله عليه وآله وسلم) ^(٥) من سوء القضاء . فقد ثبت في الصحيح أن من الدعوات النبوية قوله صلى الله عليه وآله وسلم :

(١) فى (ب) (الحلال) بدل الصفات . .

(٢) ساحة .

(٣) فى (ب) لا توجد كلمة (ذلك) .

(٤) فى الأصل سهى المؤلف عن (الرأه) .

(٥) لا توجد فى الأصل . وهى ضرورية أو نحوها ؛ لبيان المتعوز أو من الذى تعوز .

« اللهم إني أعود بك من سوء القضاء ، ودرك الشقاء ، وجهد البلاء ، وشدة
الشداء ، وثبتت منه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في قنوت الوتر : « وقيني
شر ما قضيت » .

وأرأينا الله سبحانه يتمارتون في الولاية بقوة ما رزقهم الله سبحانه من
الإيمان ، فمن كان أقوى إيماناً كان في باب الولاية أعظم شأنًا ، وأكبر قدرًا
وأعظم شربًا إلى الله ، وكرامة لديه .

ومن لازم الإيمان بالقوى السبل ^(١) السوى ، والتعقيب إلى الله بحجته عز
وجل وحجته رسولك صلى الله عليه وآله وسلم (قل إن كنتم تحبون الله ، فاتبعوني
يحببكم الله) ^(٢) وكما ازداد بعد التزميم إلى الله بفرائضه واجتناب مناهيه .
بفعل التوافق ، والاستمساك من ذكره عز وجل ، زاد الله محبة وفتح له
أبواب الخير كه دقة رحله كما سيأتي من الكلام على شرح هذا الحديث
الذي نحن بصدد شرحه وبيان معانيه الشريفة ونسكاته اللطيفة .

جواز الكرامات :

ومن عريب له هذه الموهوبات الجليلة وتفضل ^(٣) عليه بهذه الصفات
الجميلة فتبين بديه ، ولا يمتنع أن تظهر دلي يده من الكرامات التي لا تنافي
الشريعة والتعسف في مخلوقات الله عز وجل ^(٤) الوسيطة ، لأنه إذا دعاه
أجابته وإذا سأله أعطاه ، ولم يهيب من جعل ما يظهر من كثير من أولياء

(١) في الأصل : والعمل (زيادة الراو ولا داعي لما الآن وجودها يفسد الأسلوب ،

(٢) سورة آل عمران آية : ١٠١ .

(٣) في (ب) يوجد لفظ الجلالة بعد (تفضل) .

(٤) في (ب) تعالى بدل (عز وجل) .

من قطع المسافات البعيدة ، والمكاشفات المصيبة ، والأفعال ، التي تعجز
 عنها غالب القوى البشرية ، من الأفعال الشيطانية والتصرفات الإباحية .

فإن هذا غلط واضح ، لأن من كان بحجاب الدعوة لا يتمتع بهلية أن يسأل
 الله سبحانه أن يوصله إلى أبعد الامكنة التي لا تقطع طميلها إلا في شهور في
 لحظة يسيرة ، ودعوا القادر القوي الذي ما شاءه^(١) كان ، وما لم يشأ^(٢) لم
 يكن ، وأي ثمرة في أن يجيب الله دعوة من دعاه من أوليائه في مثل هذا
 المطلب وأشباهه ، وفي مثل هذا يقال ، قاله الشاعر :

والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إن أمر هفأ
 وقول الآخر :

ولم أر أمثال الرجال تفاوتاً من الناس حتى هـ ألف بواحد
 بل هذا الذي تفضل الله^(٣) عليه بهذه التفضلات لا يعدله^(٤) الآف ولا
 الآلاف ممن لم ينل ما نال ، ولا ظفر بشيء من هذه الخصال .

فذلك والتلدد^(٥) حول نجد وقد غصت تهامة بالرجال
 ومن نظر في مثل الحلية^(*) لآبي نعيم ،

(١) في (ب) (شام) ، و (مالم يشأ) .

(٢) في (ب) (تعالى) بمد لفظ الجلالة .

(٣) في (ب) (لا يساويه) بدل لا يعدله .

(٤) التلدد : التحير والتلفت يمينا وشمالا ففي القاموس : تلدد : تلفت يمينا
 وتحير متبلدا وتلبث .

الأعلام

(*) هو كتاب : (حلية الأولياء وصفوة الأصفياء) لأحمد بن عبد الله بن
 أحمد الأصمعي حافظ مؤرخ من الثقات في الحفظ والرواية : من تصانيفه هذا =

وصفوة الصفوة^(*) لابن الجوزي هرف محبة ما ذكرناه ، وما كان هطاء ربك محظوراً .

وكم للصحابة ، رضى الله عنهم ، من الكرامات التى يصعب حصرها وسنشير إلى بعضها قريباً ، ولو لم يكن منها إلا إجابة دعاء كثير منهم . وقد عرفناك أن إجابة الدعاء هي أكبر كرامة ، ومن أكرمه الله^(١) بذلك دعاء بما يشاء كيف يشاء ، من جليل الأمور ، وحقيرها وكبيرها ، وصغيرها .

وفي كتب الحديث والسير من ذلك الكثير الطيب ، وكذلك في أُمم الأنبياء السابقين من أولياء الله سبحانه^(٢) الصالحين العدد الجم حسبنا نقل إلينا عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ، وحسبنا تحكيه النوراة والإتميل ، ونبوات أنبياء بنى إسرائيل^(٣) التى من جعلتها الزبور .

والحاصل أن الله سبحانه يتفضل على عباده بما يشاء ، والفضل بيده ، من شاء أهداه ، ومن شاء منعه .

(١) فى (ب) توجد كلمة (تعالى) بعد لفظ الجلالة .

(٢) فى (ب) سقطت من النص (سبحانه) .

(٣) فى (ب) لا توجد كلمة (التى) .

الأعلام

- الكتاب ، و (معرفة الصحابة) كبير بقيت منه أجزاء مخطوطة فى مجلد واحد توفى سنة ٤٣٠ هـ الأعلام ج ١ ص ١٥٠ .

(*) هو مختصر كتاب حلية الأولياء لأبى نعيم بطريقه نفت ما لا يتفق مع العقل ، ولا مع الكتاب والسنة . وابن الجوزى هو جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ من العلماء العاملين الذين لم يرضوا من التصوف إلا بما وافق العقل والسنة ، ومن كتبه فى ذلك (تلبيس إبليس) وهذا الكتاب الذى معنا .

وليس لنا أن نذكر إلا ما أنكره الشريعة المطهرة . فن جاء بما يخالفها
دفعناه ومنهنا .

وأما مجرد استبعاد أن يهب الله سبحانه لبعض عباده أمراً عظيماً ويعطيه
ما تقتصر عنه قوى غيره من المنح الجليلة ، والتفضيلات الجزيلة فليس مراداً
للتصديق بالإحصاف ، وكثيراً ما ترى ^(١) البيان إذا حكيت له أفعال الأفراد
من أهل التشجاعة من مقارنة الأبطال ، وملابسة الأحوال ومنازلة العدد
الكثير من الرجال يستبعد عقله ذلك ويضيق ذهنه عن تصوره ويظنه باطلاً ،
ولا سبب لذلك إلا أن غريزته المجهولة على الجبين الخالص تقصر عن أقل قليل
من ذلك وتعجز عن الملازمة لأحتر منه .

وهكذا البخيل إذا سمع ما يحسب من الأجواد من الجود بالموجود
والساحة بالكثير الذي تشح نفوس من لم يهب الله له غريزة السكرم المحمودة
بعشر معشاره ظن أن تلك الحكايات من كذب الوراقين ، ومن تحرققة
المتخرفين ^(٢) استبعد عقله ، ونبا فهمه ، عن قبول ما منح الله ^(٣) به أكبر
علماء هذه الأمة من التوسع في المعارف والاستكثار من العلوم المختلفة
وفهمها كما ينبغي ، وحفظها حق الحفظ ، والتصرف الكامل في كل ما يرد عليه
منها فيورده موارده ، ويصدره مصادره .

فاعرف هذا ، واعلم أن مواهب الله عز وجل لعباده ليست بموضع لاستبعاد

(١) في (ب) (ترى) دون نقط هكذا (برى) .

(٢) في القاموس : (أخرقه : أدهشه ، والتخريق : . التزيق : وكثرة
الكذب والتخرق خلق الكذب) .

(٣) في (ب) (تعالى) بدل لفظ الجلالة .

للمستعبدين ، وتشكيكات المشككين ، فقد تفضل على بعض عباده بالنبوة واصطفاه لرسالته ، وجعله واسطة بينه وبين عباده .

وتفضل على بعض عباده بالملك ، وجعله فوق جميع رعيته ، واختاره على من سواه منهم وهم الممدد الجم ، والسواد الأعظم ، وقد يكون غير شريف الأصل ، ولا رفيع الخلد ، كما أعطى ملك مصر والشام والخرم وغيره المالك الجرا كمة(*) ، وهم جميعهم يجلب الواحد منهم إلى سوق الرقيق ، وبعد حين يصير ملكا كبيرا ، واصلطانا جليلا .

وهكذا من ملك قبلهم من الأتراك المماليك كبنى قلاوون(*) ، وأعطى بنى بويه(***) ، وهم أولاد سمالك غالب^(١) ، للمماليك الإسلامية ، وجعلهم الخاكسين على الخلفاء العباسية . وعلى سائر العباد في أقطار الأرض .

دع هناك التفضلات على هذا النوع الإنساني للمكرم بالمثل ، وانظر إلى ما من به على أنواع من مخلوقاته^(٢) ، فإن الشجاعة التي جعلها في الأسد

(١) في (ب) لا توجد كلمة غالب .

(٢) في (ب) (المخلوقات) .

الأعلام

(٠) هم الذين حكموا مصر من سنة ١٣٨٢ م — سنة ١٥١٧ م .

(٠٠) أبناء الملك المنصور سيف الدين قلاوون من المماليك البحرية حكموا

مصر من سنة ١٣٧٩ م — سنة ١٣٥٤ م .

(٠٠٠) وهم علي والحسن وأحد أولاد بويه الذي كان يعمل في صيد السمك هم الذين أسسوا الأسرة البويهية التي امتلكت ناحية بلاد العراق وما يحيط بها من بلاد الدولة الإسلامية من سنة ٣٣٤ — سنة ٤٤٧ هـ . وأصبح لهم النفوذ الفعلي في تلك الفترة من حياة الدولة العباسية في عهد الخلفاء : المستكفي والمطيع والطائع والقادر والقائم . ص ٣٧١ وما بعدها . من (محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ، في الدولة العباسية) .

لا يقوم لها من بنى آدم العدد الكثير ، وتلك موهبة من الله سبحانه ، وهكذا
كثير من أنواع الحيوان يختص هذا بالقوة الباهرة ، وهذا بالجسم الوافر
وهذا بحسن التركيب ، وهذا بالطيران في الهواء ، وهذا بالمشي في قعر البحر ،
والتمسرف لما يحتاج إليه في أمواج الماء .

وكم بعد المعاد من تفضلات الملك الجواد جلّت قدرته ، فسبحانه ما أعظم
شأنه وأعز سلطانه وأجل إحسانه .

وهذا هارضي من القول اقتضاه تعريب ما يتفضل الله به على خلقه هباده
إلى الأذهان الجامدة ، والطباع الرأكدة حتى تنزل عن مركز الإنكار ،
وربك يخلق ما يشاء ويختار .

ومن نظر إلى ما وهبه الله سبحانه للمصحابة رضى الله عنهم ، لم يستبعد
شيثا مما وهبه الله هز وجل لأوليائه ويهيب الإحاطة بأكثر ذلك فضلا ه
كه . وقد قدمنا الإشارة إلى كراماتهم إجمالاً ، ونذكر الآن بعض كراماتهم
على التفصيل والنعين .

فنهأ أن أسيد بن(*) حضير رضى الله عنه كان يقرأ سورة الكهف فنزلت

الأعلام

(*) هو أسيد بن حضير بن سمالك بن عتيك من الأنصار ، شهد أحداثاً والمشاهد
بعدها مع رسول الله ﷺ وثبت في أحد حين انكشف الناس ، وتوفي في شعبان
سنة عشرين من الهجرة . وروى له البخارى : عن أنس قال : « كان أسيد ابن
حضير وعباد بن بشر عند رسول الله ﷺ في ليلة ظلماء حندس فتحدثا عنده
حتى إذا خرجا أضاعت لهما عصا أحدهما فشيا في ضوءها فلما تفرقا بهما الطريق
أضاعت لكل واحد منهما عصاه فتقى في ضوءها » انفرد بإخراجه البخارى .
(صفوة الصفوة ج ١ ص ٢٠١ ، ٢٠٢) .

هلمية السكينة ن السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج وهي الملائكة ، وأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له ^(١) : « لو استمر على ثلاثين سنة لاستمرت تلك السكينة واقفة هاهنا باقية ههنا »

وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين ^(*) ، وكان سلمان ^(**) الفارسي وأبو الدرداء ^(***) يأكلان في حفرة فسميت ^(١) أو سمح ما فيها ،

(١) في (ب) سقطت من النسخ (له)

(٢) في (ب) (الواو) بدلا من (أ).

الأعلام

(*) هو عمران بن حصين بن عبيد أسلم قديماً وغزاهم رسول الله ﷺ غزوات ولم يزل في بلاد قومهم ثم تحول إلى البصرة فرس بها فسقى بطنه فبقي ثلاثين سنة حتى سمرير مثقوب . وذكر ابن الجوزي عدة روايات في تسليم الملائكة على عمران . صفوة الصفوة ج ١ ص ٢٨٣ .

(**) يسكني أبا عبد الله من أصبهان سافر يطالب الدين مع قافلة فباعوه لليهود بالمدينة ثم كرتب فأعانه النبي ﷺ على ذلك وأعلم حين قدم النبي ﷺ المدينة ومنعه ان يترك من شهزد بدر وأحد ثم شهد الخندق وما بعدها وولاه عمر المدائن وقصة إسلامه مشهورة تسلم في كتب السير وصفوة الصفوة ص ٢١٠ وما بعدها ج ١ . وتوفي سنة ٢٢٠ هـ وكان من الصالحين .

(***) وأبو الدرداء هو : عويمر بن زيد وقيل ابن هاجر كما ذكر صاحب الصفوة وقد شهد مع رسول الله ﷺ مشاهد كثيرة وولاه عمر بن الخطاب السجستان بدمشق ومن سائوراته : عمر مهاوية بن صالح عن أبي الدرداء قال : إذا أصبح الرجل اجتمع هوا وعمله ، فإن كان عمله تبعاً لهواه فيومه يوم سوء ، وإن كان هواه تبعاً له فيومه يوم صالح () وتوفي سنة ٤٢ هـ أو سنة ٣١ هـ . صفوة الصفوة ص ٢٥٧ .

وخرج هباد(*) ابن بشرو أسيد بن حضير من هذه رسول الله (١) صلى الله عليه وآله وسلم في ظلمة الليل فأضاء لهما أطراف السوط ، فلما افترقا افترقا الضوء منهما . وكان الصديق (٠٠) رضى الله عنه يأكل كل يوم وأخيه أنه من القسمة فلا يأكلون لقمة إلا باءن أسفهما أكثر منها فشيئهم ، وهى أكثر مما كان فيها قبل أن يأكلوا .

وخبيب بن هدى (٠٠٠) رضى الله (٢) عنه لما أمره المشركون أن يؤلف بقاء من الغنم في غير وقته (٣) .

وهامى (٠٠٠٠) بن فهيرة (٤) المسوا جديده

(١) فى (ب) (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وليست فى (أ) .

(٢) فى (ب) توجد كلمة (تعالى) .

(٣) روى البخارى ذلك على لسان إحدى بنات الحارث بن عامر بن نوفل قتله خبيب يوم بدر ، صفوة الصفوة ج ١ ص ٢٥٤ .

(٤) فى (ب) (رضى الله تعالى عنه) .

الأعلام

(٠) صحابى جليل وقد تقدم ذكره فى الصحيفة السابقة أسيد بن حضير .

(٠٠) هو الخليفة الأول للمسلمين بعد رسول الله ﷺ أبو بكر رضى الله عنه .

(٠٠٠) هو خبيب بن عدى بن مالك رضى الله عنه شهد أحداً مع النبي ﷺ وكان فيمن بعثه رسول الله ﷺ مع بنى لحيان من هذيل ليرشداهم إلى تعاليم الدين الإسلامى ففرروا بهم فأسروه هو وزيد بن دثنه فباعوها إلى قريش فقتلوا وصلبوا بمسكة بالتنعيم . صفوة الصفوة ج ١ ص ٢٥٣ . مكرر عن رقم ٣ أعلى الهامش .

(٠٠٠٠) مولى أبى بكر رضى الله عنه وصديقه ورفيقه هو ورسول الله ﷺ فى حادث الهجرة قتل يوم بشر معونة سنة ٤ هـ .

ثمته الدبر^(١) ، ولم يقدروا على الوصول إليه ، وخرجت أم أيمن^(٢) ، وهي صائمة وليس معها زاد ولا ماء فمطشت حجراً كادت تتلف ، فلما كان وقت الإفطار سمعت حساً على رأسها فرففته فإذا هو دلو برشاه^(٣) أبيض بمعلق فشربت منه حتى رويت وسألت عاتمت بعداً^(٤) .

وأخير سفينة^(٥) ، بولي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأسد أنه بولي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فشى معه الأسد حتى أوصله إلى مقصده^(٦) .

والبراء بن^(٧) مال^(٨) كان إذا أقسم على الله أبر قسمه وكان الخوب

(١) حينما قتله جبار بن سلمى وقيل إن الملائكة دفنته ، المرجع السابق ص ١٧١ والدبر : جمادات النحل أو الزناير .

(٢) أي معلق بجبل ، قال في القاموس : الرشاء كرشاء : الجبل .

(٣) كان ذلك حين خرجت مهاجرة من مكة إلى المدينة . المرجع السابق .

(٤) المصدر السابق .

(٥) في (ب) رضى الله عنه .

الأعلام

(•) اسمها بركة مولاد رسول الله ﷺ وحاضنته ورثها عن أبيه فأعنفها حين تزوج خديجة وشهدت أحدا وكانت تسقى الماء وتداوى الجرحى وشهدت خيبر وتوفيت في آخر خلافة عثمان (رضى الله عنه) صفوة الصفوة ج ٢ ص ٢٩ ، في (ب) توجد كلمة (رضى الله تعالى عنها) .

(• •) واسمه مهران ، ويكنى أبا عبد الرحمن بن مولدى الأعراب اشترته أم سلمة وأعتقته واشترطت عليه أن يخدم النبي ﷺ ما عاش ، فقال لها : « ما أحب أن أفارق النبي ﷺ ما عشت » . صفوة الصفوة ج ص ٢٧٨ .

(• • •) في (ب) (البر) وصحتها : البراء بن مالك بن النضر بن ضمضم شهد =

إذا اشتد على المسلمين في الجهاد يقولون : يا براء أقسم على ربك ، فيقول : أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم^(١) ، وجعلتني أول شهيد فمحووا أكتافهم وقتل شهيداً .

وحاصر خالد بن الوليد^(٢) رضى الله عنه [١٢] حميماً فقالوا : لا نسلم حتى تشرب السم فشربه ، ولم يضره .

وأرسل عمر^(٣) بن الخطاب رضى الله عنه جيشاً مع رجل يسمى

(١) في الفرقة ن بعد ذلك فيزرم الصدر فلما كان يوم القاسية قال : (أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وجعلتني أول شهيد) الخ ص ٦١ .

(٢) في (أ) رضى الله فقط دون (عنه) وهي لأزمة لتام المراد ، وأهل المؤلف سها عنها . وفي (ب) رضى الله تعالى عنه .

الأعلام

== أحدا وما بعدها مع رسول الله ﷺ ونوفى في المناسبة التي أشار إليها المؤلف وهي بعبارة أوضح : عن أنس بن مالك قال . إن البراء أتى زحماً من المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين فقالوا له : يا براء ، إن رسول الله ﷺ قال إنك لو أقسمت على الله لأبرك فأقسم على الله ، فقال أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقني بذي ﷺ فمحووا أكتافهم وقتل البراء شهيداً . المصدر السابق . وفي الفرقان لابن تيمية إن ذلك كان في موقعة القاسية ص ٦١ . في (ب) رضى الله عنه .

(٣) هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم من كبار الصحابة والفاة في الإسلام ، وكان له الفضل في تثبيت أركان الإسلام في حروب الردة بعد وفاة الرسول ﷺ أول خلافة أبي بكر رضى الله عنه نوفى في حصص في خلافة عمر بن الخطاب سنة ٢١ هـ .

(٤) الحليفة الثمانية بعد أبي بكر رضى الله عنه . وكان مثالا في العدل والحزم والسهر على مصالح الرعية .

سارية^(٥٠) فبينما عمر يخطب جمل^(٥١) يصبح على المنبر : يا سارية الجبل ،
يا سارية الجبل ، فتقدم رسول الجيش فسأله عمر فقال : (يا أمير المؤمنين لقينا
دعونا فها نحن ، فإذا به أصبح يقول : يا سارية الجبل ، يا سارية الجبل . فأعندنا
ظهورنا بالجبل فهزناهم)

ولما عذبت بعض الصحابييات ذهب بصرها ، فقال المشركون ما أصاب
بصرها إلا اللات والعزى ، فقالت : كلا والله ، فرد الله عليها بصرها^(٥٢)
وكان سعد بن أبي وقاص^(٥٣) رضى الله عنه بحجاب الدهرة مادها قط^(٥٤) استعجب
له . وكذلك سعيد بن زيد^(٥٥) رضى الله عنه دها على المرأة لما كتبت عليه

(١) فى (ب) توسيد (عمر) بعد جعل .

(٢) فى الفرقان اسمها (الزبيرة) ص ٦٩ وفى السيرة لابن هشام ج ١ ص ٣٤٠
زبيرة .

الأعلام

(٥٠) هو سارية بن زئب السكناني . صحابي ، من الشعراء القادة الفاضحين
كان فى الجماعة لهما كثير الغارات يسبق الفرس عدواً على رجله . ولما ظهر
الإسلام اسلم ، وجعله عمر أميراً على ذلك الجيش المذكور . الأعلام ص
١١٢ ج ٣ .

(٥١) واسمه مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن
السابقين فى الإسلام وأول من رمى بسهم فى سبيل الله وعنه رضى الله عنه « أن
رسول الله دعا الله من أجله وقال : اللهم سدد رميته وأجب دعوته » روى عن طارق
ابن شهاب قال : كان بين خالد وسعد كلام فذهب رجل يقع فى خالد عند سعد
فقال له « إن ما بيننا لم يباخ ديننا » . توفى سنة خمس وخمسين ، أو خمسين من
الهجرة . ص ١٣٨ معقوفة الصفوة ج ١ .

(٥٢) هو أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى من

فقال : اللهم إن كانت كاذبة فأهم بصرها ، واقتلها في أرضها فمحييت ، ووقعت في حفيرة في أرضها فأتت ^(١) .

ودعا الله العلامة ^(*) بن الأضرعى بأن يسقوا ، ويتموضوا ، لما هضوا الماء ولا يبقى بعدهم فأجيب ، ودعا لما اعترضهم بالبحر ، فلم يقدروا على المرور ، فمروا بخيولهم على الماء ما ابتلت سر ، ج خيولهم ^(٢) .

ودعا الله بأن لا يروا جسده إذا مات ، فلم يبدوه في اللحد ^(٣) .

وكان للتابعين من السكرات ما هو معروف في كتب هذا الشأن ، ومنها الإشارة إليه ، وكذا من بعدهم .

وقد كان في التابعين من ألقى في النار فوجد قائماً يهلى ، وهو أبو مسلم

(١) في الفرقان : هي (أروى بنت الحكم) ص ٦٩ .

(٢) صنوة الصفوة ج ١ ص ٢٩٠ .

(٣) المصدر السابق .

الأعلام

السابقين إلى الإسلام وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ماعدا بديراً . وهذه هي قصة دعائه على المرأة : (عن هشام بن عروة عن أبيه أن أروى بنت أويس استعدت مروان على سعيد وقالت سرق من أرضي فأدخله في أرضه فقال سعيد : (اللهم إن كانت كاذبة .. الخ) ص ١٤١ ، ١٤٢ المصدر السابق . وتوفي سنة ٥٠ أو ٥١ من الهجرة .

(*) هو عبد الله بن عماد بن سلمى من حضر موت من السابقين إلى الإسلام وولى البحرين في عهد الرسول ﷺ وعهد أبي بكر رضى الله عنه وأراد عمر أن يوليهِ البصرة فسار إليها فات في الطريق سنة ٢١ أو ١٤ أو ١٥ هـ .

انطولا (٢) ، وانا قدم المدينة بجملة عمله بينه وبين أبي بكر . وقال الحمد لله
الذي لم يمتني حتى أراي من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من قبل به كما
فعل إبراهيم . ودعا على امرأة أفسدت عليه زوجته فعميت فبانت ، فدعا لها
فرد الله عليها بصرها

ومنها من وضع رجله على رتبة الأسد حتى صرت الشافذة . وهو صاحب (:)
أبن عبد قيس ، ومنها من مات فرسه في الغزو فقال اللهم لا تجعل لمخلوق دلي
منه ، ودعا لله فأحياه . فلما وصل إلى بيته (١) قال يا بني منذ سرحتك الفر من
فإنه هارية ، فأخذ سرجه فمات ، وهو (صلة بن أشيم) (***) .

وكان سعيد (****) بن المسيب لما خلى في المسجد

(١) في (ب) لا توجد كلمة (إلى بيته) .

الأعلام

(*) هو العالم الرباني العابد الزاهد فتاوى الكبير الشأن ربحانة الشام
هاجر في خلافة الصديق وروى عن عمر ومعاذ وغيرها وله كرامات كثيرة في
حروب المسلمين مع الروم ، مات في خلافة معاوية أو ابنه . ص ٨٧ السكواكب
الدريّة في تراجم الصوفية ١ .

(**) هو طاهر بن عبد الله المعروف بابن عبد قيس العنبري البصري المراقب
المستحي ، كان مالك بن دينار يقول فيه (هو راهد هذه الأمة) مات في خلافة
معاوية ودفن ببيت المقدس (السكواكب الدريّة ج ١ ص ١٧٩ ، ١٣٠) .

(***) (السكواكب الدريّة ج ١ ص ١٢٥ ، ١٢٦) وهو أبو الصهباء أحد زهاد
الدنيا كان عند تنوazel محتسباً صابراً وله كرامات ظاهرة وأحوال باهرة ،
مات سنة ٩٥ هـ بمصر ودفن بالقرافة ، وفي صفوة الصفوة أنه ابن (أشيم) ولكن
في (ب) والسكواكب بالباه وفي (أ) غير منقوطة .

(****) هو سعيد بن المسيب بن حزن ولد لسنتين خلتما من خلافة عمر بن

أيام الحرة^(١) سمع الأذان من قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وكان عمر (*) بن هبة بن فرق قد يمشى يوماً في شدة الحر [فأظلمه]^(٢) غمامة .

وكان مطرف (*) بن عبد الله الشخير إذا دخل بيته سبعت معه آنيته .

ولما مات الأخنف (*) بن قيس ، رقت قلعة رجلا في قبره فأهوى

(١) أيام الحرة هي أيام حصار المدينة من جهة الحرة وهي مكان يظاهر المدينة وقد حاصرها (يزيد بن معاوية) سنة ٦٩ لما طرد أهلها عامله عليها ، فبعث إليهم (مسلم بن عقبة المري) ثم دخلها عنوة وأسرف هو وجنوده في القتل والنهب ثلاثة أيام .

(٢) في (أ) (فاصلته) بدل أظلمه وهو سهو من المؤلف .

الأعلام

= الخطاب رضى الله عنه ، كان من العلماء الأفاضل العاملين بعملهم ومن مآثراته :
(ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله عز وجل ولا أهانت بمثل معصية الله) .
(وكفى بال مؤمن نصرة من الله عز وجل أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله) . ومات رضى الله عنه بالمدينة وهو ابن أربع وثمانين سنة على خلاف في ذلك . صفوة الصفوة ص ٤٤ ، ٤٥ ج ٢ .

(٠) هو حمير بن عتبة بن فرق السكوفي ، وفي (أ) ، (ب) (عمرو) صاحب الأحوال الشارقة والسكرامات الظاهرة منها أن السبيع كان يحرسه وهو يرعى ركاب أصحابه لأنه كان يشترط على أصحابه في النزول أن يخدمهم . استشهد في غزوة أذربيجان في خلافة عثمان ص ١٤٧ المصدر السابق .

(+) هو مطرف بن عبد الله الشخير المتعبد المتنسك كان لنفسه مذلاً ، ولد كره به مجلاً ، مات سنة ٩٥ هـ . ص ١٧٦ المصدر السابق .

(*) الأخنف بن قيس بن معاوية بن حصين المري التميمي سيد بني تميم =

ليأخذها فوجد القبر قد فُتح فيه مد البصر .

وأوس القرني (*) وجدوا المامات في ثيابه أكلها لم تكن منه من قبل ، ووجدوا له قبرا صغيراً في صخرة مدفون فيه ، وكفنوه في ثلث الأتواب

وكان إبراهيم التيمي (**) يتيم الشهير والشهير بن زياتر شيناً ، وخرج بماله لأهله طعاماً فلم يقدر عليه ، فأخذ من موضع تراباً أحرم رجع إلى أهله ففتحوها فإذا هي حنطة حمراء . وكان إذا زرع منها تخرج المنازل من أصابعها إلى فرعها حباً متراً كذاً

وأصاب عبد الواحد (***) بن زيد النالج فسأله ربه أن يطلق أعضاده وقت

الأعلام

وأحد العظاماء الدهاء الفصحاء الشجعان الفاتحين ، يضرب به المثل في الحلم أدرك النبي (ﷺ) ولم يره ووفد على عمر حين آلت الخلافة إليه فأعجب عمر بعقله وتوفي سنة ٧٣ هـ . الأعلام ج ١ ص ٣٦٢ .

(*) هو أويس بن عامر المرادي ، بن اليمين روى عن عمر وعلى وعن ابن أبي ليلى وغيره ، ينظر : الموافقات للشاطبي ج ٢ ص ٨٤ ، الكواكب الدرية ج ١ ص ٨٠ و ٨١ ، حلية الأولياء ج ٢ ص ٢٠٠ .

(**) إبراهيم بن يزيد بن شميرك بن طارق التيمي ، يروي عن أنس ، ومات في سجن الحجاج سنة ثلاث وتسعين ، وقيل اثنتين وتسعين ، وكان عادياً صابراً على الجوع أرسلت عليه الكلاب في السجن تهش حتى مات ، وكان «و أبوه ثقتين (الباب في تهذيب الأنساب ص ١٩٠ ج ١) .

(***) هو عبد الواحد بن زيد البصري توفي سنة ١٧٧ هـ . حلية الأولياء ج ٢ ص ١٥٥ ، شذرات الذهب ج ١ ص ١٨٧ .

الوضوء ، فكان وقت الوضوء تطلن له أعضاؤه ، تعود بعده ، وغير ذلك كثير ^(١) .

مقى يكون الخارق كرامة :

والواصل أن من كان من المومنين ^(٢) من الأولياء إن كان من المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والتقى غيره وشعره حقاً لما أوجبه الله عليه ، تاركاً لما نهاه الله عنه مستكراً من مآلاته ، فهو من أولياء الله سبحانه وما ظهر عليه من التكرامات التي لم يخالف الشرع في روية من الله عز وجل لا يحل لمسلم أن ينسبها

ومن كان بعكس هذه الصفات ، فليس من أولياء الله سبحانه وليه ولا يله وجمانية بل شيطانية ، وكراماته من تلبس الشيطان عليه وعلى الناس

وليس هذا يعني ، ولا مستنكر ، فكثير من الناس من يكون عدوماً بخادم من الجن ، أو بأكثر فيخدمونه في شغل ما يشتهي ، وربما كان عدوماً من الخمرات ، وقد قدمنا أن المعيار الذي لا يزغ ، والميزان الذي لا يحدور ، هو ميزان الكتاب والسنة .

فمن كان متبعاً لهما معتدّاً عليهما فكراماته ، وجميع أسوآله وجمانية ، ومن لم يمسك بهما ويقف عند حدودهما فأحواله شيطانية ، فلا تحليل الكلام في هذا المقام ، ولتعد إلى شرح الحديث الذي نحن بهدد الكلام عليه ، فنقول :

(١) نلاحظ أن الشوكاني نقل هذه الكرامات من الفرقان لابن تيمية ، انظر

ص ٢٣١ — ١٣٧ .

(٢) في (ب) (من كان معدوداً) .

المعاداة من الولي كما يمكن أن تنصور :

قال ابن حجر في فتح الباري : « وقد استشكل وجود أحد يعاديه يعنى الولي ، لأن المعاداة ، إما تقع من الجانبين ، ومن شأن الولي الحلم والصفح عن من يجعل عليه ٢١١ .

وأجيب بأن المعاداة لم تنحصر في الخصومة ، والمعاملة الدنيوية مثلاً بل قد تقع^(١) من بغض يلبس من التعصب ، كالرافض في بغضه لأبي بكر والمبتدع في بغضه لاسنى فتقع المعاداة من الجانبين .

أما من جانب الولي : فله تعالى وفي الله وأما من جانب الآخر فلما تقدم . وكذا الفاسق المنجهر ببغضه للولي ، وببغضه الآخر لإنكاره عليه وملازمته لنهي عن شهواته .

وقد تطلق المعاداة ، ويراد بها الوقوع من أحد الجانبين بالفعل ، ومن الآخر بالقوة^(٢) انتهى .

وأقول معلوم أن غالب للعداوات الدينية لا تكون إلا بين المتبع والمبتدع ، والمؤمن والفاسق ، والصالح والطالح ، والعالم والجاهل ، وأولياء الله سبحانه وأعدائه .

ومثل هذا من الواضح بحيث لا يحتاج إلى سؤال ، ولا يلبس أنه إشكال . والولي لا يكون ولياً لله حق يبغض أهداء الله ويعاديه ، وينكر

(١) في (أ) ، (ب) البناء دون نقط هكذا (بقع) .

(٢) ص ٢٩٣ .

عليهم ، فماداتهم والإنكار عليهم هو من تمام ولايته ، وما تقترب
صحتها عليه .

وأولياء الله سبحانه هم أحق عباد الله بالقيام في هذا المقام اقتداء برسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنه كان إذا غضب لله أحمر وجهه وهلا صوته حتى
كأنه منذر جيش يقول : صبحكم ومساكم ، يهكنا المهاداة من المؤمن للفاسق ،
ومن الفاسق للمؤمن .

فإن المؤمن يعاديه لما أوجب الله عليه من عداوته ، وإنكاره لما هو
عليه من الوقوع في معاصي الله سبحانه ، والانتهاك لحارمه ، وتعدى حدوده .
والفاسق قد يعاديه لإنكاره عليه وخشوفه من قيامه عليه ، وقد يكون
ذلك لما جرت به عادة الفاسق من الإزراء عن أكثر من طاعة الله والسخرية
بهم ، كما يعرف ذلك من يعرف أحوالهم ، فإنهم يعدون ما هم فيه من اللبس
واللهو ، هو العيش الهباني ، والمنهج الذي يختاره المعتلاء ، ويمدون المشغولين
بطاعة الله من أهل الرياء والتلصص لاقتناص الأموال .

وأما العداوة بين العالم والجاهل فأمرها واضح ، فالعالم يرغب عنه ويعاديه
لما هو عليه من الجهل للدين ، وعدم القيام بما يحتاج إليه من كان
من المسلمين .

والجاهل يعاديه لكونه قد طار بتلك المزية الجليلة ، والخصلة النبيلة التي هي
أشرف خصال الدين ^(١) :

فنزلة السفيه من الفقيه كمنزلة الفقيه من السفيه
فهذا زاهد في حق هذا وهذا فيه أزهده منه فيه

(١) في (ب) توجد (المؤمن) بدل الدين .

وأما العداوة بين المتبع والمبتدع فأمرها أوضح من الشمس فإن المتبع يعادى المبتدع لمبدعته ، والمبتدع يعادى المتبع لإتباعه وكونه على الصواب ، والتمسك بالبدع يعنى بصائر أهلها فيظن أن ما هو عليه من الضلالة هو الحق الذى لا شبهة فيه ، وأن المتبع للكتاب والسنة على ضلالة .

وقد تبلغ هدايات أهل البدع لغيرهم من أهل الاتباع فوق هداياتهم يهود والنصارى ، ولا شك أن أولياء الله سبحانه لهم من منصب الإيمان والعلم والاتباع التيسير الأوفر .

فأعداؤهم يكثرون لسكثرة ما منحهم الله من إعطال الشريعة ، ويحسدونهم زيادة على ما يحسدون أهل الفضائل لاجتماعهم لديهم ، مع فوزهم بالقرب من الله بما فتح الله عليهم به ^(١) من طاعته ، فرائضها ، ونوافلها .

وهم أيضا يكرهون أعداء الله لوجود المقتضيات لديهم لسكراهم ؛ من الإيمان والعلم والعمل الصالح ، وتتوى الله سبحانه على الوجه الأتم .

وإذا التمس عليك هذا فانظر في تمثيل يقربه إليك وهو أن من كازله حظ من سلطان أكثر أعداؤه حسدا له على تلك المنزلة الدنيوية .

ومن كان رأسا في العلم عاداه غالب المنصرين ، لا سيما إذا خالف ما يعتقدونه خطأ . وجمهور العامة تبعاً لهم ، لأنهم ينظرون إلى كثرتهم ، والقيام بما يحتاجون إليه من الفتاوى والفضاء ، مع تلميسهم عليهم بعيوب مفترة لذلك العلم الذى وصل إلى ما لا يعرفونه ، وبلغ إلى ما يقصرون عنه ، أقل الأحوال أن يلتفتوا إليهم بأنه يخالف ما هم عليه هم وآباؤهم وما مضى عليه سلفهم .

(١) يوجد في (ب) كلمة (سبحانه) بين (به) ومن (طاعته) ، ولا يوجد لفظ الجلالة بعد (فتح) .

وهذه وإن كانت شكاية ظاهر^(١) عن ذلك العالم عارها ، لكنها تقع من قبول العامة لما في أهلي محل ، وتثير من شرهم ما لا يقادر قدره . وهذا كأن في غالب الأزمان من غالب نوع الإنسان .

قال ابن هبيرة^(*) في الإيضاح : « قوله : « حادى لى ولياً » ، أى انقذه هدى . ولا أرى المعنى إلا أنه عاداه من أجل ولايته وهو ، إن تضمن التحذير من إيذاء قلوب أولياء الله تعالى ، فليس على إطلاقه ، بل يستثنى منه ما إذا كانت الحال تقتضى نزاهة بين ولين في خاصمة أو محاسبة ، وترجع إلى استخراج حق ، أو كشف غرض . فإنه جرى^(٢) بين أبى بكر وعمر مشاجرة وبين العباس وهلى إلى غير ذلك من الوقائع . »

وتعقبه ألفا كهانى^(**) . « بأن معاداة الولى لا تفهم إلا إذا [كانت]^٣ على طريق الحسد الذى هو تمنى زوال ولايته » ، وهو بعيد جداً في حق الولى فتأمل . قال ابن حجر : « والذى قدمته أولى أن يعتمد »^(٤) انتهى .

(١) فى (ب) (طاهر) فسمى بالمقط .

(٢) فى (ب) (فإنها جرت) .

الأعلام

(*) من (٥٦٠ - ٦٠٧ هـ) مسعود بن يحيى بن محمد ابن هبيرة . أديب من بيت وزارة مولده ووفاته ببغداد . حدث وصنف . الأعلام ج ٨ ص ١١٩ .

(**) هو همر بن على بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري تاج الدين ألفا كهانى له كتب : منها (الإشارة) (خ) فى النحو و (المنهج المبين) فى شرح الأربعين النووية ، و (رياض الأفهام فى شرح عمدة الأحكام) (خ) فى الحديث . توفي سنة ٧٣٤ هـ الأعلام ج ٥ ص ٢١٧ .

(٣) فى (أ) (كان) ، ولكن السياق يقتضى (كانت) .

(٤) ص ٢٩٣ فتح البارى .

قلت : أما المحاصصة في الأموال والديار ، فهي مستثناة سواء كانت بين أوليين ، أو بين الولي وغيره ، فن ادعى عليه بما يلزمه التخليص هذه شرعا ، ولم يكن ذلك مجرد التعنت ، فحق على ذلك الولي ^(١) ، أن يتخلص مما يجب عليه ، ولا يخرج به صدره ، ولا يتأذى به قلبه ، فإن التأذى من التخليص من الحقوق الواجبة ؛ ليس من ^(٢) دأب الأولياء . (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ؛ ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ؛ ويسلموا تسليما ^(٣)) .

(١) هذا خروج من الشوكاني على المبدأ العام في عدم إمكان تحديد شخص الولي لا من جهة الشخص نفسه ولا من جهة من حوله ، فإن الرسول ﷺ كان دائم الاستنفار ، كما قال عن نفسه أيضاً « إني لأخشاكم الله وأتقاكم له » . « وما أدري ما يفعل بي ولا بكم » بلسانه مرة و بلسان القرآن مرة أخرى . فهو ﷺ ظل في موقف الخائف والحريص إلى آخر لحظة من حياته ، ولم ينظر بباله أنه قد فاز أو اقتحم العقبة أو أنه ليس له من الأهمال ما يحاسب عليه ، فإذا كان ﷺ كذلك فالأولى بمن بعده أن يخاف ولا يركن إلى فكرة أنه قد صار من الأولياء ، فلا يفتان أنه قد وصل إلى درجة الولاية ، بل يظل طول حياته ، يعمل على الوصول إليها وفي سبيلها ، فلا يجوز له أن يعتقد في نفسه الولاية . ولا لغيره أن يعتقد فيه كما قال (ﷺ) « إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها ذارع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار » ، إلا إذا اشتهر بين الناس بصفات الأولياء وأهمهم ، فحينئذ يجوز لغيره أن يغلب فيه الغن بالولاية لا لنفسه . ينظر مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ص ٣٤ ؛ فهناك يقول : أولياء الله المحددون هم العشرة المبشرون بالجنة ولا يجوز التهميم بالقطع على غيرهم .

(٢) في (ب) لا توجد كلمة (من) .

(٣) النساء : ٦٥ .

وتحكمكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو تحكمكم ما جاء به من الشريعة المطهرة . وهي موجودة في كتاب الله سبحانه ، وفي سنة رسوله ^(١) صلى الله عليه وآله وسلم وهما باقيان إلى هذه النفاية بين أظهر المسلمين . والعلماء العارفون بما فيهما ، موجودون في كل أقطار الأرض ، فإذا حكم حكمكم منهم على الولي بما يجب عليه في كتاب الله سبحانه ، وفي سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلا تمثال عليه أوجب من الامتثال على غيره لارتفاع رتبته وزيادته [خصوصيته] ^(٢) بكونه وليا لله سبحانه ، فإذا خرج صدره من ذلك وتأذى به فهو قاذح في ولايته ، وليس على الخصام له ولا على الحاكم الذي حكم عليه شيء من الإثم

عودة إلى مقياس الولاية :

وقد قدمنا أن للمعيار الذي تعرف به صحة ولايته ، هو أن يكون عاملا بكتاب الله سبحانه وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم مؤثرا لهما على كل شيء مقدما لهما في إصداره وإبراده ، وفي كل شئونه ، فإذا زاغ عنهما زافت هذه الولاية .

وانظر ما اشتملت عليه هذه الآية ^(٣) الشريفة مما هو موهبة للمتعظين وعبرة للمعتبرين ، فإنه أولا بدأ فيها بالقسم الرباني ، وأقسم بنفسه عز وجل وتقدس مشرقا له صلى الله عليه وآله وسلم بإضائة الربوبية إليه ، جازما بنفس

(١) في (ب) (رسول الله) .

(٢) في (ب) ، (أ) (خصوصية) وأعلمها سهو كتابي من المؤلف . وقد سهواً بالناسخ في (ب) أيضاً عن النظر في أسلوبها فنقلها كما هي .

(٣) المقدمة في الصفحة السابقة .

الإيمان عن خالف هذا القسم الرباني ، فقال : لا يؤمنون . ثم جعل لذلك غاية هي تحكيمه صلى الله عليه وآله وسلم فيما شجر بين العباد .

ثم لم يكتف بذلك حتى قال : « ثم لا يجحدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت » فلا ينفع مجرد التحكيم لكتاب الله سبحانه ولسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى لا يكون في صدر الحكم لهما حرجاً من ذلك القضاء .

ثم لم يكتف بذلك ، حتى قال : « ويسلموا » فلا ينفع مجرد التحكيم لهما مع هدم الحرج من الحكم عليه بهما حتى يسلم ما عليه مما أوجبه القضاء^(١) بهما . ثم جاء بالنأ كيد لهذا التسليم للفيد أنه أمر لا مخلص عنه ، ولا خروج منه .

فكيف يجحد من كان ولياً لله سبحانه حرجاً في صدره على خصمه للطلب له بحق يحق عليه التخاص منه ، أو على حاكمه الذي حكم به عليه ؟ !

فإن هذا ليس بصنيع أهل الإيمان بالله ، فكيف بأوليائه الذين ضموا إلى الإيمان ما استحقوا به اسم الولاية ، والعزة الربانية^(٢) .

ولكن هذا إذا كان الخهم^(٣) يعلم أنه محق في طلبه ، وأن ذلك الحق ثابت له لا محالة ، فإن التقاضي : إنما يقضى له بالظاهر الشرعي^(٤) ، كما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الصحيحين وغيرهما أنه قال : « إنكم تذهبون إلى ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، وإنما أقضى بنحو ما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً ، فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار » .

(١) في (ب) (لها) وهو خطأ واضح .

(٢) هذا أبلغ توضيح لما يجب أن يكون عليه الولي في موافق الخصومة .

(٣) في (ب) (إذا كان يعلم الخهم) وهو تعبير ضعيف في هذا المقام .

(٤) في (أ) كلمة الشرعي تكررت وهو سهو طبعاً من المؤلف .

فهذا يقوله^(١) الصادق المصدوق سيد ولد آدم ، المبعوث إلى جميع العالم
لأنفسهم وجنهم ، وقد أخبرنا بأنه^(٢) إذا قضى بشيء مما سمعه ، وكان الباطن
بخلافه لم يجز للمحكوم له أن يأخذه بل هو قطعة من النار فكيف بمن هو
مظنة للخطأ ، ويحل الإصابة نارة ولنغيرها أخرى ، ومن لا هممة له ، ولا وحى
ينزله عليه ١١٢ .

وقد صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الصحيحين وغيرهما أنه قال :
إذا اجتمع الحاكم وأصاب فله أجران ، وإن اجتمع فأخطأ فله أجر فكل
حاكم من حكام المسلمين [يتردد]^(٣) حكمه بين الصواب والخطأ ، ولا يمكنه
مأجور على كل حال ، لأن ذلك فرضه الواجب عليه ، ولا يحل للمحكوم له
أن يستحل مال خصمه بمجرد الحكم ، كما قضى به رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم في أحكامه الشرعية فكيف بأحكام غيره من حكام أمته ١١٣ .

وقد ثبت في السنن^(٤) وغيرها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « إن
الفضاء ثلاثة فإضيان في النار : قاتل في الجنة ، ظالم في الجنة وجل هلم بالحق^(٥) »

(١) في (ب) تكررت (يقوله) .

(٢) في (ب) (أنه) فقط دون الباء .

(٣) في الأصل (يتردد) وهو سهو من المؤلف .

الأعلام

(٥) هي سنن أبي داود : سليمان بن أشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥ هـ
وسننه : إحدى كتب الحديث للست العجيبة ، وقد قال فيها : كتبت عن رسول
الله ﷺ وآله وسلم خمسمائة ألف حديث ، اتخذت ماضمته وجمعت في كتابي
هذا وهو أربعة آلاف حديث ، وثمانية أحاديث في الصحيح ، وما ينسبهم (ص ١٠٠٤)
كشف الظنون ج ٢ .

(٤) في (ب) (علم الحق) دون الباء .

وقضى به والتقاضيان [اللذان]^(١) هما في النار : رجل قضى للناس بجهل فهو في النار ، ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار .

وبهذا تعرف أن الظلم الحاكم للولي ، إذا كان يعلم أنه لا حق له عليه وأن دعواه باطلة ، فهو داخل تحت قوله : « من هادى لى ولياً » لأن دعواه الباطلة على الولي مما دأ له ظاهرة ، فاستحق الحرب الذي توهده الله سبحانه به في هذا الحديث .

وأما القاضى إذا قضى عليه بما هو في ظنه [حق]^(٢) [موافق]^(٣) للكتاب والسنة ، واجتهد في البحث والفحص ، وكان أهلاً للحكم فليس ذلك منه مما دأ للولي ، وليس عليه من تأذبه بحكمه شيء ، فهو قد حكم بالشريعة الملهمة واستحق أجرين أو أجراً ، وامتنل ما أرشده^(٤) إليه الصادق للصدوق صلى الله عليه وآله وسلم .

للراد بالشريعة :

وها هنا نكتة يلغى التنبه لها من كل أحد من أهل العلم ، وهي أن لفظ الشريعة إن أريد به الكتاب والسنة ، لم يكن لأحد من أولياء الله تعالى ولا من غيرهم أن يخرج منه ، ولا يخالفه بوجه من الوجوه ، وإن أريد به حكم الحاكم فقد يكون^(٥) صواباً ، وقد يكون خطأ كما بينه رسول

(١) في (أ) (الذين) بالنصب وهو سهو .

(٢) في (أ) (حقاً) بالنصب وهو خلاف القاعدة المحوية .

(٣) وكذلك (أ) فيها (موافقاً) بالنصب .

(٤) في (ب) (أرشد) .

(٥) في (أ) (تسكّرت) (فقد يكون) وهو سهو من المؤلف .

الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث السابق^(١) بالمثل الأول . [و]^(٢)
ليس لأحد أن يخرج هذه^(٣) ، ومن خرج هذه فهو كافر :

ومن ظن أن لأحد من أولياء الله سبحانه طريقا إلى الله تعالى غير
الكتاب والسنة ، واتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو كاذب .
وقد غلط كثير من الناس فجعلوا الشريعة شاملة للقسمين ، وما أفصح
هذا الغلط ، وأشد عاقبته ، وأعظم خطره .

الكونيات ، والدينيات في القرآن الكريم :

وكما وقع الاشتباه بين هذين القسمين ، وقع الاشتباه أيضا بين شيتين
آخرين ، وإن كانا خارجين عما نحن بصدده وهو الفرق بين الإرادة
الكونية ، والإرادة الدينية ، وبين الأمر الكونى والأمر الدينى ، وبين
الإذن الكونى والإذن الدينى ، وبين القضاء الكونى والقضاء الدينى ،
والبعث الكونى ، والبعث الدينى ، والإرسال الكونى ، والإرسال الدينى ،
والجعل الكونى ، والجعل الدينى ، والتحرير الكونى ، والتحرير الدينى ، وبين
الحقيقة الكونية ، والحقيقة الدينية .

والفرق بين هذه الأمور واضح ، وإن اشتبه على طائفة من أهل العلم
فخطوا ، وخطوا .

(١) في الصفحة السابقة ص ٢٨٠ : (إذا اجتهد الحاكم .. الخ) .

(٢) فى (أ) لا توجد (الوار) قبل (ليس) ، ولكنها ضرورية لأنه
استئناف كلام المراد منه الحظ على لزوم الكتاب والسنة ، والعمل بالحديث الذى
يخص على مبدأ الاجتهاد .

(٣) أى عن ذلك الحديث المشار إليه كما يفهم من المقام ، فالواجب على القضاة
الاجتهاد ولزوم الحديث ، وغير القضاة فى النظر إلى أحكامهم على هذا الأساس .

وبيان ذلك أن الله سبحانه له الخلق والأمر، كما قال: «إن ربكم الله^(١) الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ينفث الليل والنهار يطالبه حينئذ الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين»^(٢).

فهو سبحانه خالق كل شيء وربّه وما يملكه^(٣) لا خالق غيره ولا رب سواه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. وكل ما في الوجود من حركة وسكون بقدرة وقدره ومشيئته وقدرته وإرادته وخلقه، وهو سبحانه أمر بطاعته وطاعة رسوله، ونهى عن الشرك بالله سبحانه.

فأعظم العنايات التوحيد والإخلاص، وأعظم المعاصي الشرك «إن الله لا يفر أن يشرك به، ويفر ما دون ذلك لمن يشاء»^(٤) وقال سبحانه «ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله، والذين آمنوا أشد حبا لله»^(٥).

وفي الصحيحين وغيرهما عن ابن مسعود^(*) قال: «قامت يارسل الله

(١) في (أ) سقط لفظ الجلالة سموا من المؤلف.

(٢) الأعراف: ٥٤.

(٣) في (ب) (وما لكه).

(٤) النساء: ٤٨.

(٥) البقرة: ١٦٥.

الأعلام

(٥) أحد أصحاب رسول الله (ﷺ) وأجبههم إليه وكان من أوائل الناس إسلاماً، وأحفظهم للقرآن الكريم والحديث الشريف. وقال فيه الرسول ﷺ كما روى عن زرين حبش عن ابن مسعود: أنه كان يجتنى سوا كما من

أى الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك . قلت : ثم أى ؟ قال . أن تقتل ولدك خشية أن تطعمه . قلت : ثم أى ؟ قال : أن تزنى بحليلة جارك . فأنزل الله ^(١) تصديق ذلك : والذين لا يدهون مع الله إله آخر ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً ، يضاعف له المذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً . إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ، فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفوراً رحيماً ^(٢) .

وأمر الله سبحانه بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذى القربى ، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، وأخبر أنه يحب المتقين ^(٣) ، [والمحسنين ، ويحب المتوازين ويحب المنظرين ، ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بلبيان مرصوص ، وهو يسره ما نهى عنه ، كما قال : (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً) . وقد نهى عن الشرك وعقوق الوالدين ، وأمر بإئاء ذى الحقوق ، ونهى عن التبذير والرفقة ، وأن يجعل يده خلوة إلى عنقه ، وأن لا يسب عليها

(١) فى (ب) كلمة (تعالى) بعد لفظ الجلالة .

(٢) ٦٨ ، ٦٩ ، ١٧٠ ، الفرقان .

(٣) فى (أ) لا توجد (واو) قبل المحسنين .

الأعلام

== الأ . ك وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكتموه فضحك القوم منه ، يقال رسول الله (ﷺ) مم تضحكون ، قالوا يابى الله من دقة ساقيه ، فقال : « فوا الذى نفسى بيده لهما أنفل فى الميزان من أحد » . ومن مأثوراته : « لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً فإن آمن وإن كفر كفر » . ولى قضاء الكوفة وبيت المال لعمر ، وصدرأ من خلافة عثمان ثم صار إلى المدينة فمات بها سنة اسنتين وثلاثين هـ ودفن بالبقع ص ١٥٥ ج صفوة الصفوة) .

كل البسط . ونهى من قتل النفس بغير حق وعن ^(١) قربان مال اليتيم ، لا بالتى هى أحسن إلى أن قال : (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) ^(٢) .

وهو سبحانه لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر .

والعبد مأمور أن يتوب إلى الله سبحانه ، وقال : فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ^(٣) . وقال : (وساروا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون أموالهم فى السراء والضراء ، والكافلين ، الفقيظ ، والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ، والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) ^(٤) .

فما خلقه الله سبحانه وقدره وقضاه فهو يريد ، وإن كان لا يأمر به ولا يحبه ولا يرضاه ، ولا يثيب أصحابه ، ولا يجملهم من أوليائه . وما أمر به وشره وأحبه رضيه وأحب فأعابه وأثابهم وأكرمهم عليه ، فهو الذى يحبه ويرضاه ، ويثيب فأعله عليه .

فالإرادة الكونية ، والأمر الكونى ، وهى مشيئته لما خلقه من جميع مخلوقاته إسمهم وجنهم ، مسلمهم وكافرهم ، حيوانهم وجمادهم ، ضارهم ونافعهم . والإرادة الدينية والأمر الدينى : هى محبته المتنازلة لجميع ما أمر به وجعل شراً ودينياً ، فهذه مختصة بالإيمان والعمل الصالح .

(١) فى (ب) لا توجد كلمة (عن) .

(٢) الإسراء : ٣٨ .

(٣) الزلزلة ٨٧ .

(٤) آل عمران من ١٣٣ — ١٣٥ .

أمثلة:

فمن الإرادة الأولى : أهي الكونية قول الله سبحانه : (فمن يُرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، وعن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً ، كأنما يصعد في السماء)^(١) . وقول نوح^(٢) : (ولا ينفعكم لصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يرد أن يغويكم)^(٣) . وقال تعالى : (وإذا أراد الله بشئ فهو سروراً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال)^(٤) .

ومن الإرادة الدينية . قوله : (فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر)^(٥) . وقوله تعالى : (إنما يريد الله ليكمل عليكم^(٦) من حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون)^(٧) . وقوله سبحانه : (يريد الله ليبين لكم يهديكم سنن الذين من قبلكم ، ويتوب عليكم ، والله عالم حكيم ، والله يريد أن يتوب عليكم ، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً ، يريد الله أن ينفق عليكم ، وخلق الإنسان ضعيفاً)^(٨) . وقوله سبحانه : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويطهركم تطهراً)^(٩) .

(١) الأنعام : ١٢٥ .

(٢) في (ب) يوجد (عليه السلام) بعد نوح .

(٣) هود : ٣٤ .

(٤) الرعد : ١١ .

(٥) البقرة : ١٨٥ .

(٦) في (أ) ، (ب) كلمة (في الدين) وهي سهو من المؤلف والناسخ .

(٧) المائدة : ٦ .

(٨) النساء : من ٢٦ — ٢٨ .

(٩) الأحزاب : ٣٣ .

ومن الأمر السكوني : قوله سبحانه ^(١) (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) ^(٢) وقوله : (وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ) ^(٣) وقوله : (أَنَّا هَا أَمْرُنَا بَيَانًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ) ^(٤).

ومن الأمر الديني : قوله سبحانه : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ، وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ، وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَالْبَغْيِ) ^(٥) وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ، وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ ^(٦).

ومن الإذن السكوني : قوله تعالى : (وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) ^(٧) أي عيشته وقدرته ، وإلا فالبحر لا يبيحه الله . وقال تعالى : فِي الْإِذْنِ الدِّينِي : (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَرَدَّاهُمَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) ^(٨) وقال : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رِسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ) ^(٩) وقال : (مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ) ^(١٠).

ومن القضاء السكوني : قوله تعالى : (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ) ^(١١) وقوله : فَإِذَا قُضِيَ أَمْرٌ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) ^(١٢).

(١) في (ب) (قوله سبحانه) .

(٢) وكانت في الأصل وفي (ب) (إِنَّمَا أَمْرُنَا) وهو سهو منهما أيضاً .

(٣) النحل : وكانت في الأصل : « إِنَّمَا أَمْرُنَا » ولكن صححتها ، (قولنا) فخرجت بذلك عن موضع الاستشهاد .

(٤) القمر : ٥٠ (٥) يونس : ٢٤ (٦) النحل : ٩٠ .

(٧) النساء : ٥٨ (٨) البقرة : ١٠٢ (٩) الأحزاب : ٤٦ .

(١٠) النساء : ٦٤ (١١) الحشر : ٥ (١٢) فصلت : ١٢ .

ومن القضاء الديني : قوله سبحانه (وقفى ربك ألا تعبدوا إلا إياه)^(١)
 أى أمر وليس المراد قدر فإنهم قد عبدوا غيره كقوله : (ويعبدون من دون
 الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله)^(٢) .
 وقول الخليل عليه السلام (أفأرى أنتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون
 فإنهم يدعون إلا رب العالمين)^(٣) وقوله سبحانه : (قد كانت لكم أسوة
 حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم : إنا برآء منكم وما تعبدون من
 دون الله كفرنابكم ، وبدأ بيننا وبينكم العداوة ، والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا
 بالله وحده)^(٤) وقوله سبحانه : (قل يا أيها الكافرون لا أحبكم ما تعبدون)^(٥)
 إلى آخر السورة .

ومن البعث السكوني : قوله سبحانه : (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم
 هباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً)^(٦) .

ومن البعث الديني : قوله سبحانه : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا
 منهم^(٨) يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة »^(٩) .

وقوله عز وجل : (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا
 الطغافوت)^(١٠) .

-
- | | |
|--|--------------------|
| (١) الإسراء ٢٣ . | (٢) يونس : ١٨ . |
| (٣) الشعراء : من ٧٥ — ٧٧ . | (٤) الممتحنة : ٤ . |
| (٥) سورة (الكافرون) . | (٦) الإسراء : ٥ . |
| (٧) فى (ب) سقطت من الناسخ كلمة (منهم) . | |
| (٨) الجمعة : ٢ . | |
| (٩) النحل : ٣٦ . | |
| (١٠) فى (أ) ، (ب) سقطت من المؤلف والناسخ كلمة (ألم تر) . | |

ومن الإرسال السكوني : قوله تعالى : (ألم تر^(١) أنا أرسلنا الشياطين
على الكافرين فوزم أزا^(٢)) وقوله : (وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين
يدي رحمته)^(٣) .

ومن الإرسال الديني : قوله سبحانه^(٤) : (يا أيها النبي إنا أرسلناك
شاهداً ومبشراً ونذيراً)^(٥) .

وقوله تعالى : (إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى
فرعون رسولا)^(٦) .

ومن الجمل السكوني : قوله سبحانه : (وجعلناهم أئمة يدعون إلى
النار)^(٧) .

ومن الجمل الديني : قوله سبحانه : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)^(٨)
وقوله تعالى : « ما جعل الله من بحيرة ، ولا سائبة ، ولا وصيلة ولا حام »^(٩) .

ومن التحريم السكوني : قوله تعالى : (وحرمنا عليه للراضع من قبل)^(١٠)
وقوله سبحانه : (حرموا عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض)^(١١) .

ومن التحريم الديني : قوله عز وجل : « حرمت عليكم اللينة والدم وطم

(١) في (١) ، (ب) سقطت من المؤلف والناسخ كلمة (ألم تر) .

(٢) مريم : ٨٣ .

(٣) ٥٧ الأعراف .

(٤) في (ب) (تعالى) .

(٥) الأحزاب : ٤٥ .

(٦) المزمل : ١٥ .

(٧) القصص : ٤١ .

(٨) المائدة : ٤٨ .

(٩) المائدة : ١٠٣ .

(١٠) القصص : ١٢ .

(١١) المائدة : ٢٦ .

الظنير وما أهل لغير الله به (١) وقوله (حرمت عليكم (٢) أمهاتكم ؛
 وبناتكم (٣) وأخوانكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت) (٤)
 وقوله سبحانه : (قل لا أجد فيها أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه) (٥) وقوله
 تعالى : (قل إنما حرم ربي الفواحش) (٦) .

فجميع ما تقدم يقال لما كان كونها منه حقيقة كونية ، ولما كان دينيا منه
 حقيقة دينية .

التقدير ونفي احتياج العصاة به :

وإذا عرفت هذا فاعلم أن من ظن أن التقدير حجة لأهل المعاصي فقد غلط
 غلطا مبينا ، واقترى بأهل الكفر الذين سبى الله عنهم ، أنهم قالوا : (لو شاء
 الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء) (٧) ثم قال :
 (كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا) (٨) هل عندكم من علم
 فتخرجوه لنا ، إن ننبهون إلا الظن ، وإن أنتم إلا تخرصون . قل فوالله الحجة
 لبالغة فلماذا لم يأتكم أحدكم بهذا من قبله ؟ (٩) .

(١) المائدة : ٣ .

(٢) في (أ) تكررت كلمة (عليكم) .

(٣) في (أ) سقطت من النسخ (وبناتكم وأخوانكم) وهو سهو وخطأ

(٤) النساء : ٢٣ .

(٥) الأنعام : ١٤٥ .

(٦) في (ب) زاد النسخ (ما ظهر منها وما بطن) وهي من الآية .

(٧) الأنعام : ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٨) في (أ) غلط المؤلف وقال فهل (بدل (قل هل) .

(٩) في (ب) خطأ في الآية القرآنية .

ولو كان الله رجلاً لم يعذب الله سبحانه للكافرين لارسل كقوم نوح
 عاد وثمود وقوم فرعون وغيرهم ولم يأمر بإقامة الحدود على العصاة للركبة
 لها ، ولا يحتاج أحد بالقدر إلا إذا كان متبهماً هو أو غيره من الله . ومن
 ظن ذلك فعليه أن لا يذم كافراً ، ولا هاضماً ، ولا يماقبه إذا اعتدى عليه ،
 ولا يفرق بين من يفعل الخير ، وبين يفعل الشر ، وهذا خلاف ما تقتضيه
 عقول جميع العقلاء ، وما تقتضيه جميع كتب الله للفرقة وما تقتضيه كلمات
 أنبياء الله عليهم السلام (١) .

فلا تنك بعقل ولا شرع ، وقد قال الله سبحانه (٢) : « أم حسب الذين
 اجترحوا السبلات أن فهمهم كالتين آمنوا ونعموا بالصالحات سواء شعبا
 ومماهم سواء ما يظنون » (٣) . وقال تعالى : « أفحسبتم أنما خلقناكم هباء
 وأنكم إلينا لا ترجعون » (٤) ونفى ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث
 الصحيحة ، ومن ظن أن في حاجة آدم وموسى حجة المحتجين بالقدر حيث
 قال موسى : أنت أبو البشر خلقتك الله يديه ، ونفخ فيك من ريحه ،
 وأسجد لك ملائكته ، أخرجتنا ونفسيك من الجنة فقال له آدم . أنت الذي
 اصطفاك الله بكلامه (٥) ، وكتب لك التوراة بيد ، فلم تلومني على أمر
 قدره الله هل قبل أن أخلق ؟ قال : فحج آدم موسى . هكذا في
 الصحيحين وغيرهما .

(١) في (ب) (الصلاة والسلام) .

(٢) في (ب) (تعالى) بعد (سبحانه) .

(٣) الجاثية : ٢١ .

(٤) المؤمنون : ١١٥ .

(٥) في (ب) (لكلامه) .

ووجه الحديث : أن موسى عليه السلام ^(١) ، إنما لام أباه آدم عليه السلام
لأنه كاه الشجرة التي كانت سبباً لإخراجه ، وذريته من الجنة ، ولم يلمه هلى كونه
أذن ذنباً وتاب منه فإن موسى يعلم أن التائب من الذنب لا يلام . وقد ثبت
فى الصحيح فى الحديث الذى أنى صلى الله عليه وآله وسلم قال ^(٢) : « يا هبى
إنما هى أعمالكم أحصها لكم ثم أوفىكم إياها » فمن وجد خيراً فليحمد الله
سبحانه ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » ^(٣) .

الصحابه رضى الله عنهم ومركزهم من الولاية :

وانرجع إلى شرح الحديث الذى نحن بهدد شرحه فنقول : اعلم أن
الصحابه ^(٤) لاسياً ^(٥) أباهم الجامعين بين الجهاد بين يدى رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ، والعلم بما جاء به ، وأشهدهم الله سبحانه من مشاهد النبوة
ومحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى السراء والضراء ، وبذلهم أنفسهم
وأموالهم فى الجهاد فى سبيل الله سبحانه حتى صاروا خير القرون بالأحاديث
الصحيحة . فهم خيرة الخيرة ، لأن هذه الأمة هى كما أكرمهم الله به بقوله :
كنتم خير أمة أخرجت للناس ، وكانوا الشهداء على العباد كما فى القرآن العظيم

(١) فى (أ) السلام هكذا (السلا) دون الميم .

(٢) فى (ب) بعد قال : (يقول الله تعالى يا عباده الخ) وهى لازمة ، لأن
القائل الله سبحانه وتعالى وليس الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٣) قد علق ابن القيم على هذا الحديث ، وبين آراء المتكلمين فيه ، وبأى
وجه احتجوا به على آرائهم فى القدر ص ٢٩ — ٣١ من شفاء العليل فى مسائل
القضاء والقدر والحكمة والتعليل .

(٤) فى (ب) يوجد (رضى الله عنهم) .

(٥) فى (ب) (هم) بعد لاسياً .

تتم خير العباد جميعا ، وخير الأمم صابغتهم ولاحقهم ، وأولهم وآخرهم . وهؤلاء الصحابة رضى الله عنهم ، هم خير قرونهم ، وأفضل طوائفهم إلى يوم القيامة . فتقرر بهذا أن الصحابة رضى الله عنهم خير العالم بأمره من أوله إلى آخره ، لا يفضلهم أحد إلا الأنبياء والملائكة ، ولهذا لم يعدل مثل أحد ذهباً ، ولا أحدهم ، ولا نصيفه .

فإذا لم يكونوا رأس الأولياء ، وصهوة الأتقياء ، فليس لله أولياء ، ولا أتقياء ، ولا بررة ، ولا أصفياء .

وقد نطق القرآن الكريم^(١) بأن الله^(٢) قد رضى عن أهل بيعة الشجرة وهم جمهور الصحابة إذ ذاك .

وثبت عنه صلى الله عليه وآله ولم يثبتوا متواتراً أن الله سبحانه أطاع على أهل بدر فقال : (اعلموا ما شئتم فقد غفرت لكم) . وشهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لجاهة منهم بأنهم من أهل الجنة .

فقوله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحديث : « من هدى لي ولياً » ، يصدق عليهم صدقاً أولياً ، يمدحهم بفحوى الخطاب .

فانظر أرشدك الله إلى ما عارت الرافضة أقامهم^(٣) الله تعينه هؤلاء الذين هم رؤس الأولياء ورؤساء الأتقياء ، وقدوة المؤمنين ، وأصوة المسلمين ، وخير هباد الله أجمعين من الطعن واللعن والتلذذ والسب والشتم والنم ، وانظر إلى أى مبلغ بلغ الشيطان الرجيم هؤلاء المغررين الجذبيين على هذه الأعراض

(١) في (ب) (العظيم) .

(٢) في (ب) (سبحانه وتعالى) بمد لفظ الجلالة .

(٣) صخرهم وأذلهم .

المصونة المحترمة للكريمة ١١١ .

فبالحق المحجب من هذه العقول الرقيقة ، والأفهام الشريفة ، والأذهان المختلة ،
والإدراكات المعتلة ، فإن هذا التلاهب الذي تلاهب بهم الشيطان يفهمه
أفصر الناس هؤلاء ، وأبهم فطانة ، وأجهد فهم ، وأقصرهم في العلم باها ،
وأقلهم اطلاعا .

فإن الشيطان لعنه الله سؤل لهم بأن هؤلاء الصحابة رضی الله عنهم الذين
لهم المزايا التي لا يحيط بها حصر ، ولا يحصيها حد ، ولا عد ، أحقاد بما يتكبرون
من أهراضهم الشريفة ، ويجهلون من مناقبهم المنيفة ، حتى كأنهم لم يسكنوا
في الدين أقاموا أعمدة الإسلام بسموهم ، وشادوا قصور الدين برماحهم ،
وامتدحوا الممالك الكسروية ، وأطعموا الملة العسرانية والمجوسية ، وقطعوا
حبال الشرك من الطوائف المشركة من العرب وغيرهم ، وأوصلوا دين الإسلام
إلى أطراف المعمور من شرق الأرض وغربها ، وبينها وشمالها ، فانتسعت رقعة
الإسلام وطبقت الأرض شرائع الإيمان ، وانتطعت علائق الكفر وانقصمت
حبائله ، وانتهت أوصاله ، ودان بدين الله سبحانه الأسود والأحر ،
والوثني ، والي .

فهل رأيت أو سمعت بأضعف من هؤلاء تميزا ، وأكثر^(١) منهم جهلا ،
وأزيف منهم رأيا ؟ ! والله العجيب بعاد بن خير هباده الله وأفهمهم الدين ، الذي
بعث به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهم لم يعاصروهم ، ولا عاصروا
من أدركهم ، ولا أذنبوا إليهم بذنوب ، ولا ظلموهم في مال ، ولا دم ولا عرض ،
بل قد صاروا تحت أطباق النرى وفي رحمة واسع الرحمة منه مئين من السنين .
وما أحسن ما قاله بعض أمراء ههنا ، وقد رام كثير من أهل الرضى أن

(١) في (ب) (أكثرهم) .

يفتنوه ويوقعوه في الرفض : « مالى ولقروم يبنى وبينهم زيادة على اثني عشرة مائة من المنين » . وهذا القائل لم يسكن من أهل العالم بل هو هيد صيره ماله أميراً ، وهداه عقله إلى هذه الحجة العلمية التي يعرفها بالفطرة كل من له نصيب من عقل ، فإن هداوة من لم يظلم الممادى في مال ولادم ولا عرض ، ولا كان معاصراً له حتى ينافسه فيما هو فيه ، يعلم كل عاقل أنه لا يعود على الفاعل بفائدة .

هدا على فرض أنه لا يعود عليه بضرر في الدين فكيف وهو من أهظم الذنوب التي لا ينجى فاعلمها إلا « هو الغريم المجنى عليه بظلمه في عرضه ١١٢ » . أنظر عاقل الله ، ما ورد في غيبة المسلم من الوعيد الشديد مع أنها ذكر الغائب بما فيه (١) كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيانها ما سألها السائل عن ذلك ثم سألها عن ذكره بما ليس فيه جعل ذلك من البهتان ، كما هو ثابت في الصحيح ، ولم يرخص فيها بوجه من الوجوه .

وقد أوضحنا ذلك في الرسالة (٢) التي أرفقنا بها ، ما قاله النورى وغيره من جواز الغيبة في ست صور ، وزيفنا ما قالوه تزيفاً لا يبقى بعده شك ولا ريب ، ومن بقي في صدره حرج وقف هالماً ، فإنها دواء لهذا الداء الذي هلك به كثير من عباد الله سبحانه .

فإذا كان هذا حراماً بيننا ، وذنوباً عظيماً في غيبة فرد من أفراد المسلمين الأحياء الموجودين ، فكيف غيبة الأموات التي صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) في (ب) (بما في المغتاب) فتكون الغائب من غاب : بمعنى اغتاب ، ولكن على ما هنا فإن الغائب على معناها الأصلي وهو غيب الحاضر .
(٢) وهى رسالة (رفع الغريب فيما يجوز ولا يجوز من الغيب) أنظر ص ٥٤ .

عليه وآله وسلم انتهى عنها بقوله : « لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا » ١٢ .

فكيف إذا [كان] ^(٣) هؤلاء المسبوبين الممزقة أهراسهم المتهوكة حرمتهم هم خير الخليفة ، وخير العالم كما قدمنا بحقيقته ١١٢ .
فسيحان الصبور الحليم ١١١ .

فيا هذا المنجى على هذه الكبيرة المنقح على هذه العظيمة ، إن كان الخامل لك عليها والواقع لك في ، وإلها هو تأميك الظفر بأمر ديني ، وهرض عاجل ، فاعلم أنك لا تنال منه طائلا ، ولا تنوز منه بتغير ولا قطمير .

فقد جربنا وجرب غيرنا من أهل المصهور الماضية ، أن من طلب الدنيا بهذا السبب [الذي] ^(١) فتح باب الشيطان الرجيم ، وشيوخ الملاحدة من الباطنية والنراقطة والإسماعيلية تنسكت عليه أحواله وضائق عليه معاشه ، ومآذته مطالبه وظهر عليه كآبة المنظر ، وتماعة ^(٢) الهيمة ورثانة الخلال ، حتى يعرفه غالب من رآه أنه رافضي ، وما علمنا بأن رافضيا أفاح في ديارنا هذه قط .

وإن كان الخامل لك على ذلك الدين فقد كذبت على نفسك ، وكذبت شيطانك وهو كذوب .

فإن دين الله هو كتابه وسنة رسوله فانظر هل ترى فيهما إلا الإخبار

(١) في (أ) ، (ب) كانوا على لغة يتعاقبون .

(٢) في (أ) (التي) وهو سهو من المؤلف .

(٣) في (ب) و (قاة) .

لنا^(١) بالرضى عن الصحابة ، [وأنهم]^(٢) أشداء على الكفار ، وأن الله يغيظ
[الكفار] ، وأنه لا يلحق بهم غيرهم ، ولا يائسهم سواهم ١١٢ .

وهم الذين أنفقوا من^(٣) قبل الفتح وقالوا ، وأنفقوا بعده كما حكاه
القرآن الكريم ، وهم الذين جاهدوا في الله حق جهاده ، وجاهدوا بأموالهم
؛ أنفسهم في سبيله .

وهم الذين قاموا بفرائض الدين ، ونشروا في المسلمين ، وهم الذين وردت
لهم في السنة المطهرة المناقب العظيمة ، وأنفضائل الجسيمة وهو ما رخصوا .
ومن شك في هذا نظري دراوين الإسلام ؛ وفيما يلحق^(٤) بها من المسندات
والستدركات والمعاجيم ، ونحوها فإنه سيجد هناك ما يشفى غله ويرى غله
ويورده عن غوايته ، ويفتح له أبواب هدايته .

هذا إذا كان يعرف أن التشريعية الإسلامية هي الكتاب والسنة وأنه
للتشريعة بين أظهرنا من الله ورسوله إلا ذلك .

فإن كان لا يدري بهذا ويزعم أن له صلفاً في هذه المصيبة العظيمة والظلمة
الذميمة ، فقد غره الشيطان بخفول مثله ، ويقتنون مثل فتنه ، وقد نزه الله
هز وجل هلساء الإسلام سابقهم ولا حاتمهم ومجتهدهم ومفلسهم عن الوقوع
في هذه البلية الخالقة للدين المخرجة لمرتسكبيها من سبيل المؤمنين إلى طريق
الملحدين .

(١) في (ب) سقطت (لنا) من النسخ .

(٢) في (أ) (أنه) ، (به) وهو سهو من المؤلف .

(٣) في (ب) سقطت (من النسخ) .

(٤) في (ب) (يلحق) .

موقف أهل البيت من الصحابة :

فإن زعم أنه قد قال بشيء من هذا الضلال المبين قائل من أهل البيت للظاهرين ، فقد انترى عليهم الكذب البين ، والباطل الصراح ، فإنهم مجمعون سابقهم ولا حقهم ، هلى تعظيم جانب الصحابة الأكرمين ، ومن لم يعلم بذلك فليستأر في الرسالة التي ألغتها في الأيام القديمة التي سميتها (إرشاد النبي إلى مذهب أهل البيت فيه) فإني نقلت فيها نحو أربعة عشر إجماعاً عنهم من طرق مروية عن أكابرهم وعن التابعين لهم المتسكنين بمذهبهم .

فيا أيها المفرورون اقتديت ، وهلى من اهتديت ، وبأى حبل تمسكت وفي أى طريق سلكت . يالك الويل والنبور ، كيف أذهبت دينك في أمر يخالف كتاب الله سبحانه ، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويخالف جميع المسلمين منذ قام الدين إلى هذه الغاية ، وكيف رضيت لنفسك بأن تكون خصماً لله سبحانه ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، واسنذه ولصحابه ولجميع المسلمين ١١٢ أين ينأه بك ، وإلى أى هوة يرمى بك ، أما تخرج نفسك من هذه الظلمات المتراكة إلى أنوار هذا الدين الذي جاءنا^(١) به الصادق المصدق من رب العالمين ، وأجمع عليه المسلمون أجمعون ، ولم يخالف فيه مخالف يمتد به في إجماع المسلمين ، اللهم إلا أن يكون رافضياً خبيثاً ، أو باطنياً ملحداً ، أو قرمطياً جاحداً^(٢) أو زنديقياً معانداً .

(١) في (ب) (جاء) فقط دون الضمير .

(٢) الرافضة الذين رفضوا الإمام زيداً وثاروه لأنه لم يتبرأ من (أبي بكر وهر) رضى الله عنهما وقال هما وزيراه جدى . والباطنية هم طوائف الشيعة ومن منحوهم من الصوفية في الاعتقاد في باطن للدين يخالف ذلك الظاهر الذي جاء به القرآن والحديث ، ويتفق مع مبادئهم الدخيلة على الإسلام . =

وها هنا حقيقة ترشدك إليها إن بقي لك طريق إلى ارشاد وفهم [إلى ما
إليه المقلد تنقاد]^(١).

مبدأ الباطنية ، وكيف قاموا :

أعلم أن بقايا الجوس ، وطوائف الشرك والإطاد لما ظهرت الشريعة
الإسلامية وقهرتهم الدولة الإسلامية وللملة الحموية ، ولم يجدوا سبيلا إلى دفعها
بالسيف ولا بالسمان ، ولا بالخطبة والبرهان ، سخرها ما هم فيه من الإطاد
والزندقة بحيلة تقبلها الأذهان ، ونذهن لها العقول^(٢).

فاتموا إلى البيت للطهرين ، وأظهروا محبتهم وولائهم ، كذبوا وانفراد
وهم في الباطن أعظم أعدائهم ، وأكبر المخالفين [لهم]^(٣) . ثم كذبوا على
أكبرهم اجتماع بين العلم والدين ، المشهورين بالصلاح والرشد ، فقالوا : قال
الإمام فلان كذا ، وقال الإمام فلان كذا ، وجذبوا جماعة من العامة الذين
لا يفهمون ولا يعقلون ، فتدرجوا معهم بدهوات ومررفة ، وسياسات شيطانية .
وما زالوا ينقلونهم من رتبة إلى رتبة ، ومن درجة إلى درجة حتى أخرجه هم

= والقرامطة ها أتباع أبي سعيد الفريسي مؤسس دولة القرامطة . وهم شعبة
من الباطنية ، وسيأتي توضيح المؤلف لذلك أكثر .

(١) في الأصل (وفهم إلى ما ينقاد إليه المقلد انقياد) بسكون انقياد :
وأسلوب (ب) هنا أقوم .

(٢) وأرى أن التصوف المتأخر به . القرن الثاني الهجري حيلة أخرى استر
إطادهم ، ومحاولة لتقويض الإسلام بطريق التظاهر بخدمته .

(٣) في الأصل لا توجد كلمة (لهم) ولكن الأسلوب يقتضيها ، وهي
موجودة في (ب) .

إلى الكفر البواح ، والزندقة المخضة ، والإلحاد الصراح .

فمنذ ذلك ظهرت لهم دول : منها دولة اليمين التي قام بها (هـ) (*) ابن النفل (الملاحد الكافر كفرا أقبح من كفر اليهود والنصارى والمشر كين . ونمق بالإلحاد هلى منابر المسلمين فى غالب الديار اليمنية ، وصيرها كفرية إلحادية باطنية .

وكذلك (منصور بن حسن) (**) انطرح معه من هند رأس الملعونة :

الأعلام

(هـ) على بن الفضل الجندى اليماني وهو رجل من اليمن أصله من سبأ وكان من دعاة التفرامطة شاهد الناس على القيام بدعوة المهدي المنتظر ، وكان مبدأ أمره سنة ٢٠٠ هـ وتبعه خلق كثير ، وسلك دمسكا عظيما وقتل خلقا كثير ، استولى على بلاد اليمن ودخل زيد وقتل أربعة آلاف عذراء غير الرجال ، ولما دخل صنعاء أظهر مذهبه الخبيث وارتكب المحظوات وادعى النبوة فكان المؤذن يؤذن (أشهد أن على بن الفضل رسول الله) وأباح لأصحابه شرب الخمر ونكاح البنات والأخوات وسائر المحارم ، وكان يكتب : (من باسط الأرض وناحها ، ومزول الجبال ومرسها ، على بن الفضل إلى عبده فلان) واستمر أمره ثلاث عشرة سنة ثم دسوا له سمأ فمات سنة ثلاثمائة وثلاث سنين هـ (فريجة الموم والحزن) ص ٢٢ ، كشف أسرار الباطنية ص ٢٠ .

(هـ) فى (الصليحيون) ، هو أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب وفى طائفة الإسماعيلية للدكتور محمد كامل حسين (الحسين بن حوشب) بالحاء المهملة . وفى (كشف أسرار الباطنية) : (أبو القاسم بن زاذان الكوفي) ص ٢٠ ، كان يدين بمذهب الإسماعية الإثني عشرية . وقدهىء للدعوة الباطنية ، وأرسل هو وعلى بن الفضل إلى الكوفة لتلقى الدعوة من الإمام الباطن (المستور هناك) ورجما إلى بلاد اليمن لنشر تلك الدعوة ، ويقال له منصور اليمن ، وفى ن اليمن سنة ٣٠٣ هـ . الصليحيون ص ٢٢ — ٤٨ .

(ميمون*) (القداح) فلك بعض الديار اليمنية ، واسقوطن الحصن العظيم في مغارب اليمن ، وهو حصن مسور ونشر الدهوة الباطنية بالسيف كإشهرها (علي ابن الفضل) ولسكنه كان في إظهار الكفر والإلحاد دون علي بن الفضل ثم بقيت بعده بقايا يتناوبون هذه الدهوة الملوثة ، يقال لهم الدهاة ، ومنهم الملك الكبير (علي بن محمد الصليحي) (***) القائم بملك غالب الديار اليمنية . وبقيت الدولة فيهم حيناً من الدهر ، ولكن الله حافظ دينه وناصر شريعته .

فإنه كان في جهات اليمن الجبالية ، دولة لأولاد (الإمام الهادي يحيى ابن الحسين) (***) رحمه الله ، فصارلوحهم ، وجارلوحهم ، وقائلوهم في معركة بعد معركة ، وموطن بعد موطن حتى كفوهم عن كثير من البلاد ، وبقي الإسلام رسم ، والدين اسم ، ولولا أن الله حفظ دينه بذلك لصارت اليمن بأسرها طرية

الأعلام

(*) من كبار دعاة الفاطميين وأشرف على الدعوة في مرحلة من أم مراحلها ، ويقال إنه هو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق الإمام المنتظر . للصليحيون ص ٢٧ — ٤٨ .

(**) هو رأس الأسرة الصليحية ، وأحد من ملكوا اليمن عنوة ، صاحب دعاة الفاطميين باليمن ، ومال إلى مذهبهم ، وصار إماما فيه . هلك اليمن سنة ٦٠٦٣ م توفي سنة ١٠٨١ م ، وقد ظلت أسرته (الصليحيون) تحكم اليمن إلى سنة ١١٣٧ م .

(***) قال فيه صاحب فرجة المموم والوزن ، أمام اليمن يحيى الفرائض والسنن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم إلى علي بن طالب عليهم السلام ، دعوته أيام المعتضد العباسي . مولده بالمدينة ٢٤٥ هـ وكان خروجه إلى اليمن سنة ٢٨٠ هـ ودخل صنعاء وجاهد طاعى القرامطة علي بن الفضل وله تسعة وأربعون مؤلفا ، منها « الأحكام » ، والمنتخب » توفي سنة ٤٩٨ هـ ص ٢١ .

باطنية . ثم جاءت بعد حين من الدهر دولة الإمام الأعظم (صلاح الدين محمد بن هلى) (*) وولده المنصور (هلى بن صلاح) نقلت منهم وزلتهم ، وأخرجتهم من معاقلهم وشردهم في أقطار الأرض ، وسفست دماهم في كثير من المواطن ، ولم يبق منهم بعد ذلك إلا بقايا حقيرة قليلة ذليلة تحت أذيال التقيف وفي حجاب التستر ، والنظير بدين الإسلام إلى هذه الغاية .

والجاء في الله عز وجل ، أن يستأصل بقيتهم ، ويذهبهم بسيف الإسلام وهزائم الإيمان ، وما ذلك على الله بعزيز (١) .

هذا ما وقع من هذه الدعوة المسمومة في الديار اليمنية ، وأما في غيرها ، فأمر على ميمون القلاح رجلا أصلا من اليمن يقال له أبو عبد الله (**) الداعي إلى بلاد المغرب فبث الدعوة هناك ، وتلقاها رجال من أهل المغرب من قبيلة كندة وغيرهم من أكبر فظهور هناك دولة قوية .

(١) في (ب) سقطت (وما ذلك على الله بعزيز) من النسخ .

الأعلام

(*) هو المعروف بصلاح الدين وتكنى بالناصر ، وكان قد اتصف بحصال الكفاية وتسربل بحلل الفضائل والجلال ولم يزل ناشئا للدين قائما ببناءة المتمردين حتى توفي في قصر صنعاء سنة ٥٧٩٣ هـ وكان ولده على بن صلاح الدين قد ترشح للأمر ، وكان إمام جهاد ثم بويع وتوفي سنة ٨٤٠ هـ ص ٤٠٦٣ المصدر السابق ، ثمدر الطالع للشوكاني ج ٢ ص ٢٣٦ ، ج ١ ص ٤٨٧ .

(**) ويقال له أبو عبد الله الشيعي أحد دعاة الشيعة ذهب إلى بلاد شمال أفريقيا لينشر الدعوة لعبيد الله بن محمد من نسل جعفر الصادق ، ونجح في إقامة الحكومة الفاطمية هناك على يد عبيد الله الملقب بالمهدي وطرده الحاكم من قبل الدولة الفاطمية .

ولم يتم لهم ذلك إلا بإدخال أنفسهم في الذنب الشريف المولى الفاطمي .
ثم طالت ذيول هذه الدولة المؤسسة على الإلحاد ، واستولت على مصر ثم الشام
ثم الحرمين ، في كثير من الأوقات . وغلبوا خلفاء بني العباس على
كثير من بلادهم حتى أبادتهم الدولة الصلاحية [دولة ^(١)] صلاح الدين
بن أيوب .

فكان من أعجب الاتفاق أن الثائم بمصاوتهم وحو دولتهم في اليمن
الإمام صلاح الدين وولده ، والفسائم بحو دولتهم في مصر السلطان
صلاح الدين ^(*) ابن أيوب . وظهرت من هذه الدعوة الإلحادية دولة القرامطة ،
أبو طاهر ^(**) القرمطي ، وأبو سعيد القرمطي ^(***) ، ونشروهم ووقع منهم
في الإسلام وأهله من سبك الدماء ، وهناك الحرم ، وقتل حججاج بيت
الله صرة بعد صرة ، ما هو معلوم لمن يعرف علم التاريخ ، : أحوال العالم .

(١) لعله من المستحسن أو من الأرجح لسلامة الفهم والأسلوب إضافة كلمة
(دولة) قبل كلمة صلاح الدين . وهذا سهو من المؤلف في (أ) والناسخ في (ب) .

الأعلام

(*) صلاح الدين الأيوبي .

(**) هو أبو طاهر سليمان الجنابي بن الحسن بن بهرام الجنابي رئيس
القرامطة بالبحرين تولى بعد أبيه سنة ٣٠١ هـ فكانت له غزوات متتابعة إلى جهة
البصرة سنة ٣٢١ هـ وفي سنة ٣١٥ هـ سار إلى الكوفة وفي سنة ٣١٧ هـ سار إلى
البيت الحرام الخ ، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) ص ٣٥٠
٣٥٣ .

(***) سقط من الناسخ في (ب) (أبو سعيد القرمطي) . وهو الحسن
الجنابي والد سليمان المتقدم مؤسس دولة القرامطة في الأحساء على الجانب الغربي
من الخليج الفارسي . أنظر تاريخ العرب . المجلد الثاني ص ٥٧١ لفيليب حتى .
و تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) للخضري ص ٣٥٠ .

وأفضى شرهم إلى دخول الحرم المكي ، والمسجد الحرام ، وقتلوا الحجاج في المسجد الحرام حتى مآذيه بالقتلى ، وملأوا بئر زمزم ، وصعد شيطانهم القمر على هلي البيت الحرام وقال :

ولو كان هذا البيت لله ربنا لصب علينا النار من فوقنا صباً
لأننا حببنا حجة جاهلية ، محلاة^(١) لم تبق شرقاً ولا غرباً
وقال مخاطباً للحجاج : يا حجير أنتم تقولون من دخله كان آمناً ، ثم قلب الحجير
الأسود وجهه معه إلى هجر .

فانظر ما وصلت إليه هذه الدعوة الملهونة ١٢ .

ثم أطفأ الله شرهم ، وأخذتهم في آخر المدة جيوش التتار الخارجين على
الإسلام ، فكان في تلك الحنة منحة أذهب الله بها هذه الطائفة الخبيثة ثم
ثم هاد الإسلام كما كان . ودخل في الإسلام ملوك التتار ، وكانت العاقبة
لدين ، ودفع الله عن الإسلام جميع المارقين منه والخارجين عليه « ومكروا
ومكر الله والله خير الماكرين »^(٢) . « يخادعون الله والذين آمنوا وما
يخادعون إلا أنفسهم »^(٣) .

ولإنما قصصنا عليك ما قصصناه أيها الرافضى المعادى لصعابة رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ولست به ، ولدين الإسلام ، لنعلم أنه لا صلف لك
إلا هؤلاء القراطة والباطنية ، والإسماعيلية الذين باغوا في الإطهاد وفي كيد
الإسلام ، لم يبلغ إليه أحد من طوائف الكفر .

(١) أى دخلوا الحرم المكي بملابس الحل في أشهر الحج ودون أن يهزموا .

(٢) سورة آل عمران آية : ٥٤ .

(٣) سورة البقرة آية : ٩ ، وفي الأصل : (أ) ، (ب) أيضاً (وما يخادعون)

وهو سهو من المؤلف والناسخ .

فإن هرفت أنك على ضلال مبين ، وغرور عظيم ، وأن سلفك الذين اقتديت بهم وتبعتم أترهم مالبغوف في الكفر إلى هذه المبالغ التي لم يطع^(١) فيها الشيطان . فربما تنبيه من هذه الرقعة ، واستيقظ من هذه الغفلة ، وترجع إلى الإسلام وتتشى على هديه القويم ، وصراطه المستقيم .

فإن أبيت إلا العناد ، وانأروج ن طرق الرشاد إلى طرق الإلحاد ، فلي نفسها براقش تجنى ، ولا يظلم ربك أحدا ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ، واختار لنفسك ما يحلو

كرهه الرافضة للصحابة أريد به عدم السنة :

وأهمل أن هذه الشبهة الرافضية ، والبدعة الخبيثة ذبلا هو أثر^(٢) ذل ويلا هو أقبح ويل

وهو أنهم^(٣) لا دلوا أن الكتاب والسنة يناديان بهم^(٤) بالأسارة ، والبوار بأهلا صوت ، عادوا السنة المطهرة ، وقدحوا فيها ، وفي أهلها بعد قدسهم في الصحابة رضى الله عنهم وجهلوا المنصك بها من أعداء أهل البيت ومن الخالفين للشريعة لأهل البيت .

فأبطلوا السنة المطهرة بأمرها ، وتسكوا في مقابها ، وتعرضوا عنها بأكاذيب مفتراة مشتملة على القدح المسكن وب الافتراء في الصحابة وفي جميع

(١) في (ب) (يطع) .

(٢) في (ب) (ثمر) .

(٣) في (ب) (أنه) بدل أنهم وهو ضعف

(٤) في (ب) (عليهما) بدل عليهم والأسلوب لا يقبل .

الحاملين للسنة المبتدئين بها ، العاملين بما فيها الناشئين لها في الناس من
التابعين وتابعهم إلى هذه النهاية . ^(١) وهو الذي لا ينفى لأمر المؤمنين ^(٢)
على بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولا لآلده .

فأبى الله إرافضة ، وأقام أبيهض علماء السنة المطهرة هذا الإلهام الذي
تخرج الأئمة من حصر منافيهم مع علمهم بما في كتب السنة المطهرة من قوله
صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يحبك إلا مؤمن ، ولا ينفكك إلا منافق »
ومما ثبت في السنة من أنه يحب الله سبحانه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بالهم إلى الطويل ، وانفسار البالغ . أي وجد مسلم من المسلمين ، وفرد من
أفراد المؤمنين بهذه المثابة ، وعلى هذه الحقيقة ١١٢ سبحانه هذا جهنم
عظيم ، ولكن الأمر كما قلت :

فبيع لا يائله قبيح^١ لهم أهلك دين الرافضينا
أذاهوا^٢ على كل فكر وأخفوا من فضائلنا
وسبوا لا رموا أصحاب طه وهادوا من عداهم أجمعينا
وتالوا دينهم دين قسويم^٣ ألا لمن الإله الكافينا
ربك قلت :

تشيح الأقسوام في هصرنا منعصر في أربع من بدع

(١) (النواصب ، والماصبين ، أهل النصب) وهم الشيعة ينفضة سيدنا أمير
المؤمنين على بن أبي طالب (رضي الله عنه) لأنهم ذهبوا له أن هادوه ، وأظهروا
له الخلاف ، وهم طائفة الخوارج ، تاج العروس : مادة نصب .

(٢) في (ب) لا توجد (لأمر المؤمنين) .

هداوة النعمة والثناء للأ سلاف والجمع^(١) وترك الجمع

وكما قال بعض المعاصرين لا :

تمالوا إلينا إخوة الرفق إن تسكن لكم شرحة الإلصاف دما كديانا
مدحنا عليا ، فرق ما مدحونه وعاديتهم أصحاب أحمد ، دوننا
وقلتم بأن الحق ، ما ضعفونه ألا لن ارحمنا أناننا

نصيب العلماء العاملين من الولاية :

ومن جهات أولياء الله سبحانه الأخلاء تحت قراء : « من عادوني وليا »
العلماء العاملين .

فهم كما قال بعض السلف إن لم يكونوا هم أولياء الله سبحانه^(٢) فما
لله أولياء .

فإذا فتح الله^(٣) عليهم بالمعارف الدلية ، ثم منحهم العمل بها ، ونشرها
في السامى ، وإرشاد العباد إلى ما شرعه الله لأمنه ، والقيام بالأمر بالمعروف ،
والنهي عن المنكر ، فهذه رتبة عظيمة ، ومنزلة شريفة ، ولهذا ورد أنهم
ورثة الأنبياء

وهم الذين قال الله سبحانه فيهم : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
أوتوا العلم درجات »^(٤) .

(١) أى الجمع بين الصلاتين في الحضر كسلا وإهالا وتراخيا عن أداء الصلاة
في وقتها .

(٢) فى (ب) لا يوجد (سبحانه) .

(٣) فى (ب) لا يوجد لفظ الجلالة (الله) .

(٤) سورة المجادلة آية : ١١ .

فبيان الرفعة لهم بأنها درجات يدل أبين دلالة ، وينادى أرفع نداء ، بأن منزلتهم عند الله سبحانه^(١) منزلة لا تفضلها إلا منازل الأنبياء . وهم الذين قرن الله سبحانه شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته ، فقال : « شهد الله أنه لا إله إلا هو ، والملائكة ، وأرسلوا العلم »^(٢) وهم الذين قال الله سبحانه فيهم : « إنما يخشى الله من عباده العلماء »^(٣) فخصر خشيته انتهى هي سبب الفوز عنده عليهم حتى كأنه لا يخشاه غيرهم . وهم الذين أخذ الله عليهم الميثاق ، أن يبينوا لعباده ما شره لهم فقال : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه »^(٤) فهم أمناء^(٥) الله سبحانه على شريعته .

وهم المترجمون لها لعباده المبينون لمراده .

فكانوا من هذه الحبيبة كل واسطة بين الرب سبحانه ، وبين عباده لما اختصهم الله به من ميراث النبوة .

وهذه منزلة جليلة ، ورتبة جميلة لا تعادلها^(٦) منزلة ولا تساويها منزلة ، فحق على كل مسلم أن يعترف لهم بأنهم أولياء الله سبحانه ، وأنهم المباقون من الله وهن رسوله .

(١) في (ب) لا توجد كلمة (سبحانه) .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٨ .

(٣) سورة فاطر آية : ٢٨ .

(٤) سورة آل عمران آية : ١٨٧ .

(٥) للمؤلف رسالة مستقلة في هذا الموضوع عنوانها (بحث في السلام على أمناء الشريعة) مخطوطة بمكتبة صنعاء رقم ٧ من مجموع (٥٩) .

(٦) في (ب) (لا تعادله) وهو خطأ .

وأنهم القائلون : قام الرسل في تعريف هداية الله بشرائع الله عز وجل ، إذا كانوا على الطريقة السوية ، وللنبي التويم ، متقيدين بقيد الكتاب والسنة مقتدين بالهدى الحمدي ، مؤثرين لما في كتاب الله سبحانه ، وفي سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم على زائف الرأي ، وهائل التقليد .

فهؤلاء هم العلماء المستحقون للولاية الربانية ، والمزية الرحمانية ، فمن عاداهم فقد استحق ، ما تضمنه هذا الحديث من حرب الله عز وجل له وإنزال عتبته به ، لأنه هادى أولياء الله ، وتعرض لفض الله عز وجل .

أسباب رسوخ العلماء العظامين في الولاية :

١ — وهو لم أن انتفاع بهؤلاء هذه الأمة فوق كل انتفاع ، وانخير الواصل منهم إلى غيرهم فوق كل خير ، لأنهم يمينون ما شرعه الله سبحانه لعباده ، ويرشدونهم إلى الحق الذي أمر الله سبحانه به . ويدفعونهم عن البدع التي يقع فيها من جهل الأحكام الشرعية ، وبصاؤون أعداء الدين الملعدين ، والمبتدعين ويدينون للناس أنهم على ضلالة ، وأن تمسككم بذلك البدع إنما عن جهل أو هن . هناك ، وأنهم ليس بأيديهم شيء من الدين إلا مجرد تشكيكات يوقعون فيها المقصرين ، ويحيدونهم إلى باطلهم .

٢ — ومن أهظم فوائد علماء الدين لدين الله ولعباد الله أنهم يوضحون للناس الأحاديث للوضوغة المسكونة على رسول الله (١) كما فعل طوائف من الملعدة ، والمبتدعة والزنادقة . ويرشدونهم إلى التمسك بما صح من السنة .

٣ — وكذلك يوضحون للناس ما يقع من أهل الزيغ ، والعناد من تفسير

(١) في (ب) (صلى الله عليه الخ) بعد (رسول الله) .

كتاب الله^(١) بأهويتهم وعلى ما يطابق دأبهم فيه من البدعة . وذلك كثير جدا بجمعه للمباحث منه من تعاضير المبتدعة المحرفين لما أراد الله سبحانه وعلما فسر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وما فسر به الصحابة والمناجون ومن بعدهم من علماء الدين ، وما تقتضيه الآية الدرية التي نزل بها القرآن الكريم . فقد ضل كثير من العباد بتحريرات أهل الأهواء وتلاهيمهم بالكتاب العزيز ، وردده إلى ما قد ذهبوا إليه من الباطل المبين^(٢) ، والزغ الواضح .

٤ — حمايتهم للأمة من التقليل :

وكذلك اغتر كثير من المقصرين بظلم الرأي ، وآثروه على كتاب الله سبحانه ، وعلى سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهما الذان^(٣) أمر الله سبحانه بالرد إليهما عند الاختلاف قال الله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسل وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله وإلى الرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا) :^(٤) ، والرد إلى الله سبحانه ، هو الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول هو الرد إلى سنته به . ونه على الله عليه وآله وسلم بالاخلاص في ذلك .

بل قد ذهب جمع من العلماء إلى أن أولى الأمور هم العلماء ، ومنهم من يرى

(١) (ب) توجد (عز وجل) بعد لفظ الجلالة .

(٢) في (ب) (البين) بدل المبين .

(٣) في الأصل (الذين) وهو خطأ نحوي .

(٤) سورة النساء آية : ٥٩ .

الأمة عبد الله بن عباس ، وجابر (*) بن عبد الله ، وابن (*) البصري ،
وأبو السائبة (***) ، وعطاء (****) بن أبي رباح ، والضحاك (*****)

الأعلام

(*) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام شهد البقيعة مع السبعين وشهد
المشاهد كلها ماء صدأ بدر أو أحد وتوفي سنة ٧٨ هـ بالمدينة . صفوة الصفوة
ص ٢٦٧ ج ٧ .

(**) قال عنه أبو نعيم صاحب الحلية الأولياء : (ومنهم حليف الخوف
والحزن . عديم النوم والوسن ، الفقيه الزاهد أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن)
وذكر له كتابا كتبه إلى عمر بن عبد العزيز يدعو فيه إلى التمسك بالدين ويحذره
من الدنيا ، استغفرني خمس صفحات من كتاب الحلية : ومن كلامه ، (إن المؤمنين
شهود الله في الأرض يرضون أعمال بني آدم على كتاب الله ، فمن وافق كتاب الله
حمدى الله عليه وما خالف كتاب الله عرفوا أنه مخالف لكتاب الله ، وعرفوا
بالقرآن ضلالة من ضل من الخلق) . ج ٢ ص ١٣١ — ١٤٠ طبعة الخايجي
سنة ١٩٣٣ .

(***) هو رفيع بن مهران الريحاني مولاهم البصري المفسر دخل المدينة على
أبي بكر وكان ابن عباس يرقه على التمرير وقرش أسفل ، وكان ذا أحوال قال
فيه صاحب الحلية (ذو الأحوال السامية وكانت وصاياه في لزوم اتباع ومجانبة
الإحداث والابتداع توفي سنة ٩٣ هـ وقيل سنة ٩٥ هـ) ج ٢ ص ٢١٧ ، شذرات
الذهب ج ١ ص ١٥٠ .

(****) كان مولى من الموالى كانت الحفافة في الفتيا بمسكة في المسجد الحرام
لابن عباس وبعد ابن عباس ، عطاء ابن أبي رباح . توفي ١١٥ هـ ص ١١٩ المصدر
السابق ج ١

(*****) هو الضحاك بن مزاحم البلخي البخراساني أبو القاسم : مفسر
كان يؤدب الأطفال . له كتاب في التفسير . الأعلام ج ٢ ص ٢١٠ .

رجاهد^(١٠) في إحدى الروايتين عنه . وهو إحدى الروايتين عن أحمد
ابن^(١١) حنبل . وقال أبو هريرة وزيد^(١٢) بن أسلم ، والسدي^(١٣)
ومقاتل^(١٤) : هم الأمراد وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل .
وروى أيضاً عن ابن عباس أنهم الأمرأه .

ففي القول الأول فيه الأمر بطاعة العلماء بعد طاعة الله ورسوله . وعلى
القول الثاني ، فمعلوم أن الأمر إنما يطاهرين إذا أمر را بعتنض العلم ، فطاعتهم
تبع لطاعة العلماء ، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد سمع عنه أنه قال :
« إنما الطاعة في المعروف »^(١٥) والمعرف إنما يعرفه العلماء ، وصح عنه
صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « لا طاعة^(١٦) لله » . والفرق بين

(١) في (ب) نسي الناسخ الحديث الآتي وما بعده (« إنما الطاعة في المعروف »
والمعروف إنما يعرفه العلماء . وصح عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال .
الخ) .

(٢) في (ب) (لا طاعة لمخلوق الخ) بزيادة (لمخلوق) .

الأعلام

(*) مجاهد بن جبر من المولى ، من العلماء في تفسير القرآن في المصدر الأول :
توفي قبل سنة ١٠٣ هـ .

(**) هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أحد الأئمة الأربعة المشهورين :
(١٦٤ — ٢٤١) هـ .

(***) زيد بن أسلم العدوي العمري مولى فقيه مفسر من أهل المدينة .
له كتاب في التفسير رواه عنه ولده عبد الرحمن ، توفي سنة ١٣٩ هـ الأعلام ج ٣ ص ٩٥
(****) هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، تابعي صاحب كتاب في التفسير
والمغازي والسير ، توفي سنة ١٢٨ هـ الأعلام ج ١ ص ٣١٣ .

(*****) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء من أعلام المفسرين .
توفي سنة ١٥٠ هـ . الأعلام ج ٨ ص ٢٠٦ .

الطاعة والمعصية إنما يعرفه العلماء . فطاعة الأمراء لا تجب إلا إذا أُرُوِجَ بينه
لهم العلماء من أنه من المعروف غير المنكر ، ومن الطاعة غير المعصية .

قال الشافعي (*) رحمه الله الله فيما صح عنه : « أجمع المسلمون على أن من
استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لم يكن له أن يدعها لقول
أحد من الناس . قال أبو عمر بن عبد البر (**) : « أجمع الناس على أن الأمة لما
ليس معدوداً من أهل العلم »

فإن العلم معرفة الحق ؛ ليله . فقد تضمن هذان الإجماعان ، إخراج المتصحب
المقدم لأرى على كتاب الله ، أو سنة رسوله .
وإخراج المقلد الأعمى عن زمرة العلماء .

وقد قدم الأئمة الأربعة الحديث الضعيف على الرجوع إلى الرأى كما روى
عن الإمام أبى حنيفة (***) ، أنه قدم حديث القهظة في الصلاة على بعض
القياس ، مع أنه وقع الإجماع من أئمة الحديث على ضعفه ، وقدم حديث الوضوء
بنييف القم على القياس ، وجمهور الحديثين بضعفونه وقدم حديث : « أكثر
الحوض عشرة أيام » وهو ضعيف بلا خلاف بين أهل الحديث ، وقدم حديث
« لا مهر دون عشرة دراهم » وهو ضعيف باتفاق الحديثين .

الأعلام

- (٥) أحد الأئمة الأربعة المشهورين محمد بن إدريس (١٥٠ هـ - ٢٤٠ هـ)
(٥٥) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى القرطبي ولد سنة
٢٦٨ من كبار حفاظ الحديث ، مؤرخ أديب ، وتوفى بشاطبة سنة ٤٣٣ هـ من
كتبه (المحلل والعقلاء) ، (جامع بيان العلم وفضله) الأعلام ج ٤ ص ٣٦٦ .
(٥٥٥) هو الإمام الأعظم أبو حنيفة السيمان بن ثابت صاحب المذهب المشهور
بين المذاهب الأربعة : (٨٠ - ١٥٠) .

وقدم الإمام مالك (٥) بن أنس المرسلي (١) ، وللقطاع (٢) ، والبلاغات (٣) ،
وقول الصحابي هلي القياسي . وقدم الشافعي حديث تحريم مبيد وج (٥٠) هلي
القياس مع ضيقه .

وقدم الإمام أحمد بن حنبل ، الضعيف ، والأثر المرسلي ، وقول الصحابي
هلي القياسي .

(١) وهو الحديث الذي سقط منه الصحابي « واء أكان الراوى المرسلي
تابعيا كبيرا أم صغيراً وهو ضعيف عند الإمام الشافعي فلا يحتج به » ، صحيح
عند أبي حنيفة ومالك ، فيحتج به عندها .

(٢) هو ما سقط من رواته راو واحد قبل الصحابي في الموضوع الواحد .

(٣) اصطلاح خاص بالأسانيد التي جاءت في دوطأ الإمام مالك ، فقد سقط
في سندها من طريقه هو ، راو ، أو أكثر ، ولكن حفاظ الحديث وصلوها من
طرق أخرى غير طريقه انظر (تدريب الراوى) للسيوطي ، (وتاريخ فون
الحديث) لمحمد عبدالمزني الخولي . وقارن : مقدمة (شرح النووى على صحيح
مسلم) ، (والبايعات الحديث) شرح اختصار علوم الحديث (للحافظ ابن كثير ،
تابعي أحمد محمد شاكر .

الأعلام

(*) هو مالك بن أنس بن مالك بن أي عامر الأصبحي احمد الأئمة
الأربعة المشهورين في الفقه الإسلامي : (٩٥ — ١٧٩ هـ) .

(**) (وج) اسم جبل بالطائف وفيه يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) :
« وإن آخر وطاة ، وطئها الله وج » ، أي وطئها جند الله أو جند رسول الله ،
وعند الشافعي يحرم مبيد هذا الجبل ، وبيانه ، ولكنه ، لاضمان فيها قطعاً :
(المجازات النبوية) للشريف الرضى سن ٦٣ طبعة سنة ١٩٦٧ م ، مؤسسة الحلبي
وشركاه . (والإشباع في حل ألفاظ أبي شعجاع) ، للخطيب ج ١ ص ٢٤٤ طبعة
مطبعتي البابي الحلبي سنة ١٩٤٠ م .

وأما تصحابة الذين هم خير القرون ، [والتابعون]^(١) ، وتابعوهم ، فكانوا لا يفتنون إلا بما صح من النصوص ، وقد يتورعون عن التمسك بوجود أنصاف كما هو منقول من غالبهم في كتب الحديث ، والتاريخ .

وبغنى الطريقتين على دينه قبل الله سبحانه : (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم وإنني بغير اسئذ ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، وأن تقولوا على الله بالاهلون)^(٢) .

فقرن القول على الله بما لم ينزل ، بالفواحش ، والإثم والغنى بغير الحق ، والشرك بالله ، وهذا زجرٌ أن نصب نفسه الإفتاء أو القضاء ، وهو خير عالم بكتاب الله وسنة رسوله ، تقشيره الجلود وترجف منه الأبدية .

وهو يقيم القول على الله سبحانه بلاهم سواء كان في أسمائه أو صفاته أو أفعاله ، أو في دينه وشرعه .

وقال الله سبحانه : (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ، مناع فبايل ، ولم هدايب أليم)^(٣) . فنهاهم الله سبحانه عن الكذب هاديه في أسكاه ، وقولهم لما لم يحرمه^(٤) : هذا حرام ولما لم يحل هذا حلال .

(١) في (أ) (والتابعين وتابعيهم) وهو خطأ نحوي .

(٢) سورة الأعراف . آية : ٣٣ .

(٣) سورة السجدة آية ، ١١٦ .

(٤) وردت في (ب) (لما تحريمه هذا حلال ، ولما لم يحله هذا حلال فليخ) فجاء أحد القارئین وشطب على كلمة « حلال » وكتب فوقها كلمة « حرام » فصار المعنى مضطرباً .

وبين لهم أنه لا يجوز للعبد أن يقول هذا حلال وهذا حرام إلا إذا علم بأن الله سبحانه أحله وحرمه ، وإلا كان منقولا على الله بما لم يقل .

ومعلوم أن المستدل بمجرد محض الرأي لا يعلم بما أحله الله وحرمه ، فإن زعم ذلك فهو كاذب على الله تعالى ، وعلى نفسه الحق قاذبه إلى هذا الافتراء وأوقعته في هذا الذنب العظيم . والمثلد بقوله على نفسه أنه لا يعمل بحجج الله ولا يفهم إلهيته ، ولا يدري بما شرعه الله لعباده في كتابه ، وعلى لسان رسوله . بل هو قابع لرأى من قلده مقرر على نفسه بأنه لا يدري هل رأى الله الذي قلده فيه من الحق أو من الماثل .

ومن لزواج عن التمسك بمحض الرأي ، وبجحد التقليد، قول الله سبحانه :
(قل أرأيتم ^(١) ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا ، قل الله أذن لكم أم على الله تفترون) ^(٢) .

وقال الإمام الشافعي فيما رواه عنه الخطيب ^(٣) ، في كتاب الفقيه ، والمنهجه له : « لا يحل لأحد أن يفتي في دين الله ، إلا رجل عارف بكتاب ^(٤) الله ناسخه ومنسوخه وحكمه ومثابره . وتأويله ، وتزيله ، ومكيه ومهنيه ، وبعد ذلك يسكنون بصيرا بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله ومسلم ،

(١) في (أ) (أرأيتم) .

(٢) سورة يونس آية : ٥٩ .

(٣) في (ب) (بكتاب الله) .

الأعلام

(٤) هو أحمد بن عبد بن ثابت البغدادي أبو بكر المعروف بالخطيب ، أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين . ذكر له ياقوت أسماء (٥١) كتابا من مصنفاته منها :
(السكمانية في علم الرواية) مصطلح الحديث ، و (الفقيه والتفقه) ولد سنة ٣٥٢
وتوفي سنة ٤١٣ هـ الأعلام ج ١ ص ١٦٦ .

وبالناسخ ، والمنسوخ منه^(١) ويعرف من الحديث مثل ما عرف من القرآن ،
ويكون بصيراً باللفظة ، بصيراً بالشعر ، وما يحتاج إليه ، للعلم والقرآن ، ويستعمل
هنا مع الإضافة .

ويكون مشرقاً على اختلاف أهل الأمصار ، ويكون له قريحة بعد هذا ،
فإذا كان هكذا فله أن يتكلم في الحلال ، والحرام ، وإذا لم يكن هكذا ، فليس
له أن يفتق^(٢) انتهى

الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله في مسائل الدين هو الطريقة العلمية :

والحاصل أن كل ما لم يأت به الكتاب والسنة فهو من هوى النفس كما
قال^(٣) الله سبحانه : (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يذبحون أهواءهم ،
ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، إن الله لا يهدي القوم
الظالمين)^(٤) .

فقس سبحانه الأوصاف إلى قسمين لا ثالث لهما : إما الاستجابة لله^(٥) والرسول
باتباع الكتاب والسنة ، أو اتباع الهوى .

فكل ما لم يكن في الكتاب والسنة فهو من الهوى : كما قال تعالى : (يا داود
إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك
عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا

(١) في (ب) لا توجد (منه) بعد الناسخ والمنسوخ .

(٢) في (ب) سقطت من الناسخ (أن يفتق) .

(٣) في (ب) سقطت لفظ الجلالة (الله) من الناسخ .

(٤) سورة ألقصص آية : ٥٠ .

(٥) في (ب) توجد كلمة (سبحانه) بعد لفظ الجلالة .

يوم الحساب) (١).

فتقسم سبحانه الخـم بغير الناس إلى أصـرين : إنا الخـم بالخـم الذي جاء به الكتاب والحنـة ، أو الهـى ، وهو ما خالفهما .

وقال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم : (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . إنهم إن يُقَرُّوا بك من الله شيئاً ، وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض ، والله ولي المتقين) (٢) وقال سبحانه : (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ، ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون) (٣) .

وقد أجمع الناس سابقهم ولاحقهم أن الرد إلى كتاب الله سبحانه وإلى سنة رسوله (٤) ، هو الواجب على جميع المسلمين ومن رد إلى غيرهما فهو حاص لله ورسوله مخالف للكتاب العزيز ، والسنة المطهرة

ولا فرق بين التنازع في الحقير والكثير . فإني قوله : فإن تنازعتم في شئ ، نكرة في سياق الشرط ، وهى (٥) من صيغ المعلوم فتشمل كل ما يصدق [عليه (٦)] الشئ من الأشياء الشرعية .

فلما وجب عند التنازع فيه رده إلى ما أمر الله بالرد إليه بقوله فردوه إلى الله والرسول ، ثم قال : (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) (٧) . فجعل

(١) سورة ص آية : ٢٦ .

(٢) سورة الجاثية آية : ١٨ .

(٣) سورة الأعراف آية : ٣ .

(٤) فى (أ) لا توجد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

(٥) فى (ب) و (هـ) بدل (وهى) .

(٦) فى (أ) لا توجد (عليه) وهى لازمة لسكـال المعنى .

(٧) سورة النساء آية : ٥٩ .

هذا الرد من موجبات الإيمان ، وعدمه من موجبات عدمه فإذا انقضى
الرد انقضى الإيمان

وقال سبحانه . « وما كان لمؤمن ، ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً
أن يكون لهم الشبهة من أصح »^(١) ، فأخبر سبحانه ، أنه ما صح ولا يشق
لأحد من المؤمنين والمؤمنات أن يختار غير ما قضى به^(٢) الله ورسوله . وقال
سبحانه . « يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ، واتقوا الله
إن الله محيط بجميع صنيعكم »^(٣) : أي : لا تقدموا بأقوالكم بين يدي الله ورسوله ،
بل قولوا كما يقول الله^(٤) ورسوله . وعلو آله . فنيما المقتضي غير الكتاب
والسنة وما يرجع إليهما [هي]^(٥) قتيما ، بل الجهل الذي حذر منه صلى الله عليه
 وآله وسلم ، وأنذر به ، كما في الصحيحين وغيرهما من قوله . « إن الله لا ينزع
 العلم بعد إذ أعطاكموه انتزاعها ، ولكن ينزعه مع قبض العلماء بعلمهم ،
 فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتنون برأيهم فضلون ويضلون » .

وفي حديث هوف بن مالك الأشجعي قال : قال رسول الله صلى الله عليه
عليه وآله وسلم : « تفرق أمتي على بضعة وسبعين فرقة أحظاهم فتنة قوم
يقيسون الدين برأيهم يحرمون ما أحل الله ، ويحلون ما حرم الله » قال أبو هريرة
ابن هبيرة : « هذا هو القياس على غير أصل ، والكلام في الدين

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٦ .

(٢) (ب) سقطت (به) من النسخ .

(٣) سورة الحجرات آية : ١ .

(٤) في (ب) سقطت من النسخ : (بل قولوا كما يقول الله ورسوله) .

(٥) في (أ) (هي) بين الواضحة والمشطوبة .

(٦) في (ب) (صلى الله تعالى علي الخ) بزيادة تعالى .

بالطرح والظنة»^(١) .

وقد ثبت عن أ كابر الصحابة الخلفاء الأربعة وغيرهم ذم الرأي ومقت
العامل به ، وأنه ليس من الدين في شيء .

قد استوفى ذلك الحافظ ابن عبد البر في كتاب (المعلم)^(٢) ، وجمع ما لم
يجمعه غيره .

والرأي إذا كان في معارضة أدلة الكتاب والسنة أو كان بالطرح والظن
مع التفسير عن معرفة النصوص ، أو كان متضمناً تعطيل أسماء الله تعالى .
وصفاته ، أو كان مما أحدثت به البدع وغيرت به الدين ، فلا خلاف بين
المسلمين في أنه باطل وأنه ليس من الدين في شيء .

وإذا كان مبنيًا هل قياس على دليل الكتاب والسنة ، فإن كان بتلك
المسالك التي لا ترجع إلى شيء ، إنما هي مجرد ظن وتخمين فهو أيضاً باطل .
وإن كان مع القطع بنفي التفارق ، أو كان ثبوت الفرع بفحوى الخطاب أو كانت
العلة منهوضة ، فهذا وإن أطلق عليه اسم القياس فهو داخل تحت دلالة الأصل
مشمول بما دل عليه مأخوذ منه .

وتسميته قياساً إنما هو مجرد اصطلاح وقد أوضحت الكلام على هذا
في كتابي الذي سميته (إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول) .

(١) يورد أبو عمرو هذه العبارة للفقهاء في ذمهم للقياس الخاطيء ، الذي
لا يدور على العلة ، أو التشابه بين الأصل وبين الفرع . أنظر (جامع بيان العلم
وفضله) ج ٢ ص ٧٧ ، إدارة الطباعة المنيرية سنة ١٣٤٦ هـ .

(٢) هو (جامع بيان العلم وفضله) المتقدم . ينظر منه صفحات ٣٢ ، ٣٣ ،
٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ١٤٠ .

حقيقة المقلد والتقليد وحكمهما :

وإذا عرفت ما ورد في ذم الرأي وذم التقليد على الله بما لم يقل قط ، أن التقليد كما قدمنا ، إنما هو تبول رأي الغير دون روايته ، والمقلد إنما يفتي له مقلد في اصطلاح أهل الأصول والفروع إذا وقع منه التقليد لله لم في رأي ، وأما إذا أخذ عنه الراية عن ^(١) الحكم في كتاب الله سبحانه أو في سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فليس هذا من التقليد في شيء . وإذا كان التقليد هو ما ذكرناه فهو مذموم من جهتين :

الأولى : أنه عمل بعلم الرأي ، وقد تقدم في ذمه وعدم جواز الأخذ به ما تقدم .

الثانية : أنه عمل بالرأي على جهل لأنه مقلد لصاحب ذلك الرأي ، وهو لا يدري أكان ذلك الرأي من صاحبه على صواب أم على خطأ ، باعتبار علم الرأي فإن له قوانين عند أهله بن وافئها أصاب الرأي ومن أخطأها أخطأ الرأي ، والسكل ظلمات بعضها فوق بعض .

وقد جاءت الأدلة القرآنية بدم تقليد الآباء فقال : « إذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ، ولا يهتدون » ^(٢) . وقال سبحانه « وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون » قال أولو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ^(٣) .

(١) في (ب) (من) بدل عن .

(٢) سورة البقرة آية ١٧٠ .

(٣) في (أ) و (ب) سقطت كلمة (كذلك) وكلمة (من قبلك) .

(٤) سورة الزخرف آية ٢٣ ، ٢٤ .

وقال عز وجل : (وإذا قبل لهم اتباعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ^(١) ما وجدنا عليه آباءنا) ^(٢) .

وفي القرآن الكريم من هذا الجنس آيات كثيرة ، وهي وإن كان موردها في الكفار ، فالمراد بها وبأمثالها ذم من أعرض عما أنزله ^(٣) الله سبحانه ، وأخذ بقول سلفه . واللفظ أوسع مما هو سبب النزول والاعتبار به كما تقرر في الأصول . فن وقع منه الإعراض عما شرعه الله ^(٤) ، وقدم عليه ما كان عليه سلفه فهو داخل تحت عموم هذه الآيات .

ومما يدل على ذم التقليد قوله سبحانه : (ولا تقف ما ليس لك به علم) ^(٥) والمقلد قد قف ما ليس له به علم . وقال سبحانه : (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ، ولا تتبعوا من دونه أولياء) ^(٦) والمقلد لا يدري بما أنزل الله حتى يتبعه ، بل تبع الرأي وهو غير ما أنزل الله ، واتبع من دونه من قلمه فقد اتبع من دونه أولياء ، والمقلد أيضا لا علم له ، فإذا أخف برأى من قلده كان ذلك من القول على الله بما لم يقل ومن الرد إلى غير الله ورسوله ، وقد قال سبحانه : (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) ^(٧) .

(١) في (ب) و (أ) سهى المؤلف والناسخ وكتبا (حسبنا) بدل (بل نتبع) .

(٢) سورة لقمان آية : ٢١ .

(٣) في (ب) (أنزل) .

(٤) في (ب) (سبحانه) بعد لفظ الجلالة .

(٥) سورة الإسراء آية : ٣٦ .

(٦) سورة الأعراف آية : ٣ .

(٧) سورة الأعراف آية : ٣٣ .

وقال : (فإن تنارهنم في شيء فردوه إلى الله والرسول)^(١) وقد سنا تقرير معنى الآيتين ومن ذلك قوله عز وجل : (وقالوا ربنا إنا أطعنا ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا)^(٢) .

قال أبو عمر بن عبد البر^(٣) : « قد ذم الله تبارك وتعالى النقل في كتابه في غير موضع فقال : (اتخذوا أحياءهم ، ورهبانهم أربابا من دون الله)^(٤) روى عن حذيفة^(٥) وخبره أنهم قالو : لم يعبدوهم من دون الله ، ولكنهم أحلوا لهم وحرموا لهم فاتبعهم وقال عدى^(*) بن حاتم : يا رسول الله إنا لم نتخذهم أربابا ، قال : بلى ، أليس يحلون لكم ما حرم الله عليكم فتحلونهم ويحرمون عليكم ما أحل الله لكم فتحرمونه ؟ فقلت : بلى . قال : فذلك

(١) سورة النساء آية : ٥٩ .

(٢) سورة الأحزاب آية : ٦٧ .

(٣) في (ب) زيدت (رحمه الله تعالى) وقول ابن عبد البر هذا جاء في كتابه

المنقذ ص ١٠٩ وص ١١٠ ج ٢ .

(٤) سورة النوبة آية : ٣١ .

الأعلام

(٥) هو حذيفة بن اليمان العبسي من كبار الصحابة . واسم اليمان حسيل بن جابر ابن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن مازن . وحذيفة معروف في الصحابة بصاحب سر رسول الله ﷺ مات سنة ٣٦ هـ . الإصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ٤١٨ ، الاستيعاب في أسماء الأصحاب ج ١ ص ٢٧٧ .

(٥٥) عدى بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحمرج الطائي ، أمير صحابي كان رئيس طيء في الجاهلية والإسلام ، وقام في حرب الردة بأعمال كبيرة . روى عنه المحدثون متا وستين حديثاً . الأعلام ج ٥ ص ٨ . وقول عدى هذا ، استمرار لكلام ابن عبد البر ، كما نقله عنه الشوكاني . انظر ص ١٠٩ (جامع بيان العلم) ج ٢ .

هبادتهم ، أخرجه أحمد والترمذي قال: وفي هؤلاء وشملهم قال الله عز وجل: (إذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتخلت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم)^(١) وقال تعالى (ما هذه التثليل التي أنتم لها كفتون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين)^(٢) (٣) . وقال سبحانه : (إنا أطلعنا ساداتنا وكبرادنا فأضلونا السبيلا)^(٤) .

ومثل هذا في القرآن كثير من ذم التقليد . وقد احتج العلماء بهذه الآيات على إبطال التقليد ، ولم يمتنعهم كفر أولئك من الاحتجاج بها لأن التنبية لم يقع من جهة كفر أحدهما^(٥) وإيمان الآخر وإنما وقع التنبية بين المقلدين بنير حجة المقلد ، كما لو قلد رجلا فكفر ، وقلد آخر فأذنب ، وقلد آخر في مسألة فأخطأ وجهها ، كان كل واحد ملوما على التقليد بنير حجة ، لأن كل تقليد يشبه بعضه بعضا ، وإن اختلفت الآثام فيه .

وقال عز وجل : وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون^(٦) قال « فإذا بطل التقليد بكل ما ذكرنا وجب التصليم

(١) سورة البقرة آية : ١٦٦ ، ١٦٧

(٢) في (أ) زيادة بعد « عابدين » نصها كذلك يفعلون والظاهر أن المؤلف قد كتبها أولا على أنها جزء من الآية أو أنها تسكلة الآية ، ثم بدا له فسكتب التسكلة الصحيحة (آباءنا لها عابدين في الهامش) ونسب أن يشطب عليها .

(٣) سورة الأنبياء آية : ٥٢ .

(٤) سورة الأحزاب آية : ٦٧ .

(٥) في (أ) ، (ب) (أحدها) دون الميم وسيأتي الكلام يقتضينا أن نقول (أحدها) .

(٦) سورة التوبة آية : ١١٥ .

للأصول التي يجب التمسك بها ، وهي : الكتاب والسنة وما كان في معناهما بدليل جامع .

قال : قال علي : « إياكم والاستئناس بالرجال فإن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة ثم ينقلب له لم الله فيه فيعمل بعمل أهل النار فيموت وهو من أهل النار ، وإن الرجل يعمل بعمل أهل النار فينقلب له لم الله فيه فيعمل بعمل أهل الجنة فيموت وهو من أهل الجنة » قال : وقال ابن مسعود . « لا يفلح أحدكم دينه رجلاً إن آمن آمن ، وإن كفر كفر فإنه لا أسوة في الشر » قال أبو حمزة^(١) بن عبد البر : « وهذا كله نفى للتقليد ، وأبطال له إن فهمه وهدي لرشده^(٢) » .

التقليد في نظر العلم والعرفة :

قال : قال أهل العلم والنظر : حد العلم النبين ، وإدراك العلوم على ما هو به فن إن له الشيء فقد علمه ، قالوا : « والمقلد لأهل [له]^(٣) لم يختاروا في ذلك » قال : « يقال لمن قال بالتقليد لم قلت به ، وخالف السلف في ذلك ؟ فإنهم لم يقلدوا ؟ » فإن قل [قللت]^(٤) لأن كتاب الله تعالى لأهل لي بتأويله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أحصها ، والذي قلده علم ذلك فقلدت من هو أعلم مني »

(١) في (أ) و (ب) نسي المؤلف والناسخ (واو) (عمرو)

(٢) في (ب) (وهدي يرشده) وهو خطأ في الأسلوب .

(٣) في (أ) لا توجد (له) وهي لازمة لسلامة الأسلوب .

(٤) في (أ) ، (ب) (قللت) ولكن قللت هي الصحيحة كما يقتضيه ذلك السياق ، وكما هو في الأصل الذي نقل عنه الشوكاني . انظر : (كتاب جامع بيان العلم ، وفضله ج ٢ ص ١١٧ آخر سطر) الطبعة المتقدمة

قيل له : « أما العلماء إذا أجمعوا على شيء من تأويل الكتاب وحكاية السنة أو اجتماع رأيهم على شيء فهو لا شك فيه ، ولكن قد اختلفوا فيما قلدت فيه بعضهم دون بعض ، فما حجتك في تقليد بعضهم دون بعض ؟ وكلام هالم ولعل الذي رغبت عن قوله أهلم من الذي ذهبت إلى مذهبه » .

فإن قال : قلده لأنه أعلم أنه صواب ، قيل له : « علمت ذلك به ليل كتاب أو سنة أو إجماع ؟ فإن قال نعم أبطل التقليد وطواب بما ادعاه : من الدليل . وإن قال قلده لأنه أعلم مني ، قيل له فقلد كل من هو أعلم منك فإنك تجد من ذلك خلفا كثيرا ، ولا تخص من قلده » .

ثم قال أبو عمرو^(١) بن هب البر بعد كلام ساقه : « ولكن من كانت هذه حاله هل تجوز له الفتيا في شرائع دين الله فيحمل خبره على إباحة الفروج وإراقة الدماء ، واسترقاق الرقاب ، وإزالة الأملاك ، وتصيبها إلى غير من كانت في يديه بقول لا يعرف^(٢) صحته ، ولا قام له الدليل عليه وهو مقر ، أن قائله يخطئ ويصيب ، وأن مخالفه في ذلك ربما كان المصيب فيما خالفه فيه ، فإن أجاز الفتوى لمن جهل الأصل وللعنى لحفظه الفروع لزمه أن يميزه العامة وكفى بهذا جهلا وردا للقرآن قال الله عز وجل (ولا تقف ما ليس لك به علم)^(٣) . وقال سبحانه : (أتقولون على الله ألا تعلمون)^(٤) ١١ وقد أجمع العلماء أن مالم يتبين ولم يستيقن فليس بعلم ، وإنما هو ظن والظن لا ينشئ من الحق شيئا .

(١) في (أ) و (ب) (عمر) دون الواو .

(٢) في (ب) (تعرف) .

(٣) سورة الإسراء : آية : ٣٦ .

(٤) سورة الأعراف آية : ٢٨ .

ثم قال : « ولا خلاف بين علماء الأمصار في فساد التقليد ، ثم صرح بأن المقلد ليس من العلماء باتفاق أهل العلم »^(١) .

موقف أئمة المسلمين من المقلدين :

وقد ذكرنا في الرسالة التي سميناها : القول المنيد في حكم التقليد ، نهى الأئمة الأربعة أئمة المذاهب الأربعة عن تقليدهم ، فلنذكر هاهنا طرفاً من ذلك .

قال المزي^(٢) في أول مختصره : « اختصرت هذا من علم الشافعي (من معنى قوله ؛ لأقرأه على من أراده مع إهلامه^(٣)) نهيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه ، ويحتمل لنفسه »^(٤) .

وحكى ابن القيم^(٥) عن أحمد بن حنبل أنه قال : « لا تقلدني ، ولا تقلد

(١) انتهى من كلام ابن عبد البر باختلاف يسير ، ومع تقديم ، وتأخير : صفحات ١٠٩ — ١١٠ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ج ٣ إدارة الطباعة المنيرية سنة ١٣٤٦ هـ .

(٢) في (أ) (إعلانيه) بهذا الرسم .

(٣) ص ٢٤ .

الأعلام

(٥) من (١٧٥ — ٢٩٤ هـ) هو إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزي صاحب الإمام الشافعي من أهل مصر . كان زاهداً عالماً مجتهداً قوى الحجة من كتبه : (الجامع الكبير) . و (الجامع الصغير) . و (المختصر) ، و (الترغيب في العلم) الأعلام ج ١ ص ٣٢٧ .

(٥٥) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية توفي سنة ٧٥١ كان تلميذا لابن تيمية واتجه في تأليفه وجهته من جمل الكتب والسنة ما المرجع الأول والأخير السهل فقيه أو متكلم

السكا ، ولا الثوري (١) ، ولا الأوزاعي (٢) ، وخلفه حيث أخذوا (٣) .
قال « ومن قلة فقه الرجل أن يقلد دينه الرجال » (٤) . وحكى بشر (٥٠٠)
ابن الوليد عن أبي يوسف (٥٠٠٠) القاضى صاحب أبي حنيفة أنه قال لا يحل
لأحد أن يقول بقاءنا حتى يعلم من أين قلنا .

(٢) ص ٢٥ .

(١) ص ٢٥ .

الأعلام

وأهما لا يتعارضان مع المعقول السريح : من مؤلفاته اجتماع الجيوش الإسلامية
على غزو المعطلة والجممية : الدرر السكينة ، المنهل الصافي ، نية اللوعة ، جلاء
الدينين .

(*) سفيان بن سعيد الثوري ، مسلم له فى الإمامة فى الحديث . كان من العلماء
الزاهدين ولد بالكوفة سنة ٩٧ هـ وتوفى بالبصرة سنة ١٦١ هـ . الأعلام ج ٣
ص ١٥٨ .

(**) عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعى إمام الديار الشامية فى الفقه
والزهد ، وأحد الكتاب المترسلين عرض عليه القضاء فامتنع . له كتاب (المسائل)
(السنن) فى الفقه ولد سنة ٨٨ هـ فى بعلبك وتوفى فى بيروت سنة ١٥٧ هـ الأعلام
ج ٤ ص ٩٤ .

(***) هو بشر بن الوليد الكندى ، الفقيه ، تبع مالك بن أنس ، وتفته بأبي
يوسف . كان متعبداً ، متمسكا بالحق ، توفى سنة ٢٢٨ هـ . الميزان للذهبي ج ١
ص ٣٢٧ .

(****) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصارى السكونى البندادى ، أبو
يوسف صاحب الإمام أبى حنيفة وتلميذه ، وأول من نشر مذهبه . كان فقيهاً من
حفاظ الحديث ، ولزم أباه حنيفة فغلت عليه الرأى ، وهو أول من وضع الكتب
فى أصول الفقه على مذهب أبى حنيفة . الأعلام ج ٩ ص ٢٩٢ . ولد سنة ١١٣ هـ
وتوفى سنة ١٨٢ هـ .

وكذلك قال الإمام أبو حنيفة : وقد صح عن الشافعي أنه قال : أجمع الناس على أن من اختبأنت له سنة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن له أن يذهبها لقول أحد وتواتر عنه أنه قال : « إذا صح الحديث ناضربوا بقولي الحائط »

وروى جعفر (٥) الفريابي عن مالك أنه قال : من ترك قول عمر بن الخطاب لقول إبراهيم النخعي (٥٠) أنه يستتاب فقبل له : إنما هي رواية عن عمر قال مالك يستتاب .

وإذا كان هذا قوله في ترك قول عمر فما تراد يقول في ترك الكتاب والسنة ؟ وتقديم قول عالم من العلماء عليهما ؟

والحاصل أن النقل عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم في المنع من العمل بالرأي ومن تقليد الرجال في دين الله كثير جداً لا ينسجم له هذا المواقف . ويسكني من كان يؤمن بالله واليوم الآخر بعض ما قدمناه من آيات الكتاب العزيز .

تناقض المقلد مع نفسه :

فإن قال المقلد : قد دل على ذلك دليل قلناه له : « أنت تشهد على نفسك

الأعلام

- (٥) جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض الفريابي (٢٥٧ — ٣٠٦) هـ . قاض من العلماء بالحديث ، بقي من كتب (صفة النفاق، وذم المنافقين) و (دلائل النبوة) كان يحضر مجلسه يتعداد نحو عشرة آلاف . الأعلام ج ٢ ص ١٤٧ .
- (٥٥) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي ولد سنة ٩٦ من أكابر التابعين صلاحاً وصدق رواية وحفظاً للحديث مات مخفياً من الحجاج سنة ٩٦ هـ وكان إماماً مجتهداً الأعلام ج ١ ص ٧٦ .

ويشهد عليك غيرك بأنك لا تعقل الحجة ؟ وأنت إنما تأخذ برأى غيرك دون روايته فإليك والاستدلال ، وإقامة نفسك مقاماً نقر عليها بأنك لست من أهله ، فأنت كالمشيع بما لم يعط ، وكلابس ثوب زور .

فإن كنت تفهم حجج الله وتقبل براهينه، فما بالك^(١) إذا أوردنا عليك الحجة من الكتاب أو السنة في إبطال ما أنت عليه رجعت إلى الانجاء بأذيل التلقيد وقلت : إنك لست من ينهم الحجة ، ولا بمن يخاطب بها . فما بالك تقدم في دين الله رجلاً ، وتؤخر أخرى ١١٩

اعتمد على أيهما شئت حتى يخاطبك خطاب من أقمت نفسك في مقامه . وعند ذلك يصفر الصبيح لعينيك ، وتعلم أنك تمسك بمجمل غرور . ومصاب بتخضع زور .

ومع هذا فن صرت تقلده دون غيره يقول لك لا يجوز أن تقلده ، فأنت قلده ته شاه^(٢) أم أبي ، ثم أخبرنا ما هو الحال لك على تقليد هذا الشخص المميز من جملة علماء الدين ، ومنهم علماء الصحابة والتابعين ؟ فإن قلت : لكونه أعلم الناس فما يدريك أصلحك الله بالعلم^(٣) وبالأعلم وأنت تقرر على نفسك أنه لا علم لك ؟ . والمسلمون أجمعون يقولون : إنك لا تعد من أهل العلم ولا تدخل في هداة أهله .

وأيضاً علماء الصحابة أعلم من صاحبك وكذلك علماء التابعين ، فكيف اخترت صاحبك عليهم ؟ .

(١) في (ب) (فالك) .

(٢) في (ب) (شيئاً رضى أم أبي) وهو تصحيف .

(٣) في (ب) (ولا بالأعلم) .

ثم أخبرنا هل وجد في أيام الصحابة . والتابعين مقاد لأحدهم أو جماعة منهم ، بل لم يحدث بدعة التقليد إلا في القرن الرابع ، ولم يبق إذ ذاك صحابي ولا تابعي .

ثم هذا الذي قلدهته خالفه غيره من أهل العلم ، وقال بخلافه ، ما يقول ، فأخبرنا بمعرفت أن صاحبك الحق دون المخالف له ^(١) ؟ فإنك تقرر على نفسك بأنك لا تعرف ما هو الحق ، ولا من الحق من أهل العلم ، وغيرك من المقلدين يعتقد مثل اعتقادك فيمن قلده فمن الحق منك ؟ . ومن المهيب للحق من إماميكما ؟ .

إن قلتما ^(٢) : لا ندري فما بالكما تقيمان أنفسكما ، قام المستدلين بحجج الله وأنهما لا يعرفانها ولا تعقلانها بإقراركما على أنفسكما ؟ .

وإن قلتما قد عقلمتا الحجة على جواز التقليد فقد فتح الله لكما خوفاً من هذه العمالة : ويسر لكما طريقاً إلى الرشاد فأقبلا إلينا نعرفكما ، أأنما علميه من التمسك بالتقليد في دين الله والعمل بالرأى المتقابل ^(٣) المخالف الأدلة الشرعية فإنه إن صح لكما ما زعمناه لا تخالفان في أن الكتاب والسنة وقرآن على ذلك الرأى الذي قلتما فما غير كما فيه . وحيلته قد أصبح الدواء وقرب البرء من ذلك المرض الذي أصابكما ، وأيضاً نقول لهذا المقلد المعكين نحن نعلم ، وتعلم أنت إن بقي لك شيء من العقل ونهيب من الزعم أن ههنا المسلمين من

(١) في (ب) نسي الناسخ (ل) .

(٢) في (ب) (قلت) . وهو خطأ في الأسلوب .

(٣) قال في المنجد (قال يفيل فيلة وفيولة وفيولة) رأيه : أخطأ ، وضغف فهو ظايل الرأى . وفي (ب) نسي الناسخ نقطتا الياء ورممها هـ هكذا (الفال) دون نقط الياء مع أن الشوكاني في نسخته قد نقطها .

الصحابه ، والتابعين ومن بعدهم ومن المعاصرين ان قلده ون بعدهم من أئمة العلم أن التعويض فيهم من كثرت فيما جاءوا به ، واختاروه لأنفسهم مثل التعويض منك في إيمانك . وهذا شيء يعرفه هؤلاء المسلمين .

فما بالك عدت إلى واحد منهم قلده ذنبك في جميع ما جاء به من الصواب والخطأ ؟

إن قلت لا أدري فنقول : لا حرييت . نحن نعرفك بالحققة

أنت ولدت في قطر قد قلده فيه أهله عالمًا من علماء الإسلام فذنت بما دانوا وقلت بما قالوا ، فأنت من الذين يقولون هند سؤال المالكين سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته فيقال لك : لا دريت ولا تليت وكان الأحسن بك إن كنت ذا عقل ونهم وقد أخذت بأقوال^(١) الإمام الذي قلده أن تضم إلى ذلك قوله : « إنه لا يدل لأحد أن قلده » فما بالك تركت هذا من أقواله ؟

ثم اعلم أنك مسئول يوم القيامة عن دير الله هذا الذي أنزل به كتابه العزيز وبعث به نبيه الكريم فانظر ما أنت قائل ، وبماذا تهيب ؟ إن قلت . أخذت بقول العالم فلان ، فهذا العالم فلان مالك في هرصات القيامة مسئول كما سئلت متعبداً بما تعبدك الله به

فإذا قلت : قللت فلاناً وأخذت بقوله فعبأت الله سبحانه بما أمرني به ، وأفتيت بما قاله وقضيت بما قرره ، فأبحت الفروج وسفكت الدماء وقطعت الأيـال . فإن قيل لك فعلت هذا بحق أو بباطل ، فما أنت قائل ؟

إن^(٢) قلت : فسألت ذلك بقول فلان فلا بد أن يقال لك : هلأت أن

(١) في (ب) (يقول) .

(٢) في (ب) (فلان) .

قوله صواب موافق لما شرعه الله لعباده في كتابه وسمعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا بد أن نقول :
لا أدري فلا أدري ، لا تليمت ، ثم قيل لك : في كتابه وسمعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإني أقول : بل
لك على شخصين من هذا العالم بالمرء بجميع ما قاله ، فإني أقول : بل
هنا المكتاب والسنة ، هاهنا بعثه نبياً لبيادي بهداه بن محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،
أمرت عبادي بطاعته كما أمرت عبادي باتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فانظر ما أنت تفتن .
فإن هذا سؤال لا بد أن نسأل عنه ، فإن الله سبحانه إنما بعث إل عباده
رسولاً واحداً ، وأنزل إليهم كتاباً واحداً . وبجميع الأمة أودوا وآخرها ،
صاحبها ولاحتها ، متعبدون بما شرعه لهم الله سبحانه في كتابه ، وعلى لسان
رسوله صلى الله عليه وآله وسلم

ومن جملة من هو متعبد بهذه الشريعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،
فكيف يا مالك الذي هو واحد من العالم ، وفرد من أفراد البشر ؟ سبحانه
هذا بهتان عظيم

منهج الصحابة والتابعين :

ثم انظر يا مسكين في أخص آخر ، وهو أنه قد انقضى ، قبل حدوث هذه
المداهيب . خير القرون ثم الذين بعدهم ، ومعلوم السكل من له فهم أهم كانوا
على العمل بالكتاب والسنة ، وكان المقصرون منهم يسألون العلماء عن الحكم
الذي يعرض لهم في عبادة أو معاملة ، فيجيبون عليهم بما عندهم من الكتاب
والسنة ويروون لهم ما ورد فيهما في تلك المسألة . وأنت تقر بأنهم هدى
وحق ، فانظر في حال من خالف ما كانوا عليه من أهل التقليم الحادث ،
واجعل نفسك حيث شئت ، واختزلها ما يحلو .

فإن قلت إمامي قد كان كما كان عليه هؤلاء ، قلنا لك فهل شاركه في ذلك
غيره أم لا ، فإن قلت نعم ، قلنا لك فما حلاك على الأخذ بقول واحد من

أهل العلم دون غيره مع نهيته لك عن تقليده ١١٩

ويقال لهذا المقلد أيضاً إذا أخبرك عالم من علماء الإسلام بأن ما قلدت إمامك فيه في المسألة الفلانية ، خلاف ما في كتاب الله أو خلاف ما في سنة رسوله ، أو خلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون ، فهل أنت تارك لذلك الرأي الذي أخذت به من رأي إمامك أم لا ؟

إن قلت نعم فقد هديت ورشدت ، ولا نطالب منك غير هذا . فانظر ما هذأ أكابر علماء عصرك في تلك المسألة التي قلدت إمامك فيها ، واسألم هن الدليل ، وهما هو الحق المطابق للكتاب والسنة ، واسأل هل قولهم ، وهى ما يرشدونك إليه ، ولا تسأل ، إلا من اشتهر بين الناس بمعرفة للكتاب والسنة .

وإن قلت لا ، فأعرف ما أنت عليه ، وما هو الأمر الذى وقعت فيه^(١) واعترف هل نفسك بأن رأي إمامك أقدم من كتاب الله^(٢) ومن سنة رسوله^(٣) ، وبعد ذلك انظر بعقلك هل أوجب الله هايك أتباع هذا العالم ، والأخذ بجميع ما يقوله ١١٩ وأقل حال أن تسأل علماء الدين في هذه المسألة بخصوصها فإنه يفتح لك هند ذلك باب خير وطريق رشد

فإن أبديت فاعلم أنك قد جعلت إمامك ناسخاً للشريعة المحمدية رافياً لها ، وليس بعد هذا من الضلال شيء ، وأنت إن الصفقت اعترفت بهذا ، ولم تنسكه^(٤) فإن أنسكته فأخبرنى متى آثرت دليلاً من كتاب ، أو سنة هل

(١) فى (أ) لا توجد (فيه) وهى لازمة تمام الكلام .

(٢) فى (ب) توجد (عز وجل) بعد لفظ الجلالة .

(٣) فى (ب) صلى الله عليه واله وسلم بعد (رسوله) .

(٤) فى (ب) لا توجد (فإن أنسكته) .

قول إمامك وسألت علماء الكتاب والسنة من مسألة مما أنت عليه ورجعت إلى ما أفتوك به ، ورأوه لك ١١٩ .

فإن قلت : أنت لا تعرف الطهارة ولا تعلقها ، ولا تدري هل العوالب بيد إمامك ، أو بيد من خالفه ، قلنا : فأخبرنا هل أنت على قصورك وجهك لا يسعك ، ما وسع المتصيرين من الصحابة والتابعين ١١٩ فقد كان فيهم من هو كذلك .

فإن قلت : وما كانوا يهتدون به إذا احتاجوا إلى العمل في عبادة أو معاملة؟ قلنا : كانوا يسألون المشتهرين بالعلم عن الشريعة في تلك المسألة ، ويستروونهم النصوص فيروونها لهم .

فكن كما كانوا ، واعمل كما عملوا وإن قلت : لا يسعك ما وسعهم فلا وسع الله عليك . وستعلم سوء مغبة ما أنت فيه وخسار^(١) عاقبته ولا يظلم ربك أحدا .

معنى الاقتداء بالصحابة ، وموقف المقلد من ذلك :

وقد احتج بعض مقلدي الجواز بالتقليد بحديث أصحابي كأنجم بأيمهم اقتديتم اهتديتم ٥ .

وهذا الحديث لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كما هو معلوم عند أهل الشأن ، فقد اتفقوا على^(٢) أنه غير ثابت ، ولو سلمنا ثبوته تنزلا فعناء ظاهر واضح ، وهو الاقتداء بالصحابة في العمل بالشريعة التي تلقوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذوها عنه ، فن اقتدى

(١) في (ب) (وخسارة) .

(٢) في (ب) لا توجد (على) .

بواحد منهم فيما يرويه منها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد اعتدى ورشده ودخل إلى الشريعة من الباب الذي يخل إليها منه وليس المراد الاقتداء به في رأيه ، فإنهم رضى الله عنهم لا رأى لهم يتألف ما بلغهم من الشريعة قط

رأى العالم عند فقد الدليل رخصة له نقط :

ولو كان مثل هذا حجة في الاقتداء بما ينقل عنهم من الرأي الراجح إلى الكتاب والسنة بقياس صحيح أو نحوه لكان ذلك خاصاً بالصحة العامة للعزة التي [لا يساويهم فيها غيرهم]^(١) ولا يلحق بهم دواهم ، مع أنه وقع الإجماع من علماء الإسلام جميعاً أن أرى العالم عنه ، فقد الدليل إنما هو رخصة له لا يحل لغيره العمل بها حسبها قد بينا ، في مؤلفاتنا بأنهم بيان ونقلنا ، أصبح نقل

ثم بعد التفتيا والتي نقول لهذا المستدل بهذا الحديث الذي لم يصح : هب أنه صحيح فهل قلدت صحابياً أم غير صحابي ، وهذا ذلك يقف حماره على القنطرة .

ومثل هذا لو استدلل مستدل منهم بحديث ر عليكم به نتي رخصة المتلفذ الراشدين المهديين من بعدى » .

فإن المراد به الاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم ، وفي عباداتهم ، وما لا يشبههم ، وهم لا يوقنونها إلا على الوجه الذي أخذوه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعرفوه من أفعاله وأقواله ، وقد كان ذلك دينهم وهجيرام لا يفارقونه قيد شعير ، ولا يخالفونه أدنى مخالفة

(١) في (أ) و (ب) : (لا يساويها غيرهم) وهو غير مستقيم

فهذا هو المراد بالحديث على ما فيه من المقال ، فإن في إسناده مولى
الربيعي^(١) وهو مجهول ، والمفضل الضبي^(٢) وليس بحجة .

ثم بعد الامتيا والتي نقول للمستعمل بذلك فهل قلدت أحد الخلفاء الراشدين
أم قلدت غيرهم ؟ .

وهو لا بد أن يعترف أنه قلده غيرهم ، وأنه أبعد الناس من اتباع
ما كانوا عليه ، وأنه لو جاءه من هديهم الذي كانوا عليه بجلد ضخم يخالف
آدنى مسألة مما قلده فيها إمامه لرمى به وراء الحائط ، ولم يلتفت إليه
ولا حول^(٣) عليه .

ثم إذا صح هذا الحديث ففيه الإرشاد إلى سنته صلى الله عليه وآله وسلم
وسنة خلفائه الراشدين . ومعلوم أن ما كان قد ثبت من سنته لا يخالفه
الخلفاء الراشدون ولا غيرهم من الصحابة .

بل هم عليه وليس لهم سنة يخالف ما سنة رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم قط ، ولا يجمع عن واحد منهم أن جميعهم أنه خالف سنة ثابتة عن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) في (أ) بهذا الرسم (ربيعي) .

الأعلام

(٢) قال عنه صاحب الأعلام : المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر الضبي أبو العباس
راوية علامة بالشعر والأدب وأيام العرب صاحب المفضليات وأوثق من روى
الشعر من السكوفيين . توفي سنة ١٦٨ هـ على ما يقال . الأعلام ج ٨ ص ٢٠٤ .
(٣) في (ب) (يعول) .

منهج الاجتهاد ، هو منهج الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه :

وإذا هرقت هذا فقد قدمنا من الآيات القرآنية ، والأحاديث ^(١) الصحيحة ما هو منهج الحق ، ومنهج الشرع ، وهو الأمر الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وخلفاؤه الراشدون ، وبه تقوم الحجة على كل مسلم ، ومن سننه صلى الله عليه وآله وسلم الصحيحة ^(٢) الثابتة للملأاة بالقبول قوله صلى الله عليه وآله وسلم « كل أمر ليس عليه أمرنا فهو رد » .

وكل عاقل له أدنى تعلقي يعلم الشريعة للظاهرة يعلم علما ^(٣) لا شك فيه ولا شبهة أن التقليد لم يكن عليه أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وأنه حادث بعد ، مضي عصره صلى الله عليه وآله وسلم ، وهم أصحابه وهم النابغين لهم . فهو رذة أي ^(٤) مردود مضروب به وجه صاحبه .

فإننا نعلم أن الذي كان عليه أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو العمل بكتاب الله سبحانه ثم بما سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبينه للناس هن ^(٥) أمر الله كما قال : « إن هو إلا وحى يوحى » ^(٦) . وقال : « ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ^(٧) . وقال : « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول » ^(٨) وقال : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني »

(١) في (ب) (الأخبار) .

(٢) في (ب) سقطت من النسخ (الصحيحة) .

(٣) في (ب) توجد (يقينا قبل لا شك فيه) .

(٤) في (ب) سقطت (أي) من النسخ .

(٥) في (ب) (من) .

(٦) سورة النجم آية : ٤ .

(٧) سورة الحشر آية : ٧ .

(٨) سورة المائدة آية : ٩٢ .

يحببكم الله»^(١). وقال « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة »^(٢).
وقال : « فإن تنازهتم في شيء فردوه إلى الله والرسول الآية »^(٣). وقال :
« إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم^(٤) أن يقولوا
سكنا وأطعنا »^(٥) وقال : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما »^(٦). وقد
تقدم الكلام على بعض هذه الآيات الكريمة .

ومن صمدته صلى الله عليه وآله وسلم التي قال فيها : « صلحكم بصلحى وصنة
الحلفاء الراشدين » قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « كل بدعة ضلالة » .
والبدعة أي بدعة لا يخالف في ذلك مخالف ، ولا يشك فيه شاك . فبأنها للقلد
انزع عن فوائده ، واخرج عن ضلالتك وخلص نفسك من بدعتك . ودع
هذه الشقاق بما لا يسمن ولا يفنى من جوع .

فهذا الحق ليس به خفاء ودهنى من بُدَائِيَّاتِ^(٧) الطريق
فخير الأمور السالفات على الهدى وشر الأمور المحدثات البدائع
فهكذا^(٨) فتقول في حديث « اقتصدوا بالدين بعدى أبو بكر وعمر » .
وحديث « ربيت لأمى ما رضى لها ابن أم عبد » وحديث : « إن أبا هبيرة

(١) سورة آل عمران آية : ٣١

(٢) سورة الأحزاب آية : ٢١ .

(٣) سورة النساء آية : ٥٩

(٤) فى (ب) سهى الناسخ عن (ليحكم بينهم)

(٥) سورة النور آية : ٥١ .

(٦) سورة النساء آية : ٦٥ :

(٧) بنيات الطريق بضم الباء وفتح النون : الترهات والأباطيل .

(٨) فى (ب) (وهكذا) .

ابن الجراح^(١) أمين هذه الأمة « ونحو ذلك من الأحاديث .
فالمراد الاقتداء بمن أمرنا^(٢) بالاقتداء به في أقواله وأفعاله الواردة على
الشريعة للطهارة ، وكذلك الرضى بما رضى^(٣) ابن مسعود من الأقوال
والأقوال الواردة على ما توجبه الشريعة للطهارة .
وكذلك كون أبي عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة هو^(٤) لما اختصه
الله سبحانه به من عظم الأمانة على الأمور التي من أعظمها هذا الدين القويم
والشريعة المباركة .

للمطالع من المقلد ومن عوام المسلمين :

وقد مررت ما قد سمعنا من أنا لا فكأن المقلد أن يعرف نهوض الشريعة
حتى يقول : لا أقدر على ذلك ولا أستطيعه ، بل قلنا له دع^(٥) هذه البهجة
الحادثة ، وكن كما كان المقصرون من الصحابة [والتابعين] الذين اشتغلوا

(١) غلط المؤلف فوضع عبدالرحمن بن عوف بدل أبي عبيدة في هذا
الموضع والموضع الآتي ، وكذلك الناسخ في (ب) نقل على هذا الخطأ . فجاء أحد
القارئین ودفن إلى هذا الخطأ فصححه في الأول وسها عنه في الثاني ، والحديث
كما هو في فتح الباري على صحيح البخاري لابن حجر : « . . عن أنس بن مالك
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن لكل أمة أميناً ، وإن أميننا آتيا الأمة
أبو عبيدة بن الجراح » ج ٧ ص ٧٥ باب فضائل الصحابة (رضى الله عنهم) .

(٢) في (ب) (أمر) .

(٣) في (ب) (رضى به) .

(٤) (ب) نهي الناسخ (هو) .

(٥) في (ب) توجد (عنك) بعد دع .

(٦) في (ب) و (أ) ، (التابعون) ولكن (التابعين) أوفق لاستقامة

المعنى الذى يقصده الشوكاني .

عن حفظ العلم ، والبلوغ إلى غايته ، بالأعمال الصالحة من جهاد أو عبادة . ولك
هم أجرة وفيهم لك قدوة ، فاسأل أهل العلم كما أمر الله بسؤالهم بقوله :
« فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » .

والمطلب منهم أن يرووا لك ما جاءت به الشريعة في الحادثة التي اعترضت
إلى السؤال عنها من عبادة أو معاملة .

وكل عالم يعلم وإن قل علمه -- أنه لم يكن فيهم أحد منتسباً إلى أحد من
كبار المصاحبة الذين كانوا يروون للناس العلم ويفتقونهم به ، كما يلعب بعد
حدوث المذاهب كل مقلد إلى من قلده ، بل كان السائل منهم يسأل من
يلتزمه من المشتهرين بالعلم منهم عن كيف ما يتفق له ويأخذ^(١) ما يرويه له ،
ويفتيه به ، وقد قدمنا الإشارة إلى هذا .

الاجتهاد ووحدة الأحكام :

ونبغي أن يعلم كل من له فهم أن دين الله واحد ، وأن ما أحله فهو حلال
لا يتغير عن صفته ، وما حرمه فهو حرام لا يتغير .

وإذا قال قائل من أهل العلم فيما قد أحله بكتابته أو بسنة رسوله أنه
حرام فهو مخطئ ومخالف لما شرعه الله لعباده . وإذا قال قائل من أهل العلم
فيما قد حرمه الله سبحانه : إنه حلال ، فهو مخطئ ومخالف لما شرعه الله
لعباده . ولكن هذا القائل الذي قال بخلاف ما تقرر في الشريعة ، وإن كان
أعلا للاجتهاد وقد بحث كاية البحث فلم يجد فهو مخطئ ومأجور كما في الحديث
الصحيح الذي قدمنا ذكره أن المجتهد مع الإصابتين ، والمجتهد مع الخطأ
أجران ، وهو حديث متفق عليه منقح بالقبول

(١) في (ب) (يأخذ) .

وإن كان غير أهل الاجتهاد ، أو لم يبحث كما يجب عليه فهو مجازف في دين الله آثم بخالفته لما شرهه الله^(١) لعباده .

فمن قال إن كل مجتهد مصيب [إن] أراد أنه مصيب^(٢) لا الحق فقط فلفظ هذا خطأ بينا ، فإنه جعل حكم الله سبحانه متناقضاً متخالفاً ، لأنه إذا قال قائل هذا حرام ، وقال آخر هذا حلال ، كان حكم الله تعالى في تلك الدين ههنا أنها حلال حرام . وهذا باطل من القول ، وزائف من الرأي ، وفاسد من النظر ، فإنه مع كونه باطلاً في نفسه يتنزه الله عز وجل عنه ، هو أيضاً خلاف ما عند أهل العلم .

وإن أراد أنه مصيب بمعنى أنه يستحق أجراً على اجتهاده وإن أخطأ ، فهذا معنى صحيح ، ولكنه إطلاق لفظ يخالف ما أطلقه عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال : وإن اجتهد فأخطأ فله أجر ، فلا ينبغي أن يطلق لفظ المصيب عليه ، وإن كان لمن أطلق هذا اللفظ إرادة صحيحة . بل ينبغي أن يقال كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من وصفه باطلاً مع استحقاق الأجر . أو يقال : إنه مخطئ مأجور .

وكما أن هذا الإطلاق لا يحسن لما فيه من شبه الرد^(٣) على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإن كان له إرادة^(٤) صحيحة ، كذلك لا يجوز أن يقال في شأن هذا المخطئ كما يقول بعض أهل الأصول : إنه مخطئ آثم ، فإن هذا

(١) في (ب) (سبحانه) بعد لفظ الجلالة .

(٢) في (ب) سقط من النسخ : (إن أراد أنه مصيب) وفي (أ) (أي) بدل

(إن) ولكن (إن) أولى لسكى يستقيم الأسلوب كما سيأتي بعد .

(٣) في (أ) تكررت (الرد) وهو سهو من المؤلف .

(٤) في (أ) سهى المؤلف عن التاء المربوطة وكتبها هكذا (إراد) .

قول بالجهل ، ومخالفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنه أثبت له الأجر وهذا القائل أثبت له الإنم .

وأما قول من قال من أهل الأصول : إنه مخطيء ، مخالف للأشبهه عند الله فهو قول صواب ، لأنه مع انحصار فد خالف الحق ، إذا كان يريد بالأشبهه عاهو الحق عند الله .

وإن كان يريد غير هذا المعنى كأن يريد بالأشبهه الأقرب ، فهو كلام غير صحيح ، لأنه لا قرب خلاف الحق حق يكون الحق أقرب منه .

وعلى كل حال ، فالأحسن أن يقال في مخطيء الحق ما قاله رسول الله (١) مخطيء له أجر .

والبعيد كل [البعيد] (٢) من الحق قول من قال : إن كل مجتهد مصيب من الإصابة ، وإن كل واحد من العلماء قد أصاب الحق الذي يريد الله سبحانه ، فإنهم قد جعلوا مراد الله عز وجل (٣) أمراً دائراً بين اجتهادات المجتهدين إلى يوم القيامة ، فكل مجتهد إذا اجتهد فذلك الاجتهاد هو مراد الله من الاجتهاد ، وإن خالف اجتهاد غيره ، وناقضه كما تقدم .

منطق المقلدين هو منطق السوفسطائيين :

وما أشبه القائل بهذه المقالة بالفرقة التي يقال لها الفرقة السوفسطائية فإنهم جاءوا بما يخالف العقل فلم ينته بأقوالهم أحد من علماء المقول لأنها بالجنون أشبه منها بالعقل .

(١) في (ب) بعد رسول الله يوجد (صلى الله عليه . الخ) .

(٢) في (أ) ، (ب) (كل البعيد) وهو سهو من المؤلف ثم سهو من الناسخ .

(٣) في (ب) سقط من الناسخ (عز وجل) .

وهم ثلاثة فرق : هندية ، وهندية ، والأدريّة^(١) .

الهندية : إذا قيل لأحدهم أنت موجود ، قال لقائل : عندك لا هندي .

والهندية : إذا قيل لأحدهم أنت موجود قال : لا ، فإذا قيل له ما هذا الشبح الذي أراء والكلام الذي أسمعه منه والجزم الذي ألمسه ، قال : لا شيء ولا وجود لي .

وأما الأدريّة : فإذا قيل لأحدهم أنت موجود ، قال : لا أدري .

وقد صرح علماء المقول أن هؤلاء لا يستحقون جواباً إلا الضرب لهم حتى يتعرفوا ؛ لأنهم لا يقبلون حجة ، ولا يسمعون برهاناً .

ومن عجيب صنع المقلدة أنهم يقبلون ممن ينتسب إلى مذهبهم الترجيح بين الروايتين لإمامهم ، وإن كان ذلك المرجح مثلاً غير مجتهد ، ولا قريب من رتبة المجتهد .

ولو جاء من هو كإمامهم أو فوق إمامهم وأخبرهم عن الراجح من ذينك القولين لم يلتفتوا [إليه]^(٢) ، ولا قبلوا قوله ولو هضم ذلك بالآيات المحكمة والأحاديث المتواترة ؛ بل يقبلون من موافقيهم مجرد النخريج على مذهب إمامهم ، وللقياس على ما ذهب إليه ويحملونه ديناً ويحلون به ويحرمون .

فيالله وللمسلمين مع هلم كل عاقل أن الرب واحد ، والنبي واحد ، والآمة واحدة والكتاب واحد ١١ .

(١) في (ب) (الأدريّة) . وصحتها : « اللادريّة » ينظر ص ١٣٥ من كتاب (الله للعقاد . وهم قوم من الشكك ، وآراؤهم منتشرة في كتب الكلام والفلسفة ، ينظر ص ٤١ من كتاب نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام للدكتور علي سامي النشار . الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤ .

(٢) في (أ) و (ب) (عليه) .

وبالجملة فشكل من يعقل لا يخفى عليه أن هذه المذاهب قد صار كل واحد منها كالشريعة عند أهله يذودون عنه كتاب الله وسنة رسوله ، ويجهلون به جسراً يدفعون به كل ما يخالفه كأنما ما كان .

سد باب الاجتهاد نسخ للشريعة :

والمعجب أن هؤلاء مكاسير للقلادة لم يقفوا حيث أوقفهم الله من التصور وهدم العلم النافع ، فقاموا على أهل العلم قومة جاهلية وقالوا : باب الاجتهاد قد انسد وطريق الكتاب والسنة قد ردمت .

وهذه المقالة من هؤلاء الجهال تتضمن نسخ الشريعة وذهاب رسمها وبقاها مجرد اسمها وأنه لا كتاب ولا سنة لأن العلماء المارفين بها إذا لم يبق لهم سبيل على البيان الذي أمر الله سبحانه^(١) عباده به بقوله : (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لنبيذنه للناس ولا تكتُمونه)^(٢) . وقوله : (إن الذين يكتمون ما أنزلنا — إلى قوله — أولئك يلعنهم الله)^(٣) .

فقد انقطعت أحكام الكتاب والسنة ، وارتفعت من بين العباد ، ولم يبق إلا مجرد تلاوة القرآن ودرس كتب السنة ، ولا سبيل إلى التعميد بشيء مما فيهما .

ومن زعم عند هؤلاء الجهلة أنه يقضى أو يفى بما فيهما أو يعمل لنفسه بشيء مما اشتدلا عليه فدعواه باطلة وكلامه مذبذب .

فانظر إلى هذه الفاقة العظمى والداهية الدهية^(٤) والجهالة والجهلاء

(١) في (ب) (تعالى) بدل سبحانه .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٨٧ .

(٣) سورة البقرة آية ١٥٩ .

(٤) في (ب) الصماء .

والبيعة العمياء الصماء ١١١ سبحانه هذا بهتان عظيم .

وإن زعموا أن هذا الصنيع منهم ليس هو بمعنى ما ذكرنا من نسخ الكتاب والسنة ورفع التعبد بهما فقل لهم فما بقي بعد قرأكم هذا ١١ فإنكم قد قلتم ليس للناس إلا التقليد ، ولا صبيح لهم إلى غيره ، وأن الاجتهاد قد انهدم بابه وبعلات دهور من بعده ، رامتكم فضل الله على عباده ، وانقطعت حجة ١١١ .

وعندما مع كونه من الإفتك البين قد اختلفت فيه أنظار هؤلاء الثلاثة اختلافا كبيرا ، فقالت طائفة منهم ليس لأحد أن يجتهد (بعد أبي حنيفة وأبي يوسف وزفر بن الحذيل ومحمد بن الحسن الشيباني ، والحسن بن زياد الأوزاعي ، وإلى هذا ذهب غالب المتأخرة من الحنفية ، وقال بكر بن العلاء النخعي الساسكي : ليس لأحد أن يجتهد)^(١) بعد المائتين من الهجرة .

وقال آخرون : ليس لأحد أن يجتهد بعد الأوزاعي وصفيان الثوري ووكيع ابن الجراح وهب الله بن المبارك

وقال آخرون : ليس لأحد أن يجتهد بعد الشافعي .

وقد ذكرنا بعض هذا الباطل البين ، والإفتك الصريح في رسالتنا التي سميناها (القول المفيد في حكم التقليد) .

وهؤلاء وإن كانوا خارجين عن زمرة العلماء بالإجماع حسبما قلناه فيما تقدم ، وليسوا بما يستحق الاشتغال بما قاله^(٢) ، وتجاوز الكلام في الرد عليه لأنهم في عداد أهل الجبل لا يرافعون عن طاعتهم بمجرد حفظهم لرأي من قلده ،

(١) هذه لفظة موجودة تصحيحا في الهامش في (ب) .

(٢) في (ب) (قالوه) وهو سهو من الناسخ .

لكنهم لما طقت بدعتهم أفتار الأرض وصاروا هم السواد الأعظم ، وكان غالب القضاة والمفتين منهم وكذلك صائر أهل المناصب ، فإنهم مشاركون لهم في الجهل عما شرعه الله ^(١) لعباده ، صاروا أهل الشوكة والصولة ، وليس لهم إمامة بصيرة يهرفون بها أهل العلم وأهل الجهل ويميزون بين منارهم . وغاية ما هندهم أنهم ينظرون إلى أهل المناصب وإلى المتجملين بالنياب الرفيعة . فإن دقوا النظر نظروا إلى المدرسين في العلم . وهم عند هذا النظر يرون تبيخ علم الرأي قد اجتمع عليه الجمع الجمل من القلة ولهم صراخ وهويل وجلبة وقد استفرقوا ، هم وشيوخهم المدارس والجوامع ولا يرون تشيخ علم الكتاب والسنن أنرا ولا خبراً ، فإن درس شيخ من شيوخهم في مدرسة أو جامع فهو في [زاوية ^(٢)] من زواياه قعد بين يديه الرجل والأرجل . وهم في مسكنة ووقار لا يلتفت إليهم ملتفت ، رثا يتعلم لأصغر متعلم فإذا [يرى ^(٣)] العاصي عند هذا النظر ما ذاك ينظر ببالة ؟ وبقلب هل ثابته ؟ وإلى من يميل ، ولين يحكم بالعلم ؟ وهل من يلتقى مقاليد ما ينوبه من أمر دينه ودينياه ؟ . فلهذه المسكنة احتجنا إلى هذا الكلام في هذا المؤلف وغيره من مؤلفاتنا وإلا فهم أقل وأحق من أن يشتغل بشأنهم أو يبايعا يصدر منهم من الجهل المكشوف ، والذي لا يكاد يلتبس على من لديه أدنى علم وأقل تمييز .

جهاد الشوكاني للفتنة :

ولقد كان لي مع هؤلاء في أيام الاشتغال بالدرس والتدريس وهذافان

(١) في [ب] [تعالى] بعد لفظ الجلالة .

(٢) في [أ] [زوه]

(٣) في [أ] ، (ب) (تري) ولكن يرى هي الموافقة .

الشباب ، وحدة الهداية فلاقل وزلازل جمعت فيها رسائل وقلبت فيها قصائد .
فن جملة ما خاطبتهم به ماقلت من قصيدة :

يا ناقداً لمقال ليس يفهمه من ليس يفهم قل لي كيف تلتقد
يا صاعداً في وعرضاق مسلما أيصعد الوعر من السهل يرتفع ؟
يا ماشيا في فلاة لا أنيس بها كيف السبيل إذا ما اغتالك الأسد ؟
يا خائف البحر لا يدري سباحته وبلى عليك أن تجوز إن علا الزند ؟
ومنها :

إني بليت بأهل الجهل في زمن قاموا به ورجال العلم قد تمدوا
قوم يدق جليل القول هندهم فالهم طاقة في حبل ما يرد
وغاية الأمر عند القوم أنهم أهدى المدة لمن في علمه (١) صدد
إذا رأوا رجلا قد نال مرتبة في العلم دون الذي يدرنه جهدوا
أومال عن زائف الأقوال ، أتركوا بابا من الشر إلا نحوه تصدوا
أما الحديث الذي قد صح مخرجه كالأهات فما فيهم لها (٢) واه
تراهم إن رأوا من قال حديثا قالوا له ناصبي (٣) ماله رشد
وإن ترضى هلى الأصحاب بينهم قالوا له باهض الآن مجتهد
يا غارقين بشؤم الجهل في بدع ونافرين عن الهدى القويم هسوا (٤)

(١) في (ب) (دينه) بدل علمه ، وفي ا ، ب (أعدا) بالألف

(٢) في (ب) (فأفيها لهم ولد) .

(٣) أى يكره ال البيت ، وهو لقب ، كان يطاق على من يكره ال البيت ،
كما تقدم ، واستغله الرافضة أسوأ استقلال .

(٤) في الهاش في (أ) : (ارجعوا) .

ما اجتهدت في العلم مقصداً
لا تنسكروا مورداً بعداً لشاربه
والإن أبيت فيمزم الطشر مرعدنا
وما قلناه في ذلك :

هلي عصر النيبية كل حين
وبمقيه من السحب الواري
زمان خضت فيه بكل فن
وهدت على الذي حصلته منه
وعاداني على هذا أناس
رأوني لا أدين بدين قوم
ويطرحون قول الطاهر طه
فقالوا قد أتى فينا فلان
يقول الحق قرآن وقول
فقلت كذا أقول وكل قول
وهذا مهيح^(١) الأهازم قبلي
إذا جحد ابرؤ فضلي ونيلي
وكل قى إذا ما حاز هلسا
وراض بجوايحاً من نيل فن
رماه القاصرون بكل هيب

سلام ما تقيمت الرعود
ملك^(٢) دائم التكاثر جود
ومدت مع الحداثة من يسود
فجئت به وغيري لا يسود
وأظلم من يناديك الحسود
برون الحق ما قال الجود
وكل منهم عنه شروود
بمضلة وفاقرة تؤود
ظير الرسل لا قول ولود
هذا هذين تطرته الردود
وكلهم لمورده ورد
فقدماً كان في الناس الجود
وكان له بدرجة جهود
وصار لكل شاردة يقود
وقام لحربه منهم جنود

(٥) مطر غزير دائم .

(١) المهيح : الطريق الواضح .

فهادوا خائبين وكل كيد لهم فملى نفوسهم يهود
وراهوا وضع رتبته فكانوا^(١) على الشرف الرفيع هم الشهود

* * *

إذا ما الله قدر نشر فضل لإنسان بتاح له محمود
ومن كثرت فضائله يعلو ويكثر في مناقبه الجود
إذا ما غاب يلزه^(٢) أناس وليس يضر نبح الكلب بدراً
وما الشم الشوامخ عند ربح وليس تخاف^(٣) من حمر أسود
ولا البحر الخضم يصاب يرباً تمر على بعوانها تموه
إذا قالت بلسانه القردة

وما قلته من قصيدة طويلة :

لا هيب ل غير أنى في دياركم شمسى ولم يعرفوا منها سوى الشهب
وأنتم كهفتيش الظلام وما زال الخفاش بنور الشمس في تسب
موتوا إذا شئتم قبطار من كلى في نصرة الطوى ما حورت في الكتب
وأرئى أن يلجى دعوتى نفر يسمون الهدى لا يسمون للشهب
لا يمدلون بقول الله قول فنى ولا بسمه خير الرءل رأى^(٤) غبي
لا يندنون عن الهدى القويم ولا يهانمون لترغيب ولا رهب

(١) فى (ب) (وكانوا) وهو سهو أدى إلى ضعف فى المعنى .

(٢) فى (ب) يلزسه .

(٣) فى (ب) ، (أ) تفسيرها فى الهامش (كناية عن الخضوع) .

(٤) فى (ب) (يخالف) ،

(٥) فى (ب) (قول) .

أبث ما بينهم من مذهبي درراً حجبتهما عن ذوى التقليد والريب
يا فرقة ضيعت أهـالهما منها وصيرت رأس أهل العلم كالذئب
ما قام رب علوم في دياركم إلا وجبرعته أكويس السكروب
من قال : قال رسول الله بينكم غداً بنا هتكم من جملة المنصب
ومنها :

عديتم السنة ألفرافكان بنا دهوى خصوصكم موصولة العصب
كم ثمان ذرمة ————— ق ثا الضم منقحة

(وظل) (١) رجـو اجتاحت من يد المطب
سودتم جيل جهل بالعلوم وذا رأى يجر بذيل الويل والحرب
والاجتهاد ضا في كتب فقهم شرط الإمام فإن يمدوه لم يجب
وشرط حال أهباء القضاء مع الإفتاء فلم تعرفوا ما خط في الكتب
ومنها :

ولاني حزت أضعاف اتقى شرطوا قبل الثلاثين من عمرى بلا كذب
لم أضعج أرجاء الجوامع بالنذر يس في كل فن معشر المطالب
لم أصنف في عصر الشبهة ما يفدو له محكم العرش في طرب
لو كان مطلع شمس غير أرضكم ما حال دون سناها عارض المحب
ولا غبت لمشى الناظرين لها كأنها طلعت في مقام المطب
ومما قلته من قصيدة طويلة :

وماسه باب الحق عن طالب الهدى ولكن عين الأرمم القدم مدت

(١) في (ب) (ظل) ، ولسكها في (أ) (ضل) .

رجال كأمنال الخفافيش ضوءها يلوح لدى الظلماء وتهمي بضجوة
 وهل ينقص الحسناء فقدان رغبة إلى حمئها ممن أصيب بعنة
 وهل حط قدر البدر عند طلوعه إذا ما كلاب أنكرته فمرت
 وما إن يضمر البحر أن قام أحق على شطه يرمى إليه بصخرة
 فخنس في غمار الاجتهاد وعده من رجال سلت عن ضناء بقرية
 ومنها .

وإن كنت شهماً ناقداً متبصراً فدع ما به عين من العمى قوت
 فما جامداً نقل بقصر ولا أتى بذلك حكم للعقول الصحيحة
 وما فاض من فضل الإله على الأولي مضوا فهو فياض عليك بحكمة
 ولا تك مطواطاً ذلولاً لرايض^(١) نصير بهذا مشرباً للبهيمة
 وما قلته من الأشعار الجارية في هذا المضمار فهو كثير جداً يحتاج إلى
 مؤلف مستقل .

وقد حكيت بعض ما وقع لي مع هؤلاء المتلذذة في الكتاب الذي سميت به
 (أدب الطالب ومنتهى الأرب) . وكيدهم التمدد وحسد هم الشديد مستمر إلى
 الآن والله ناصر دينه ، ورافع أعلام شريعته ، وكاتم من رام أهلها ، أو رام
 الخاملين لها بكيد ومكر . ولا يحيق المكر السوء إلا بأهله . (يخادعون الله
 والذين آمنوا وما يخدعون^(٢) إلا أنفسهم وما يشعرون^(٣)) . (ومكروا

(١) في (ب) (ارافض) وصححت (ارايض) وهي من راض يروض بمعنى
 علم ، أو درب .

(٢) في (أ) ، (ب) سهى المؤلف والناسخ وكتبها : (وما يخادعون) .

(٣) سورة البقرة آية : ٩ .

ومكر الله والله خير للماكرين^(١) . (يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم^(٢))
 (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا
 مع ربنا الله ونعم الوكيل فاتقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء^(٣)) .
 وما أصدق هذه المواهيد التي وعد الله بها عباده ، وأبين حدودها وأظهر
 وقورها وهو صادق الوعد ناله^(٤) الحمد [فإنه]^(٥) ما قام قائم في معارضة
 الحقين إلا وكبه الله على منخره ، وحافى به مكره وعاد على نفسه خداعه
 وأحاط به بغيه . ولم قد رأينا من هذا وسمننا في ههنا ومنا وفيها ، فسكات
 المأقبة للمعتقين ، كما وعد به رب العالمين والحمد لله .

من أخطار التقليد والمقلدين :

وكما أن قول هذه^(٦) المقلدة الذين ردوا باب الاجتهاد وسدوا طريقه قد
 استلزم^(٧) رفع الكتاب والسنة والتعبد بغيرهما ، فكذلك استلزم رد ما صح
 من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من أنها لا تزال طائفة من هذه
 الأمة على الحق ظاهرين » . وكذلك استلزم رد ما صح أنه لا تزال في هذه
 الأمة قائم بحجة الله ، وكذلك استلزم رد ما ورد « من أن الله سبحانه يبعث
 لهذه الأمة في رأس كل مائة سنة من يجد لها دينها » .

(١) آل عمران آية : ٥٤ (٢) يونس آية : ٢٣ .

(٣) آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤ (٤) في (ب) (الله) .

(٥) في (أ) لا توجد (فإنه) وهي لازمة لسلامة الأسلوب .

(٦) في (ب) لا يوجد (قول هذه) .

(٧) في (ب) (حملهم) بعد استلزم .

وجود الاجتهاد في المذاهب حجة على المقلدين :

ومع هذا فكل طائفة من طوائف المذاهب الذين كدر مشارب مذاهبهم وجود هؤلاء المقلدة الذين لا يعرفون حجة ، ولا يعرفون برهاناً ولا يفهمون من العلم إلا مجرد صور وقفوا عليها في مختصرات المفردات ، قد جعل الله سبحانه فيهم من العلماء المبرزين العارفين بالكتاب والسنة وبما هو كالمقدمة لهما من العلوم الآلية وغيرها ، عدداً جماً كما يعرف ذلك من يعرف أخبار الناس ويدري بأحوال العالم ، وفيهم من كمل الله سبحانه لهم علوم الاجتهاد وفوقها ، واسكنهم امتحنوا هؤلاء الصم البكم من المعاصرين لهم مقلدة المذاهب الذين اشتركوا فيه بمجرد الانتماء إليه فغلبوهم على أنفسهم وصانعوهم وداروهم لما يخشونه من معرفتهم ويتوقون منه من إغراء العامة بهم .

ومنهم من كنتم اجتهاد نفسه ، ولم يستطع أن ينسب إلى نفسه الاجتهاد ولا تظهر بما يدين به ويمتقده من تقديم ما يعرفه من الأدلة هلى ما يخالفه من رأى .

ومنهم من تظهر بعض النظم فلقى من متفهمة المقلدة من إغراء^(١) العامة به ما هو معروف لمن نظر في الزوايا العامة ، أو^(٢) الخاصة بذهب من المذاهب وطائفة من العلوائف .

ومن كان لا يعرف التاريخ ، ولا يلشط إلى الإطلاع على أخبار العالم وتحقيق أحوال العلوائف فلينظر إلى مثل مؤلفات ابن عبد السلام^(*) ،

(١) في (ب) (من أذى العامة له) .

(٢) في (ب) (و) بدل (أو) .

الأعلام

(*) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الدمشقي (٥٧٧-٦٦٠هـ)

وابن دقيق العيد (***) ، وابن مديد اللذان (***) ، والذهبي **** وزين الدين
العراقي (٠) ، وابن حجر العسقلاني والسيوطي (٠٠) وأمثالهم من الشافعية .
وإلى مثل مؤلفات ابن قدامة (٠٠٠) ومن في طبعته من للقادة ومن بعدهم
مثل تقي الدين ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم وأمثالهم من الحنابلة .

عز الدين الملقب بسلطان العلماء فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد . كان صاحب رأى
عصري ونورة على كل ما يخالف الإسلام من كتبه (حل الرموز) رسالة في النصوص
و « التفسير الكبير » و « قواعد الشريعة » . الأعلام ج ٤ ص ١٤٤ ، ١٤٥ .
(*) محمد بن علي بن وهب بن مطيع أبو الفتح المعروف بابن دقيق العيد (٦٢٥ -
٧٠٢ هـ) قاض من أكابر العلماء بالأصول مجتهد أصل أبيه من منفوط
(الأعلام ج ٧ ص ١٧٤) .

(*) محمد بن أحمد بن سید الناس اليممرى الربيعي (٦٢١ - ٧٣٤ هـ) من
حفاظ الحديث مؤرخ عالم أديب مولده ووفاته بالقاهرة من كتبه (المقامات العلية
في السكرامات الجليلة) الأعلام ج ٧ ص ٤٦٣ .
(*) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي شمس الدين . حافظ مؤرخ علامة محقق
تصانيفه كبيرة كثيرة تقارب المائة (ولد سنة ٦٧٣ وتوفي سنة ٧٤٨ هـ) الأعلام
ج ٦ ص ٢٢٢ .

الأعلام

(٥) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن المعروف بالحافظ العراقي ، أبو
الزین (زين الدين) (٧٢٥ - ٨٠٦ هـ) .
(٦) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الجلال الأسيوطي . اشتهر بالتفسير
والنصنيف في الحديث له نحو (٦٠٠) مؤلف إمام حافظ مؤرخ أديب . الأعلام
ج ٤ ص ٧١ .
(٧) محمد بن أحمد بن عبد الحمادي بن عبد الحميد ابن قدامة المقدسي (٧٠٥ -
٧٤٤ هـ) حافظ للحديث من كبار الحنابلة صنف ما يزيد على ٧٠ كتاباً . الأعلام
ج ٦ ص ٢٢٢ .

ومثل ابن هبيرة البر والقفاز هياض (٠٠٠٠) وابن العربي (٠٠٠٠٠) وأمثالهم
من المالكية .

وبالجملة ففي كل مذهب العدد الكثير غالبهم يذم التقليد وينكر هلى أهله
ولسكنهم كما هرفناك لا يصرح منهم بذلك تصريحاً إلا الأقل لتلك العلة
وغالبهم يلوح به تلويحاً ويعرض به تعريضاً .

أهل اليمن والاجتهاد :

وأما قطارنا اليمنى بارك الله فيه فغالب من توصل في العلوم وأدرك من نفسه
ملككة الاجتهاد الرجوع إلى الدليل ، ويرى بالتقليد وراء الحائط ويلقى من
هذه قلادته .

هرفنا هذا من شيوخنا ، وهرفوه من شيوخهم وهرفه الأول هن الأول
وهرفناه من أترابنا ، والمرافق لنا في الطلب ، بل غالب الأخذين هنا وهم
العدد الجرم^(١) بهذه الصفة ، وهلى هذه الخصلة المحمودة .

بل غالب من كان له إنصاف من الدين لم يسكنر اشتغالهم بالعلم في ديارنا
هذه يصنع كما كان يصنع السلف الصالح من التصحابة ، وتابعيهم ، ومن بعدهم

(٥) توفي سنة ٤٧٦ هـ في مراکش وولد في سبته وهو: عياض بن موسى بن
عياض ابن عمرو بن يحيى السبق عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته من
كتبه (شرح صحيح مسلم) الأعلام ج ٥ من ٢٨٢ .

(٥) محمد بن عبد الله بن محمد المعافى الأشبلى المالكي أبو بكر بن العربي
قاضي من حفاظ الحديث . بلغ رتبة الاجتهاد صنف في الحديث والفقه والتفسير
والأصول والأدب والتاريخ . من كتبه (العواصم من القواصم) . الأعلام
ج ٧ ص ١٠٦ من (٤٦٨ - ٥٤٣) .
(١) في (ب) (لا توجد هـ) .

... من هدم التقليد بالتقليد ، والتعريب على سؤال العلماء بالكتاب والسنة هن
الدليل الراجح فيعملون به ويقفون عنده ، ولا يبالون بما يخالفه مما عليه المقلدة ،
وصاروا منة بين إلى السنة المطهرة غير منتمين إلى مذهب من المذاهب ،
فأصابوا أصاب الله بهم ، وضاعف أجرمهم ، وصرف عنهم معرفة المقلدة أنباع
تخل ناعق .

تمصيب المقلدين أسامه الجهل :

وقد عرفناك أن هؤلاء الملمدة ذموا ما لم يعرفوه ، وعابوا ما لم يدروا به ،
« وهذا أمر يستتبعه كل عاقل ، ويزرى بصاحبه كل فاهم ، فإن من تعرض
لذلك - كلام فيما لا يعرفه فهو جاهل من جهتين :

الجهة الأولى : كونه لا يعرف ذلك الشيء .

الجهة الثانية : كونه تكلم فيما لا يعرفه ، كما يفعله أهل الجهل المركب .

هذا على فرض أنه لم يتعرض للندح فيه ، ولا أوقعته نفسه الأمانة في
الاعلمان على المتمسكين به ، فإن قبل أخطأ من ثلاث جهات هذا ، الثالثة .

وأما أحسن ما قاله الشاعر :

أتانا أن سهلا ذم جهلا علوما ليس يعرفون سهلا

علوما لو دراها ما فلاها ولكن الرضى بالجهل سهلا

ولقد صدق هذا الشاعر فإن الله الباعثة بالجهل على هذا الفضل هي

الارضى بالجهل ، ويكفيه ماضى به لنفسه نقهاً وهيباً وغبابة ومهانة .

واجب العلماء وأولى الأمر نحو المقلدين :

هو واجب على كل من له ولاية بأمر فيها بمحروف أو ينهى عن منكر أن

يجعل نهي المنكر الذي عليه هؤلاء عنوان كل نهي ينهى به عن منكره
فإنهم في الحقيقة إنما يطعنون على كتاب الله^(١) وسنة رسوله^(٢) بأن ما فيهما
من الشريعة قد صار منسوخاً ، ويطعنون على علماء الدين من السلف الصالح ،
ومن مشى على هديهم القويم ، ويدعون بالرأى الذي هو ضد للشريعة ، ما
شرعه الله لعباده ، وهم بهذه المنزلة من الجمل البسيط أو المركب .

فهل سمعت أذنك ينكر مثل هذا المنكر ، وبلية في الدين مثل هذه البلية
ورزية في الملة الإسلامية مثل هذه الرزية ؟ فإن النيل من^(٣) هرضى فرد من
أفراد المسلمين عنكر لا يخالف فيه مسلم إذا كان على طريق النجاسة أو^(٤)
البهتان ، أو على طريق الشتم مواجهة ، ومكالفة .

فكيف بمن جاء بما هو من^(٥) أعظم البهتان ، وأقبح الشتمية للشريعة
الحمدية ، والدين الإسلامي ، ولعلماء المسلمين سابقهم ولا حقهم ١١ . فيا لله
وللمسلمين بالله وللمسلمين ، بالله وللمسلمين ١١ ؟

فإن هؤلاء لما رأوا كثيراً من العلماء يداهونهم ويدارونهم اتقاء أشمرهم
مازادهم ذلك إلا شراً ، [ولا]^(٦) أثر فيهم إلا تجرماً على ما هم فيه .
ولو تكلم أهل العلم بما يجب عليهم من نهر الشريعة والذب عن أهله

(١) في (ب) (تعالى) بعد لفظ الجلالة .

(٢) في (ب) يوجد (صلى الله عليه) بعد رسوله .

(٣) في (ب) (في) بدل (من) .

(٤) في (ب) (و) بدل (أو) لأن الحذرة قد أكلت الحمزة .

(٥) في (ب) سقطت (من) من الناسخ .

(٦) في (أ) (وإلا) بهمزة قبل (لا) وهو سهو .

بما يجب عليهم لكانوا أقل شراً وأحق ضرراً^(١) .

وأقل حال أن يعرفهم بأنهم من أهل الجبل [الذين]^(٢) لا يستحقون خطاباً ولا يستوجبون جواباً ، فإن في هذا كدّاً لبعض ما صاروا عليه من الظن بأنفسهم الباطل والخيال المختل لما يرونه من سكوت أهل العلم عنهم وأنهم هلى ما يسمعونهم ، ويمبالغهم عنهم .

وقد يتسبب عن هذه الإعانة لهم بالتعجيل ، والتضليل فائدة يندفع بها بعض تجرؤهم هلى كتاب الله وسنة رسوله ، وعلماؤهم ، فإن من الناس من يصلح بالمهوان ويفسد بالإكرام ، كما هو معلوم لكل من يعرف أحوال الناس واختلاف طبائعهم .

ولقد أحسن الشاعر حيث قال :

أكرم تميماً بالمهوان فإنهم إن أكرموا فسدوا هلى الاكرام
وكما قال الآخر :

أهن هامراً تكرم هليه فإنما أنو هار من مسه بهوان
ويلبغى لمن سمع أحدهم ينق فى التعاليل والتعزيم ، وينصب نفسه لما ليس من شأنه ، أن يقول له كما قال الشاعر :

تقولون هذا عندنا غير جائز ومن أنتم حتى يكون لكم هند ؟
وإن سمع أحداً منهم يتكلم فى غير ما يعلم هلى تقدير أن هله بطرف من الرأى يعد هلاماً كما فى اصطلاح العامة ، وإلا فهو ليس^(٣) . يعلم بالإجماع كما قدمنا

(١) فى (ب) (أحق ضرراً ، وأقل شراً) .

(٢) فى (أ) سها المؤلف وكتب (الذى) بدل (الذين) .

(٣) فى (ب) (وإلا فليس هو الخ) .

قل ذلك ، فليتل عليه قول الله سبحانه (ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم ، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) وليتل عليه قوله عز وجل ^(١) : (لا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . مناع قليل ولهم عذاب أليم) ^(٢) . وقوله عز وجل : (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) ^(٣) . وقوله تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ^(٤) (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) ^(٥) (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) ^(٦) ويتلو عليه الآيات التي فيها الحكم بالحق وبالعدل وبما أرى الله ورسوله .

هــدى تـكـرـيـم الله سبحانه الأولياء :

«انرجع الآن إلى شرح الحديث الذي نحن بهدد شرحه .

قال الكرماني : « إن قوله (لى) ^(٧) فى من هادى لى وليا هو فى الأصل

(١) آل عمران آية : ٦٦ ، وقد سها المؤلف فنسى (هؤلاء) بعد أنتم وقد نسي الناسخ فى (ب) الآية بأكملها ، والنقد المآلة التالية .

(٢) النحل آية : ١١٦ ، ١١٧ .

(٣) الأعراف آية : ٣٣ .

(٤) المائدة آية : ٤٤ ، ٤٧ (٥) المائدة آية : ٤٥ .

(٦) فى (ب) (هذه) قبل الآيات . وهى زيادة من الناسخ لا داعى لها .

(٧) فى (ب) نسي الناسخ (لى) فاحدث اضطرابا فى فهم المعنى .

صفة لقوله ولياً لـمـكنه لما تقدم عليه صار حالاً انتهى^(١) .

أقول ولا يختلف المعنى بذلك لأن المعنى هل الوصف : من عادي^(٢) ولياً
كائناً لي وهو هل الحال كذلك لكن التقدم فيه فائدة جلية ، وهي الإشعار^(٣)
باختصاص الولي به لا بغيره ، كما هو معروف في كتب المعاني والبيان ، ثم
في نسبته الولي إلى نفسه أشريف له عظيم ورفع لشأنه بليغ .

قال ابن هبيرة : ويستفاد من هذا الحديث تقديم الإعذار على الإنذار «
قلت ووجهه أنه لما قدم معاداة من هو بهذه الصفة من الولاية لله فكأنه أعذر
إلى^(٤) كل سامع أن من هذا شأنه لا ينبغي أن يعادي بل هل كل من عرف
أن^(٥) هذه صفته ، أن يواليه ويحببه ، فإذا لم يفعل فقد أهذر الله إليه ، ونهيه
هل أن من عادي يستحق العقوبة البالغة هل عداوته فقال منذراً له : فقد
« آذنته بالحرب » هل ما صنع مع ولي .

ووقع في حديث عائشة عند أحمد في الزهد ، وابن أبي الدنيا وأبي نعيم
في الحلية والبيهقي في الزهد بالفظ : « من أذل لي ولياً » وفي أخرى منه من
آذى ، وفي إسناده هبيرة الواحد بن^(٦) ميمون عن هروة ، وهو منكر
الحديث لكن ، أخرجه الطبراني من طريق يعقوب^(٧) [هن] ^(٨) مجاهد

(١) فتح الباري ص ٢٩٣ .

(٢) في (ب) زاد الناسخ من عنده (ل) بعد من عادي وليست لازمة ولا من
مراد المؤلف .

(٣) في (ب) إشعار اختصاص .

(٤) في (ب) (نسى الناسخ « كل سامع إلى بل على كل من عرفه الخ ») .

(٥) في (ب) زيادة (من) بين (أن وهذه) . وهو سهو .

(٦) في (أ) (يعقوب بن مجاهد) .

هن (١) هروء (٠٠) قوله : « فقد آذنته » بالمد (٢) وفتح المعجمة بعد (٣) نون
أى أهله .

وقال فى الصحاح : « وآذنتك بالشئ » أهله . والآذن الحاجب . قال
الشاعر : تبدل بإذنك للرتضى .

وقد آذن وتأذن بمعنى كما يقال أيقن وتيقن ، وتقول تأذن الأمير فى
الناس أى نادى فيهم يكون فى التهديد ، والنهى أى تقدم وأعلم . وقوله
تعالى : (وإذ تأذن ربك) (٤) أى أهلك ، انتهى .

فعرفت بهذا أن فى قوله : فقد آذنته معنى التهديد لمن عادى الولي والنهى
له من أن يقدم على معاداته لأنه قد (٥) تقدم إليه بأن لا يعاديه وأنه وليه وأهله
بذلك وأما المتصور فيجب معنى علم ومنه قوله تعالى : (فأذنوا بحرب من
الله ورسوله) (٦) : أى أهلكوا ، وبمعنى الاستماع يقال أذن له (٧) إذا استمع
منه . قال الشاعر :

-
- (١) فى (أ) تكررت (عن) وهو سهو من المؤلف .
(٢) فى (ب) (والفتح للمعجمة)
(٣) فى (ب) (بعدها) بزيادة (هـ) .

الأعلام

- (*) سنأتى ترجمتهما أول الفصل الثالث .
(*) عروة بن الزبير بن العوام وأمه أسماء بنت أبى بكر الصديق من رجال
السند المشهورين فى تحمل الحديث وروايته ، توفى سنة ٩٤ هـ . صفوة الصفوة
ج ٢ ص ٤٩

- (٤) سورة الأعراف آية : ١٦٧ ، سورة إبراهيم آية : ٧
(٥) فى (ب) (فقد تقدم)
(٦) سورة البقرة آية : ٢٧٩
(٧) فى (ب) ، (ب)

إن يسمعوا ربة طاريا بها فرحاً عني وما سمعوا من صالح دفنوا
صم إذا سمعوا خيراً ذكرت^(١) به وإن ذكرت بشر هتدم أذنوا
ومنه ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن أي استمع ، والأذان
الإلهام ، ومنه الأذان للصلاة .

قوله : « بالحرب » : في رواية الكشميني^(١) : « فقد أذنته بحرب » وفي
حديث معاذ عند ابن ماجه^(*) ، وأبي نعيم في الحلية بلفظ : « فقد بارز الله
بالحاربة » وفي حديث أبي أمامة عند الطبراني^(**) ، والبيهقي^(***) في الزهد
بسند ضعيف بلفظ : « فقد بارزني بالحاربة » . ومثله لفظ حديث أنس عند
أبي يعلى والبخاري^(****) والطبراني ، وفي سننه ضعف . وفي حديث
ميمونة^(*****) بلفظ « فقد استحل محاربي^(٢) » . وفي رواية وهب^(٠٠٠٠٠)
بن منبه بلفظ : « من أهان ولي المؤمن فقد استقبلني بالحاربة » .

قال ابن حجر في الفتح « وقد استشكل وقوع الحاربة ، وهي مفاعلة من
الجاندين مع كون المخلوق في أسر الخالق .
والجواب : بأنه من المخاطبة بما يفهم . فإز الحرب تنشأ عن العداوة ،

(١) في (ب) (وصفت) .

الاعلام

(*) في (ب) الكشميني والصواب (الكشميني) بضم الكاف وسكون اللين ،
وكسر الميم ، وسكون الياء تحتها نقطتان ، آخرها نون نسبة إلى قرية من قرى
(مرو) القديمة ، وقد خربت : (أبو الهيثم) محمد بن مسكن بن زراع ، بن
هارون بن زراع ، الأديب ، اشتهر بروايته صحيح البخاري عن الفربري ،
وتوفي سنة ٣٨٩ هـ . (الباب) لابن الأثير ج ٣ ص ١٣٠ .

(٢) في (ب) (محارمي) .

والعداوة تلشأهن المخالفة . وغاية الحرب الهلاك ، والله عز وجل لا يقبله
غالب فكلان للنفى قد تعرض لإهلاك إياه فأطلق الحرب وأريد لازمه ،
أى أعمل به ما يعمل العدو لمحارب^(١) انتهى .

قلت : فقد جعل ذلك من السكناية : وهى لفظ أريد به لارم عناه مع جواز
إرادته كما حققه أهل علم البيان .

الأعلام

(*) هو أبو عبد الله محمد بن يزيد بن عبد الله بن ماجه القزوينى . ولى ربيعة
أحد الأعلام المشاهير ، ألف سننه المشهورة ، وهى إحدى السنن الأربعة ، وإحدى
الأمهات الست (٢٠٩ - ٢٧٣ أو ٢٧٥ هـ)

(*) سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي . من كبار الحديثين أصله من
طبرية الشام ولد بمكة سنة ٣٦٠ هـ وتوفى سنة ٤٣٦ هـ بأصبهان . له ثلاثة معاجم
فى الحديث ، الأعلام ج ٣ ص ٩٨١ .

(*) هو الإمام أبو بكر أحمد بن الحسن الشافعى الحافظ . له لسنن الكبرى
والصغرى وكتاب (الأسماء والصفات) والزهد ، توفى سنة ٤٥٨ هـ . شذرات الذهب
ج ٢ ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

(*) هو أحمد بن عمرو بن عبد الخالق أبو بكر البزار ، حافظ من العلماء
بالحديث له مسندان أحدهما كبير (وسماه البحر الزاخر) ، والثانى صغير . توفى
سنة ٢٩٢ هـ . الأعلام ج ١ ص ١٨٢ .

(*) هى ميمونة بنت الحارث المملاية ، إحدى زوجات الرسول ﷺ

(*) فى (ب) (ابن منبه دون (وهب) . وهو الحافظ أبو عبد الله الضعائى ،
ولد بصفا سنة ٣٤٤ هـ . ونشأ بها قال عنه صاحب الكواكب الدرية : عالم أهل
اليمن جد واجتهد غالب أخذه عن ابن عباس من أكابر الزهاد والعباد . كان
جده أحد الأكاسرة . مات بصفا سنة ١١٤ هـ . الكواكب الدرية ص ١٨١ .

(١) ٢٩٤ فتح البارى .

ويمكن أن يقال إن المفاصلة قد تطلق ولا يراد بها وقوعها من الجهتين كما في كثير من الاصطلاحات العربية ، فيكون المراد بالمحاربة هنا الحرب من الله عز وجل كما يدل عليه لفظ فقد آذنته بالحرب .

ويمكن أن يجعل العبد لما كان معانداً لله عز وجل بعداوة أوليائه بمنزلة من أقام نفسه مقام المحارب لله سبحانه ، وإن كان في أسر وتحت حكمه باعتباره الحقيقة ، وأنه أحقر وأقل من أن يحارب ربه لسكرتها خيلت له نفسه الأمانة بالسوء هذا الظلال الباطل ، فعادى من أراه الله بوالائه ومحبيه مع الله بأن ذلك مما يسخط الرب ويوجب حلول العقوبة عليه وإبقاعه في المهالك التي لا ينجو منها .

قال الفاكهاني « في هذا الحديث تهديد شديد لأن من حاربه الله تعالى ^(١) أهلكه وهو من الجاز البليغ لأن من كره من ^(٢) أحبه الله تعالى خالف الله سبحانه ومن خالف الله عز وجل عانده ، ومن عانده أهلكه وإذا ثبت هذا في جانب المعادة ثبت في جانب الموالاة .

فن والى أوليائه الله عز وجل أكره الله هر وجل ^(٣) انتهى .

قلت : لا يقتضي هذا الجاز بهذه الوسائط ، والانتقالات ، فإن مجرد وقوع الحرب من الرب للعبد ، إهلاكه بأبلغ أنواع الإهلاك وانتقام منه بأكمل أنواع الانتقام فلحديث خارج هذا المخرج

ومثله في وهيد أهل الربا : (فأذنوا بحرب من الله ورسوله) ^(٤) .

(١) في (ب) سقطت (تعالى) .

(٢) في (ب) (ما أحبه) .

(٣) ٢٩٤ فتح الباري مع عدم وجود كلمات : « عز وجل » المسكررة في نقل

الشوكاني .

(٤) سورة البقرة آية : ٢٧٩ .

قال الطوفي (*) : « لما كان ولي الله سبحانه من (١) تولى الله سبحانه بالطاعة
والنقوى تولاها الله تعالى بالحفظ والنفرة ، وقد أجرى الله تعالى (٢) السادة
بأن هدو العدو صديق ، وصديق العدو عدو ، فهدو ولي الله تعالى هدو الله
سبحانه فن هادئ كان كمن حاربه ، ومن حاربه فكأنما حارب الله
تبارك وتعالى » (٣) .

قلت : وهذا هو مثل كلامنا المتقدم في توجيه المفاعلة .

(١) في فتح الباري (من) فقط .

(٢) في (ب) (سبحانه) بدل (تعالى) .

(٣) في فتح الباري دون بعض الزيادات التي هنا مثل تكرير كلمة (سبحانه)
بعد لفظ الجلالة ، وكلمة « تبارك وتعالى » .

الاعمال

(*) (٦٥٧ - ٧١٦ هـ) سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي

المصري فقيه حنبلي من العلماء له مختصر (الجامع الصحيح) للترمذي الإكسر
في قواعد التفسير : الأعلام ج ٣ ص ١٨٩ :

الفصل الثاني

الطريق إلى ولاية الله

(د) أداء الفرائض :

قوله : « ما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه » . لفظ التقرب المنسوب إلى الله من عبده يفيد أنه وقع ذلك على جهة الإخلاص . لأن من لم يخلص العبادة لله سبحانه لا يصدق عليه معنى التقرب . وهكذا من فعل العبادة المفترضة بخوف^(١) المقبولة فإنه لم يكن متقرباً على الوجه الأتم .

قال ابن حجر في الفتح : « ويدخل تحت هذا اللفظ جميع فرائض العباد والكفاية وظاهره [الإختصاص]^(٢) بما ابتداء الله تعالى فريضته ، وفي دخول ما أوجبه المكلف على نفسه نظر ، للتقيد بقوله : افترضت عليه إلا إن أخذ من جهة المعنى^(٣) الأعم^(٤) ، انتهى .

قلت : إن كان ما أوجبه العبد على نفسه مما أوجب الله عليه الوفاء به ، فهذا الإيجاب هو من فرائض الله سبحانه ، وحكمه حكم ما أوجبه الله ابتداء على عباده . بل هو فرد من أفرادها لا يحتاج إلى إدراجه تحت معنى أهم قال : « ويستفاد منه أن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله تعالى »^(٥) . انتهى . قلت . وجه ذلك أن النكرة وقعت في سياق النفي فهم كل ما يصدق عليه معنى الشيء فلا يبقى شيء من القرب إلا وهو داخل في هذا العموم ، لأن كل قرية كائنة ما كانت يقال لها شيء سواء كانت من الأنفال أو الأقوال أو

(١) في (ب) (خوف) .

(٢) في (أ) (الإخلاص) ولا نستقيم في هذا السياق .

(٣) ص ٢٩٤ مع زيادة كلمة الأعم هناك .

(٤) في (ب) سقطت الأعم من النسخ .

(٥) نفس الصفة .

مضمرات القلوب ، أو المخطوطات الواردة على العبد أو للقروء للمعاصي التي هي ضد لفعلها :

قال الطوفي : « الأمر بالفرائض جازم ، ويقع بتركها المماثلة بخلاف النقل في الأمرين وإن اشترك مع الفرائض في تحصيل الثواب فكانت الفرائض أكمل ، فلذا كانت أحب إلى الله ^(١) وأشد تقرباً .

فالفرض كالأصل والأمر ، والنفل كالفرع والبناء ، وفي الإتيان بالفرائض على الوجه للأمر به امتثال الأمر واحترامه وتعظيمه بالانقياد إليه وإظهار عظمة الربوبية وذل العبودية فكان التقرب بذلك أعظم العمل

والذي يؤدي الفرض قد يفعله خوفاً من العقوبة ، ومؤدى النفل لا يفعله إلا إيثاراً للخدمة فيجازى بالحببة التي هي غاية مطلوب من يتقرب بخدمة ^(٢) انتهى

قلت : إذا كان أداء الفرائض أعظم العمل لتمام العمل التي ذكرها من امتثال الأمر واحترامه وتعظيمه ، وإظهار عظمة الربوبية وذل العبودية كان ثوابها أكثر ، والجزاء عليها أعظم ، ولا يخالفه ما ذكره من أن العبد لا يفعل النفل إلا إيثاراً للخدمة وأنه يجازى بالحببة فذلك سببه وقوع التقرب منه بما لم يوجبه الله عليه ، وإن كان للثواب عليه دون ثواب الفرائض ، وسيأتي لهذا مزيد تحقيق عند الكلام على قوله أحبته

(١) في (ب) (سبحانه) بعد لفظ الجملة .

(٢) فتخ البارى مع زيادات طفيفة في نقل الشوكاني .

١ — من أداء الفرائض ترك المعاصي :

واعلم أن من أعظم فرائض الله سبحانه ترك معاصيه التي هي حدوده التي من تمسكها كان عليه من التوبة ما ذكره الله سبحانه في كتابه العزيز . ولا خلاف أن الله^(١) افترض على العباد ترك كل معصية كائنة ما كانت ، فكان ترك المعاصي من هذه الطهنية داخل تحت عموم قوله : « وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه » . بل دخول فرائض الترك للمعاصي أولى من دخول فرائض الطاعات كما يدل عليه حديث « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فلا تقربوه » .

٢ — من المعاصي إبطال الفرائض بالحيل :

واعلم أن من أعظم البدع الحادثة في الإسلام ما فتح بابه أهل الرأي للعباد من الحيل^(٢) التي زحلتوا بها كثيرًا من فرائض الله سبحانه فأخرجوها عن كونها فريضة ، وكان الله لم يفرضها على عباده ، وحلوا بها كثيرًا من معاصي الله التي نهى عباده عنها وتوهدهم على مقارفتها والوقوع في شيء منها .

ومن تأمل أكثر ما ورد من الشارح من الأقوال وجد غالبه في المستحدين لما حرمه الله ، والمستطين لفرائضه بالحيل . كقوله صلى الله عليه وآله سلم :

(١) في (ب) (سبحانه) بعد لفظ الجلالة .

(٢) تكلم الإمام الشوكاني في بدعة (الحيل) هنا ، لبيان قيمة الفرض وأهميته ، وأنه من الواجب أدائه على وجهه دون تهرب منه ، وأن التحيل عليه يعتبر إسقاطًا له . فاصحاب الحيل ليسوا مؤدين للفرض ، فليسوا من العلماء العاملين ولا من الأولياء . وبذلك يلحقون بالمتحيلين من التكليف والمستطين لها ، من غلاة الصوفية ، وأصحاب المذاهب الباطنية من غلاة الشيعة على ما سيأتي في الصفحات القادمة . وينظر (ضلال المدعين لرفع التكليف) في الفصل الرابع .

« لمن الله المحلل والحلل له » ، « لعن الله اليهود حرمت عليهم الشجر فجمعوها وباهوها وأكلوا أثمارها » . « لعن الله الراش والمرثى » ، « لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده » . « ولعن عاصر الخمر ومعتصرها ولعن الواصلة والمستوصلة والواشدة والمستوشدة » .

ومسخ الله الذين استحلوا محارمه بالحيل قردة وخنازير . و « ذم أهل الخداع والمكر » وأخير أن المنافقين يخادعون وهو يخادهم . وأخير عنهم بمخالفة ظواهرهم لبواطنهم ، وصراهم لملائيتهم .

وثبت هن ابن عباس أنه جاءه ^(١) رجل فقال : إن عبي طلق امرأته ثلاثاً أئحلمها له رجل ، فقال : من يخادع الله يخدعه : وصح هن ابن عباس وأنس أنهما مثلاً من الغيبة فقالا إن الله لا يخدع .

وقد طاق الله المتحيلين على المساكين وقت [الجذاذ] ^(٢) بإهلاك ثمارهم حتى أصبحت كالصريم : وصح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (البيمان باطيار حتى يتفرقا إلا أن تكون صفقة خيار ، ولا يحل له أن يفارقه خشية أن يستقبله) . وصح عنه صلى الله عليه وآله وسلم النهي لمن عليه الزكاة أن يجمع بين متفرق ، أو يفرق بين مجتمع خشية الصدقة .

والأدلة في منع الحيل وإبطالها كثيرة جداً . ومجرد تسميتها حيلة يؤذن بدفعها وإبطالها فإن التحيل على عمومه قبيح شرهاً وهقلاً . وهذا للتحيل لإسقاط فرض من فرائض الله أو تحليل ما حرمه الله سبحانه هو ناصب لنفسه في مداخلة ما شرعه الله سبحانه لعباده ، يريد لأن يجعل ما حرمه الله حلالاً ،

(١) في (ب) (أن رجلاً جاءه) .

(٢) في (ب) (الجذاذ) نالدين . ومعناها الجنى وقطع الثمار . وفي (أ) كتبها المؤلف قابلة للنطقين هكذا (الجذاذ) .

وما أحله حراماً. فهو من هذه الحثية مما ند الله بخادم لعباده، مندرج تحت عموم قوله سبحانه : (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون^(١) إلا أنفسهم وما يشعرون)^(٢). وقوله : (يخادعون الله وهو خادهم)^(٣). وقوله : (وسكروا ومكر الله والله خير الماكرين)^(٤).

وعلم لكل عاقل أن الشريعة قد كملت وانقطع الوحي بموته صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يبق لأحد من عباد الله حال في تشريع غير ما شرعه الله ولا رفع شيء مما قد شرعه الله سبحانه .

وكل العباد متجهون بهذه الشريعة لم يجعل الله سبحانه لأحد منهم أن يجعل شيئاً مما حرم فيها ، ولا يحرم شيئاً مما^(٥) حل فيها فن جاء إلى عباد الله ، وقال قد لقني الشيطان أن أحل لكم الحرام الفلاني أو أحرم عليكم الحلال الفلاني ، أو أصط عنكم واجب كذا ، فهذا مما يفهم كل عاقل أنه أراد تبديل الشريعة المطهرة ومخالفة ما فيها . فحق على كل مسلم أن يأخذ على يده ويمسك بينه وبين ما أراد ارتكابه من المخالفة لدين الإسلام ، والمخالفة لما قد ثبت في كتاب الله أو في سنة رسوله . فهذا بمجرد عقله وجه كل احتمال ، ورغم أن كل متجرب على دين الله بإسقاط ما هو واجب فيه أو تحليل ما هو من محرراته .

(١) في (ب) و (أ) : وما يخادعون : وهو سب من المؤلف والتامع .

(٢) سورة البقرة آية : ٩ (٣) سورة النساء آية : ١٤٧ .

(٤) سورة آل عمران آية : ٥٤ (٥) في (ب) (أحل) .

(أ) إبطال حجج القائلين بالحيل :

وأما تمسك أهل الرأي القائلين على الإسلام وأهله بثل قوله^(١) سبحانه
لنبيه أيوب عليه السلام : (بخد بيدك ضغثا فاضرب به ولا تمنث)^(٢) وأنه
سبحانه أذن له أن يتحمل من عيته بالضرب بالضغث وبمثل ما أخبر الله سبحانه
عن نبيه يوسف عليه السلام أنه جعل صوته في رجل أخيه ليتوصل بذلك إلى
أخذه من أغواته وأخبر سبحانه أنه فعل ذلك برضاه وإذنه ، كما قال : (كذلك
كندنا يوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله)^(٣) . وبمثل
ما صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم : « أنه استعمل رجلا على خير فجاءهم
بتمر جنيب فقال صلى الله عليه وآله وسلم : أكل تمر خير هكذا ؟ قال :
إنا لناخذ الصاع من هذا بالصاهين ، والصاهين بالثلاثة . فقال : لا تقل ، بع
الجميع بالدرهم ثم ابتع بالدرهم جنيباً^(٤) » .

« وقد^(٥) لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم طائفة من المشركين . في نفر
من أصحابه فقال المشركون : من أنتم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم : من ماء فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا : أحياء اليمين كثير ، فلما هم
منهم وانصرفوا » .

وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « احملني » فقال :
ما هندي إلا لئلا لناقة فقال : ما أسمع بولد لناقة ؟ فقال النبي صلى الله عليه
وآله وسلم : رجل ولد الإبل - إلا النوق ؟ » .

فميجاب منه بأن ما ذكره من قصة أيوب خارج عما نحن بصدده ، فإن

(١) في (ب) (قول الله) (٢) سورة (ص) آية : ٤٤ .

(٣) سورة يوسف آية : ٧٦ .

(٤) في (ب) خبيثا ، بالخاء هو تصحيف والجنيب نوع جيد من أنواع الثمر .

(٥) في (ب) سقطت (قد) من من الناسخ .

أيوب نذر أن يضربها مائة عصى وقد ضربها كذلك بمائة عصى ، وأيضاً لو سلم أنه نذر أن يضربها بمائة عصى مفرقة ، أو مائة ضربة مفرقة فذلك الذي أخذ الله له به تخفيف هل المرأة رنسخ لما كان قد أوجبه^(١) على نفسه على تقدير أنه كان^(٢) يجب في شريعته الوفا بالنذر ، وأنه لما نذر أوجب الله فليحمله على نفسه ثم حنف عليه ونسخ ما كان قد أوجبه الله عليه بإيجابه على نفسه .

وما المانع من أن يوجب الله شيئاً ثم ينسخه وليس النزاع في مثل هذا فإن شريعتنا هذه فيها التناسخ والتدليس

وإنما النزاع في شريعة كملت وأخبرنا الله^(٣) بكملها فقال : (اليوم أكملت لكم دينكم)^(٤) ثم انقطع الوحي بموت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ثم جاء جماعة حولوا الشريعة وبدلوا فحلوا حرابها ، وأصفوها فرائضها بأكاذيب لم يأذن الله بها ، بل هي ضد لشريعته ودفع لها ورفع لأحكامها .

فأين قصة أيوب من صنيع هؤلاء المخنثة على الله وعلى رسوله وعلى الشريعة الإسلامية ، وعلى هبادة الله المسلمين ؟ .

وأى جامع يجمع بين هذا وبين قصة أيوب ؟ ثم هذه القصة الأيوبية هي من التحلل من الأيمان والظهور من المائمه ، فلو فرضنا أن لها دخلاً فيما قصده لكان ذلك خاصاً بما قبل خروج من المائمه والتمتع من الأيمان . وقد ثبت في شرعنا أن اليمين إذا كان غير ما خيراً منها كان الحنث أولى من البر كما صح

(١) (ب) زيادة الآتي (الله عليه بإيجابه) بعد أوجبه .

(٢) في (ب) (لا توجد دكان) .

(٣) (ب) (سبعا) بعد لفظ الجلالة .

(٤) سورة المائدة آية : ٣ .

عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من حلف على شيء فرأى غيره خيراً منه ، فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه » وصح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « والله لا أحلف على يمين ، فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير » وكفرت من يميني .

فقد ثبت في شرحنا أن الخالف على يمين غيره ما غيره منها يكفر من يمينه من غير حاجة إلى ضرب في مثل صورة يمين أيوب لا مفرقاً ولا مجموراً وقد ثبت أن امرأة أيوب كانت ضعيفة لا يتحمل ضمتها لوقوع مائة ضربة مفرقة .

ومثل هذا قد صوغت شريعتنا التذخيف فيه خروجاً عن المأثم ، ولا سيما إذا صرح ما روى أن مريضاً أقر بالزنا وكان ضعيفاً لا يتحمل الحد الشرعي فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن^(١) يضرب بشعراخ من النخل فيه مائة عسكول . فهذا ليس بحيلة بل شريعة ثابتة .

وليس النزاع إلا فيما فعله المعتصمون من زحلقه أحكام الشريعة بالأقوال للكاذبة المفتراة ، لا فيما قد^(٢) ثبت في الشريعة .

وبهذا يتقرر لك أن استدلالهم بقصة أيوب خارج عن محل النزاع ، مع أن هذه القصة هي أعظم ما هووا عليه وبنوا عليه المناظر التي ليست من الشريعة في قبيل ودلايل . بل هي ضد للشريعة ومضاد لها .

وأما قصة يوسف فالجواب عنها واضح لأنها واقعة وقعت في من أنبياء الله سبحانه ، صنعها الله سبحانه له خير أراد به الخير .

(١) في (ب) (أن يضرب) دون الباء .

(٢) في (ب) نسي الناصخ (قد) .

فإن كان مثل ذلك ممنوعاً في شريعتنا فقد نسخ ما كان في تلك الشريعة بما كان في شريعتنا^(١)، وشريعتنا هي الشريعة الناصخة للشرائع، ومعلوم أنه لا يؤخذ بما كان من الشرائع السابقة إلا ما قرره شريعتنا منها لا ما خالفته وأبطلته، فما لنا وللتناقض بشريعة منسوخة ١٢ .

وإن كان مثل ذلك جائزاً في شريعتنا فليس النزاع فيها هو جائز فيها . بل النزاع في جعل المعتقلين ودينس المدانين المصلين لأحكام الشريعة من عند أنفسهم المقتضين لفرائض الله سبحانه بأرائهم القابلة وتبليساتهم الباطلة

(ب) الحلية والشريعة :

والحاصل أن كل ما ثبت في الشريعة من تخفيف أو خروج من دائر فذهب نقول هو شريعة بيضاء نقية ، فمن زعم أنه حيلة فقد افترى على الله وعلى رسوله وعلى كتاب الله^(٢) وعلى سنة رسوله الكتيب المصراح والباطل الجواب . فإن هذا من صنع هؤلاء الماندين لله ولرسوله المخالفين للكتاب والسنة الدافعين لما هو ثابت فيها بعد كمالها وتامها وموت نبيها وانقطاع الوحى ، إنما ١٢ بالله المصعب من هؤلاء الذين فجروا أولاً على عناد الشريعة ومخالفتها ١١ . ونائباً الاستدلال بما شرعه الله لعباده ، أو كان في شريعة نبي من الأنبياء قد رقت شريعتنا حكمه ونسخه وأبطلته ١١ .

وهكذا يجاب عنهم في حديث الترمذي وبيع الجميع بالكرام « شراء الطيبين بها . فإن ذلك شريعة واضحة وسطى قائمة منضمة لبيع الثمن بتيممه التي يقع

(١) في (ب) سقط من النامخ الآتي : (فقد نسخ ما كان في تلك الشريعة بما كان في شريعتنا) .
(٢) في (ب) (كتابه) .

للفراض عليها ، فكان ذلك مما أذن الله سبحانه به بقوله تعالى : (تجارة من تراضى)^(١) ويقول رسوله^(٢) صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يجل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفسه » . وليس مما نهى الله عنه بقوله سبحانه : (لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل)^(٣) ، ويقول رسوله^(٤) صلى الله عليه وسلم^(٥) : « إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام » .

(أ) الحيلة من الإضافات للشريعة المبطلات لفرائضها :

وليس للنزاع إلا في صنع المحتالين المخالفين للشريعة المزلزلين لأحكامها المستبدلين بها غيرها بمد كل ما وانقطع الوحي منها وموت نبيها صلى الله عليه وآله وسلم

فأنتم أيها المحتالون إذا عملتم بهذا الحكم لثابت في المنة فليس ذلك من العمل بالحيلة في شيء ، بل من العمل بالشريعة الإسلامية ، ولا اطلب منكم إلا العمل بها والتبوث على ما فيها ، وترك تحليل حرامها وإبطال فرائضها . فاشدد يدك على ما ذكرناه ها هنا من الجواب على المحتالين فإنك إن جاريتم به أقمتم حجراً وقطعتهم قطعاً لا يجدون عنه مغيصاً .

وقد أجاب عنهم أهل العلم بجوابات لم نرتضاها وتركنا ذكر شيء منها لاستعمالها للمعارضة والمناقضة وفتح باب المقال للمحتالين .

(د) المعارض من الشريعة :

وأما ما ذكره من قوله صلى الله عليه وآله وسلم إن حالمهم : من هم ؟ فقال

(١) سورة النساء آية : ٢٩ (٢) في (ب) (رسول الله) .

(٣) في (ب) (صلى الله عليه وآله وسلم) .

صلى الله عليه وآله وسلم : « من ماء » ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم :
 « أحلك على وجه الناقة » فليس في هذا من الآية الحرة شيء ، بل هو من
 باب الشاربي في الكلام . وقد ثبت الإذن بها في هذه التشريعية كما دلت عليه
 صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله يخلق من الماء بشرًا » إذا أراد غزوة يورى فيها « مع كون
 قوله صلى الله عليه وآله وسلم » (١) من ماء » كلام صحيح صادق فإنه
 قصد صلى الله عليه وآله وسلم ما ذكره الله سبحانه من قوله سبحانه :
 (وهو الذي خلق من الماء بشرًا) (٢) ونحوها من الآيات . وكذلك ما روى صلى الله
 عليه وآله وسلم من قوله : « لا تدخل الجنة عجوز » : وكذلك ما روى
 عن أبي بكر رضي الله عنه في حديث الهجرة أنه كان إذا سئل عن
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هو ؟ قال : « هذا بهديي
 السبيل » .

[فلهما رضى] (٣) باب آخر ليدت من التحيل في شيء : لسكن هؤلاء قد
 صاروا مثل الغريق بكل حبل يلتوى .

فيا عشر الختالين على الله وعلى كتابه وعلى رسوله وعلى سنته وعلى للسلمين
 دعوا كل قول هذه قول محمد فما آمن في دينه كخاطر
 فدع خلفك بها صبح في حبهاته وهات حديثاً ما حديث الرواسل
 يقولون أفولا ولا يعرفونها بلو قيل هانوا حققوا لم يهتقوا

(١) في (ب) (وسلم دون آله) .

(٢) سورة الفرقان آية : ٥٤ .

(٣) في (أ) المعارض (وهو سهو من المؤلف) .

(هـ) من الحيل المكفرة والمنافية للدين :

إذا هرفت هذا فاعلم أن من هذه الحيل الشيطانية ما يستلزم كفر بالله وكفر من أفتاءه ، وذلك كمن يفتي المرأة بأن تزني عن الإسلام لأجل تبييت من زوجها .

وكمن يفتي الحاج إذا غاف الفوت وخشى وجوب القضاء عليه من قابل أن يكفر بالله ويرتد عن الإسلام ، فإذا حاد إلى الإسلام لم يلزمه القضاء فسمع وأهجب من جهة أوجب كفر أهلها وكفر من أفتاه بها فكانت عمرة هذه الحيلة الملعونة هي خروج رجلين مسلمين من الإسلام إلى الكفر . فهل شيء من الشر^(١) يعدل هذا الشر ؟ وهل نوع من معاصي الله يعدل الكفر بالله والخروج عن دين الإسلام ؟

وهذا انتهى وإن كان قد نلتم نفسه ابتداءً وخروج من الإسلام إلى الكفر فعلى نفسه براثن تبلى . ولكن الشاق في ظلمه لهه المسكين وهذا المسكين الذين استغياهم من الشريعة الإسلامية فأخرجوها منها بأذى بهد .

ومن جهة الحيل الملعونة ما قالوه في إسقاط القصاص الشرعي أنه إذا جرح رجلاً فخس أن يموت من الجرح فإنه يدفع إليه دواء يسحوماً يموت به فيسقط عنه القصاص .

وبما قالوه في إسقاط حد السرقة أن السارق يقول هذه المسكين ومساكنه دارى وهذا صديق .

ومن هذه الحيل الملعونة أنه إذا اختصب شيئاً فادماه المنسوب إليه

(١) في (ب) (من الشريعة) وهو خطأ .

فأنكره فطلب تحليفه قالوا : إنه يقر به لولده الصغير ، فيسقط عند اليمن ويفوز بالنصوب .

وقالوا : إذا أراد إخراج زوجته من المهرات في مرضه أقر بأنه قد طلقها ثلاثاً .

وقالوا : إذا كان في يده نصاب فباعه أو وهبه قبل الحول ثم استرده سقطت عنه الزكاة . بل قالوا : إذا كان عنده نصاب من الذهب والفضة وأراد إسقاط زكاته في جميع عمره ، فالحيلة أن يدفعها إلى محال مثله في آخر الحول ، ويأخذ منه نظيره فيستأنف الحول ، ثم إذا كان آخر الحول فعلا كذلك فلا تجب عليهما زكاة ما عاشا . وهكذا إذا كان له عروض للتجارة قالوا : ينوى آخر الحول أنها للفقنية ثم ينقض هذه النية بعد صاعه ، فلا تجب عليه زكاة ما عاش .

وهكذا قالوا إذا أراد أن يجامع في نهار رمضان يتدهى بالأكل والشرب ثم يجامع بعد ذلك ، فلا يجب عليه الكفارة . بل قالوا إنه إذا نوى قبل الجماع قطع للصوم لم يجب عليه الكفارة .

وهكذا قالوا إذا كان له نصاب من السائمة فأراد إسقاط زكاتها ، فالحيلة في ذلك أن يعافها يوماً واحداً ثم تعود إلى السوم .

وكم نهد من هذه الحيل للطافونية لهؤلاء الشياطين فإنها في الغالب في كل باب من أبواب الشريعة .

ومن لم يعرف أنها حيل باطلة معاندة للشريعة لا يجوز التعلق بشيء منها ، ولا يتحلل فاعلمها مما هو عليه فهو بهيمة ليس من هذا النوع الإنساني ولا يستحق أن يخاطب خطاب العقلاء فضلاً عن خطاب المشركين .

ويجب على كل مسلم أن يعاقب فاضل هذه الخيل^(١) الملعونة بما يليق به من العقوبة حتى يرجع عن فعله ، ويلزم بما^(٢) يلزمه شرعا ، ويتوب إلى الله سبحانه من الذنب الذي أوقعه فيه الحق^(٣) .

وأما المفتي له فينبغي إغلاظ العقوبة له حتى يعترف ، أولا بمطلان ما خيله له للشيطان ، وأوقعه فيه من أن تلاء الحيلة المماندة لدين الإسلام ليس لها وجه صحة أو شائبة من^(٤) قبول ، ثم يتوب إلى الله من أن يعود إلى شيء من تلاء للفتاوى الملعونة ، فإن فعل ذلك ، وإلا فأقل الأحوال تطويل حبسه حتى تصح توبته ، وإشهاره في الناس بأذنه مما نذر لأشربة فيما قد فعله وتحذير الناس من قبول ما يدلهم به من الغرور ويوقعهم فيه من الباطل .

(ب) « التقرب بالنوافل » :

قوله : « وما زال هبدي يتقرب إلى بالنوافل » « في رواية الكشميني^(٥) » وما يزال « بصيغة المضارع »^(٦) . ووقع في حديث أبي أمامة « يتعجب إلى » بدل يتقرب . وكذا حديث ميمونة .

والقرب التفضل وهو طلب القرب . والنوافل هي ما عدا الفرائض التي افترضها الله سبحانه على عباده من جميع أجناس الطاعات من صلاة وصيام وحج وصدقة وأذكار ، وكل ما ندى الله سبحانه إليه ورغب فيه من خير حتم واقتراض .

(١) في (ب) (الحيلة) . (٢) في (ب) (ما يلزمه) .
(٣) في (ب) (المفتي) . (٤) في (ب) (نسي الناسخ (من) .
(٥) في (ب) (الكشميني بتأخير الياء : (نحتها نقطتان) عن الماء ، وهو خطأ كما تقدم .
(٦) في فتح الباري (المضارعة) .

وختلف النوافل باختلاف نواجاها فالكثير نوابه أكثر كان فعله أفضل .
وختلف أيضاً باختلاف ما ورد فيه الترغيب فيها : فبعضها قد وقع الترغيب
فيه ترغيباً مؤكداً . وقد يلزمه صلى الله عليه وآله وسلم مع الترغيب للناس
في فعله .

١ — من نوافل الصلاة :

ومن نوافل الصلاة المرغوب فيها المؤكد في اجتماعها روايتان اثنا عشر
وهي كما في الصحيحين وغيرهما من حديث عبد الله (٠) بن عمر قال : « حفظت
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ركعتين قبل الظهر وركعتين بعده للظهر
وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل الفداة » .

وأخرجه الترمذي وصححه من حديث هائلة (٠٠) . وأخرجه أحمد ومسلم
وأبو داود بمعناه ، اسكن زادوا : « قبل الظهر أربعاً » .

وأخرج مسلم وأهل السنن من حديث أم حبيبة (٠٠٠) بنت أبي سفيان عن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من صلى في يوم وليلة اثني عشرة سجدة
سوى المكتوبة بنى له بيت في الجنة » . زاد الترمذي : « أربعاً قبل الظهر

الأعلام

(٩) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب ، أسلم مع أبيه بمكة قبل سن البلوغ ،
كان من أعبد الناس ومن أروعهم ومن علماء الصحابة ، وعن نافع أنه مات بمكة
سنة ٧٤ أو ٧٣ هـ .

(١٠) أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) والزوجة
الثانية لرسول الله ﷺ بعد السيدة خديجة (رضي الله عنها) توفيت سنة ٥٧ هـ
أو ٥٨ (صفوة الصفوة ج ٢) .

(١١) اسمها رملة بنت أبي سفيان بن حرب أم المؤمنين إحدى زوجات
الرسول ﷺ توفيت سنة ٤٤ في خلافة معاوية (رضي الله عنه) المصدر السابق .

وركتين بعدها وركتين بعد المغرب « وزاد للنسائي : « ركتين قبل العصر ولم يذكر ركتين بعد المشاء » .

وأخرج أحمد وأهل السنن من حديثها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من صلى أربع ركعات قبل الظهر وأربعاً بعدها حرمه الله على النار » وصححه الترمذي ، ولكنه من رواية مكحول (١٠) عن هبيرة (١٠٠) بن أبي سفيان عن أم حبيبة ولم يسمع مكحول من هبيرة ، وفي إسناده الترمذي هبة الرحمن بن القاسم بن هبة الرحمن صاحب أبي أمامة ، وقد اختلف فيه فمنهم من يضعف روايته ، ومنهم من يوثقه . ووجه تصحيح الترمذي له أنه قد تابع مكحولا (الشمي) (١) وهو ثقة وقد صحح هذا الحديث أيضاً ابن حبان . وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (رحم الله أمراً صلى قبل العصر أربعاً) حسنه الترمذي ، وصححه ابن حبان (١٠٠) وابن حزيمة (١٠٠٠) ، وفي

(١) في (أ) (الشمي) وهو سهو من المؤلف .

الأعلام

(٥) مكحول بن أبي مسلم شهراب بن شاذل أبو عبد الله الهذلي بالولاء ، فقيه الشام في عصره ، من حفاظ الحديث توفي توفي سنة ١١٢ هـ . الأعلام ج ٨ ص ٢١٢ (٥٥) عنبسة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية أمير ، وكان أخوه معاوية يوليه . توفي بالطائف سنة ٥٠ هـ الأعلام ج ٥ ص ٢٦٩ .

(١٠٠) أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي . كان إماماً فاضلاً ، سافر الكثير في طلب الحديث ، وتصانيفه مشهورة ، روى عن ابن خزيمة والنسائي ، وغيرهم ، وروى عنه الحاكم أبو عبد الله وغيره ، وروى عنه الدارقطني إجازة ، وتوفي ببيت سنة ٢٥٤ هـ . (الباب) في تهذيب الأنساب .

(١٠٠٠) من (٧٣٢ — ٨١١ هـ) محمد بن إسحق بن خزيمة السلمي إمام نيسابور في عصره . كان فقيهاً مجتهداً عالماً بالحديث تزيد مصنفاته على ١٤٠ . الأعلام ج ٦ ص ٢٥٢ .

إسناده محمد بن مهران وفيه مقال وقد وثقه ابن حبان وابن هدى (*).

وأخرج أحمد وأبو داود من حديث عائشة قالت « ما صلى ^(١) ، صلى الله عليه وآله وسلم المشاء قط فدخل على إلا صلى أربع ركعات أو ست ركعات » ورجال إسناده ثقات ، ومقاتل بن بشير المجلي ، وقد وثقه ابن حبان وقد أخرجه النسائي ، وأخرجه البخاري ، وأبو داود والنسائي من حديث ابن عباس قال : « بت عند خالتي ميمونة ^(٢) الحديث » وفيه « نصلي ^(٣) النبي صلى الله عليه وآله وسلم المشاء ثم جاء إلى منزله فصلى أربع ركعات » وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث هائلة قالت : « لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على شيء من السوافل أشد تعامداً منه على ركعتي الفجر » وأخرج أحمد وسلم والترمذي وصححه من حديثها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت : ^(٤) « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » وأخرج أحمد وأبو داود من ^(٥) « حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تدهوا ركعتي الفجر ولو طرئتكم الخيل »

(١) في (أ) : (ما صلى الله عليه وآله وسلم) وهو سرور من المؤلف .

(٢) في (ب) : (وصلي) .

(٣) في (ب) (قال) .

(٤) في (ب) (عن أبي هريرة) .

الأعلام

(٥) (٣٧٧ - ٣٦٥ هـ) عبد الله بن عدى بن عبد الله بن محمد بن المبارك بن القطان الجرجاني علامة بالحديث ورجاله كان يعرف في بلده بابن القطان واشتهر بين علماء الحديث بابن عدى له (السكامل في معرفة الضعفاء والمتروكين من الرواة) ، من الثقات في الحديث . الأعلام ج ٤ ص ٢٣٩ .

(٥٥) ميمونة بنت الحارث الهلالية أم المؤمنين وإحدى زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم .

وفي إسناده عبد الرحمن بن إسحاق^(٥) للذني ، ويقال : عباد ابن إسحق .
قال أبو حاتم الرازي^(٦) : لا يخرج به ، وهو حسن الحديث وليس
بثبت ولا قوى : قلت : قد أخرج له مسلم واستشهد به البخاري وثقه
يحيى بن معين .

ومن النوافل المؤكدة صلاة الليل مع الترتب في آخرها : وقد ثبت في
الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عمر قال : قام رجل فقال : يا رسول الله :
« كيف صلاة الليل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : صلاة الليل
مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة » .

وثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة قالت : « كان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يصلي ما بين أن يفرغ من صلاة النشاء إلى الفجر
إحدى عشرة ركعة يصلي بين كل ركعتين ويوتر بواحدة » .

وثبت في الصحيحين وغيرهما من حديثها قالت : « كان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة يوتر من ذلك
بخمسة لا يجلس في شيء منهن إلا في آخرهن » .

وثبت [في]^(١) الصحيح « أنه كان يصلي في الليل أربعا ثم أربعا ثم يوتر
بركعة » وثبت الإيمان بسبع وتسع .

(١) في (أ) (في) غير واضحة وعليها شطب .

الأعلام

(٥) عبد الرحمن بن إسحاق بن محمد السدوسي ، أبو علي الجوهري من
(٢٥١ — ٣٢٠) قاض كان فقيهاً حاسباً ، الأعلام ج ٤ ص ٦٩ .

(٦) من (١٩٥ — ٢٧٧) محمد ابن إدريس بن المنذر بن دلود بن مهران
الحنظلي حافظ للحديث من أقران البخاري ومسلم ولد في الري وإليها نسبته
وتنقل في العراق والشام . مصر (الأعلام ج ٦ ص ٢٥٠) من كتبه طبقات
التابعين (خ) .

ومن النوافل المؤكدة صلاة الضحى : والأحاديث في مشروعيتهما متواترة حسبما أوضحنا ذلك في شرحنا للمتنقي ومنها ما هو في الصحيحين كحديث أبي هريرة : « أوصاني خليلي صلى الله عليه وآله وسلم بثلاث : صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتي الضحى وأن أوتر قبل أن أنام » وفيهما من حديث أم هانئ ^(٩٠) « أنه صلى الله عليه وآله وسلم صلى سبعة الضحى ثمانى ركعات يسلم بين كل ركعتين » ، ومنها ما هو في أحدهما كحديث أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يصبح على كل سلامى صدقة إلى أن قال : ويجزى من ذلك ركعتين تركهما من الضحى » أخرجه مسلم وغيره

وأخرج مسلم وغيره من حديث عائشة قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي الضحى أربع وثمان ركعات ويزيد ما شاء » ومنها ما هو في غيرهما وهو أحاديث كثيرة

ومن النوافل المؤكدة صلاة نهيمة المسجد ، والأحاديث فيها كثيرة صحيحة ، ومنها حديث أبي قتادة ^(٩١) في الصحيحين وغيرهما قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجالس حتى يصلى ركعتين » .

الأعلام

(٩٠) هي هند بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن السابقات إلى الاسلام ومن يتيها أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم . السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٤٣

(٩١) هو أبو قتادة الحارث بن ربعي (رضي الله عنه) شهد أحداً وما بعدها وكان من الفرسان المذكورين توفي سنة ٥٤ هـ . صفوة الصفوة ص ٢٦٨ ج ١ .

ومن النوافل المؤكدة الصلاة عقب الرضوء كما في حديث بلال (٢٠) في أنه، صحيحين وغيرهما أنه قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « حديثي بأرجى عمل عمله في الإسلام فإني سمعت دو (١) نعليك بين يدي في الجنة قال: ما عملت عملاً أرجى عندي إنني لم أظهر طهوراً في ساحة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي ». ومن النوافل المؤكدة الصلاة بين الأذان والإقامة كما في حديث عبد الله بن مغفل (٢٢) « بين كل أذانين صلاة، بين كل أذانين صلاة ثم قال في الثالثة إن شاء ». وهو في الصحيحين وغيرهما. والمراد بالأذان الأذان والإقامة. وفي لفظ من حديثه متفق عليه أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: « صلوا قبل المغرب ركعتين ثم قال صلوا قبل المغرب ركعتين ثم قال عند الثالثة: لمن شاء كراهية أن يتخلفها الناس سنة أي راجبة » وفي البيهقاري وغيره من حديث أنس (٢٣)

(١) أي صوت مشبك، وحركته. انظر (المنجد) في اللغة: (مادة دوى) وقد جاء هذا الحديث في صحيح مسلم برواية: «... فإني سمعت الليلة خشف نعليك بين يدي في الجنة » والمعنى واحد. ج ٨ ص ١٤٦ باب من فضائل بلال (رضي الله عنه)، كتاب فضائل الصحابة (رضي الله عنهم) طبعة النحرير.

الأعلام

(٢٠) هو بلال بن رباح مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يؤذن بعدد من الرسول صلى الله عليه وسلم وذهب إلى الشام مع البعوث التي خرجت إليها. ومات بها سنة ١٨ هـ.

(٢١) هو عبد الله بن مغفل أبو سعيد رضي الله عنه كان من البكائيين ومن الذين بهمهم هجر إلى البصرة يفقهونهم مات في البصرة في عهد يزيد بن معاوية المصدر السابق.

(٢٢) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم (رضي الله عنه) خدم النبي صلى الله عليه وسلم تسع سنين ودعا له الرسول بالدعاء المشهور « اللهم اكثر ماله وولده وأطل عمره واغفر ذنبه » قال أنس: لقد تحققت الثلاثة وأنا أرجو الرابعة. مات سنة ٩١ هـ صفوة الصفوة ج ١ ص ٨٢٩.

قال : « كان إذا أذن المؤذن قام ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتقدمون السواري حتى يخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم كذلك » .

تذليل — محبة الله والامتثال من تلك النوافل :

والحاصل أن جميع التقرب إلى الرب عز وجل بنوافل الصلاة في جميع الأوقات من أحسن العبادات إلا في الأوقات المكروهات ، فمن استكثر منها قرب ^(١) إلى الله بقدر ما فعل منها فأحبه وليس بعد التفرغ بمحبة الله سبحانه ^(٢) أمية شيء .

٢ — من نوافل الصيام :

وأما نوافل الصيام المؤكدة فهي كثيرة ، ومنها ^(٣) صوم شهر الله المحرم فإنه صلى الله عليه وآله وسلم سئل أي الصيام بعد رمضان أفضل ؟ فقال : « شهر الله المحرم » كما ثبت في صحيح مسلم وأهل السنن من حديث أبي هريرة ، ولا يمارض هذا ما أخرجه الترمذي من حديث أنس : « سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي الصوم أفضل بعد رمضان ؟ قال شعبان » . لأن في إسناده صدقة بن موسى وليس بالقوي ، ويؤيد أنه صوم المحرم ما أخرجه الترمذي وحسنه من حديث علي ^(٤) أنه صم رجلاً

(١) في (ب) (سبحانه) . يعد لفظ الجلالة .

(٢) في (ب) (تعالى) .

(٣) في (ب) (فنها) .

الأعلام

(٥) علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ابن عم النبي (صلى الله عليه وسلم) وزوج ابنته فاطمة (رضي الله عنها) رابع الخلفاء الراشدين وأكثر الصحابة علماً وورعاً .

يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو قاعد فقال : يا رسول الله : أى شهر تأمرنى أن أصوم بعد شهر رمضان فقال « إن كنت صائماً بعد شهر رمضان فهم الحرم فإنه شهر الله فيه يوم أب فيه هلى قوم ويتوب فيه هلى قوم يعنى يوم عاشوراء » .

وقد ثبت من حديث ابن عباس ومائشة وسلمة (*) بن الأكوخ وابن مسعود فى الصحيحين وغيرهما « أنه كان صلى الله عليه وآله وسلم يصوم يوم عاشوراء قبل أن يفرض رمضان ، فلما فرض رمضان قال : من شاء صامه ومن شاء تركه » .

وثبت فى صحيح مسلم وغيره أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع » وفى لفظ لأحمد : « صوموا يوم عاشوراء ، وخالفوا اليهود صوموا قبله يوماً وبعده يوماً » .

ومن نوافل الصيام المؤكدة : صيام ست من شوال كما فى حديث أبى (١) أيوب (**) هند أحمد ومسلم وأهل السنن عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) فى (ب) (أيوب) فقط وسهى الناسخ عن (أبى) .

الأعلام

(٠) غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات وقال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « خير فرساننا اليوم أبو قتادة وخير رجالنا سلمة » توفى بالمدينة سنة ٧٤ هـ . صفوة الصفوة ج ١ .

(٠٠) هو خالد بن زيد بن كليب الأنصارى المشهور بأبى أيوب الأنصارى شهد العقبة مع السبعين ونزل الرسول صلى الله عليه وسلم فى بيته أول هجرته إلى المدينة . توفى سنة ٥٢ حين كان يريد معاوية فتح القسطنطينية ودفن بأصل حصنها : صفوة الصفوة ج ١ ص ١٨٦ .

وآله وسلم أنه قال : « من صام رمضان ثم أتبعه شهرا من شوال فذلك صيام الدهر » . وأخرج أحمد وابن ماجه والقسائى والدارمى (٠) وابن زرار (٠٠) من حديث ثوبان (٠٠٠) عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من صام رمضان وصلة أيام بعد الفطر كان تمام السنة من نجا بالحسنة فيه عشر أمثالها » .

وفى الباب أحاديث :

ومن نوافل الصيام المؤكدة : صوم عشر ذى الحجة فقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام — يعنى أيام التشريق ، قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله ؟ ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك شيئا » .

ومن العشر يوم عرفة وقد ثبت في صحيح مسلم وغيره من حديث أبي قتادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة ، وصوم يوم عاشوراء يكفر سنة ماضية » .

الأعلام

(٠) عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام النخعي الدرامي السمرقندى من حفاظ الحديث له (المسند) ، (فى الحديث) و (كتاب التفسير) ، (الجامع الصحيح ج ١ . الأعلام ج ٤ ص ٢٣٠ (١٨١ — ٢٤٥ هـ) .

(٠٠) أحمد بن عمرو بن عبد الحالى أبو بكر البزار حافظ من العلماء بالحديث من أهل البصرة له مسندان أحدهما كبير سماه (البحر الزاخر) والثانى صغير توفي سنة ٢٩٢ هـ . الأعلام ج ١ ص ١٨٢ .

(٠٠٠) هو أبو عبد الله ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراه الرسول صلى الله عليه وسلم فاعتقه فلم يزل معه حتى قبض ثم نزل حمص فمات سنة ٥٤ هـ : المصدر السابق ص ٢٧٨ .

ومن نوافل الصيام المؤكدة صوم شعبان كما أخرج أحمد وأهل السنن من حديث أم حنبل « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يصوم من السنة شهراً تاماً إلا شعبان يصل به رمضان » وحسنه الترمذى .

ويكفى في مشروعية : مطلق التنفل بالصيام ، حديث : « الصوم لى وأنا أُجزى به » وهو حديث صحيح

٣ — من نوافل الحج :

وأما نوافل الحج ، فيكفى في ذلك حديث أبي هريرة « قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أى الأعمال أفضل ؟ قال . إيمان بالله وبرسوله قال ثم ماذا ؟ قال الجهاد فى سبيل الله قال : ثم ماذا ؟ : حج ، وبرور » وهو فى الصحيحين وغيرهما ، وقد احتج به من فضل نفل ^(١) الحج على نفل الصدقة . وفى الصحيحين وغيرهما من حديثه أيضاً : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « العمرة [كفارة] ^(٢) لما بينهما ، والحج للبرور ليس له جزاء إلا الجنة » . وفى الصحيحين وغيرهما من حديثه ^(٣) قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

٤ — « من نوافل الصدقة :

وأما نوافل الصدقة فقد ورد فيها الترغيب العظيم ، ولو لم يكن من ذلك

(١) فى (ب) سهى الناسخ عن كلمة (نفل) قبل (الحج) .

(٢) فى (أ) (كفان) بهذا الرسم تقريرا .

(٣) فى (ب) (أيضاً) بعد (حديث) .

إلا قول الله عز وجل : « وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين » ^(١) وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان من السماء فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا » . وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبي أمامة ^(٢) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يا ابن آدم إياك إن تبذل الفضل خير لك ، وإن تمسكه شر لك ، ولا تلام على كفاف ، وأبدأ عن تعول واليد المليء خير من اليد السفلى » . وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « مثل البخیل والمنفق كمثل رجلين هليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى راقبهما فأما المنفق فلا ينفق إلا [شبع] ^(٣) عليه ووفرت على جلدته حتى تخفى بئانه وتعفو أثره . وأما البخیل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزمت كل حلقة مكانها فهو يوصعها فلا تنسع » .

وأخرج البخاري وغيره من حديث ابن مسعود قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبكم مال ورائه أحب إليه من ماله ؟ قالوا يا رسول الله ما منّا أحد إلا ماله أحب إليه من مال ورائه قال : فإن ماله ما قدم ومال ورائه ما أخر » .

(١) جواب (لو) مفهوم من المقام ، تقديره : (لكفى) .

(٢) في (أ) ، (ب) (شبع) وهو سهو خاطئ » .

الأصل

(٥) هو أبو أمامة الباهلي واسمه عدي بن حجلان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزا معه غزوات متتابعة كان يكثر الصيام والصدقة والزهد في الدنيا .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أسماء^(١) بنت أبي بكر قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا توكي^(٢) فيوكي الله عليك » وفي رواية « أنفكي أو انفكي^(٣) أو انضحي ولا تحصي فيحصي الله عليك ولا توهي فيوهي الله عليك » .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا حسد إلا في اثنتين : رجل أتاه الله مالا فسلطه على ماله كنهه في الحق ورجل أتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها » وفي رواية « لا حسد إلا في اثنتين : رجل أتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل أتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » .

والأحاديث في الترغيب في الصدقة وهظيم^(٤) أجرها كثيرة جداً وأفضاها صلة الرحم كما في البخاري وغيره من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه » وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة قالت : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله ؛ ومن قطعني قطعته الله » . وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ميمونة « قالت يا رسول الله : أشعرت أئى أهنت وليدتي قال :

(١) لا تبخلي .

(٢) النفاح النفع النعم على الخلق قاموس (نفح) وفي (ب) عطاف الناسخ بالواو دون (أو) وهو سهو منه .
(٣) في (ب) (وعظم) .

الأهلام

(٤) بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأم عبيد الله بن الزبير صاحبة المواقف المشهودة مع الحجاج بجانب ولدها عبد الله . وذات اللطافين .

وفعلت ؟ قالت نعم قال أما أهلك لو أعطيتها أخواتك كان أعظم لأجرك »
وأخرج النسائي من حديث سلمان ابن عامر قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان ، صدقة وصلة » .

(ج) التتقرب بالأذكار :

ترغيب السكتاب ، والسنة فيها :

وأما نوافل الأذكار فقد ورد في الترغيب فيها وعظيم^(١) أجرها السكتاب والسنة . أما السكتاب فمن ذلك قوله^(٢) عز وجل : « ولله أكبر »^(٣) أي أكبر مما سواه من الأعمال الصالحة . وقال سبحانه : « فاذكروني أذكركم »^(٤) وقال سبحانه : « واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون »^(٥) وقال : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب »^(٦) وقال عز وجل : « والذاكرين الله كثيراً والذاكرات »^(٧) .

وفي السنة الكثير الطيب ، فمن ذلك حديث أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ، فإن

(١) في (ب) (عظم) .

(٢) في (ب) (قول الله) .

(٣) سورة العنكبوت آية : ٤٥ .

(٤) سورة البقرة آية : ١٥٢ .

(٥) سورة الجمعة آية : ١٠ :

(٦) سورة الرعد آية : ٢٨ .

(٧) سورة الأحزاب آية : ٣٥ .

ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن اقترب إلى شبرا اقتربت منه^(١) ذراعا، وإن اقترب إلى ذراعا اقتربت إليه باها، وإن أتاني مشيا أتيتته هرولة». وأخرجه البخاري أيضا من حديث ألس ومن حديث أبي ذر^(٢) وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي موسى^(٣) «الذي يذ كر ربه والذي لا يذ كر مثل الحى والميت».

وأخرج أحمد والترمذي ومالك في الموطأ وابن ماجه والحاكم في المستدرک والطبرانی في الكبير من حديث أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم قالوا: بلى قال: ذكر الله» وصححه الحاكم، وقال الميثمي^(٤):

(١) في (ب) (إليه) .

الأعلام

(٠) هو أبو ذر الغفاري جندب بن جنادة اهتدى إلى دين التوحيد قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم، أسلم حين عام برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كنت رابعا في الاسلام وحسن إسلامه وكان من الزاهدين في زخرف الحياة. توفي سنة ٣٢ هـ صفوة الصفوة ج ١ ص ٢٤٤ .

(٠٠) هو أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس بن سليم من السابقين إلى الإسلام وأحد الحكمين في الفتنة التي كانت بين معاوية وعلى (رضي الله عنه) قيل مات سنة ٤٢ أو ٤٤ هـ أو سنة ٥٢ هـ . المصدر السابق ص ٢٢٥ .

(٠٠٠) (٧٣٥ - ٨٠٧ هـ) علي بن أبي بكر بن سليمان الميثمي حافظ فقيه له كتب وتخریج في الحديث منها: (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد «ط») عشرة أجزاء . الأعلام ج ٥ ص ٧٤ .

إسناده حسن ، وأخرجه أحمد من حديث معاذ^(١)، وقال المنذرى (٠٠) بإسناد جيد إلا أن فيه انقطاعاً ، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح إلا أن زياد^(٠٠٠) بن أبي زياد ، مولى ابن [عياش]^(١) لم يدرك معاذاً

وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد^(٠٠٠٠) ، معاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفهم الملائكة وغنيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة وذكروهم الله

(١) في (أ) ، (ب) (عباس) بالياء والسين والأصح (عياش) .

الأعلام

(٠) هو معاذ بن جبل أو ابن عمر بن أوس أسلم وهو ابن ثمانى عشرة سنة وشهد العقبة مع السبعين والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثه الرسول قاضياً إلى اليمن وشيعة ماشياً في مخرجه وهو راكب توفي سنة ١٨ هـ وكان من أعبد الناس وأزهدهم في الدنيا وأعقلهم . صفوة الصفوة ج ١ ص ١٩٥ .

(٠٠) من (٥٨١ — ٦٥٦) عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله أبو محمد زكي الدين المنذرى صاحب (الترغيب والترهيب « ط ») مولده ووفاته بمصر . الأعلام ج ٤ ص ١٥٦ .

(٠٠٠) كان مولى لعبد الله بن عياش بن ربيعة القرشي ، واسم أبيه ميسرة وكان عمر بن عبد العزيز يستزيره ويكرمه وبعث إلى مولاه ليدينه إياه فابى وأعتقه . وقد روى زياد عن أنس بن مالك وقال مالك بن أنس كان زياد ما بدا معتزلاً لا يزال يذكر الله تعالى ويلبس الصوف ولا يأكل اللحم . صفوة الصفوة ج ٢ ص ٥٩ .

(٠٠٠٠) هو أبو سعيد الخدري (رضى الله عنه) واسمه سعد بن مالك بن سنان استهضر يوم أحد فرد وشهد الخندق وما بعدها روى كثيراً من الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . صفوة الصفوة ج ١ .

سبعهائه فيمن عنده . وأخرجه غير مسلم من حديثهما ، منهم أبو دارود الطيالسي (٠) وأحمد في المسند ، وأبو يعلى (٠٠) الموصلي وابن حبان وأخرجه أيضاً من حديثهما ابن أبي (١) شيبة والترمذي في الدعوات ، وابن شاهين (***) في الذكر . وأخرج مسلم والترمذي والداودي من حديث معاوية « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج على حلقة في المسجد من أصحابه فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا جلسنا نذكر الله نحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا . فقال آله ما أجلسكم إلا ذلك ؟ قالوا : الله ما أجلسنا إلا ذلك قال : أما إنني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنني أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يبأى بكم الملائكة »

وأخرج الترمذي وحسنه من حديث أنس من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إذا صرتم برياض الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة ؟ قال خلق الله كرم وأخرجه أيضاً من حديثه أحمد في المسند والبيهقي في الشعب قال المناوي (٠٠٠٠) : وإسناده وشواهده ترتقي إلى الصحة

(١) غير محمد ينظر الأعلام ج٤ ص ٣٧٦ ، ٢٦٠ ، ج٧ ص ١٤٢ .
الأعلام

(٠) سليمان بن داود بن الجارود مولى قریش من كبار حفاظ الحديث فارسي الأصل كان يحدث من حفظه سمع يقول أحفظ ثلاثين ألف حديث ولا فخر له بسند (ط) . (٠٠) أحمد بن علي المثني التميمي الموصلي أبو يعلى حافظ من علماء الحديث له كتب منها : المعجم في الحديث ، ومسندان (كبير) و (صغير) توفي سنة ٣٠٧ هـ الأعلام ج١ ص ١٦٤ .

(٠٠٠) عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين . توفي سنة ٣٨٥ هـ . الأعلام ج٥ ص ١٩٦ .

(٠٠٠٠) عبد الرؤف المناوي ، شارح الجامع الصغير ، وصاحب طبقات الصوفية أو (السكواكب النورية) في تراجم السادة الصوفية) توفي سنة ١٠٢٩ هـ البدر الطالع للشوكاني .

وأخرجه الطبراني من حديث ابن عباس وفي إسناده رجل مجهول .
والأحاديث في فضائل الذكر كثيرة جداً قد ذكرنا منها في شرحنا لعدة
الحصن الحصين أحاديث كثيرة وذكرنا المفاضلة بينها وبين سائر الأعمال
فلم يرجع إليه .

أعظم الأذكار أجراً :

وينبغي أن نذكر هنا ما أعظم أجره من الأذكار ليلتفتع به المطالع على
هذا الشرح .

فأفضل الذكراً ما كان في دعاء الرب عز وجل فإنه مطلوب منه سبحانه
كما قال : « ادعوني أستجب لكم » ^(١) وهتفه بقوله : « إن الذين يستكبرون
عن عبادتي ، الآية » ، فجعل الدعاء له في حوائج العبد عبادة ، وجعل تارك
الدعاء مستكبراً عن عبادته : فسمعنا الله العظيم ذي السكرم الفيض ،
والجود [المتتابع] ^(٢) . جعل سؤال عبده لحوائجه وقضاء مآربه عبادة له
وطلبه منه وذمه على تركه بأبلغ أنواع الذم ، فجعله مستكبراً على ربه :
فشكراً لك يا رب على هذه النعمة شكراً يليق بك لا أحصى ثناء عليك أنت
كما أثليت على نفسك

وقال عز وجل : « أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء » ^(٣)
وقال : « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان » ^(٤)

(١) سورة غافر آية ٦٠

(٢) في (أ) تحريف للباء إلى اللام هكذا (المتتابع) وهو سهو خطي
من المؤلف .

(٣) سورة النمل آية ٦٢ .

(٤) سورة البقرة آية : ١٨٦ .

ومما قلته من النظم في شكره عز وجل على نعمه التي هذه النعمة العظمى فرد
من أفرادها :

لو كانت لي كل لسان لما ونيت بالشكر لبعض النعم
فكيف لا أعجز عن شكرها وليس لي غير لسان وفهم ؟
هذا هو الإفضال هذا العطاء الفياض هذا الجود هذا الشكر

وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه وأهل السنن الأربع وابن حبان ^(١) من
حديث النعمان ^(٢) بن بشير قال : قال صلى الله عليه وآله وسلم : « الدعاء
هو العبادة » ثم تلا الآية : وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ، إن الذين
يسفكرون عن عبادتي — الآية . وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم .
وأخرج الترمذي من حديث أنس قال قال رسول [الله صلى الله عليه وآله وسلم] : « الدعاء مخ العبادة »

وأخرج الترمذي وابن حبان من حديث سلمان عنه صلى الله عليه وآله وسلم
قال « لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد العمر إلا البر » وصححه ابن حبان .

(١) في (ب) سقط من النسخ (وابن حبان) .

(٢) في (ب) « صلى الله تعالى عليه الخ » .

(٣) في (أ) سمها المؤلف عن الصلاة على النبي وكتب لفظة « رسول » مجردة
من الإضافة إلى « الله » .

الأعلام

(٥) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الحنظلي الأنصاري أبو عبد الله أمير
خطيب شاعر من أجلة الصحابة من أهل المدينة له ٩٢٤ حديثاً من [٢ - ٦٥ هـ]
الأعلام ج ٩ ص ٤ .

وأخرجه أيضا الحاكم وصححه . وقال الترمذى حسن هريب . وأخرجه أيضا الطبرانى فى الكبير ، والضياء (*) فى المختارة .

وأخرج ابن أبى شيبة والطبرانى فى الكبير (١) والحاكم فى المستدرک وابن حبان فى صحيحه من حديث ثوبان أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال « لا یرد القدر إلا الدماء ولا یزید فی العمى إلا الهم ، وأن الرجل لیحرم الرزق بالذنب یصیبه » .

وأخرج الحاكم فى المستدرک والبزار والطبرانى فى الأوسط والخطیب من حديث عائشة عنه صلى الله عليه وآله وسلم : « لا یغنى حذر من قدر ، والدماء ینفع مما نزل وما لم یزل وأن البلاد لینزل فیئلقاه الدماء فیعتاجان إلى يوم القيامة » . قال الحاكم صحيح وتعبه الذهبى فى التلخیص ، بأن زكريا بن منصور أحد رجاله عجم هلى ضمه ، وقال فى المیزان ضمه ابن معین (**) ، وهواه أبو زرعة (***) ، وقال البخارى منكر الحديث وقال ابن الجوزى :

(١) فى (ب) سقطت (فى الكبير) .

الأعلام

(*) المتوفى سنة ٦٤٣ هـ ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد ابن عبد الرحمن السعدنى المقدسى الصالحى الحنبلى محدث عصره . ولد سنة ٥٦٩ هـ ولم یکن فى وقته مثله . من مصنفاته (الأحادیث المختارة) من مسموعات : كتب منها تسعين جزءا ولم تكل . شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٢٤ ٢٢٥ .

(**) من (١٥٨ — ٢٣٣) یحیی بن معین بن عوف زیاد المری بالولاء البغدادى من أئمة الحديث ومؤرخى رجاله . قال فى العسقلانى : « إمام الجرح والتعديل » ج ٩ ص ٢١٨ الأعلام .

(***) المتوفى سنة ٢٨٠ هـ عبد الرحمن بن عمر أبو زرعة الدمشقى من أئمة زمانه فى الحديث ورجاله له كتاب فى التاریخ وعلل الرجال . الأعلام ج ٤ ص ٩٤٠ .

حديث لا يصح ، وقال الهيثمي ^(١) في مجمع الزوائد : « رواه أحمد وأبو يعلى بن حمزة ، والبخاري والطبراني في الأوسط ، ورجال أحمد وأبو يعلى وأحمد إسنادي البخاري ، رجاله رجال الصحيح ، غير هلي بن أحمد الرافعي وهو ثقة » قلت : وبهذا يعرف أن الحديث إذا لم يكن صحيحاً كما قال الحاكم فأقل أحواه أن يكون حسناً .

وأخرج الترمذي وابن حبان من حديث عائشة ^(١) عنه صلى الله عليه وآله وسلم : « ليس شيء أكرم على الله من الدهاء » قال الترمذي : حسن غريب ، وأخرجه أيضاً من حديثها أحمد في المسند والبخاري في التاريخ ، وابن ماجه والحاكم في المستدرک . وقال صحيح وأقره الذهبي ، وقال ابن حبان : حديث صحيح .

قلت : وإنما لم يصححه الترمذي لأن في إسناده عنده ^(٢) عمران القطان ضعفه النسائي وأبو داود ومجاهد أحمد . قال ابن القطان : رواه كلهم ثقات إلا عمران وفيه خلاف .

وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من لم يسأل الله ينضب عليه » وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف باللفظ « من لم يدع الله ينضب عليه » . وأخرجه باللفظ الأول الحاكم وكذا أخرجه باللفظ الثاني ^(٣) في المستدرک وصححه ، وما أحسن قول الشاعر :

(١) في (ب) سها الناسخ عن (عائشة) .

(٢) في (ب) سها الناسخ عن (عنده) .

(٣) في (ب) تكررت (الحاكم) قبل في المستدرک .

الأعلام

(٥) أحمد بن محمد حيدر الوائلي السعدي ، الهيثمي المصري ، ثم المسكي ، ولد

سنة ٩٠٠ هـ وتوفي سنة ٩٧٣ هـ .

الله يفضي، إن تركت سؤاله وإذا سألت بني آدم يفضي
وأخرج ابن حبان والحاكم والضياع في المختارة من حديث أنس مرفوعاً :
« لا تمجروا في الدهاء فإنه لن يهلك مع الدهاء أحد » وصححه ابن حبان
والحاكم والضياع فهو لاه ثلاثة^(١) أئمة صححوه .

وأخرج الترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وآله
وسلم : « من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدهاء
في الرخاء » وصححه الحاكم وأقره الذهبي ، وأخرجه الحاكم أيضاً من حديث
سلمان وقال صحيح الإسناد .

وأخرج الحاكم من حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال :
« الدهاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والأرض » قال الحاكم :
صحيح الإسناد وأخرجه أبو يعلى من حديث علي بهذا اللفظ ، وأخرجه^(٢)
أبو يعلى أيضاً من [حديث]^(٣) جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم : « ألا أدلكم على ما ينجمكم من هدوكم وبدر [لكم]^(٤) أرزاقكم ؟
تدهون الله سبحانه في ليلكم ونهاركم فإن الدهاء سلاح للمؤمن » .

وأخرج أحمد من حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم : « ما من
مسلم ينصب وجهه لله في مسألة إلا أعطاه إياها إما أن يعجزها له وإما أن
يدخرها له » قال المنذرى في الترغيب والترهيب : إسناده لا بأس به .
وأخرجه أيضاً البخاري في الأدب المفرد والحاكم .

(١) في (ب) ثلاث .

(٢) في (ب) (أخرج) بدل (أخرجه) .

(٣) في (أ) سها المؤلف عن (حديث)

(٤) في (أ) (لا توجد لكم) .

وأخرج أحمد والبخاري وأبو يعلى والحاكم من حديث أبي سعيد عنه صلى الله عليه وآله وسلم : ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطعية وجه ولا أخطأه الله بها إحدى ثلاث : إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء عظمها « قال الحاكم صحيح الإسناد . وقال المنذرى : أصابته جيدة وأخرج أبو داود والترمذي وحسنه وابن حبان وصححه والحاكم وصححه أيضاً من حديث سلمان بنه صلى الله عليه وآله وسلم : « إن ربكم حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه [يديه] ^(١) أن يردهما صفراً خائبين » . وأخرجه الحاكم وصححه من حديث أنس

أذكار الأوقات وفوائدها :

ومن أكثر الأذكار أجوراً وأعظمها جزاء الأذعية الثابتة في الصباح والمساء فإن فيها من النفع والدفع ما هي مشتملة عليه .

فعلى من أحب السلامة من الآفات في الدنيا والآخرة بالخير الآجل والعاجل أن يلازمها ويفعلها في كل صباح ومساء ، فإن هسر عليه الاتيان بجميعها أتى ببعض منها . وقد ذكرها صاحب هذه الحصن وذكرنا في الشرح لها تفريغها وبيان معانيها وما ورد في معناها . وكذلك ينبغي ملازمة ما يقال عند النوم وعند الاستيقاظ ، فإن ذلك هو الترياق الجرب في دفع الآفات :

وهي أيضاً مذكرة في العدة .

وكذلك ينبغي الإنسان أن يحافظ عند خروجه عن بيته على أن يقول : « أهوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق » : ويقول : بسم الله الذي

(١) في (أ) (يده) وهو سهو من المؤلف .

لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم » وآية الكرسي
فإن ذلك حرز حريز من جميع الشرور لما ورد في هذين الذكرين بهذا اللفظ ،
وما ورد في آية الكرسي .

وكذلك ملازمة الاستغفار فإنه المرم الذي يفسل كل ذنب ، ومن غفرت
ذنوبه فاز ، وهى الصراط السوى جاز ، وقد ورد في ذلك أحاديث ذكرها
أئمة الحديث . وقد ذكر صاحب عدة الحصن منها نصيباً وافراً وذكرنا في
شرحنا لها ، الكلام على كل حديث منها وضممنا إليها زيادة على ما فيها .

أذكار التوحيد :

ومن أعظم ما يلزمه العبد من أذكار الله سبحانه هو كلمة التوحيد .
وقد أخرج الترمذى وأحمد بن حنبل من حديث جابر عنه صلى الله عليه
 وآله وسلم قال : « أفضل الذكر لا إله إلا الله » ولفظ أحمد « لا إله إلا الله
أفضل الذكر وهى أفضل الحسنات » . وأخرجه أيضاً ابن ماجه من حديثه
باللفظ : « أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله »^(١) وكذا
أخرجه النسائى وابن حبان وصححه واحاكم وقال صحيح الإسناد . كلهم
أخرجوه من طريق طلحة بن حراش عن جابر . وطلحة أنصارى مدنى
صديق . قال : الأزدي له ما ينسكرو وثقه ابن حبان ، وأخرج له فى صحيحه
وأخرج أحمد بن حديث أبى ذر قال : « قلت يا رسول الله أوصنى قال : إذا
[عملت]^(٢) مائة فاتبعها حسنة ثم حررها قال قلت يا رسول الله : أين الحسنات
لا إله إلا الله ؟ قال : هى أفضل الحسنات » . قال فى مجمع الزوائد رجاله ثقات

(١) فى (ب) نسي الناسخ (لله) .

(٢) فى (أ) حرفت من المؤلف سهواً إلى (علمت) .

إلا أن سمرة بن هطية حدث به عن أشياخه عن أبي ذر ولم يسم أحدا منهم .
وأخرج مسلم من حديث أبي ذر قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :
« ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة » وأخرج
البخاري من حديث أبي هريرة أنه قال ^(١) : يارسول الله « من أسعد الناس
بشفاعتك يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لقد ظننت أن
لا يسألني عن هذا الحديث [أحد] ^(٢) أول منك لما رأيت من حرصك على
الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قالها ^(٣) خالصا من قلبه » ،
« الأحاديث الثابتة في كون من قال هذه الكلمة وكانت آخر قوله دخل الجنة
متواترة ، فالحمد لله على ذلك .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي أيوب أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة من ولد اسماعيل » .

(١) في (أ) تكررت كلمة (قال) . وفي صحيح البخاري (قيل) بعد
(قال) وليس لها معنى ، لأن السائل هو أبو هريرة ، وهو المخاطب في الحديث
(٢) في (أ) ، (ب) سقطت (أحد) من المؤلف ، ثم من الناسخ ، وهي
في الحديث في صحيح البخاري . وروى ابن عبد البر هذا الحديث بعبارة (أحد
أولى منك) وبعبارة (لقد ظننت أنك أول من يسألني . (جامع بيان العلم
ج ٢ ص ٢٧ .

(٣) في هامش (أ) ، (ب) تفسير الضمير في (قالها) بالعبارة الآتية : (يعني
كلمة التوحيد) وفي صحيح البخاري : (من قال : لا إله إلا الله) : بالإظهار
بدل الإضمار . ينظر هذا الحديث ، في صحيح البخاري . طبعة بولاق ج ١
(كتاب العلم) باب ٣٣ . وفي طبعة الشهاب ج ١ ص ٣٥ — ٣٦ .

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضلها :

ومما ينبغي لطالب الخير ، والاسْتِكْثَار منه ، والاستكثار منه وجهه فأنه السكّل
دهاء الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقد ثبت في
الصحيحين وغيرهما من حديث جماعة « أن من صلى على رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات » .

فانظر إلى هذا الأمر العظيم والجزاء الكريم ، يصلي العبد على الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم واحدة فيصل عليه خالق العالم ورب الكل هز وجل
عشر صلوات ؟ فهذا ثواب لا يساويه ثواب وجزاء لا يساويه جزاء وأجر
لا يماثله أجر ١١ .

فليستكثر منه من شاء الاستكثار من الخير فإن هذا العبد الخبير الذي
هو أحد مخلوقات الرب سبحانه يقول بلسانه هذه الصلاة مرة فيرد الله عليه
عشر صلوات ؟ ١١ فهل دليل على الرضا والمغفرة والمحبة من الرب للعبد أدل
من هذا الدليل وأوضح من هذه المحبة اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله محمد
هدد ماصلي عليه المصلون منذ بعثته إلى الآن ، وعدد ما سيصلي عليه المصلون
من الآن إلى انقضاء العالم .

ومع هذا فن أجور هذه الصلاة على صبي ولد آدم صلى الله عليه وآله وسلم
ماورد من أن أولى الناس به صلى الله عليه وآله وسلم أكثرهم صلاة عليه
وماورد من أن من صلى عليه « صلى الله عليه وآله وسلم » حطت عنه عشر
خطيئات ورفعت له عشر درجات وغير ذلك مما تستكثر الإحاطة به .

بل ورد « أن من صلى عليه صلاة واحدة صلى الله عليه وملائكته سبعين
صلاة » أخرج ذلك أحمد في المسند من حديث هبذ الله بن عمرو . قال المنذري

في الترغيب والترهيب بإسناد حسن وكذلك حديثه الهيثمي وتمامه « فليقل عبيد من ذلك أو ليركبوا » .

ومن نظر بعين المعرفة في هذا وفهم دمعناه حق فهمه طار بأجنحة السرور والحبور إلى أركان الاستكثار من هذا الخير العظيم والأجر الجسيم والثناء الجليل والجلود الجميل فتكرراً لك يا راعب الجزل ومعطى الفضل .

التسبيح وفوائده :

ومما يلبي لطالب الخير ملازمته التسبيح والتكبير والتوحيد والتعديد فقد ثبت في صحيح مسلم من حديث سمرة^(١) بن جندب قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيمن بدأت » . وأخرجه من حديثه أيضاً النسائي وابن ماجه وثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « كلمتان خفيفتان على^(٢) اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » وورد أن الأربع الكلمات^(٣) المنقمة أفضل الكلام بعد القرآن . كما أخرجه أحمد بإسناد رجاله رجال الصحيح .

(١) في (ب) (في اللسان) .

(٢) في (ب) (الكلمات) وهو سهو .

الأعلام

(*) توفي سنة ٦٠ هـ وهو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري صحابي من الشجعان للقادة له رواية عن النبي ﷺ . الأعلام ج ٣ ص ٢٠٤ .

الأدعية النبوية :

ويلبغى لطالب الخير وباقى الرشد أن يلازم من الأدعية النبوية ما تباغ إليه طاقته .

وأقل حال أن يلازم الكلمات^(١) الجامعة مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عاقبتك ونجاة نعمتك وجميع سخطك » هكذا أثبت في صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وآله وسلم من حديث ابن عمر وأخرجه من حديثه أيضا أبو داود والبيهقي . ومثل حديث أبي هريرة عند مسلم قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر » . ومثل حديث أبي هريرة أيضا عند الشيخين وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « تؤذوا بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء » . ومثل ما أخرجه أحمد في مسنده وابن حبان والحاكم وصححه والطبراني في الكبير قال في مجمع الزوائد وإسناده أحمد وأحمد إسناده الطبراني ثقات . ومثل حديث أنس في الصحيحين وغيرهما قال : كان أكثر دماء النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » . ومثل سؤال الله العاقبة وقد ورد^(٢) في ذلك أحاديث متواترة كما بيناه في شرحنا لمدة الحصن الحصين :

(١) في (ب) (الأدعية) .

(٢) في (ب) (وردت) .

الأدعية عتب الوضوء والصلاة :

ومما ينبغي لطالب الخير ملازمته الأدعية الواردة عتب الوضوء وعتب الصلوات وهي كثيرة .

وأقل الأحوال أن يقتصر عتب الوضوء على ما أخرجه مسلم وأهل السنن من حديث عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « ما منكم من أحد يتوضأ ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » .

وعتب الصلاة على ما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث المغيرة « أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول في دبر كل صلاة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ثلاث مرات » وعلى ما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعاً : « أن يكبر الله ويسبحه ويحمده حتى يحصل من الجميع (ثلاث وثلاثون) أو من كل واحدة من هذه الكلمات إحدى عشرة كما في صحيح مسلم ، أو من كل واحدة (١) منها عشر عشر كما في صحيح البخاري .

الأدعية عند الأذان والإقامة ودخول المسجد :

ويقول عند الأذان كما يقول المؤذن كما في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي سعيد .

(١) في (ب) سقطت من النسخ (واحدة) .

وبعد أن يقول المؤذن : حي على الصلاة : لا حول ولا قوة إلا بالله وبعد
أن يقول حي على الفلاح لا حول ولا قوة إلا بالله ؛ كافي للصحيحين وغيرهما
من حديث عمر بن الخطاب .

ويقول عند سماع النداء : « اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة
آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته » (١) أخرجه
البيهقي من حديث جابر .

وإذا دخل المسجد يقول : « اللهم افتح لي أبواب رحمتك » وإذا خرج
منه يقول : « اللهم إني أسألك من فضلك » كما أخرجه مسلم وأبو داود
والنسائي من حديث أبي حمزة وأبي أسيد .

الأدعية داخل الصلاة :

أما الأدعية داخل الصلاة فهي كثيرة جداً في كل ركن من أركانها فيأتي
منها بما هو صحيح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وله أن يدهو بما أحب
كما في حديث : « فليتمخير (٢) من الدهاء أهجبه إليه » وإن كان وارد في
التشهد فلا فرق بينه وبين سائر أركان الصلاة .

الأدعية في الصيام والحج والجهاد والسفر وغيرها :

وهكذا ورد في الصيام والحج والجهاد والسفر وغيرها أدعية مروية في
كتب الحديث يتخير منها أصحابها وأكثرها فائدة فلا يطول بذكرها فهي
معروفة في مواطنها ولترجع إلى شرح الحديث الذي نحن بصدده شرحه .

(١) في (ب) (بعثته) .

(٢) في (ب) (أن يتخير) .

(د) الإيمان وطريق الولاية :

قال أبو القاسم القشيري^(١) : قرب العبد من ربه يقع أولاً بإيمانه^(٢) ثم بإحسانه^(٣) وقرب الرب تعالى من عبده بما يخصه به^(٤) في الدنيا من عرفاته ، وفي الآخرة من رضوانه^(٥) وفيما بين ذلك من وجوه لطفه وأمنائه ولا يتم قرب العبد من الحق إلا بمعده من الخلق قال : وقرب الرب بالعلم والقدرة تام للناس^(٦) ، وباللطف والنصرة خاص بالخواص^(٧) وبالتأنيس خاص بالأولياء . انتهى^(٨) ما نقله عنه صاحب الفتح^(٩) .

وأقول : يشير بقوله « قرب العبد من ربه يقع أولاً بإيمانه ثم بإحسانه » إلى الحديث الثابت في الصحيح أنه سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

- (١) في الرسالة (وتصديقه) بعد (بإيمانه) .
- (٢) في الرسالة (وتحقيقه) بعد ثم (بإحسانه) .
- (٣) في (ب) سقطت من الناسخ (ربه) .
- (٤) في الرسالة بدل رضوانه (ما يكرمه به من الشهود والعيان) .
- (٥) في الرسالة (للكافة) .
- (٦) (بالمؤمنين) في الرسالة . طبعة العثمانية . سنة ١٣٠٤ هـ . ص ٥٣ ، طبعة صبيح سنة ١٣٦٧ هـ . سنة ١٩٥٧ م ص ٤٢ .
- (٧) في (ب) (ما نقله عن صاحب .. الخ) .
- (٨) ص ٢٩٤ .

الأعلام

(١) أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طاححة بن محمد القشيري النيسابوري الفقيه الشافعي . كان علامة في الفقه والتفسير الحديث والأصول والأدب والشعر وعلم التصوف . ومن تصانيفه : التفسير الكبير (التيسير في علم التفسير) ، الرسالة القشيرية المشهورة ، ولد سنة ٣٧٦ وتوفي سنة ٤٦٥ . معجم المطبوعات ص ١٥١٤ ج ١ .

عن الإيمان فقال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والتقدير خيره وشره » . وأنه صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن الاحسان فقال : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » :

١ - الإيمان بالقدر ، وخاصة للمؤمنين :

فخصال الإيمان يستوى في الأربع الأدلة منها غالب المسلمين وأما الخامسة وهي الإيمان بالقدر خيره وشره فهي المصلحة العظمى [التي] ^(١) تنفاوت فيها الأقدام بكثير من الدرجات فمن رسخ قدمه في هذه المصلحة ارتفعت طبقته في الإيمان .

ولا يستطيع الإيمان بها كما ينبغي إلا خالص المؤمنين وأفراد عباد الله الصالحين ، لأن من لازم ذلك أن يضيف إلى قدر الله كل ما يناله من خير وشر غير متعرض للأسباب التي يتعلق بها كثير من الناس ، وإذا مكنته الله من الإيمان بهذه المصلحة كما ينبغي وعلم أنها من عند الله سبحانه بقدره السابق لكل عبد من عباده ، هانت عليه المصائب لعله بأن ذلك من عند الله سبحانه ، وما كان من عند الله سبحانه فالرضى به والتسليم له شأن كل عاقل ، لأنه خالفه وهو جده من المدم فهو حقه ومله كما يتصرف به كيف يشاء كما يتصرف العباد في أملاكهم من غير حرج عليهم

فإن مالك العبد أو الأمة إذا أراد أن يتصرف بهما ويخرجهما من ^(٢) ملكه لم تنسك العقول ذلك ولا تأباه العادات الجارية بين العباد . فكيف تصرف الرب بمخلوقه ^(٣) فإنه المالك للعبد وسيد له وما في الأرضين والسموات

(١) في (أ) (الذي) وهي ضعيفة .

(٢) في (ب) (من) .

(٣) في (ب) (بمخلوقاته) .

من العالم الذي خلقه وشق سمعه وبصره ورزقه ومن هابه بالنعيم التي لا يقدر
على شيء منها إلا هو تعالت قدرته وتقدس اسمه .

٢ — فوائد الإيمان بالقدر :

ومن فوائد رسوخ الإيمان بهذه الخصلة أنه يعلم أنه ما وصل إليه من الخير
على أي صفة كان وبه من اتفاق فهو منه عز وجل ، فيحصل له بذلك من
الحبور والسرور ما لا يقادر قدره لما له سبحانه من العظمة التي تضيق أذهان
العباد عن تصورها وتقصير عقولهم عن إدراك أدنى منازلها .

وإذا كان للعطية من ملك من ملوك الدنيا ما يتأثر له المعطى ويفرح به
ويسر لأجله لكونه من أعظم بني آدم لجعل الله سبحانه بيده الحل والهمد
في طائفة من عباده ، فكيف العطاء الواصل من خالق الملوك ورازقهم
وهيئهم وعميتهم .

وما أحسن ما قاله الحاربي (*) رحمه الله : « من لم يؤمن بالقدر لم يتن
بعبثه » (١) .

وهذا صحيح فما تماظمت القلوب بالمصائب ، وضائق بها الأنفس وخرجت
[بها] (٢) الصدور إلا من ضعف الإيمان بالقدر اللهم ارحمنا برحمتك فإننا من
الضعف ما أنت أعلم به ، ومن هدم الصبر على حوادث الزمان ما لا يخفى عليك ،

(١) في صفوة الصفوة : (من لم يجز مع القدر ..)

(٢) في (أ) (بالصدور) وليست موافقة .

الأصل

(*) هو أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحاربي ولد سنة ثمان وتسعين ومائة
وأصله من مرو وكان إماماً في جميع العلوم وله التصانيف الحسان ، وكان زاهداً
في الدنيا . وتوفي ببغداد سنة ٢٨٥ هـ (ص ٢٢٨) ج ٢ صفوة الصفوة .

ومن عدم الثبات عند الحقن مالدريك حقيقةه ولكننا لسالك العافية التي
أرشدتنا إلى سؤالها منك ، وقد أرشدنا رسولك صلى الله عليه وآله وسلم إلى
أن [نستعين] (١) بك من سوء القضاء كما ثبت لنا (٢) أنه في الصحيحين
وغيرهما أنه كان يقول : « اللهم إني أعوذ بك من سوء القضاء ودرك الشقاء
وجهد البلاء وشماتة الأعداء » (٣) فنقول : اللهم إنا نعوذ بك عما استعاذ منه (٤)
رسولك صلى الله عليه وآله وسلم فإنه قد سن ذلك لأمته .

٣ — الإيمان بالقضاء والاستعاذة من سوءه :

إذا عرفت هذا فاعلم أنه لا منافاة بين الإيمان بالقدر خيره وشره وبين
الاستعاذة من سوء القضاء .

فعلى العبد أن يجهد نفسه في الإيمان بهذه الخصلة ويعرئها عليها فإنها إذا
مُرنت صرنت . اللهم أعنا على هذه النفوس وسهل لنا الخير حيث كان وقو
إيماننا فإن الخير كل الخير في قوة الإيمان وبه متفاوت المراتب .

ومما يدل على جواز الاستعاذة من سوء القضاء ما ثبت من حديث
الحسن السبط رضي الله عنه أنه عليه السلام صلى الله عليه وآله وسلم ذلك الداء
بقوله في الوتر فيه « وقني شر ما قضيت » وهو حديث صحيح ، وإن لم يكن
في الصحيحين .

-
- (١) (أ) (نستعين) ونستعين هنا أوفق لما سيأتي بعد ، ولعل الشوكاني
كان يريد بها فسبقت يده إلى نستعين .
(٢) في (ب) سقطت من النسخ (لنا) .
(٣) في (ب) تقديم وتأخير في أجزاء هذا الحديث .
(٤) في (ب) (به) بدل (منه) .

٤ — الإيمان والإحسان ولما يجتمعان :

وتأمل بيان رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم ^(١)] لمعنى الإحسان فإنه يدل على أنه رتبة هائلة لأن من عبد الله كأنه يراه قد بلغ إلى أهل منازل الخشوع الذى هو روح الصلاة وبه يتفارت أجزها كما ثبت فى حديث « أن الرجل يصلى فيكون له نصفها ، ثلثها ، ربعها ، الحديث » فإن ذلك التفاروت إنما هو من جهة الخشوع وحضور القلب وقطع النظر عما سوى الله عز وجل .

فهذا الذى وصل إلى هذه الرتبة لا يبلغها إلا بعد أن تحصل له خصال الإيمان على السكال بعد خصال الاسلام ثم تحصل له هذه المزية العظمى .

ولا يكون ذلك إلا لأولياء الله عز وجل الراسخين فى الولاية ، البالغين إلى غاية مراتبها ، ولهذا آذان الله سبحانه من طادام بالحرب وفيه إشارة إلى مراتب الطاعات بتفارت الأشخاص وأنه قد يقع التفاروت بين الرجلين كما بين السماء والأرض فكم بين رجل يعبد الله وهو يفسر فى أمر آخر ويشغل بأمر الدنيا لا يحصل له شئ من خشوع ولا نصيب من حضور قلب ولا طرف من المراقبة ، وبين هذا الذى رزقه الله سبحانه الإحسان وشرح صدره لعبادة الرحمن .

وفيه منزع قوى لما عليه أولياء الله من تلك المزايا التى لا يشاركهم [فيها ^(٢)] غيرهم ، ولا يلحق ^(٣) بهم فيها سواهم .

(١) فى (أ) سها المؤلف عن الصلاة على للنبي ﷺ ، فامتها لأن مثله ، لا يتركها إلا سهواً .

(٢) فى (أ) (فيهم) ولا يستقيم ذلك .

(٣) فى (ب) (يلحق) .

ومن أنكر ما فضل الله به عليهم من فضله الذي هم ، وكرمه الذي هم
فذلك انصوره في علم الشريعة المطهرة مع جمعه لما لا يدري وإنكار ما
لا يعرف ، اللهم غفرًا .

البدء أعظم مظاهر الولاية :

وأما قول أبي القاسم القميري في كلامه السابق إن قرب الرب تعالى من
عبده بما يخصه من الدنيا من عرثاته وولي الآخرة من رضوانه فأقول :
أعظم أنواع قرب العبد من الرب ما صرح به في الكتاب العزيز بقوله
سبحانه (١) : « وإذا سألك عبيدي عنّي فإنّي قريب أجيب دعوة الداعي
إذا دعان » .

لقد جعل سبحانه هذه من هذا القرب الذي أخبرنا به مفسراً له ومبيناً
لضاه أنه يجيب دعوة من دعاه من عباده ، أكرم بها خصلة وأعظم بها فائدة
لا يقادر قدرها ولا يستطاع الإحاطة بما فيها من ارتفاع طبقة من يجيب
دعاه ويأبى نداءه . فذكر آلت ياربنا رجاءاً لا نخشى ثمناه وفيلك أنت هي أفتيت
على نفسك .

الولاية والعبادة :

وأما قوله : « لا يتم قرب العبد من الحق إلا بعبادته من الخلق » فهذا
إنما يكون فيمن لا نفع فيه للعباد .

أما من كان ينفعهم بعبادته ، أو بموهبته أو ببهادته ، أو بإنكار المنكرات
أو بالقيام فيهم بما أوجب الله على مثله القيام به ، فهذا يكون قرباً من الخلق

(١) في (ب) بعد سبحانه كلمة (تعالى) .

أقرب إلى الحق . وهو مقام الأنبياء ، ومقام العلماء الذين أخذ الله عليهم
اليمين للناس .

فليست هذه القضية التي ذكرها أبو القاسم كلية كما لا يخفى على من يعرف
شرائع الله سبحانه ، وما نذبه عباده إليه في كتبه المنزلة ، وعلى ألسن
رسله المرسل . وقد جاء في السنة أن المؤمن الذي يخالف الناس ويصبر على
أذاهم أحب إلى الله من المؤمن الذي لا يخالفهم .

، يمكن حل كلاً من كلاهما على البعد عن الخلق بإقبال قلبه على الله سبحانه ،
وهذه الامتداد بما سواه ، وأنه وإن خالفهم بمظاهره فهو مع الله بباطنه .
وهذا معنى حسن ورتبة هلية .

الطيف والنصر وعامة المؤمنين :

وأما قوله : « وبالطيف والنصرة خاص بالخواص » فأقول : قد أخبرنا
الله سبحانه في كتابه أنه لطيف بعباده . وهذا المعنى عام لكل من يصدق
عليه أنه عبد الله من غير فرقة بين خواصهم وخواصهم .

ولولا ما تفضل به على عباده من جرى أُلطافه عليهم لم يبتدوا إلى
معاش ولا معاد ولا عمل دنيا ، ولا عمل آخرة .

وأما النصرة فقد ورد سبحانه في كتابه بنصرة المؤمنين : « وكان حقاً
هلينا نصر المؤمنين » وينصر حزبه والمجاهدين في سبيله .

فمن كان من المؤمنين أو المجاهدين في سبيل الله ، وإن كان في عمله تخليط
وفي طاعته قصور فهو ممن وعد الله سبحانه بنصرته .

محبة الله بين أداء الفرض والنفل :

قوله : « حتى أحببته » في رواية الكشي عن (حتى أحبه) . قال ابن حجر في الفتح : « ظاهره أن محبة الله تعالى للعبد تقع ببلزمة العبد التقرب بالتواقل وقد استشكل بما تقدم أولاً أن الفرائض أحب للعبادات المتقرب بها إلى الله تعالى فكيف لا تلزم المحبة ؟

والجواب : أن المراد من التواقل ما كانت حاوية للفرائض مشتملة عليها ومكملة لها ويؤيده أن في رواية أبي أمامة : « ابن آدم إنك لن تدرك ما هندي إلا بأداء ما افترضت عليك » (١) انتهى .

وأقول هذا الإشكال ، يدفع من أصله فإن العبد لما كان معتقداً لوجوب الفرائض عليه وأنه أمر حتم بمقابله على تركها (٢) كان ذلك بمجرد حامله على المحافظة عليها ، والقيام بها فهو يأتي بها بالإيجاب الشرعي والعزيمة الدينية وأما التواقل فهو يعلم أنه لا عقاب عليه في تركها ، فإذا فعلها فذلك مجرد التقرب إلى الرب خالياً عن حتم ، ما طلائاً عن حزم ، فكان في فعلها من هذه الحثية محض المحبة للتقرب إلى الله بما يجب من العمل ، فجوzy على ذلك بمحبة الله له وإن كان أجر الفرض أكثر ، فلا ينافي أن تكون المجازاة بما كان الحامل عليه هو محبة التقرب إلى الله أن يحب الله فاهله . لأنه فعل ما لم يوجبه الله عليه ولا حزم عليه بأن يفعله .

ومثال هذا في الأحوال المشاهدة في بني آدم أن السيد إذا أمر عبده بأن يقضى له في كل يوم حاجة أو حوائج ، وكذلك أمر من له من المالك

(١) ص ٢٩٤ فتح البهاري ١١ .

(٢) في (ب) (على الترك) وليس مستقيماً في الأسلوب .

بمثل ذلك فكان أحدهم يقضى له تلك الحوائج ثم يقضى له حوائج أخرى يعلم أن سيده يحب قضاءها وتحسن لديه . والآخرون لا يتضررون له إلا تلك الحوائج التي أصرهم السيد بها . فمعلوم أن ذلك للسيد الذي صار يأتي له كل يوم بما أصره به وبغيره مما يحببه ، يستحق المحبة من السيد محبة زائدة على [محبته] ^(١) لكل واحد منهم .

فالمراد من الحديث هذه المحبة الزائدة الحاصلة من فعله لما يحببه سيده . من غير أصر منه له مع قيامه بما قام به غيره من اشتغال أصر السيد والتبرع بالزيادة التي لم يأمره بها .

وقال الفاكهاني : ^(٢) معنى الحديث أنه إذا أتى بالفرائض ودام على إتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما أففى به ذلك إلى محبة الله تعالى . ^(٣) انتهى .

أقول : المراد في الحديث المحبة الخاصة من النوافل خاصة لأن مجموع الفرائض والنوافل . وكون فاعل الفرائض عموماً لا ينافي هذه المحبة الخاصة .

أداء الفرائض شرط في اعتبار النوافل :

فالاحتمال أن الاختلاف بين المحبتين ظاهر واضح لاختلاف الأسباب وإن كان سببية أحدهما لسببين مشروطة بفعل السبب الآخر ، فإن من ترك الفرائض وجاء بالنوافل :

كتاركته بيفضا بالفساد وملبسة ببعض أخرى جناحاً

(١) في (أ) (محبة) وهو سهو في الكتابة من المؤلف لأن الأسلوب يقتضيه .
تعبير (ب) الذي اخترته .
(٢) ص ٢٩٤ فتح الباري .

وقال ابن هبيرة : « يؤخذ من قوله (ما تقرب إلى آخره) أن النافلة لا تقدم على الفريضة لأن النافلة إنما سميت نافلة لأنها تأتي زائدة على الفريضة فما لم^(١) يؤدى الفريضة لا يحصل النافلة ، ومن أدى الفرض ثم زاد عليه النفل وأدام^(٢) ذلك تحققت منه إرادة التقرب^(٣) انتهى .

وأقول : أما قوله إنه يؤخذ من قوله ما تقرب إلى آخره أن النافلة لا تقدم على الفريضة فليس في مثل هذا خلاف لأن الأمر بالفرائض حتم فالإتيان بما^(٤) هو حتم مقدم لا يذاع في ذلك أحد ولا يحتاج مثله إلى التحرير والله كر . وقد صرح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة » .

ليست المداومة شرطاً في القرب :

وأما قوله : (وأدام^(٥) ذلك) فليس في هذا الحديث ما يدل على الإدامة بل المراد مجرد وجود التقرب بالنوافل وقتاً فوقتاً وتارة فتارة ، فإن من فعل هكذا يصدق عليه أنه متقرب بالنوافل وإن لم يحافظ على ذلك حتى يصدق الدوام على ذلك الذي تقرب به ويصدق عليه أنه مديم للتقرب .

قال ابن حجر بعد نقله لكلام ابن هبيرة المتقدم : « وأيضاً قد جرت العادة أن التقرب يكون غالباً بغير ما وجب على المتقرب كالمداومة والنعفة بخلاف من يؤدى [ما]^(٦) عليه من إخراج أو يقضى ما عليه من

(١) في (ب) (فن لم) وتعبير الشوكاني أقوى وهو ما جاء في فتح الباري .

(٢) في (ب) (أدام على ذلك) وهو تعبير ضعيف أيضاً .

(٣) ص ٣٩٤ (٤) في (ب) بها .

(٥) في (ب) (أدام على ذلك) .

(٦) سقطت في (أ) من المؤلف سهواً .

«ين»^(١) انتهى .

وأقول لا حاجة إلى استخراج هذا المعنى العرفي للتقرب فإنه لا يفيد شيئاً مع العلم بأن معنى التقرب في لسان العرب وفي لسان الشرع يشمل كل ما يتقرب به العبد من فريضة أو نافلة . وصدقه هل الفرائض أقدم لسكون أمرها ألزم .

وأيضاً قد أفنى عن هذا الاستخراج لفظ النوافل فإنها في لسان الشرع ما زاد على الفرائض .

قال ابن حجر : « وأيضاً فإن من جملة ما شرعت له النوافل جبر الفرائض كما صح في الحديث الذي أخرجه مسلم « انظروا هل لعبدى من تطوع فتكمل به فريضته » ؟ الحديث بمعناه .

فتبين أن المراد من التقرب بالنوافل أن تقوم من أدى الفرائض لآمن أدخل بها كما قال بعض الأكابر : « من شغل الفرض عن النفل فهو ممدور ومن شغل النفل عن الفرض فهو مغرور »^(٢) انتهى .

أقول : لا يخفى عليك أن أصل الإشكال عند هؤلاء الذين تسكلموا بمثل^(٣) هذا الكلام هو ورود المحبة في جانب التقرب بالنوافل ، وقد بينا وجهه ، وأى مدخل لذكر أن النوافل تيجر بها الفرائض فإن هذا إنما هو إذا احتيج إلى الترجيح بين الفرائض والنوافل ، فإن الفرائض هي التي قال فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « وما تقرب إلى [عبدى]^(٤) بشئ »

(١) ص ٢٩٤ .

(٢) ص ٢٩٥ فتح البارى ج ١١ .

(٣) في (ب) سقطت من النسخ كلمة (مثل) .

(٤) في (أ) سها المؤلف عن باه (عبدى) .

أحب إلى مما افترضت عليه ، فإن هذا قد دلّ دلالة أوضح من شمس النهار أن التقرب بالفرائض أحب إلى الله من كل شيء . والنوافل ليست بهذه المنزلة فإنها من جملة ما دخل تحت النكسة في سياق النفي لكن الرب (١) جعل فعلها سبباً لحبه إياهم من حيث أنه جاء بزيادة على ما أمره به محبة لتقرب إلى الله بما لم يؤمر به ، فاستحق محبة الله مع كون تأدية الفرائض أحب إلى الله لكن صاحب هذه النافلة محبوب له لذلك النكسة التي قدمنا ذكرها ، والفرائض أحب ما تقرب به إلى الله .

ثم لا خلاف أن نوافل من هو تارك للفرائض ليست بمنزلة نافلة من هو مقيم للفرائض وللمنفل الذي يحبه الله هو الذي جاء بفريضته ، ثم تنفل ما كتبه الله له .

ولهذا سميت نافلة أى زائدة على ما افترضه الله على العبد . فالنافلة والنقض للمفاضلة بين الفريضة والنافلة ، فإن هذا كلام خارج عن مقصود الحديث المتقدم ، وكيف يمتنع بما نقله عن بعض الأكابر على هذا الأمر الذي هو من الشريعة بمنزلة أوضح من شمس النهار ١١٢

محبة الله شاملة للتقرب بالفرض والتقرب بالنفل :

وإيضاح المقام بأن يقال إن الترجيح فرع التعارض ولا تعارض هنا ألينة لأن كون الفرائض أحب للتقرب إلى الله لا ينافي كون المنقرب (٢) بالنوافل يحبه الله ، وإنما يكون التعارض في هذا المقام لو قال : من جاء بالفرائض

(١) في (ب) (سبحانه) بعد لفظ الرب .

(٢) في (ب) (التقرب) .

فهو أحب إلى الله من كل أحد ، ومن تقرب بالنوافل فهو أحب إلى الله من كل أحد ١١٢ .

وأما مجرد كونه يحب أحدهما ، فإنه لا ينافي أن يحب الآخر ثم لا تنافي بين ما ترتب عليهما ، فإن الذي ترتب على التقرب بتأدية الفرائض هو كون هذا التقرب أحب إلى الله من كل شيء من أعمال الخير ، والذي ترتب على التقرب بالنوافل ، هو أن الله يحب ظاهليها ، وكونه . يحب باطنيها ، لا ينافي كونه يحب غيره . وكون تأدية الفرائض أحب من غيرها لا ينافي أن تكون تأدية النوافل محبوبة ، بل هو المعنى الذي يفيد أفعلى التفضيل فإنه يدل على الاشتراك في الأصل ، فالفرائض والنوافل محبوبة إلى الله ولكن الفرائض أحب إليه ، وصاحب النافلة يحب الله ولا ينافيه أن يحب صاحب الفريضة ، لكن صاحب النافلة لما جاء بما جاء به صاحب الفريضة وزاد عليه بما فعله من النافلة ترتب على محبته ما تضمنه الحديث من كونه سبحانه « معه الذي يسمع به إلى آخر ما في الحديث . ومعلوم أن صاحب العملين أجره أكثر من صاحب العمل ، فاعرف هذا وأشد يدك^(١) عليه ، فإنه قد وقع من شراح الحديث في هذا الموضع خبط كثير .

(١) في (ب) (يديك) .

الفصل الثالث

أثر محبة الله في حياة الولي

هذه آيته وتوفيقة :

قوله : « فإننا أحببته كمن سمعته الذي يسمع به وبصر الذي يبصر ؛ ويده الذي ^(١) يبطش بهارجله الذي ^(١) يمشى بها » في حديث عائشة في رواية عبد الواحد ^(*) « عينه التي يبصر بها » وفي رواية يعقوب ^(**) « عينه الذي يبصر بها » بالثمنية وكذا نال في الأذن وليلد والرجل ، وزاد عبد الواحد في روايته رفؤاده الذي يقل به ، ولسانه الذي يتحكم به « ونحوه في حديث أبي أمنة . وفي حديث أنس « وإن أحببته كمن سمع له سمعاً وبصرأ وبدأ ومؤيداً » ^(٢) ووقع في روايه « فبي يسمع وبني يبصر ، وبني يبطش ، وبني يمشى » .

قوله : « ويده الذي يبطش بها ورجله الذي يمشى بها » هكذا وقع في الصحيح في باب التواضع بلفظ الذي في الموضعين ^(٣) ولعله على تأويل اليد والرجل بالمضو لأنهما مؤنثان ، وكأ على مقتضى هذا التأويل أن يقول الذي

(١) في (ب) (التي) في الاثنين .

(٢) ع ٢٩٥ فتح الباري .

(٣) في طبعة بولاق شرح ابن حجر ، وفي طبعة الشعب ج ٨ ص ١٣١ ، جاد

بلفظ (التي في الموضعين) .

الأعلام

(*) هو : عبد الواحد بن أحمد بن أبي القاسم بن محمد الملبحي الهروي من أهل الأدب والحديث له (الرد على أبي عبيد) في غريب القرآن و (الروضة) ويشتمل على ألف حديث صحيح وألف غريب وألف حكاية وألف بيت من الشعر ص ٣٢٣ ج ٥ الأعلام للزركلي .

(**) يعقوب بن إبراهيم بن كثير . محدث العراق في عصره . كان ثقة حافظاً

متقناً أخذ عنه الأئمة الستة له مسند في الحديث (الأعلام) ج ٩ ص ٢٥٣ .

يبطش به الذي يمشى [به] ^(١) ولكنه أنت وذكّر بالاهتبارين والله أعلم .

قوله يبطش قال في الصحاح : البطشة السطوة والأخذ بالحنف وقد يبطش به يبطش ويبطش بعاشاً ، وباطشه مباحشة .

المراد من أن الله صار مسمع العبد وبصره إلخ :

قال ابن حجر في الفتح : « وقد استشكل كيف يكون الباري جل وهلا مسمع العبد وبصره إلى آخره . والجواب من أوجه :

أحدها أنه ورد على سبيل التمثيل ، والمعنى كنت كسمعه وبصره في إثارة أمري فهو يحسب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح » ^(٢) انتهى الوجه الأول . وأقول :

هنا مع كونه إخراجاً للكلام عن الظاهر البين الواضح فهو مدفوع بالرواية المتقدمة من روايات الصحيح وهي قوله : « فبي يسمع وبني يبصر إلخ » . ومدفوع أيضاً بالرواية المتقدمة وهي قوله : « كنت له سمعاً وبصراً وبدأ به وبدأ » فإن ذلك التناويل لا يتيسر في مثل هذه الرواية لا سيما مع قوله وهو بدأ ^(٣) .

قال ابن حجر : وثانيها « أن المعنى أن كاتبه مشغولة بى فلا يصفى بسمعه إلا إلى ما يرضيني ولا يرى ببصره إلا إلى ما أمرته به » ^(٤) انتهى

(١) في (أ) سقطت من المؤلف سهواً ونظم للكلام يقتضيهما .

(٢) نفس الصفحة السابقة .

(٣) في (ب) سقط من الناسخ من أول قوله (فإن ذلك التناويل) إلى

((وهو بدأ)) (٤) ص ٢٩٥ .

وأقول : هذا أقرب من الوجه الأول ، أقل تكلفةً وحاصله : أن هذا الكلام خارج مخرج التوفيق للهبط إلى ملائكة الله ، تسديده عن الوقوع في شيء من معاصيه .

قال ابن حجر : « انتهى » (١) « أجل له مقاصده كأنه ينالها بمحمده وبصره الخ » (٢) انتهى .

وأقول : هذا الوجه بمفعول عن الفاعلة إذ (٣) لا معنى لنيل مقاصده به . وبصره لم يمكن تأويله بما تان من المقاصد التي لا يتقدم بها إلا الجمع له أو النيل إليها ، وما أقل ذلك ، وهو أن يستقيم في أئمة الرجال لأن الله في آية الأنعام يشير إلى الرجل من آية المثل إليه لكن كان يعني من هذا أنه كونه معيلاً له على تحصيل مطالبه وتقريباً منه . قال : « انتهى » : كنت في النص : كونه ، وبصره وبه ورجله على غيره . انتهى .

وأقول : الله أعلى وأجل من أن يكون في معاينة عبده الضعيف كونه الجوارح الضعيفة ، فرفقه أكبر من أن يكون ، وأجل من كل جليل ، وأنه يصلح ذلك لو كان المبدأ المساعدة والإقصاد ، فإذا يقال : مثل هذا أعلى من تلك صاعداً منقاداً ، فإقصاد هذه الجوارح لمساعدتها . مثل ذلك لا يصلح في جانب وجه العالم وخالفه السجل تعالى وتقدم .

وأيضاً لا يصلح ذلك في بني آدم إلا إذا كان من قال فلان : هو كمدني ، بصرى هزيراً عليه ، وكان (٤) من قال : هو كمدني ورجلي قاضياً في جوائمه ، كما يفهم استخدام الناسح .

(١) في (ب) « أن المعنى » (٢) ص ٢٩٥ .

(٣) في (ب) (ولا معنى) وهو لا يستقيم معنويًا .

(٤) في (ب) (كمن) من تصحيح أو تصحيف أحد القارئين .

قال :

خامسها : قال ألفا كمانى وسبقه إلى معناه ابن هبيرة : « هو فيما ظهروا أنه (١) هلى حنوف مضاف والتقدير كنت حافظ سمعه الذى يسمع به فلا يسمع إلا ما يحل سمعه وحافظ بصره إلى آخره » (٢) .

وأقول : ما أبرد هذا التقدير وأقل جدواه وعلى كل حال فهو يؤول إلى معنى الوجه الثانى . قال :

سادسها : « قال ألفا كمانى تحتمل معنى آخر أدق من الذى قبله ، وهو أن يكون معنى سمعه مسموعه لأن المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل فلان ألقى أى أمرلى . والمعنى أنه لا يسمع إلا ذكرى ولا يلتذ إلا بتلاوة كتابى ، ولا يأنس إلا بمناجاتى ، ولا ينظر إلا فى عجائب ملكوتى ولا يد يدعه إلا فيما (٣) فيه رضائى ورجله كذلك . ومعناه قال ابن هبيرة أيضاً » (٤) انتهى .

وأقول هذا الذى زعمه أدق معنى ، هو أبعد مسافة مما قبله وكون الله عز وجل مسموع العبد ومبصره على ما فيه من عوج كيف يصح مثل هذا التأويل فى اليد والرجل مع أن تلك الرواية الثابتة فى الصحيح وهى « فى يسمع وبى يبصر الخ » تدفع هذا التأويل وترده على عقبه .

قال الطوفى (*) : اتفق العلماء من يعتد بقوله على أن هذا مجاز وكناية هن

(١) فى (ب) لا توجد (أنه) . (٢) ص ٢٩٥ .

(٣) فى (ب) (إلا ما فيه الخ) .

الأعلام

(*) سليمان بن عبد القسوى بن عبد الكريم الطوفى المصرى من (٦٥٧ - ٧١٦ هـ) فقيه حنبلى من العلماء . له (بنية السائل فى أمهات المسائل) فى أصول الدين ، (الإكسير فى قواعد التفسير) ، و (مختصر الجامع الصحيح للترمذى . خ) فى مجلدين الأعلام ج ٣ ص ١٩٠ .

نصرة العبد وتأييده ؛ وإعطائه حق كونه سبحانه نزل نفسه من عبده منزلة
الآلات التي يستعين بها ، ولهذا وقع في رواية « في يسجد وبني يبصر وبني
يبطش »^(١) وبني عشي ٢ .

والإتحادية^(٢) زعموا أنه على حقيقته ، وأن الحق تعالى عين الضيف . واحتجوا
بجاءه جبريل في صورة دحية . قالوا : فهو روحاني خلع صورته وظهر بظاهر
البشر . قالوا : والله سبحانه أقدر على أن يظهر في صورة الوجود الكلي
أو بعينه « تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً »^(٣) انتهى .

أقول : هذا الذي ذكره من التنزيل لا يليق بحجابه سبحانه كما قدمنا في
المعبر إلى هذا الجاز بهذا الوجه كما قال الشاعر :

فكننت كالساحي إلى مثعب^(٤) هوائلا^(٥) من سبل^(٦) الراهد^(٧)

وأما ما حكاه عن الإتحادية فليس ذلك مما يستحق التعرض لردّه .

وقال الخطابي^(٨) : هذا مثال^(٩) . والمعنى توفيق الله تعالى لعبده في الأعمال

(١) في (ب) سقطت (بي) قبل (يبطش) .

(٢) في الفتح : قال والإتحادية إلخ .

(٣) الفتح : ص ٢٩٥ .

(٤) المثعب : مسيل الماء بشدة وبكثرة : القاموس .

(٥) طالبا للنجاة .

(٦) السبل محرّكة : المطر . قاموس .

(٧) السحاب (٨) في الفتح : « هذه أمثال » .

الأعلام

(٩) أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي المتوفى سنة ٣٨٨ هـ الإمام
المشهور الفقيه الأديب مصنف غريب الحديث ومعالم السنن وغيرها . روى عنه
خلق كثير (الباب في تهذيب الأنساب ج ٣ ص ٣٧٩) .

التي يباشرها بهذه الأعضاء وتيسر المحبة له فيها بأن يحفظ جوارحه عليه
ويعصمه عن مواقعة ما يكرهه^(١) الله تعالى من الإصغاء إلى اللهو بسمعه ومن
النظر إلى ما نهى عنه تعالى ببصره ، ومن البطش فيما لا يهل له بيده ، ومن
السمي إلى الباطل برجله .

والى هذا نحا الداودي^(٢) ومثله السكلاباذي^(٣) وهب بقوله « أحفظه
فلا يتصرف إلا في محبتي ، لأنه إذا أحبه كره له أن يتصرف فيما كرهه
منه »^(٤) انتهى .

وأقول : هذا يرجع إلى الوجه الثاني .

قال ابن حجر :

ومما بها : قال الخطاين أيضاً : وقد يكون غير بذلك عن سريرة إجابة
الدعاء والنسج في الدليل . وذلك أن مساعي الإنسان كلها إنما تكون بهذه
الجوارح المذكورة

وقال بعضهم : وهو منزع عما تقدم : « لا تتحرك »^(٥) له جارحة إلا في الله

(١) في (ب) (ما يكره)
(٢) في (ب) (ما يكره)
(٣) في الفتح لا يتحرك .
(٤) (٢) ص ٢٩٥ .

الأعلام

(٥) محمد بن عبد الحى بن رجب الداودي من علماء دمشق توفي سنة ١١٦٨ هـ
الأعلام ج ٧ ص ٥٩ .

(٥٥) محمد بن إبراهيم السكلاباذي البخاري أبو بكر من حفاظ الحديث له
(بحر الفوائد خ) في الحديث ، (التعرف لمذهب أهل التصوف) ج ١ : الأعلام ج ١
ص ١٨٤ توفي سنة ٣٨٠ هـ .

ولله نهي نكاحاً تامل بالحق للحق^(١) انتهى

وأقول : هذا الوجه السابع يرجع إلى الوجه الثاني ، كما يرجع إليه قول البعض .

هذا ولا يخفى أنك أن جهل كنت بمعنى صاح دعائه بعبده إلى طائفة فيه من البهائم لا يثنى على من يفهم تعاريف الكلام ووجوه إغاداته . إذا عرفت ما استعملت عليه هذه الوجوه التي ذكرها ابن حجر في الفتح ، وهرئت ما قلناه في كل وجه منها .

فأعلم أن الذي يظهر لي في معنى هذا الحديث القدسي ، أنه إلهاد الرب سبحانه هذه الأعضاء بنوره الذي تنوح به طرائق الهداية وتنقش عنده سحب الفؤادة . وقد نطق القرآن العظيم^(٢) بأن الله سبحانه هو نور السموات والأرض وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما سئل هل رأى ربه قال : « نور أنى أراه » وهو في الصحيح .

وثبت أنه سبحانه محتجب بالأنوار وثبت في الصحيحين وغيرهما من دعائه صلى الله عليه وآله وسلم إذا خرج إلى الصلاة « اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي بصري نوراً وفي سمعي نوراً وعن يميني نوراً وعن يميني نوراً وفي هدي نوراً ، وفي لحي نوراً وفي دمي نوراً وفي شجري نوراً وفي بشري نوراً » وزاد مسلم : « وفي لساني نوراً واجعل في نفسي نوراً وأعظم لي نوراً » .

وأى مانع من أن يمد الله سبحانه عبده من نوره فيصير صانئاً من كدورات الحيوانية الإنسانية لاحقاً بالعالم العلوي سائعاً بنور الله مبصراً بنور الله

(١) نفس المصدر والصفحة .

(٢) في (ب) (السكريم) .

باطشاً بنور الله ماشياً بنور الله وما في هذا من منع أو من أمر لا يجوز هلى
الرب سبحانه وقد سأله رسوله^(١)، صلى الله عليه وآله وسلم وطلبه من ربه .
ووصف الله^(٢) عباده بقوله : (نورهم يسرى بين أيديهم - الآية)^(٣) .

وليس في هذا ما يخالف موارد الشريعة ، ولا ما ينال إدراك عقول
المتشرعين العارفين بالكتاب والسنة .

وقد جعل الله سبحانه الخروج من ظلمات المعاصى إلى أنوار الطاعات
خروجاً من الظلمات إلى النور وورد في الكتاب والسنة من هذا الجنس
الكثير الطيب .

فمعنى الحديث كنت سمعه بنورى الذى أهدف فيه فيسمع سماها لا كما
يسمعه أمثاله من بنى آدم ، وكذلك بقية الجوارح .

وانظر في هذا الدهاء الذى طلبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن
يكون نور الله في سمعه وبصره وقلبه وعميمه ولحمه ودينه وشعره وبشره ولسانه
ونفسه ، بل سأل ربه أن يمدّه بنوره خلفه وأمامه . فلو أن لنور الله سبحانه
قوة لجميع الأعضاء ، ما طلبه سيد ولد آدم وخير الخلق

والحال أن الله قد جعله نوراً لعباده فكيف لا يكون ذلك مطلوباً لسائر
العباد لما ينشأ عنه من النفع العظيم ؟ .

فن أمد الله سبحانه بنوره في جميع بدنه صار لاحقاً بالعالم العلوى ومن
أمد عضواً منه بنوره صار ذلك العضو نورانياً .

(١) في (ب) (رسول الله) .

(٢) في (ب) (سبحانه) بعد لفظ الجلالة .

(٣) التحريم آية : ٨ .

فإن كان من الخواص كان لها من الإدراك ما لم يكن لغيرها ، من الخواص
التي لم تمد بنور الله عز وجل . وإن كان الإمداد لخواص من الأعضاء غير
الخواص صار ذلك الخواص قويا في عمله الذي يدخل به عندئذ إذا عمل به
الإنسان كان عمله صالحا موافقا لما هو الصواب .

فانضح لك بهذا معنى ما في هذا الحديث القدسي أي كنت بما أقيمت على
سمعه وبصره ويده ورجله عن نوري ، سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر
به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ثم أوضح هذا المعنى بقوله :
« في يسمع وبني يبصر ، وبني يبطش وبني يمشي » (١) .

قال ابن حجر في الفتح : « وأسنده البيهقي في الزهد عن أبي هانئ [الجلي] » (٢)

(١) واستأنس لقبول رأي الشوكاني هذا برأي « السيد محمد شيد رضا » في
تأويل هذه المعاني أن هذا من قبيل (والله طالب على أمره) وهو أن يبصر عنه
السوء والفحشاء ويوفق لما يرضيه من الأقوال والأعمال ، فهذا التوفيق والتسخير
يسمع ويبصر ويبطش ويسعى ويفكر ، لا يهوى النفس وشواتها « رسالة الصوفية
والفقراء لابن تيمية » نشر رشيد رضا هامش ص ٢٧ .

(٢) في الفتح . الجيزي ، ص ٢٩٥ ، وفي (ب) (الجلي) ، وفي (أ) (الجلي)
كما نقلها الشوكاني عن ابن حجر ، وصحته (الجلي) وهو أبو عثمان الجلي
النيسابوري وهو سعيد بن اسماعيل بن سعيد بن منصور الجلي النيسابوري وأصله
من الري . والجلي نسبة إلى (الحيرة) قرية من قرى نيسابور ، وهي غير
الحيرة القريبة من الكوفة بالعراق . نال مؤسسى الملامية .

وهو في وقته من أواخر المشايخ في سيرته ومنه انتشرت طريقة التصوف
بنيسابور وتوفي بنيسابور سنة ٢٩٨ هـ ومن مآثوراته (أطوف من الله بوجهك
إلى الله) والكبر والعجب في نفسك يقطعك عن الله ، واستغفار الناس في نفسك
مرض عظيم لا يداوى) ص ١٧٠ طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي
(تحقيق نور الدين شريعة) .

أحد أئمة الطريق قال : وهذا^(١) : كنت أصرع إلى قضاء حوائجه من عبده في الإجماع ودينه في النظر وبيده في الأمن ورجله في المشي .

وحمله بعض المتأخري الصوفية على ما يذكرونه من منام الفناء والحو وأنه النهاية التي لا شيء يرادها ، وهو أن يكون قائماً بإقامة الله تعالى هجلاً بمحبته له ناظراً بنظره له من غير أن تبقى معه بقية نشاط باسم أو تنف على رسم ، أو تتعلق بأمر أو توصف بوصف .

ومعنى هذا التكلام أنه [شهد] إقامة الله تعالى له حتى قام ومحبته حتى أحبه ونظر إلى عبده حتى أقبل ناظراً إليه بقلبه^(٢) .

وحمله بعض أهل الزيف على^(٣) ما يذكرونه من أن العبد إذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى تصفى من السمكورات أنه يظهر في معنى الحق ، — تعالى عن ذلك هلوأً كبيراً — وأنه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد أن الله تعالى هو الذي كر لنفسه الموحدة لنفسه ، وأن هذه الأسباب والاروم تهيئ عديمًا صرفاً في شهوده [وأنه]^(٤) يعدم في الخارج . وعلى الأوجه كلها فلا تمسك فيه للاتحاد ، ولا للمائلين بالوحدة المطلقة ، لقوله في بقية الحديث « لئن سألني ولئن استعاذني فإنه كالتصريح في الرد عليهم »^(٥) انتهى .

(١) في (ب) (بناه مناه) .

(٢) في (أ) (يشهد) ولكن (شهد) أقوم .

(٣) ص ٧٤٥ ، ٧٩٦ (٤) في (أ) تسكررت (على) .

(٥) في (ب) « تعذب » وهو سهر من النسيخ ، وفي (أ) ، (ب) (أن) بدلي (أنه) والرأي أن (أنه) هي التي تليق بالمقام لأن الكلام على العبد المتعبد فإنه يفنى ، وإنه يفنى في الخارج .

(٦) ص ٧٩٦ .

تحقيق آراء الاتحادية والصوفية:

وأقول : أما ما رواد الصوفية من أبي عثمان فهو كالرجل السابع الذي حكمه ابن حجر من الخطابي

وما ذكره من بعض أهل الزيف هو ما ذكره ^(١) الخطابي ^(٢) في كلامه السابق من الاتحادية ، إلا أن هذا لا يكون الاتحاد [فيه] ^(٣) إلا بعد انقضاء وذاك هو اتحاد مطلق من الأصل ^(٤) فكانا من هذه الحدية قولاً ، ويكون ما حكمه عن بعض متأخري الصوفية قولاً ثالثاً .

فتكون الوجوه التي وجه بها قوله « كنت معكم انخ » عشرة ينضم إلى ذلك ما ذكرناه واختارناه فتكون الوجوه أربعة عشر وجهها

وأما ما ذكره من الرد على ما حكمه من بعض أهل الزيف من قوله : نحن سألنا ولئن استعاذني ، فوجه الرد أنه يقتضي صائلاً ومستملاً ومستعيناً ومستعاذاً به . ولعله رحمه الله لم يتأمل هذا الحديث كما ينبغي فإنه لو تأمله لم يقتصر على ما ذكره من السؤال والاستعانة ، فإن الحديث كله يرد عليهم فإن قوله : من عادي لي وليا يرد عليهم لأنه يقتضي وجود معاد ومعادي ومعادي لأجله . ويقتضي وجود موالى وموالى ، ويقتضي وجود مؤذن ومؤذن ومحارب ومحارب ، ويستتبعه تقريب إليه وحبه ومعبود ومحبيب ، ومحبة وهكذا إلى آخر الحديث .

(١) الذي ذكر ذلك هو الطوفي لا الخطابي فليراجع .

(٢) في (ب) (صقر الخطابي) .

(٣) لا توجد (فيه) في (أ) ولكنها لازمة لاستقامة الأسلوب .

(٤) وهو ما يذهب عنه بمذهب وحدة الوجود .

فهو جميعه يرد على الاتحادية المتمسكين به من حيث لا يشعرون فإن قات :
لعله اقتصر في الاستدلال على الرد عليهم بذلك الوجه المأخوذ من ذلك اللفظ
لشكونه أوضح مما يستفاد منه الرد عليهم في صائر ألفاظ الحديث .

قلت : ليس ذلك الوجه أوضح من غيره حتى يكون ^(١) لتأثيره على ما عداه
مزية ، بل هي كلها مستوية من هذه الحينية .

بل الوضوح أظهر في قوله : « وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن
نفس المؤمن » فإنه يقتضى وجود متردد و يتردد فيه وفاعل و مفعول و وجود
نفس متردد فيها وهي نفس العبد المؤمن و يتردد وهو الفاعل لما وكاره
الموت وهو المؤمن وكاره لمساوته وهو الرب سبحانه .

منشأ الخطأ عند الاتحاديين :

والحاصل أن قوا الاتحادية يقتضى عقل كل قائل بطلانه ، ولا يحتاج إلى
نصب لطجة معهم .

وأصل الشبهة الداخلة عليهم من قول الثنوية ، فإنهم جعلوا إلهين اثنين إله
الخير وإله الشر : فإله الخير النور وإله الشر الظلمة ، وجعلواهما أصل
الموجودات كلها ، فإذا غلب النور صار العبد نورانياً ، وإذا غلبت الظلمة
صار العبد ظلامانياً

وغفلوا عن كون هذا المذهب الكفرى يرد عليهم بادية بده ، فإن
الظلمة غير النور ، والشئ الذى حلا به غير هذا الحال . نعم قد يقع الخطأ
كثيراً هناك إطلاق لفظ الوحدة مع تعدد معانيها ، فإنه يقال وحدة شهود

(١) في (ب) (تسكون) وهو سهو من الناسخ :

ووحدة قصود ووحدة وجود .

فالأولى معناها أنه لا يشهد إلا الله ويقطع النظر عما^(١) سواه ، وهذه وحدة محمودة .

والثانية معناها : لا يقصد إلا الله ويقطع النظر عن قصد غيره ، وهذه وحدة محمودة .

وأما الثالثة فهي التي جاءت على خلاف الشرع والعقل .
نسأل الله سبحانه أن يهدينا إلى ما يرضيه منا من طريق لا يقدح فيها شك ولا تعترض فيها شبهة ، ولا يكون للشيطان ماينا سبيل .

فضل السمع على البصر في التأثر والاعتبار :

واعلم أنه لم يكن لدى عند تأليف هذا الشرح شيء من الشروح إلا شرح الفتح لابن حجر رحمه الله ، ولم يذكر فيه وجه تقديم قوله : كنت سمعه على ما بعده مع أن الآيات السكونية والعبودية المتعلقة بحاسة البصر أكثر من تعلقها بحاسة السمع .

واعلم وجه ذلك والله أعلم أن الآيات التنزيلية والعبودية القولية إنما تدرك ابتداء بالسمع ولاحظ للبصر فيها ، وكذلك صائر ما شرعه الله^(٢) ابتداء لأنها إما أقوال أو حكاية أفعال وهي لا تدرك ابتداء إلا بالسمع ، فكأن السمع مختصاً بالآيات التنزيلية والعبودية القولية وجميع ما جاءت به الشريعة .

(١) في (ب) (عن سواه) .

(٢) في (ب) زاد الناسخ (سبحانه) .

ولاشك أن ما كان بهذه المنزلة وهي هذه الحفة من شاهر الإدراك أولى من غيره منها وأحق بالتقديم ، مع أنه مشارك للبهر في الآيات الكونية والعبر الخارجية بوجه من الوجوه . لأنه يهدف الوصف لمن يسمع ولا يبهر ما يشاهد في الخارج فيحصل له من الاعتبار والتفكير نصيب من ذلك . بخلاف البهر الذي لا يسمع فإنه لا يمكنه إدراك شيء من الآيات التنزيلية ولا من العبر القولية ، ولا من الشريعة المشروعة للعباد من الرب سبحانه ، ومن نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، والله أعلم .

إجابة الدعاء ، من مظائر حجة الله للعبيد (أولاً) :

قوله : « وإن سألتني لأعطيتك » باللام والآنون في آخره وكذلك في رواية « وإن استعاذتني لأعينك » وزاد في رواية عبد الواحد لفظ « عهدي » بعد « سألتني » وفي ضبط استعاذتني وجهان : الأول بالنون بعد التال المعجمة والثاني بالباء للموحدة .

وفي حديث أبي أمامة « وإذا استعصرتني نصرته » وفي حديث أنس « وإذا نصحتني نصحت له » .

وفي الحديث دليل على شمول النوافل للأفعال والأفعال ، وقد بينا فيما تقدم بعض ما يدخل تحت لفظ النوافل ، وهي كثيرة جداً يضبطها أن يقال : هي كل ما رغب الشرع فيه أو وعد بالتواب عليه من غير حتم .

وظاهر الصيغتين أعني قوله : « وإن سألتني أعطيتك » ، وإن استعاذتني أعتنته » العموم . وهو في الرواية الثانية التي ذكرناها أظهر لما فيها من اللام الموطئة للقسمة . فيجيب له كل مطالب ويعاذ من كل ما استعاذ منه .

قال ابن حجر في الفتح : « وقد استشكل بأن جملة من العباد والمجاهدين

دهوا وبالغوا ولم يجابوا»^(١)

والجواب : أن الإجابة تتنوع فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور ، وتارة يقع ولكن يتأخر لحكمة فيه ، وتارة قد تقع الإجابة ولكن بغير المطلوب حيث لا تكون في المطلوب مصلحة ناجزة ؛ وفي الواقع مصلحة ناجزة ، أو أصلح منها »^(٢) انتهى .

وأقول : كان ينبغي له أن يربط هذا التفسير^(٣) بالدليل ، فإنه لا يقبل إلا بذلك وقد أخرج أحمد بإسناد لا بأس به وببخاري في الأدب المفرد والحاكم من حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ما من مسلم ينصب وجهه لله في مسألة إلا أعطاه الله إياها : إما أن يجعلها له وإما أن يدخرها له »^(٤) .

وأخرج أحمد والبرار وأبو يعلى^(٥) بأسانيد جيدة والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث أبي سعيد الخدري^(٥) أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم ، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن يجعل له دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء عظمها »

(١) ص ٢٩٦ (٢) ص ٢٩٦ .

(٣) في (ب) (التفسير) .

(٤) في (ب) سقطت من النسخ (له) .

(٥) في (ب) سقط من النسخ سطر بأكمله من (والحاكم - إلى : قال :).

الأعلام

(٥) أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي أبو يعلى حافظ من علماء الحديث

ثقة مشهور . له كتب منها (المعجم خ) في الحديث ومسندان : كبير وصغير .

الأعلام ج ١ ص ١٦٤ وتوفي سنة ٣٠٧ هـ .

فقد تضمن الحديث^(١) الأول صورتين . إما التمجيل وإما التأجيل ،
وتضمن الحديث الثاني ثلاث صور : الصورتين المذكورتين في الحديث الأول
والثانية : أن يصرف عنه من السوء مثلهما .

وورد أيضاً ما يدل على وقوع الإجابة ولا محالة كما في حديث عائشة هند
الحاكم والبزار والطبراني في الأوسط والخطيب عنه صلى الله عليه وآله وسلم
قال : « لا حذر من قدر والدهاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن البلاء لينزل
فيتلقاه الدهاء فيحتاجان إلى يوم القيامة » قال الحاكم : صحيح الإسناد .
وتعقبه الذهبي في التلخيص بأن زكريا بن موسى أحد رجاله وهو مجمع
على ضعفه

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رواه أحمد وأبو يعلى بنعمان ، والبزار ،
والطبراني في الأوسط ورجال أحمد وأبو يعلى وأحمد إسنادي : البزار رجاله
رجال الصحيح غير علي بن علي الرضا ، وهو ثقة .

وقد قدما ذكر هذا الحديث وذكر ما قيل في إسناده .

وقد تضمن أن الدهاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل . وذلك يشمل دفع كل
البلاء النازل وأنه يحتاج هو والبلاء إلى يوم القيامة .

فيمكن أن يجمع بين الحديث وبين حديث أبي هريرة وأبي سعيد بأن
دفع البلاء يحصل بالدهاء على كل حال .

وأما إذا كان الدهاء في مطلوب من المطالب التي ليست بدفع للبلاء ،
فيحتمل تلك الصور .

ويؤيد هذا الجمع ما أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه ،

(١) في (ب) (هذا) قبل (الحديث) .

والضياع في المختارة من حديث أنس^(١) عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :
« لا تمجروا في الدهاء ؛ فإنه إن يهاك مع الدهاء أحد » . وقد صححه هؤلاء
الأئمة الثلاثة فلا وجه لتمقب الذهبي بأن في إسناده عمر بن محمد الأسدي وأنه
لا يعرفه لأنه قد عرف هؤلاء الأئمة ولو لم يعرفوه لم يصححوا الحديث . لكنه
حكى الذهبي في الميزان عن أبي حاتم أنه مجهول . وقال ابن حجر في إسان
الميزان : إنه تساهل الحاكم في تصحيحه .

ويجاء به لأنه قد صححه معه ابن حبان والضياع وهما ما هما ٢١ . ومعلوم
أنهما لا يصححان إلا حديثاً قد عرفوا إسناده . ومن علم حجة على من
لم يعلم .

ومما يدل على إجابة الدهاء على العموم حديث سلمان هند أبي داود
والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم ، وقال صحيح
على شرط الشيخين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
« إن الله حيي [كريم^(٢)] يستحي إذا رفع الرجل يديه إليه أن يردهما صفراً
خائبين » . وأخرج الحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث أنس قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله حيي كريم يستحي من عبده أن
يرفع إليه يديه ثم لا يضع فيهما خيراً » .

وبدل على إجابته على العموم الآيات التي قدمنا ذكرها .

أثر نوافل الصلاة وغيرها في محبة الله لعبده :

قال ابن حجر « في الحديث عظام قدر الصلاة ، فإنه نشأ عنها محبة الله

(١) في (أ) كرر المؤلف (من حديث أنس) .

(٢) في (أ) (كرم) بنفس ذلك الرسم وهو سهو من المؤلف .

تعالى للعبد الذي تقرب^(١) بها . وذلك لأن محل النجاة القربة ، ولا واسطة فيها بين العبد وربّه ، ولا شيء أقرّ له من العبد منها ، ولهذا جاء في حديث أنس المرفوع : « وجهلت قرة عيني في الصلاة » أخرجه النسائي وغيره بسند صحيح ، ومن كانت قرة عينه في شيء فإنه يود أن لا يفارقه ولا يخرج منه لأن فيه نعيمه وبه تطيب حياته

ولا^(٢) يحصل ذلك للعابد إلا بالمصابرة على التمسك بالركن^(٣) هروضة الآفات والفتور انتهى

أقول : خص في كلامه هذا من بين النوافل نوافل الصلاة مع أن نوافل الصيام والحج والصدقة ونحوها ورد فيها ما ورد في الترغيب في نوافل الصلاة .

وبعضها ورد في نوافله ما أجزه أعظم من أجر نوافل الصلاة كما في أحاديث الترغيب في ذلك . وقد قدمنا على ما منها .

ولا وجه لذلك فإن الحديث صرح بمعوم النوافل وهي تشمل كل نافلة ، ونوافل كل نوع ما خرج عن فرائضه مع الترغيب في فعله .

فإن قال : إنه خص نوافل الصلاة لما لها من المزية ، فهذه المزية إنما ترتفع بارتفاع ما وهد به عليها من الثواب . وقد ذكرنا أنه ورد في بعض نوافل غيرها ما هو أكثر ثواباً من بعضها .

وما ذكره من الاستدلال بحديث : « وجهلت قرة عيني في الصلاة » فهو

(١) في الفتح (يتقرب) .

(٢) في الفتح : (إنما يحصل ذلك)

(٣) في الفتح (غرض) .

غير مناسب لأن سياق الكلام في بيان عظيم^(١) أجر نوافل الصلاة المصلي وهذا إنما هو شيء يحصل به التلذذ لفاعل ذلك . وليس من الجزاء الموعود به

لكن كون الصلاة جملة قرة عين رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم] فيها مما يحرك^(٢) نشاط الراقبين في الخير إلى الاستكثار منها ، وأن تكون قرة أعينهم في الصلاة كما كانت قرة عينه في الصلاة . وهذه الصلاة التي كانت فيها قرة عين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تتناول الفرائض والنوافل .

وهكذا ، مما يرغب في الصلاة ، قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « يا بلال أرحنا بالصلاة » أي روحنا بنفعها .

وذلك وإن كان مورد صلاة الفرائض ؛ لكن لنوافلها نصيب من هذا الروح .

قال ابن حجر في الفتح : « وفي حديث حذيفة من الزيادة ، يعني حديث الباب : ويكون من أوليائي وأصفيائي ويسكون جاري مع النبيين والمهديين والشهداء في الجنة^(٣) » .

العصمة والقرب التي في هذا الحديث :

وقد تمسك بهذا الحديث بعض الجملة من أهل النحل والريضة فقالوا :

(١) في (ب) (عظيم) .

(٢) في (أ) ستطعت (صلى الله عليه وآله وسلم) .

(٣) في (ب) (ما يحرك) (٤) ص ٢٩٦ .

القلب إذا كان محفوظاً مع الله تعالى كانت خواطره معصومة من (١) الخطأ .
وتعقب ذلك أهل التحقيق من أهل الطريق فقالوا : لا يلزم إلى شيء
من ذلك إلا إذا وافق الكتاب والسنة والصححة إنما هي الأبداء . ومن
هداهم قد يخطئ ، فقد كان عمر رضي الله عنه رأس المهملين ومع ذلك فكان
ربما رأى الرأي فيخبره بعض الصحابة بخلافه فيرجع إليه ويترك رأيه .
فمن ظن أنه يكتفي بما وقع في خاطره عما (٢) جاء به الرسول صلى الله عليه
 وآله وسلم فقد ارتكب أعظم الخطأ
وأما من بالغ منهم فقال : حدثني قلبي عن ربي فهو أشد خطاً ، فإنه لا يأن
أن يكون قلبه إنما حدثه عن الشيطان والله المستعان (٣) انتهى .

فقى نسلم بآراء أهل الولاية وخواطرهم :

أقول : قد (٤) قبلنا في أول هذا الشرح أن أهل الولاية إذا لم تكن
أعمالهم موزونة بميزان الكتاب والسنة فلا اعتماد بها ، وكبرنا ذلك .
ومعلوم أن أولياء الله إذا لم يجهلوا كلامه وكلام رسوله تهوتهم ويهشون على
صراطهما السوي لم يصح لهم هذا الاعتدال إلى الله عز وجل .

وكيف يكون ولياً [لله] (٥) سبحانه من يرضى عما شرعه لعباده ودعاهم
إليه ويشغل بزخارف الأحوال ، وخواطر السوء ويؤثرها على كلام من هو

(١) في (ب) (عن) .

(٢) (ب) في (ب) وهو خطأ واضح .

(٣) الفتح ص ٢٩٦ .

(٤) في (ب) سقطت (قد) من الناسخ .

(٥) في (أ) (وليلها سبحانه) . وهو سهو من المؤلف .

ولى له ١٢ فإن هذا هو بالمدى أشبه منه بالولى .

وليس الكلام فيمن كان حاله هذا الحل ، بل الكلام فيمن يستكثر من أنواع الطاعة التي رغب إليها لتشرع بقيداً لكل مواده ومصادره بالشرع ، فإن لهذه الطاعات أثراً عظيماً في صلاح باطنه ووقوع خواطره في القالب مطابقة للصواب وكيف لا يكون هكذا وقد صار محبوباً لله وكان سمه الذي يسم به وبصره الذي يبصر به وبه التي ^(٢) يبعث بها ورجله التي ^(٣) يمشي بها ، فبه يسمع وبه يبصر وبه يبعث وبه يمشي كما وقع في هذا الحديث القدسي

وأى رتبة أهل من هذه وأى منزلة أكبر منها ؟ والمحجب في بنى آدم يؤثر محبوبه على نفسه ويقدمه عليها بأبغ جهده وغاية طاقتة حتى قال بعض الحجبين لمحبوبه شعراً :

ولو قلت طائفة ^(١) في النار أعلم أنه رضا لك أو مدن لنا من وصالك
لقربت رجلى أن نحوها ووطيتها هدى منك لى أو ضلة من ضلالك
لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة لقد سررنى أنى خطرت ببالك
وقال آخر :

ولقد ذكرتك والرياح نواهل دنى وبيض الخند تقطر من دنى
فوددت تقبيل الرياح لأنها لمعت كجسارق شغرك المتبسم

(١) فى (ب) (التي) .

(٢) أمر من (وطأ) بمعنى داس أو شى .

وقال آخر :

ذكرتك والخطيئ تخطئ بيننا وقد نهات منا للفتنة السحر

فإذا كان هذا في الطب البشري الذي هو نوع من أنواع مخلوقات الرب اتقى لا تدخل تحت حصر ، ولا تتطرق إليها إحاطة ، فكيف لا يصنع الله هز وجل لمحروبه من تيسر الخير والحماية من الجنائى ، وحفظ الخواطر عن الزبح ما يصير به ملكي الأفعال والأقوال ، وإن كان بشري المخلقة وهو القادر القوي الذي لا يتعاضمه شيء .

ومما يشير إلى صدق غالب خواطر أهل الإيمان حديث « اتقوا فراسة للؤمن فإنه يرى بنور الله » وهو حديث حسن كما قدمنا

والحاصل أن الخواطر الكائنة بين أهل الولاية إذا لم تخالف الشرع فينبغي أن تكون مسلمة لهم لكونهم أحبباء الله وأوليائه ، وأهل طاعته وشفقة هباده .

وليس لمن كان بالنسبة إليهم كالبهيمة بالنسبة إلى الإنسان ، أو كالإنسان بالنسبة إلى الملائكة أن ينسكروا عليهم شيئاً لا يخالف الشريعة ، فإن خالف شيئاً منها فهي الجسر الذي لا يصل أحد إلى صرافى الله إلا بالمرور منه ، والباب الذي من دخل من خبره ضل وزل ، وقل وزل .

ياسالكما بين الأسنة والقنبا إلى أشم عليك وأهمة الدم ولا شك ولا ريب أن من جعل ما أدتن به الله على عباده الصالحين المستكثرين من نوافل العبادات في هذا الحديث^(٢) من المحبة أهم ، وما ترتب

(١) في (ب) (أنواع) .

(٢) في (ب) سقطت من النسخ (في هذا الحديث) .

عليها عصمة كعصمة الأنبياء مخطيء مخالف للإجماع .

فإن العصمة بهذا المعنى خص الله سبحانه بها رسوله وملائكته ولم يجعلها لأحد من خلقه .

فإن هذا المقام هو مقام النبوة لامقام الولاية . ولا يخالف في ذلك إلا جاهل أو زائف .

ولكن الشأن فيما تستلزمه هذه المحبة من الرب سبحانه وما يتأثر عن قوله كنت محبة الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده الذي^(١) يبطش بها . ورجله الذي^(٢) يمشى بها . فإن هذا يدل أبلغ دلالة ويفيد أعلى مفاد أن من وقع له ذلك من جناب رب العزة كان مثبنا أكمل تثبيت ، وموفقا أعظم توفيق ، وربك يخلق ما يشاء ويختار ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطى لما منع .

وأما ما حكاه عن بلال منهم فقال : حدثني قلبي عن ربي . فليس هذا من الخواطر ، بل من الرواية المكذوبة والكلام المنقري إن كان قائله كابل العقل .

ولا فطالب ما تصدر مثل هذه الدعاوى الدريضة على المصابين بعقولهم ، الخاطئين في إدراكهم ، وليس على مجنون حرج .

وليس أحباء الله سبحانه هم هؤلاء ، بل الكلام في أحبائهم [الذين]^(٣) ذكرهم الله في هذا الحديث القدسي ولسان حالهم :

أهلا بما لم أكن أهلا لموقعه قول المبشر بعد اليأس بالفرج

لك البشارة فاخلع ماهليك فقد ذكرت ثم على ما فيك من هوج

(١) في (ب) (التي) .

(٢) في (أ) (الذي) وهو سهو من المؤلف .

الفصل الرابع

قيمة هذا الحديث في باب السلوك والأخلاق

الإحسان والمفروضات الباطنة :

وحكى ابن حجر في الفتح عن الطوفي أنه قال : « هذا الحديث أصل في السلوك إلى الله تعالى ، والوصول إلى معرفته ومحبته ، وطريقة ^(١) أداء المفروضات الباطنة وهي الإيمان ، والظاهرة وهي الإسلام ، والمركب منهما وهو الإحسان ؛ كما تضمنه حديث جبريل عليه السلام . والإحسان يتضمن مقامات السالكين من الزهد والإخلاص والمراقبة وغيرها » ^(٢) انتهى .

أقول : قد مر فذلك فيما سلف أن مما افترضه الله على عباده ترك المحرمات ، فتركها فريضة من فرائض الله سبحانه . فقوله أداء المفروضات الباطنة وهي الإيمان ، والظاهرة وهي الإسلام لا يشمل جميع فرائض الله .

وبيانه أن الإيمان هو كما قاله صلى الله عليه وآله وسلم في جواب من سألته عن الإيمان « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والتقدير خيره وشده » ، فلم يشمل جميع المفروضات الباطنة . فإن منها أن لا يتعلق بشيء من الاعتقادات الباطلة ، ولا يحسد ، ولا يصحب ، ولا يتكبر ولا يشوب عمله رياء ، ولا نيته هدم خلوص ، ولا يستخف بما أوجب الله عليه تعظيمه ، ولا يبطن غير ما يظهره ^(٣) حتى يكون ذا وجهين ، وغير ذلك من الأمور القلبية التي هي هند من يتفكر في الأمور وينفهم الحقائق كثيرة جداً . والتكاليف ^(٤) بها شديد ،

(١) في (ب) (وطريق) .

(٢) ص ٢٩٦ .

(٣) في (ب) (ما يظهر) دون الماء

(٤) في (ب) (والتكليف) .

والوحد عليه هتيد ، والحريص على دينه إذا لم يجاهدها^(١) كلية المجاهدة
ملك من حيث لا يشعر . وذهب عليه أجر أعماله الظاهرة وهو لا يدري .
فترك هذه هو من أهظم ما افترضه الله على عباده ، وهي غير داخلة في
خصال الإيمان التي اشتمل عليها الحديث .
فإن الرجل قد يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والقدر خيره وشره
وهو مشتمل على شيء من هذه المعاصي الباطنة

وبيان ذلك أنك لو كشفت ما هنده في الإيمان بالله لوجدته . مؤمناً لا يعترف
في ذلك شك ولا شبهة ، وكذلك لا يشك في الملائكة وفي كتب الله ورسله ،
وكرن الأمر بيد الله عز وجل وهو القابض الباسط للنفوس . فهذه [يجدها]^(٢)
الإنسان عند كل أحد من المسلمين . وإذا كشفت هذه الأمور الباطنة وجدت
عباد الله مختلفين فيها لا ينزهها الله سبحانه إلا من قلوب خاصة انحصار .

وما أحسن ما روى عن بعض كفار الهند الوثنية بعد إسلامه أنه قال :
« جاهدت نفسي في كسر الوثن الذي كنت أعبده ليلة فغلبتها وكسرتها ،
وأنا في جهاد لها نحو عشرين سنة في كسر الأصنام الباطنة فلم أقدر عليها ،
ولا نفع جهادي لها أبداً »

ومن فكر في هذا النوع الإنساني وجد غالب مصائب دينه من المعاصي
الباطنة ووجد المعاصي الظاهرة بالنسبة إلى الباطنة أقل خطراً وأيسر شراً ،
لأنه قد يمنع عنها الدين وقد يمنع عنها الحياء وحفظ الرودة . وأما للبلايا
الباطنة فهي إذا لم بزغ حاملها وأزع الدين لم يقام عنها لأنها أمور لا يطاع عليها
الناس حتى يستعصى ويحاشى ويحافظ على مروءته .

(١) في (ب) (يجاهد نفسه) وهو أوضح .

(٢) في (أ) (يجده) وليس يستقيم .

طهارة الباطن وأثرها في مركز الإنسان من الولاية :

وبالجملة فمن قدر على تصفية باطنه من هذه الأدناس فقد دخل من باب الولاية الكبرى ، وتمسك بأوثق أسبابها لأنه قد خلع من أعظم موانعها ، وأشد العقواطع عنها ، وصار باطنه قابلاً لأنوار التوفيق مستعداً للظفر بالمنازل العالية والمزايا الجميلة التي هي أس الولاية العظمى وأساس الهداية الكبرى وركن الإيمان القوي ، وعماد الإخلاص السوي

وإذا تقرر لك عدم احتمال خصال الإيمان على جميع الأور الباطنة ، فكذلك^(١) ما ذكره من احتمال الإسلام على الفرائض الظاهرة ، فإنه غير مسلم . لأن الإسلام هو الذي ذكره النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جواب سؤال من سأل عن الإسلام فقال : « أن تقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتحج البيت ، وتصوم رمضان ، وتشهد أن لا إله إلا الله » فقد اقتصر صلى الله عليه وآله وسلم في بيان ماهية الإسلام على هذه الخمس .

والفرائض الظاهرة كثيرة جداً يصعب حصرها ، وتتمسر الإحاطة بها ، وناهيك أن رأس الفرائض الظاهرة الجهاد وليس من جملة الخمس التي اشتمل عليها حديث الإسلام ، فلا نطيل بذكرها فإنها معروفة لكل ذي علم وفهم .

الطريق إلى طهارة الباطن :

ويحسن أن نبين ماهنا الزواجر عن بعض المعاصي الباطنة حتى يكون ذلك بعد ما قدمناه من التحذير منها كالدواء لدائها الدخال ، وكالترياق لسمها القاتل .

(١) في (ب) (وكذلك) وهو خطأ .

فأهل أن هممة الأعمال التي تترتب^(١) عليها محتما أو فسادها هي النية والإخلاص ، ولا شك أنهما من الأمور الباطنة .

فمن لم تكن نيته صحيحة لم يصبح عمله الذي عمله ، ولا أجره المترتب عليه . ومن لم يخلص عمله لله سبحانه فهو مردود عليه مضروب به في^(٢) وجهه ، وذلك كالمامل الذي يشوب نيته بالرياء ، قال الله عز وجل : « واعبدوا الله مخلصين له الدين »^(٣) . وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة^(٤) في قصة الجيش الذي يفزو السكبة فيخسف بهم ، قالت : قلت يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم ؟ قال : « يخسف بأولهم وآخرهم ثم يمعنون هلى قهر نياتهم » .

وأخرج ابن ماجه بإسناد حسن من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنما يبعث الناس على نياتهم » وأخرجه أيضا من حديث جابر . وأخرج البخاري وغيره من حديث أنس قال . « رجعنا

(١) في (ب) (ترتب) هكذا دون نقط الياء .

(٢) في (ب) سقطت من النسخ (في) .

(٣) لعله يريد بذلك قوله تعالى « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء الخ » سورة البينة آية ٥ ، لأنه لا يوجد في القرآن آية بذلك الصدر الذي أورده

(٤) في (ب) (رضى الله عنها) .

من غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : إن أقواما خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا إلا وهم معنا حبسهم العذر . وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم » .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عباس عنه صلى الله عليه وآله وسلم : « من هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبها الله عنده سيئة واحدة » زاد^(١) في رواية : « أو محاسنها ، ولا يهلك على الله إلا هالك » . وهو في الصحيحين بنحوه من حديث أبي هريرة .

ومن ذلك حديث : « الثلاثة الذين هم أول من تسعير بهم النار وهم : العالم الذي هلم ليقاتل له عالم ، والمجاهد الذي جاهد ليقاتل له جريه ، والرجل الفنى الذى تصدق ليقاتل له جواد » .

وهو من حديث أبي هريرة في الصحيحين وغيرهما بالفاظ . وأخرج أبو دواء واللساني بإسناد جيد من حديث أبي أمامة قال : « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقال : أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكى : ما له ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا شيء له ، فأعادها ثلاث مرات ، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا شيء له ، ثم قال : إن الله لا يقبل من العبد إلا ما كان له خالصا ، وابتنى به وجهه » .

وأخرج أحمد بإسناد جيد والبيهقي والطبراني من حديث أبي هند الدارى

(١) فى (ب) (وفى رواية) .

أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من قام مقام رياء وسمعة رآه الله به يوم القيامة وسمع » .

وأخرج الطبراني في الكبير بأسانيد أحدها صحيح والبيهقي عن هبة الله ابن عمرو ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من سمع الناس بملء سمع الله به سماع خلقه وصغره وحقره » .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث جندب بن عبد الله ^(١) قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « من سمع سمع الله به ^(٢) » من يراني يراني الله به » .

وأخرج ابن ماجه والحاكم والبيهقي في كتاب الزهد من حديث معاذ قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : اليسير من الرياء شرك » الحديث قال الحاكم : صحيح ولا مله له .

وأخرج أحمد بإسناد جيد ، وابن أبي الدنيا والبيهقي في الزهد عن محمود ابن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصفر ، قالوا : وما الشرك الأصفر ؟ قال الرياء ، يقول الله عز وجل ، إذا جزى ^(٣) الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم ترابون في الدنيا فانظروا هل يجدون عندهم جزاء ؟ » .

وأخرج الترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث أبي سعيد

(١) في (ب) سقطت من النسخ (به)

(٢) في (ج) .

الأعلام

(*) جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي العلقمي ، أبو عبد الله له صحبة مات بعد الستين من الهجرة . خلاصة التهذيب ، لاخترجى ، وتقريب التهذيب لابن حجر .

والأحاديث الواردة في كون الرياء مبطلا للعمل موجبا للإثم كثيرة جداً واردة في أنواع من الرياء : الرياء في العلم ، والرياء في الجهاد ، والرياء في الصدقة ، والرياء في أعمال الخير على العموم ، ومجموعها لا يفي به إلا مصنف مستقل .

والرياء هو أضر المصاعب الباطنة وأشرها مع كونه لا فائدة فيه إلا ذهاب
أجر العمل والعقوبة على وقوعه في الطاعة ، فلم يذهب به بمجرد العمل بل لزم
صاحبه مع ذهاب عمله الإنم البالغ

ومن كان ثمرته رياءً هذه الثمرة ، ويحجز عن صرف نفسه هذه فهو من ضيف العقل ، وحق الطبع بمكان فوق مكان المشهورين بالحكمة

ومن الزجر عن الذنوب الباطنة الخارجة عن حديث الإيمان ما أخرجه الشيخان وغيرهما من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تمسسوا ، ولا تنافسوا ولا تحامدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا كما أصرم ، للسلم أخوا للسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا والتقوى هاهنا ، ويشير إلى صدره بحسب أصرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله » .

وهذه الأمور غالبها من المعاصي الباطنة ، وناهيك أن التقوى التي هي طريق النجاة الكبرى قد صرح صلى الله عليه وآله وسلم هاهنا أنها من الأمور الباطنة ، فإذا كانت النية والإخلاص والتقوى من الأمور الباطنة ، وهي عمدة الاعتماد بالأفعال والأقوال فناهيك بذلك

وأخرج ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا يجتمع في جوف هبد مؤمن خبار في سبيل الله وفيح جهنم ، ولا يجتمع في جوف هبد الإيمان والحسد » .

فقد أوضح في هذا الحديث أن الحسد مفاير الإيمان ، فصيح ما ذكرناه من الاعتراض على كلام الطوفي السابق .

وأخرج أبو داود والبيهقي من حديث أبي هريرة ، وأخرجه ابن ماجه من حديث أس بن عمار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » وأخرج الطبراني بإسناد رجاله ثقات عن ضمرة بن ثعلبة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا » ، وأخرج البزار والبيهقي بإسناد جيد من حديث الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « دب إليكم داء الأمم قبلكم : الحسد والبغضاء ، والبغضاء هي الحالقة أما إنى لأقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين » .

وأخرج ابن ماجه بإسناد صحيح والبيهقي « أنه سئل رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم] ^(١) عن أفضل الناس فقال : التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد » . والأحاديث في هذا الباب كثيرة

وعما ورد في ذم الكبر والمعجب حديث هياض بن حار الذي أخرجه مسلم وأبو داود وابن ماجه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد » ، وأخرج مسلم والترمذي من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله

(١) في (أ) سقطت : (صلى الله عليه وآله وسلم) .

صلى الله عليه وآله وسلم : « ما نقصت صدقة من مال وما زاد^(١) الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه » ، وأخرج للترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه من حديث ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات وهو يرى من التكبر والغلول والدين دخل الجنة »

وأخرج ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى سعيد الخدرى عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من تواضع لله درجة يرفعه الله درجة حتى يجمعه فى أهلا عليهم ، ومن تكبر على الله درجة يضعه الله درجة حتى يجمعه فى أسفل سافلين ، ولو أن أحدكم يعمل فى صخرة صماء ليس عليها باب ولا كسوة يخرج ما غيبه للناس كأنها ما كان » .

وأخرج أحمد والبخارى بإسناد رجاله رجال الصحيح ، والطبرانى عن عمر بن الخطاب^(٢) أنه قال على المنبر : « أيها الناس تواضعوا فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : من تواضع لله رفعه الله وقال : — انتعش نعيمك الله — فهو فى أهبين الناس عظيم وفى نفسه صغير ، ومن تكبر قصمه الله ، وقال : اخسأ فهو فى أهبين الناس صغير ، وفى نفسه كبير » .

وأخرج مسلم من حديث أبى سعيد وأبى هريرة^(٣) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يقول الله عز وجل : « العز إزاره والسكر برباه

(١) فى (ب) (ولا زاد الله . . .) .

(٢) فى (ب) (رضى الله عنه) .

(٣) فى (ب) (رضى الله عنه) .

رداؤه ، فن^(١) نازهنى واحداً منهما هذبتنه « ، وفى الصحيحين وغيرهما من حديث حارثة بن وهب قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ألا أخبركم بأهل النار : كل هتل جَوَّاطٍ^(٢) مستكبر » .

وأخرج مسلم والنسائى من حديث أبى هريرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله تعالى يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، ومملك كذاب ، وهائل^(٣) مستكبر » . وأخرج مسلم والترمذى من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر » . فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ، ونعله حسنة^(٤) قل . إن الله جميل يحب الجمال . الكبير بطار الحق وغط الناس « وأخرج البخارى وغيره من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « بينما رجل ممن كان قبلكم يحمر إزاره من الخيلاء خسف به فهو يتجملجل فى الأرض إلى يوم القيامة » . وأخرج نحوه البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أبى هريرة .

وفى الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله له يوم القيامة فقال أبو بكر : يا رسول الله إن إزارى يسترخى إلا أن أتعاهده ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنك لست ممن يفعله خيلاء » ، والخيلاء عند أهل اللغة والشرع الكبير والمجرب . والأحاديث فى هذا الباب كثيرة . وأخرج الشيخان

(٣) فى (ب) (مما) .

(٣) الجواط . المتكبر الجافى المختال . قاموس .

(٣) هائل : فقير . قال تعالى « ووجدك هائلاً فأغنى » سورة الضحى .

(٤) فى (ب) (حسناً) .

وغيرهما من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « تعبدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ، وتعبدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » . وأخرج البخاري من حديث ابن عمر أن رجلا قال له إنا ندخل على سلطاننا فنقول بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عنده فقال : كننا نهد هذا نفاقاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وأخرج أبو داود وابن حبان في صحيحه من حديث عمار بن ياسر (*) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار » . وأخرجه ابن أبي الدنيا (**) والطبراني والأصبهاني (***) من حديث أنس . وأخرجه الطبراني أيضاً في الأوسط من حديث سعد بن أبي وقاص بالفظ [ذور] (١) الوجهين في الدنيا يأتي يوم القيامة وله وجهان من نار » .

(١) في (أ) ، (ب) (ذى) .

الأعلام

(*) عمار بن ياسر بن عمار بن مالك : أسلم قديماً وكان من المستضعفين الذين يذبون بمكة ليرجعوا عن دينهم ، أحرقه المشركون بالنار وشهد بدرا ولم يشهدا ابن مؤمنين غيره ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسماء الطيب الطيب قتل عمار بصفين مع علي بن أبي طالب سنة ٣٧ هـ ، صفوة الصفوة ج ١ ص ١٧٥ .

(**) (من ٢٠٨ - ٢٨١ هـ) عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان ابن أبي الدنيا القرشي الأموي مولاهم البغدادي حافظ للحديث مكث من التصنيف ص ٣٦٠ ج ٤ الأعلام .

(***) (من ٥٠١ - ٥٨١ هـ) محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المدني (نسبة إلى مدينة أصبهان) من حفاظ الحديث المصنفين فيه من كتبه (الأخبار الطوال) و (اللطائف) خ في الحديث . الأعلام ج ٧ ص ٢٠٢ .

ومن الأمور الباطنة الخيانية وقد وردت الأحاديث الصحيحة بأنها من خصال النفاق .

ومن الأمور الباطنة المحبة والبغض والكراهة وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا الله تعالى ، ومن يكره أن يهود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار » وفي رواية « وأن يحب في الله ويبغض في الله » .

وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله تعالى يقول يوم القيامة : [أين] ^(١) المتحابون لأجلي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي » وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة في السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله « ومنهم رجلان تمأبا في الله اجتماعا عليه وتفرقا عليه » . وأخرج مسلم من حديثه في الرجل الذي أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعرفه أنه زار أخاه أحبه في الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله قد أحبك كما أحببت فيه « وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي ذر « أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : المرء مع من أحب » .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً ومن ذلك ما ورد في ذم حب الدنيا ومهح حب الآخرة ، وهي أحاديث كثيرة ^(٢) .

ومن الأمور الباطنة الطيرة وقد صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنها

(١) في (أ) سهى المؤلف عن كتابة (أين) .

(٢) في (ب) سقطت من النسخ (وهي أحاديث كثيرة) .

شرك كما في حديث ابن مسعود وصححه الترمذي وابن حبان .
ومن الأمور الباطنة التوبة ، والأحاديث الواردة في التترغيب فيها
متواترة . ومنها الأحاديث الواردة في مدح الخشية من الله عز وجل .
ومنها الأحاديث الواردة في ذم طول الأمل ومدح قصره . ومنها الأحاديث
الواردة في مدح الخوف من الله عز وجل ، ومراقبته .
ومنها الأحاديث الواردة في مدح حسن الظن بالله ، ولو لم يكن منها
إلا ما في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم قال : قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي .
وحديث جابر عند مسلم وغيره أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم
قبل موته بثلاثة أيام يقول : « لا يؤمن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله
عز وجل » .

ومنها الصبر وقد ورد مدحه وكون الله مع الصابرين وماله^(١) من الأجر
العظيم في الكتاب والسنة .

وبالجملة فاصنيفاء الفرائض الباطنة ، والمحرمات الباطنة التي تركها من
الفرائض يطول جدا ، فلنقتصر على هذا المقدار ، وبه يتبين أن ما ذكره
الطوفي من اشتغال خصال الإسلام على الفرائض الظاهرة ، واشتغال خصال
الإيمان المذكورة في الحديث على الفرائض الباطنة غير صحيح .

مقام الإحسان ولمن يكون :

وأما قول الطوفي : والمركب منهما وهو الإحسان كما تضمنه حديث
جبريل الخ فأقول : وجه تركبه منهما أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال في

الاحسان لما سأله السائل عنه : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، فأمره أن يعبد الله سبحانه على هذه الصفة ، وهي كأنه يراه فمجوع الاحسان هو العبادة مع الحضور والمراقبة ومزيد الخشوع فيها . ولكن لا يخفى أنك أن كون الاحسان يتركب من مجموع الاسلام والايمان مبنى على أن العبادة مع هذه المراقبة تحصل لكل مؤمن ، وهو ممنوع .

فإن هذه رتبة وراء الايمان بمسافات طويلة ودرجات كثيرة ، لأن الايمان يحصل بمجرد إيمانه بالله ولائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره وقد عرفناك أن هذا حاصل لغالب العباد ، ولو كان الاحسان من مجموع الاسلام والايمان لزم أن يحصل لكل مسلم مؤمن ، وأنه إذا لم يحصل له ذلك ولم يعبد الله كأنه يراه لم يحصل الايمان . وهذا باطل من القول وتكليف بما لا يستطيعه من أهل الايمان إلا من هو التكبريت الأحمر والغراب الأبقع ، وكل عالم بهذه الشريعة الغراء لا يخفى عليه مثل هذا .

فلاحسان هو موهبة يتفضل الله بها على خالص عباده وجلة صفوته وأكبر أوليائه وأهل محبته .

فالذي ينبغي أن يقال : إن الاحسان مشروط بالاسلام والايمان ، وأنه لا يتم إلا لمن حصل له هذان الامران وهو شيء ثالث ، ليس هو هين أحدهما ولا مركب منهما ، وفرق بين الشطر والشطر ، فإن الشرط خارج عن المشروط وإن استلزم هده عدمه بخلاف الشطر فإنه جزؤه الذي تتركب منه مع غيره .

فالطوفى لما صرح بتركيب الاحسان من الاسلام والايمان ، استلزم كلامه هذا ، أنهما جزآن له ، وليسا كذلك ، بل هما شرطان له ، من فقدهما أو أحدهما فقد الاحسان كما هو مفهوم الشرط . فلا بد من هذا ، وإلا

استلزم كلامه الباطل ، وهو أن كل من اجتمع له الاسلام والايمان يكون قد بلغ رتبة الاحسان ، وهذا غلط من القول ، وشطط من الرأي ، وهيب من النسكليف ثقیل لا ينوب به غالب عباد الله المؤمنين .

مقام الاحسان :

والمراتب تتفاوت بتفاوت هذه المقامات ، وإن كان بينهما في العلو ما بين السماء والأرض ، وأعظم محصلات هذا المقام الاحسانى هو الخشوع والخوف والخشية من الله عز وجل كما قال عز وجل : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » (١) وفي الحديث المتفق عليه في السبعة الذين يظلمهم الله في ظله ومنهم رجل دعه امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله .

وكذلك في حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فقل صاحب المرأة التي دعه فتركها : « اللهم إن كنت تعلم أني إنما فعلت ذلك رجاء رحمتك وخشية هذا بك » وهو في الصحيحين وغيرهما .

وكذلك حديث الرجل الذي أمر أولاده بإحراقه إذا مات فقال له الله عز وجل : « لم فعلت هذا ؟ قال : خشيتك يا رب وأنت أعلم بفقر الله له » . وهو في الصحيحين وغيرهما .

وأخرج ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الله سبحانه أنه قال : « وعزتي لا يجتمع على عبد خوفان وأمنان : إذا خافني في الدنيا أمنت يوم القيامة ، وإذا أمنتني في الدنيا أخفتني يوم القيامة » .

وأخرج الترمذي وحسنه والبيهقي من حديث ألس قال : قال رسول الله

(١) سورة الرحمن آية : ٤٦ . وفي (ب) لا توجد (عز وجل) بعد قال .

صلى الله عليه وآله وسلم : « قال الله عز وجل : أخرجوا من النار من ذكرنى يوماً أو خافنى فى مقام » وأخرج الترمذى وصححه من حديث أبى هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ساعة الله غالية ، ألا إن ^(١) ساعة الله الجنة »

وأخرج البخارى وغيره من حديث أبى ذر ، أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : « والله لو تعلمون ^(٢) ما أهلم لضحكتم قليلا ، ولربكم كشيروا ، وما تلتذتم بالنساء على الفراش ، ونلجتم إلى الهنديات فجأرون إلى الله والله لوددت أنى شجرة تهصد » وهو فى الصحيحين من حديث أنس .

ومن ذلك حديث أنس عند الترمذى وابن ماجه : أنه صلى الله عليه وآله وسلم دخل على شاب وهو فى اللوت ، فقال : « كيف تجدك » قال : أرجو الله يا رسول الله وإنى أخاف ذنوبى ؛ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : لا يهتمهمان فى قلب عبد مؤمن فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو ، آمنه مما يخاف : وإسناده حسن ، وفى إسناده جعفر بن سليمان الضبى ^(٣) واسكنه صدوق . أخرج له مسلم وروثه الجمهور ، وتكلم فيه قوم منهم الدارقطنى .

(١) فى (ب) سقطت من الناسخ (ألا إن) .

(٢) فى (ب) (علمتم) .

الأعلام

(٣) (الضبى) : وردت الضبى بالصاد فى (أ) ، (ب) وفى (خلاصة تذهيب السكال) للحافظ صفى الدين أحمد بن عبد الله الخزرجى الأنصارى : (جعفر بن سليمان الضبى بضم المعجمة وفتح الباء أبو سليمان البصرى الزاهد ، وثقه أحمد وابن معين قال ابن سعد ثقة يتشيع مات سنة ١٧٨ هـ) الطبعة الأولى .

وأخرج أحمد والنسائي والحاكم وصححه من حديث أبي ربحانة^(١) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « حرمت النار على حين دهمت أو بكت من خشية الله » وأخرجه الحاكم وصححه من حديث أسد ، وأخرج الترمذي وصححه والنسائي والحاكم . وقال صحيح الإسناد من حديث أبي هريرة « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « لا يلبج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع » والأحاديث في هذا الباب كثيرة .

ومن أعظم الأسباب للوصول إلى مقام الإحسان الزهد في الدنيا ، وفي ذلك ترغيبات كثيرة^(٢) : ومنها ما أخرجه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد^(٣) قال : جاد رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يا رسول الله داني على عمل إذا عملته أحبني الله تعالى وأحبنى الناس » قال : ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس ، وفي إسناده^(٤) خالد بن عمرو القرشي الأموي السعدي وفيه مقال

وأخرج مسلم وغيره من حديث أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [قال]^(٥) : « إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله تعالى بمن خلفكم

(١) هو أبو ربحانة شمعون بن زيد الأزدي حليف الأنصار مولى رسول الله ﷺ شهد فتح دمشق وسكن بيت المقدس ولم يعرف له تاريخ وفاة . (خلاصة التهذيب) ص ١٤٣ .

(٢) في (أ) تكررت (كثيرة) .

(٣) في (أ) سقطت (الماء) من المؤلف سموأ .

(٤) في (أ) لا توجد (قال) .

الأعلام

(٥) هو سهل بن سعد الخزرجي الأنصاري من بني ساعدة صحابي مشهور من أهل المدينة له في الصحيحين ١٨٨ حديثا توفي سنة ٩١ هـ (الأعلام ج ٣ ص ٢١٠) .

فيها فينظر كيف يعملون فأتقوا الله ، واتقوا النساء » وأخرج مسلم عن عبد الله ابن عمر^(١) سأله رجل فقال له عبد الله : « ألك امرأة تأوى إليها ؟ قال نعم قال ألك مسكن تسكنه ؟ قال نعم قال فأنت من الأغنياء ؟ قال فإن لى خادما قال فأنت من للوك » .

وأخرج مسلم والترمذى ، وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقدمه الله تعالى بما آتاه » .

وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً » وفى رواية كفافاً . وأخرج مسلم من حديث المستورد^(٢) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما الدنيا فى الآخرة إلا كما يجهل أحدكم إسمه هذه فى اليوم ، وأشار بالسبابة فليتنظر بما ترجع » .

وأخرج أحمد بإسناد رواه ثقات ، والبخارى ، وابن حبان فى صحيحه والحاكم والبيهقى فى الزهد من حديث أبى موسى^(٣) أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من أحب دنياه أضرم بآخرته ، ومن أحب آخرته أضرم بدنيته ، فأثروا ما يبقى هلى ما ينفى » .

(*) عبد الله بن عمرو بن العاص . صحابى من النساك ، ومن كتاب الوصى ، ولد سنة ٧ قبل الهجرة وتوفى سنة ٤٦ هـ ، وكان كثير العبادة ، له فى الصحيحين ٧٠٠ حديث .

(١) فى (ب) (رضى الله عنه) .

الأعلام

(**) هو المستورد بن أحنف الفهرى روى عن عبد الله بن مسعود وكان ثقة وله أحاديث (الطبقات الكبرى لابن سعد) ج ٦ ص ١٩٥ .

وأخرج الحاكم وصححه من حديث أبي مالك الأشعري^(١) قال هند موته : يا مشر الأشعريين : ليبلغ الشاهد الغائب : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « حلوة الدنيا مرة الآخرة ، ومرة الدنيا حلوة الآخرة » .

وأخرج الترمذى وصححه وابن حبان فى صحيحه من حديث كعب بن مالك^(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما ذهبان جائعان أرسلا فى فئم بأفسد لما عن حرص للره على اللال والشرف لدينه » . وأخرج الطبرانى وأبو يعلى بإسناد جيد من حديث أبي هريرة نحوه . وأخرج البزار أيضاً بإسناد حسن من حديث ابن عمر نحوه .

وفى الصحيحين وغيرهما من حديث عمرو بن عوف الأنصارى قال : « لما قدم عليه^(١) بجزية البحرين [قال]^(٢) : أبشروا وأهلوا ما بصركم ، فوالله ما انقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم » .

وفى الصحيحين وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدرى قال : « جالس

(١) فى (ب) تفسير للضمير من عمل السكاتب أحد القراء كما يلى (على النبي صلى الله عليه وآله وسلم) .

(٢) فى (١) لا توجد (قال) وهى ضرورية

الأعلام

(*) قيل اسمه عبيد ، وقيل عبد الله ، وقيل عمرو بن الحارث ، صحابى ، مات فى طاعون (عمواس) سنة ١٨ هـ . نقيب التهذيب لابن حجر .

(**) هو كعب بن مالك بن عمرو بن لقيظ البدرى الأنصارى الخزرجى . صحابى من أكابر الشعراء من أهل المدينة اشتهر فى الجاهلية ، وكان فى الإسلام من شعراء النبي ﷺ شهد الوقائع : توفى سنة ٥٠ هـ (الأعلام ج ٥ ص ٨٥) .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هلى للنبر ، وجلسنا حوله فقال : إن مما أخاف عليكم ما يفتح^(١) هايمكم من زهرة الدنيا وزينتها . وفى الصحيحين وغيرهما من حديث أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا أبا ذر . قلت : لبيك يا رسول الله ، فقال^(٢) : ما يسرنى أن هندي مثل أحد هذا ذهباً يعطى عليه ثلاثة وهندي منه دينار إلا شيء أرصده لدين إلا أن أقول فى هباد الله هكنا ، وهكنا ، هن يمينه وعن شماله ومن خلفه ثم سار فقال : إن الأكثرين^(٣) هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكنا وهكنا وهكنا هن يمينه وعن شماله ومن خلفه . وقليل ما هم .

وفى الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة قال : « والذى نفسى بيده ما شبع^(٤) نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة أيام تباطاً من خبز حنطة حتى فارق الدنيا » .

وأخرج الترمذى وقال : حديث صحيح من حديث ابن عباس قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبيت الهى الى للنتابة وأهله طاوياً لا يجدون عشاء ، وإنما كان أكثر خبزهم الشعير » . وفى الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة قالت : « ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » .

وأخرج أحمد والطبرانى برجال ثقات من حديث أنس أن فاطمة رضى الله عنها ناولت النبي صلى الله عليه وآله وسلم كسرة من خبز شعير ، فقال :

(١) فى (ب) (أن يفتح) .

(٢) فى (ب) (قال) .

(٣) فى (ب) (الأكثر) .

(٤) فى (ب) (رسول الله) .

« هذا طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيام » .

وأخرج ابن ماجه بإسناد حسن والبيهقي بإسناد صحيح من حديث أبي هريرة قال : « أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بطعام سخن فأكل ، فلما فرغ قال : الحمد لله ما دخل بطفي طعام سخن منذ ^(١) كذا وكذا » .

وأخرج الترمذى وقال : حسن من حديث أبي أمامة قال « قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : عرض على ربى عز وجل ليجعل لى بطحاء مكة ذهباً ، قلت : لا يارب ، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً أو قال ثلاثاً أو نحو هذا فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت شكرتك وحدتك » .

وأخرج البخارى والترمذى من حديث أبي هريرة قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أيدينا ^(٢) ولم يشبع من خبز الشعير » . وأخرج الطبرانى بإسناد جيد من حديث كعب بن جعزة قال : « أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرأيتنه متغيراً قال : فقلت بأبى أنت مالى أراك متغيراً ؟ فقال : ما يدخل جوفى ما يدخل جوف ذات كبد منذ ثلاث ^(٣) » .

وأخرج البخارى من حديث سهل بن سعد قال : « ما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النقي ^(٤) من حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه الله ، فقيل هل كان لكم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مناخل ؟ فقال ما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منخل من حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه

(١) فى (أ) بعد منذ (ألف) زائدة .

(٢) فى (ب) سقطت من (أيدينا) من الناسخ .

(٣) فى (ب) سقطت من الناسخ (جوف) وهى ضرورية لتمام المعنى .

(٤) هو الخبر الذى نقي دقيقه فصار أبيض ، ويسمى . الحواري صفوة

الله، فقيل : فكيف كنتم تأكلون الشعير خير منخول ؟ قال : كنا نطحنه وننفضه فيطير ما طار ، وما بقي نريناه فأكلناه .

وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عائشة أنها قالت : « إن كنا ننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين ، وما أوقد في أبيات النبي صلى الله عليه وآله وسلم نار . قال هروة يا خالة فما كان يبعثكم ؟ قالت : الأسودان : التمر والماء . »

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أنس « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عصب بطنه بعصاة من الجوع . »

وأخرج الترمذي وصححه وابن حبان في صحيحه من حديث أنس قال : قال صلى الله عليه وآله وسلم : إني أنت هلي ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي^(١) ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال . » وأخرج ابن ماجه والترمذي وصححه الطبراني من حديث هبده الله بن مسعود قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي حصير فقام وقد أثر في جنبه قلنا^(٢) يا رسول الله : « لو اتخذنا لك وطاء فقال مالي والمدينا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » وأخرجه أحمد وابن حبان في صحيحه والبيهقي من حديث ابن عباس وأخرجه نحوه ابن ماجه بإسناد صحيح والطحاكم وصححه من حديث عمر بن الخطاب ونحوه من حديث في الصحيح في قصة دخوله على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما [آلى]^(٣) من نسائه وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة قالت « إنما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) في (ب) (مالي) فقط دون الواو .

(٢) في (ب) (قلنا) .

(٣) في (أ) ، (ب) (آلى) بالألف .

وآله وسلم الذي ينام عليه أدمًا حشوة ليف . وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي بردة بن أبي موسى قال : « أخرجت لنا عائشة كساء ، لمبدأ ، وإزاراً غليظاً فقالت : قبضي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذين » والمبدأ : (المرقم) وأخرج البخاري من حديث عمرو بن الحارث قال : « ما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند موته درهما ، ولا ديناراً ولا عبداً ، ولا أمة ، ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه وأرضاه جعلها لابن السبيل » .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة قالت : « توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودرهه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير » .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث سعد بن أبي وقاص وقال : « إني لأول العرب رحي باسم في سبيل الله ، ولقد كننا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مالهنا طعام إلا ورق الحبلية وهذا السمر حتى إن كان أحدنا يضع كما تضع الشاة ماله خلط » [والحبلية (١)] والسمر من شجر البادية .

وخروج مسلم وغيره من حديث خالد بن عمير العدوي قال : « خطبنا خالد ابن عزيان وفي خطبته ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مالهنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا » .

وفي الصحيحين من حديث خباب بن الارت (٢) « أنهم لم يجدوا ما يغطوا

(١) في (أ) (الحبلية) بالميم قبل الحاء ، وله سهو من المؤلف فلما في القاموس (الحبلية) كما كتبها المؤلف قبل .
الأهلام

(٢) كان عبداً ، لأن أمار امرأة من أهل مكة وأسلم قبل أن يدخل رسول

به رأس مصعب بن عمير^(٥) لما قتل يوم أحد إلا بردة إذا غطوا به رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطوا بها رجليه خرج رأسه فأصمهم صلى الله عليه وسلم أن يغطوا بها رأسه^(١).

وأخرج البخاري وغيره من حديث أبي هريرة قال: «لقد رأيت سبعين من أهل النصفة ما منهم رجل عليه رداء، إما إزار أو كساء قدر بطوا في أعناقهم منها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ السكبين فيجعله بيده كراهية أن ترى هورته».

ومن الخصال التي يبلغ بها العبد مقام الإحسان: الرفق والآناة والحلم وحسن الخلق وطلاقة الوجه، وإفشاء السلام.

ففي الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة قالت: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله».

وأخرج مسلم وغيره عنها قالت: «قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»». وأخرج

== الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ولقي من المشركين الأذى الكثير والمذاب بالمار وحاش حتى خلافة علي بن أبي طالب فتوفي سنة ٢٧ هـ وهو ابن ثلاث وسبعين سنة. صفوة الصفوة ج ١ ص ١٦٨.

(١) نلاحظ أن هذا ليس زهدا وإنما هو فقر وضيق ذات اليد فاستدل الشوكاني بهذه الأحاديث ليس في موضعه.

الأعلام

(*) هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي (رضي الله عنهم) دخل على رسول الله ﷺ دار الأرقم فأسلم وكنم إسلامه وكان من أنعم الناس غيتا قبل إسلامه فلما أسلم زهد في الدنيا وأرسله الرسول إلى المدينة قبل الهجرة يدعو أهلها إلى الإسلام حتى أسلم معظمهم وهو أول من صلى الجمعة بالمدينة. المتصدر السابق ص ١٢٥.

مسلم وغيره من حديث جرير بن عبد الله عنه صلى الله عليه وآله وسلم
« من يحرّم الرفق يحرّم الخير زاد أبو داود كاه » .

وأخرج الترمذى وصححه بن حديث أبي الدرداء عنه صلى الله عليه وآله
وسلم : « من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير » . وأخرج
البخارى ومسلم وغيرهما بن حديث أنس عنه صلى الله عليه وآله وسلم
قال : « يسرّوا ولا تمسروا ، وبشروا ولا تنفروا » . وأخرج البخارى من
حديث أبي هريرة : (عنه صلى الله عليه وآله وسلم : « إنما بهتمم ميسرين ،
ولم تبهموا معسرين » . وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة قالت :
« ما خير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أمرين قط إلا اختار
أيسرهما ما لم يكن إثمًا »

وأخرج مسلم بن حديث ابن عباس^(١) قال : « قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم الأئمة : « إن فيكم خصلتين يحبهما الله رسول الله الحلم والأناة »
وأخرج مسلم والترمذى من حديث أنس بن مالك قال : (سألت رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم عن البر والائتم فقال : أتبرجس الخلق ، والائتم ما حاك
في صدرك زكركم أن يطلع عليه الناس) وفي الصحيحين وغيرهما من حديث
ابن عمرو قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاحشاً ، وكان
يقول : (إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً . والأحاديث في الثناء على حسن
الخلق كثيرة جداً .

وأخرج مسلم وغيره من حديث أبي ذر قال : (قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم (لا يحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق) .
وأخرج أحمد والترمذى وصححه من حديث جابر قال : قال رسول الله

(١) في (ب) (رضى الله عنه) .

صلى الله عليه وآله وسلم « كل معروف صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك » وصدره في الصحيحين من حديث حذيفة وجابر .

وأخرج الترمذى وحسنه وابن حبان وصححه من حديث أبي ذر^(١) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « بسمك في وجه أخيك لك^(٢) صدقة الحديث » . وأخرجه البزار من حديث ابن عمر وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عدي بن حاتم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبمسكاة طيبة » .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عمر « أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أى الإسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » وأخرج مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم » .

وأخرج الترمذى وقال حسن صحيح من حديث عبد الله بن سلام قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : يأبى الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » ، وأخرج الترمذى وصححه وابن حبان وصححه من حديث ابن عمر قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اعبدوا الرحمن وأفشوا السلام وأطعموا الطعام تدخلون الجنة » . وأخرج الطبرانى وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه

(١) فى (ب) (رضى الله عنه) .

(٢) فى (ب) لا توجد (لك) .

من حديث أبي شريح أنه قال : يا رسول الله أخبرني بشيء يوجب لي الجنة ، قال : « طيب الكلام وبذل السلام وإطعام الطعام » . وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة « قال صلى الله عليه وآله وسلم : حق المسلم على المسلم خمس ، وفي رواية ست ، ومنها إذا لقيتك مسلم عليه » . وأخرج الطبراني في الأوسط بإسناد جيد من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أمجز الناس من عجز في الدهاء ، وأبخل الناس من بخل بالسلام » . وأخرج الطبراني في معجمه الثلاثة بإسناد جيد ، من حديث عبد الله بن مغفل^(١) قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أَسْرَقَ النَّاسُ الَّذِي يَسْرِقُ صَلَاتَهُ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : كَيْفَ يَسْرِقُ صَلَاتَهُ ؟ قَالَ : لَا يَتِمُّ رُكُوعُهَا ، وَلَا سُجُودُهَا ، وَأَبْخَلَ النَّاسُ مَنْ بَخَلَ بِالسَّلَامِ » . وأخرج أحمد والطبراني والبيهقي ، وبإسناد أحمد لا بأس به من حديث جابر « وفيه أنه صلى الله عليه وآله وسلم قل للذي امنتم من أن يبيعه هذقة بالجنة : ما رأيته أبخل منك إلا الذي يبخل بالسلام » .

ومن أعظم الأسباب الموصلة إلى مقام الإحسان المداومة على العمل الصالح ، فقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة^(٢) أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [قال]^(٣) : « إن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » .

(١) في (ب) (رضي الله عنها) .
(٢) سها المؤلف في (أ) عنها أي عن (قال) .

الاعمال

(٣) عبد الله بن مغفل أبو سعيد (رضي الله عنه) كان من البكائيين ومن الذين بعثهم عمر إلى البصرة يفتقونهم . صفوة الصفوة ج ١ ص ٢٨٢ .

مقام الولي وإجابة الدعاء :

ولنرجع إلى شرح الحديث الذي نحن بصدده شرحه فنقول : إن قوله : « ائتن سألني لأعطيه » واثن استعاذني لأهيننه » ربما يقال : ما الفائدة في توقف العطية منه عز وجل على السؤال ، والإعانة له على الاستعانة مع أنه سبحانه المعطي بغير حساب المفضل على عباده بكل جميل وغالب ما يصل إلى العباد الذين لم تكن لهم مرتبة الولاية المعطى بل الذين هم دونها براحل ، بل الذين خاطوا على أنفسهم وقصروا فيما يجب عليهم هو من تفضلاته الجملة ونسكروا له الفائدة عن غير تقدم سؤال .

قلت : هاهنا ^(١) نكتة عظيمة وفائدة جليلة وهي أنهم إذا أهدوا بعد السؤال وأهينوا بعد الاستعانة عرفوا أن الله سبحانه قد أجاب ^(٢) لهم الدعاء وذلك عنقه لا تساويها منقبة ورتبة تنقاصر عنها كل رتبة وهذا ذلك يحصل لهم من السرور ما لا يتأدر قدره ويكونون عند هذه الإجابة أعظم سروراً بها من العطية وإن بلغت أعظم ^(٣) مبلغ في الكثرة والنفاسة . وهذا ذلك يستكثرون من أعمال الخير ويبالغون في تحصيلها لأنهم قد عرفوا ما لهم عند ربهم حيث أجاب دعاءهم وإني نداءهم .

وأيضاً قد قدّمنا أن الدعاء هو العبادة بل هو منح العبادة فالإرشاد إليه إرشاد إلى عبادة جليلة تنرب عليها فائدة جميلة مع ما في ذلك من امتثال الأمر الرباني حيث يقول : (ادعوني أستجب لكم) ^(٤) وقوله سبحانه : (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) ^(٥)

-
- | | |
|-----------------------------|-------------------------|
| (١) في (ب) (هنا) فقط . | (٢) في (ب) استجاب لهم . |
| (٣) في (ب) (أبلغ مبلغ) . | (٤) سورة طه آية : ٦٠ . |
| (٥) سورة البقرة آية : ١٨٦ . | |

ومع ما فيه أيضاً من خلوص عبادة من الاستكبار على ربهم الذي ورد الوعيد عليه بقوله سبحانه : (إن الذين يستكبرون عن عبادتي)^(١) أي دهائي كما سبق بيانه .

فكانت الفوائد ثلاثاً :

الأولى : الظفر بالمرتبة العالية من كونهم من [مجابى]^(٢) المدعوة .

الثانية . ما في ذلك من العبادة لله عز وجل بدائه .

الثالثة : توقيهم^(٣) لما خوطب به غيرهم من المستكبرين عن الداء .

ومع هذا فلا شك أن بعض المسيبات مرسومة بأسمائها من العظام لا يمكن للعبد^(٤) إلا بسبب الداء . فالولي وإن كان في أعلى مراتب الولاية لا يزال ملائمة الله بسبب إلا بفعل ذلك السبب فكان في الداء من هذه الخيرية فائدة رابعة لأن العبد لا ينسره أن يقطع بوصول مطلوب من مطالبه إليه حتى يترك^(٥) الداء لربه عز وجل بأن يوصله إليه .

مقام المحبة وإجابة الداء :

قال ابن حجر في الفتح : « وفي الحديث أيضاً أن من أتى بما وجب عليه ، وتقرب بالوافل لم يرد دناؤه لوجود هذا الوعد الصادق المؤكد بالسمع ، وقد تقدم الجواب عما يتخلف »^(٦) . انتهى .

(١) سورة البقرة آية : ١٨٦ .

(٢) في (أ) ، (ب) : (مع من مجابى) وهو خطأ نحوى .

(٣) في (ب) (توقيهم) وهو خطأ كما يفهم من السياق .

(٤) في (ب) سقطت كلمة (للعبد) سهواً من النسخ .

(٥) هنا يترك ، بمعنى : يجعل (٦) ص ٢٩٦ .

أقول : قد قدم ذكر استشكال ما في الحديث من الوعد بالإجابة بأن جهالة من العباد والصلحاء دهاواً وبالفوا ، ولم يجابوا . ثم ذكر ذلك الجواب الذي قدمه وقدمنا الاستدلال على ما ذكره في الجواب . وكان الأولى له أن يقدم ما ذكره هنا على ما ذكره هناك حتى يكون ذلك الاستشكال ، لما أفاده هذا الاستدلال المذكور هنا .

وأقول : هذا الحديث ، ورد ، هم أولياء الله الذين تقربوا إليه بما يجب حتى أحبهم ، وهو مقتضى إجابتهم لا محالة .

ولا يرد عليه ما أورده من عدم إجابة جهالة من العباد والصلحاء ، فإن هذا مقام هو أعلى من مقامهم ، ونزلة هي أرفع من منزلتهم ، ولا ملازمة بين مقام للعبادة والصلاح ، وبين مقام المحبة ، فإن العبادة وإن كثرت وتنوحت قد تقع منه عز وجل الموقع المقتضى للمحبة ، وقد لا [تقع] ^(١) إما لكونها مشوبة بشائبة تكدر صفوها وتمحق بركتها مما لا يتممه العباد ، بل يصدر إما على طريق التقصير في علم الشريعة أو التقصير في الخلوص الذي يوصل صاحبه إلى محبة الرب عز وجل .

ولا حرج على قائل أن يقول : إن من بلغ إلى رتبة المحبة ، وكان الله همه وبصره أن يجاب له كل دهاى ويحصل [بغيته] ^(٢) على حسب إرادته . وأى مانع يمنع من هذا ؟ بل كل ما يظن أنه مانع ليس بمانع شره ولا هتلى . ووجود بعض أهل العبادة على الصفة التي ذكرها من كونه دها وبالع ولم يجب لاس ذلك إلا للمانع يرجع إلى نفسه . ولا يكون المانع الراجع إلى نفسه مانعاً في حق من هو أعلى منه رتبة وأجل منه مقاماً وأكبر منه منزلة .

(١) في () (يقع) وهو سهو من المؤلف . وفي (ب) (الياء) دون نقط .

(٢) في (أ) (بعينه) وهو سهو خطي من المؤلف .

وإذا هرفت انتفاء المانع الذى يعتمد به فى المانعية فقد وجد هاهنا المقتضى الذى هو أوضح من شمس النهار ، وهو وعد^(١) من لا يخلف الميعاد . وإذا وجد المقتضى وانتفى المانع حصل المطلوب الذى وجد ما يقتضيه إعمالا لهذا المقتضى الذى ورد هو كدأ بإقسام الرب سبحانه .

فما أبعد ما جاء به المشككون فى هذا الأمر الذى لا يقبل التشكيك لاشتراكا ولا هتلا بل ولا هادة . فإن من اطلع على أحوال أولياء الله سبحانه وهرف ما ذكره المؤرخون فى أخبارهم ، وما اشتملت عليه تراجمهم وجد كل ما توجهوا به إلى ربهم حاصل لهم فى كل مطلب من المطالب كأننا ما كان . والمحروم من حرم ذلك .

وكيف ترى ابلى بهين ترى بها سواها وما طورتها بالمدايع
وتلين منها بالحديث وقد جرى حديث سواها فى خروفت للسامع
أجل لك ياليلى عن العين إنما أراك بقلب خاشع لك خاضع
أولئك قوم لما دهبوا أجيئوا ولما آحَبُوا^(١) أحيوا ، ولما أخلصوا استخلصوا
صدقت منهم الضمائر . فصفت منهم السرائر ، وصاروا صفوة الله فى أرضه
ففاضت عليهم أنواره ، وامتلات قلوبهم من ممارفه .

ألا إن وادى الجزع أضعى ترابه من المس كافورا وأهواده رندا
وما ذاك إلا أن هنأ هشية تمشت وجرت فى جوانبه بردا
فلا تجهد نفسك فى كشف حقائقهم ، وذوق دقائقهم حتى تتصل منهم بسبب
وتتمسك بن هديهم بطرف فلسان حالهم يأنسك :

(١) وهو قوله : (ولئن سألنى لأعطينه إلخ) .

(٢) فى (ب) (أحيوا) ولا يستقيم مع السياق .

وكم سائل هن سر ايلي رددته بممياء من ليلي بنفير يقين
يقولون : خيرنا فانت أمينها وما أنا إن خيرتم بأمين
فهم القوم الذين لا يشقى جليسهم ، ولا يستوحش أنيسهم قد قالوا
مطالبهم برفع أكفهم الى خالقهم ، لا يحتاجون في حوائجهم إلا إليه ولا يقولون
إلا هليه .

ونبيت ليلي أرسلت بشفاة الى فملا نفس ليلي شفيها
أأكرم من ليلي هلي فترجي به الوصل أم كنت أمراً لأطيهها؟
وقول ابن حجر في كلامه الذي نقلناه هنا^(١) أنه قد تقدم الجواب عما
يتخلف . هو كلام لا حاصل له لأن الاستشكال الذي قدمه ، هو على ما يقتضيه
الحديث القوي الذي نحن بهدد شرحه . فأجاب عن الإشكال بما ذكره
سابقاً من قوله : « والجواب أن الإجابة تتنوع : فتارة قد يقع المطلوب بعينه .
إلى آخر كلامه » .

فإن كان هذا الجواب منه الذي جهله متنوعاً هو عما أورده من استشكال
ما في هذا الحديث من قوله فيه « إن سألني لأهطينه ولئن استعاذني لأهيننه »
فكلامه هنا حيث قال : إن من أتى بما وجب عليه وتقرّب بالنوافل لم يرد
دعاؤه لوجود هذا الوعد الصادق المؤكّد بالقسم هو كلام على ذلك اللفظ الذي
أورد الإشكال عليه . ومجموع كلاميه مما في شرح ذلك اللفظ . فما معنى قوله :
لأنه قد تقدم الجواب عما يتخلف ؟ فإن كان التخلف وغير التخلف بالنسبة
إلى الولي الذي وعده الله بذلك فقد تناقض كلامه .

وإن كان مراده أنه قد يتخلف تارة ويقع المطلوب بعينه تارة فكلامه

(١) (ب) سقطت من النسخ كلمة (هنا) .

(٢) في (ب) (إشكال) .

السابق قد تضمن هذا بل صرح به تصريحاً لا يبق بعده ريب . فما معنى تكرير
الكلام بما يؤم أن دعاء الولي لا يرد على كل حال ؟

مقام المحبة ومدوامه الدعاء :

ثم قال ابن حجر في المنهج : « وفيه أن العبد ولو بلغ أعلى الدرجات حتى
يسكن محبوباً لله لا ينقطع عن الطالب من الله تعالى لما فيه من الخضوع وإظهار
العبودية (١) » انتهى

أقول : إذا كان أنبياء الله [صلوات تعالى وسلامه عليهم] (٢) لا ينقطعون
عن الطالب من الله (٣) والوجه له ، وأنطوى منه حتى قال سيد ولد آدم صلى الله
عليه (٤) وسلم كما صح عنه : « والله ما أدري وأنا وصول الله (٥) صلى الله عليه
 وآله وسلم ما يفعل بي » مع أنه الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .
وبقول كما صح عنه من شدة خوفه من ربه (٦) « لو علمتم ما أعلم لفحكتم
تليلاً ، ولبيكنم كثيراً » الحديث الذي تقدم حتى قال في آخره : « وذدت (٧)
أني شجرة تفضي » .

فإذا كان مقام النبوة تفضي هو أهل مقام وأرفع رتبة ، وليس مقام الولاية
بالنسبة إليه إلا كمقام التابع من المتبوع والخدام من المخدم ، فكيف يحتاج أن
يقال : إنه لا ينقطع عن الطالب من الله عز وجل مع انقضاء العصمة عنه ، وثبوتها
لن لم ينقطع عن الطالب من الله سبحانه . بل كان نبينا « صلى الله عليه وآله

(١) ص ٢٩٧ (٢) في (أ) جاءت مختصرة هكذا (صلى)

(٣) في (ب) (سبحانه) بمد لفظ الجلالة .

(٤) في (ب) (وآله صلى الله عليه وسلم) وإن كان المؤلف في (أ) نسبها .

(٥) في (ب)

(٦) في (ب) عز وجل بعد (من ربه) (٧) (ب) (وذدت)

وسلم « مدعى له هاء ربه في جميع أحواله مستمراً على طلب حوائجه الدنيوية .
والأخرية من خالقه لا يهتريه ملل ولا يتعاق به كال ، وله من العبادة على
اختلاف أنوارها مالا ياحقه به غيره ، ولا بطيقه سواء .

فكيف ينقطع الولي عن الطالب . فإنه إن فعل ذلك كان ممكوراً به ، ورجع
هدوا لله بعد أن كان ولياً له . وبقيضاً له بعد أن كان حبيباً له . « اللهم أحسن
هاقتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا ونداب الآخرة » .

وشأن كل عبد من عباد الله إذا ازداد الله قرباً إلى الله وصار من المحبوبين .
له أن يزداد خضوعاً له ^(١) وتضرعاً إليه ، وتذللاً وتمسكناً وعبادة . وكما ارتفع
هند ربه درجة زاد فيما يحبه الله منه ^(٢) درجات . هذا شأن العبودية .

وإذا كان هذا هو السكائن فيما بين العبد ومسيده في بني آدم ، فكيف لا يكون
فيما بين العبد وخالقه ورازقه ومحبيه وممته .

ضلال المدهين لرفع التكليف :

وما أقبح ما يحكى عن بعض المتلاهين بالدين المدهين لتصفوف أنهم
يزعمون أنهم وصلوا إلى ربهم فاقطعت عنهم التكاليف الشرعية ، وخرجوا
من جيل المسلمين المؤمنين ، وسقط عنهم ما كلف الله به العباد في هذه الدار .
نإذا صبح هذا . فإيقوله أحد من أولياء الرحمن ، بل بقوله أولياء الشيطان .
لأنهم خرجوا إلى حزبه وصاروا من جملة أتباعه .

فالعجب هؤلاء المغرورين ، فإنهم رفعوا أنفسهم عن طبقة الأنبياء وطبقة
الملائكة ، فإن الأنبياء حالهم كما عرفناك من إدامة العبادة لله في كل حال .

(١) في (ب) سقطت من الناسخ (له) .

(٢) في (ب) سقطت من الناسخ (منه) .

والإزدياد من المقربات المقربة^(١) إلى الله^(٢) حتى توفاهم الله تعالى .

وكذلك الملائكة فإنهم كما وردت بذلك الآية لا ينفكون من العبادة لله وصارت أذكاه سبجانه من التسبيح والتهليل هي زادهم الذي يعيشون به وهذا هم الذي يتفنون به .

فأشأ لأولياء^(٣) الله سبجانه أن يقع من أحقرهم في هذه المرتبة العظيمة وأدناهم في هذا المنصب الجليل هذا الزهم الباطل ، والدعوى الشيطانية ، وإعنا ذلك الشيطان سول الجماعة من أتباعه ومعلميه وامنزلهم ، وأخرجهم من حزب الله إلى حزبه ومن طاعة الله^(٤) إلى طاعته ، ومن ولاية الله سبجانه^(٥) إلى ولايته . وقد رأينا في ترجمة جماعة من أهل الله وأولياءه أنهم سمعوا خطاباً من فوقهم ، ورأوا صورة تسكدهم ، وتقول يا عبدي قد وصلت إلى ، وقد أسقطت منك التكالييف الشرعية بأسرها . فعند أن يسمع منهم المامع ذلك^(٦) يقول : ما أطيك أيها المتكلم إلا شيطاناً ، فأعوذ بالله منك ، فعنه ذلك تنالني تلك الصورة ولا يبقى لها أثر .

فقد بلغ كيد الشيطان إلى هذا السكيد العظيم ، والكمته لم ينفق كيده هذا على أولياء الله سبجانه فردوه في نحره حتى إنه قد يتطايروا هذه ذلك إلا في شرراً كما وقع لكثير منهم

فهذا الذي يزعم أنه من أولياء الله قد كاده الشيطان بهذه الخيلة واجتنبه

(١) (ب) (المقربات) .

(٢) بعد لفظ الجلالة في (ب) توجد كلمة (سبجانه) .

(٣) في (ب) (أولياء) دون اللام .

(٤) في (ب) بعد لفظ الجلالة كلمة (سبجانه) .

(٥) في (ب) (عز وجل) بدل (سبجانه) .

(٦) في (ب) سقطت من النسخ (ذلك) .

سببنا المكر ، فانقضى وعاد سببه ضاللا وعبادته كفراً وعمل خسراناً ، وسبب ذلك ما هو فيه من الجهل بالشريعة المطهرة ، ولولا ذلك لكان له من أنوار الدين وهدى الشريعة ما يرد عنه كيد الشيطان الرجيم ، كما رده أولياء الله فماد خاسماً وهو حسير .

وقدر فتاك أن دمرى الولاية إذا لم تسكن مربوطة بالشريعة مفيدة بالكتاب والسننة فخل صاحبها وهو لا يدري ومكر به وهو لا يشعر ووقع في مضارب الله سبحانه وهو يظن أنه في مواضعه .

وما أحسن قول الشاعر :

فساد كبير هالم متهتك وأفسد منه جاهل منفسك
عما فتية قدامين كبيرة لمن بهما في دينه يتمسك

المراد بتعدد الله سبحانه من نفس المؤمن :

قوله : « وما ترددت من شيء أنا فاعله تردى من نفس المؤمن » في حديث عائشة عن ربه .

التردد : التوقف من الجزم بأحد الطرفين ولأجل كون هذا معناه عند أهل اللغة احتاج شراح الحديث إلى تأويله بوجوه .

قال الخطابي : « التردد في حق الله تعالى خير جائز ، والبدا حلية في الأمور غير سائغ ، ولسكن له تأويلات ^(١) » .

« أحاديث ^(٢) : أن النبي قد يشرف على الملائكة في أيام عمره من داء يهيج به

(١) في الفتوح : (ناولان) وهو المستقيم لأن الخطابي لم يورد إلا تأويلين .
(٢) في الفتوح (أحاديث) .

وفاقة تنزل به فيدهو الله تعالى ويستغيثه فيشفيه منها ، ويدفع عنه مسكروها ،
فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد أمراً^(١) يمدو له فيتركه ويعرض عنه
ولا بداه من لقائه إذا باغ الكنايب أجله ، ولأن الله تعالى قد كتب الفناء
على خلقه ، واستأنز بالبقاء لنفسه^(٢) انتهى الوجه الأزل .

أقول : ما أبرد هنا التأويل رأمحجه ، وأقل [فادته]^(٣) فإن صدور
الشفاء من الله عز وجل لذلك الذي أصابه الداء فشفاه منه ليس من التردد في
شيء ، بل هو أمر واحد وجزم لا تردد فيه قط .

وكذلك إنزال المرض به جزم لا تردد فيه فوما قضاه بعد قضاه ، وقدر
به قدر ، وإن كانا [با]^(٤) اعتبار شخص واحد ، فمما يختلفان متغايران لم
يتحد ذاتاً ، ولا وقتاً ، ولا زماناً ، ولا صفة ، بل قضى الله على عبده بالمرض
ثم شفاه منه .

فأي مدخل للتردد أو لما يشبه التردد ، أو لما يصح أن يؤل به التردد في
مثل هذا .

وقد ذكر أهل العلم أن التأويل لما احتيج إلى تأويله لا بد أن يكون مقبولاً
على وجه ، وله مدخل على حالة ، وإلا وقع تحريف الكلمات الإلهية والنبوية
لمن شاء كيف شاء ، وتلاعب بهما من شاء بما شاء :

قال الخطابي :

الثاني ، أن يكون مضافاً : « ما رددت رسل في شيء أنا فاعله كترديدي

(١) في (ب) (ولم يمدو له) وهو خطأ في الأسلوب .

(٢) الفتح ص ٢٩٧ (٣) في (أ) (فائدة) وهو اضطراب في الأسلوب .

(٤) في (أ) سقطت (با) من المؤلف .

لإبام في نفس المؤمن ، كما روى في قصة موسى عليه السلام ، وما كان من لطمه حين ملك الموت وترده إليه مرة بعد أخرى ، قال وحقيقة المعنى على الوجهين هطف الله تعالى على العبد ولطفه به وشفقته عليه ^(١) انتهى .

أقول : جعل التردد الذي معناه التوقف عن الجزم بأحد الطرفين بمعنى التردد الذي هو الرد مرة بعد مرة ، وهما مختلفان مفهوماً وصدقاً ، فحاصله : إخراج التردد عن معناه اللغوي إلى معنى لا يلاقيه ولا يلبسه بوجه من الوجوه فليس هذا من التأويل في شيء ، قال في الفتح بعد أن ذكر كلام الخطابي باللفظ الذي هيئناه : « وقال السكلاباذي ما حاصله : أنه هب من صفة الفعل بصفة الذات أي عن التردد بالتردد ، وجعل متعلق التردد باختلاف أحوال العبد من ضعف ونصب إلى أن تنتقل محبته في الحياة إلى محبته في الموت فيقبض على ذلك .

قال وقد يحدث الله تعالى في قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق إليه والمحبة لآلته ما يشتمل منه إلى الموت فضلاً عن إرادة الكراهة عنده فأخبره أنه يكره الموت وبسوءه فيكره الله تعالى مصاحته ، فيزيل عنه كراهة ^(٢) الموت بما يورده عليه من الأحوال ، فيأتيه الموت وهو له مؤثر ، وإليه مشتاق . قال : « وقد ورد تفعل بمعنى فعل ، مثل تفكر ، وفكر ، وتدبر ودبر ، وتهدد وهدد والله أعلم » ^(٣) انتهى .

أقول : كلامه هذا قد اشتمل على أمرين : أحدهما هو كالتفسير لما ذكره الخطابي ، والآخر ربطه بغاية هي قوله إلى أن تنتقل محبته في الحياة إلى محبته في الموت ، فصار كلامه بهذه الغاية أتم من كلام الخطابي ، فإنه إنما جعل

(٢) في الفتح : (كراهية) .

(١) الفتح ص ٢١٧

(٣) ص ٢٩٧ .

حاصل الوجهين اللذين ذكرهما ، هو عطف الله على العبد ، ولطفه به وشفقته عليه .

ويقال للكلاباذى : غاية ما جاء به التأويل الذى ذكرته أن التردد الذى حكاه الله هن نفسه هو انتقال العبد من حالة إلى حالة ، فأخرجت التردد هن معناه ، وأخرجت التردد إلى اختلاف أحوال المتردد فى شئ من الأمور المتعلقة به ، وهذا إخراج للمعنى إلى معنى مغاير له بكل حال وعلى كل وجه .

ويقال للخطابى : جماع التردد فى الموت عطف الله على العباد ولطفه به وشفقته عليه ، وهذا معنى لأجامع بينه وبين التردد فى موت العبد ، فإن لعطف الله [بعباده] ^(١) وعطفه عليهم وشفقته بهم أمر مقطوع به لا تردد فيه منه هن وجل ، وأما ما ذكره الكلاباذى من قوله : « وقد يحدث الله فى قاب هبده من الرغبة فيما هنده والشوق إليه إلخ » ، فهو تكرير لقوله قبله إلى أن تنتقل محبته فى الحياة إلى محبته فى الموت ، وقد تمدنا الجواب هنا .

وأما قوله : وقد ورد تفعل بمعنى فعل مثل تفكر ^(٢) ألخ فأقول : هذا مسلم فيما لم يخرج منه المبنى إلى معنى آخر ، فإن فكر ، وتفكر ، لم يخرج عن معنى حصول الفكرة للعبد فى شئ منفكر فيه ، وكذلك دبر وتدبر فإنهما راجعان إلى معنى التدبير ، وكذلك هدد وتهدد ، وأما التردد والترديد فلا يرجعان

(١) فى (ب) (على عباده) على أنها كانت مكتوبة أولاً اجزاء بعض القراء ووضع فوقها : (بعباده) ، وكذلك فى (أ) (على عباده) ولكن المشهور أن لطف تتعدى بالباء (الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز) .
سورة الشورى آية : ١١ ، أو تتعدى باللام ، كما فى لسان العرب .
(٢) فى (ب) زاد الناسخ (فكرة)

إلى معنى كما بينا، بل لسكل واحد منهما معنى مستقل بغير (١) ، وفى (٢) الآخران تدبر وتفكر .

قال فى الفتح : « وهن بعضهم : يشتمل أن يكون تركيب الولى يشتمل أنه يعيش خمسين سنة وعمره الذى كتب له سبعون ، فإذا بانها فرض دها الله تعالى بالمائة فيجيبه عشرين أخرى مثلاً ، فبر عن قدر التركيب وعما انتهى إليه بحسب الأجل المكتوب بالتردد » (٣) انتهى .

أقول : هذا التأويل لم يأت بفائدة تخط فإن العمر الذى هو السبعون لا بد أن يبلغه العبد على اعتقاد هذا القائل سواء كان التركيب محتملاً لك أم لا ، وسواء مرضى عند انتهاء عمره إلى خمسين أو لم يمرض ، وسواء دها الله بالمائة أو لم يدع ، فإنه لا بد أن يبلغ المبعدين ، وغاية ما هنا أن الله ربه ولطف به فشفاه من مرضه الذى فرض له وهو ثل خمسين سنة .

فأى شيء هذا ، وما الجامع بينه وبين معنى التردد المذكور فى الحديث ؟ قال فى الفتح : « وهب ابن الجوزى عن الثانى (٤) بأن التردد للملائكة الذين يقبضون الروح فأضاف (٥) الحق ذلك لنفسه لأن ترددهم عن أمره قال : وحده التردد ينشأ عن إظهار الكرامة ، فإن قيل إذا أمر الملك بالقض كيف يقع منه التردد ؟ فالجواب أنه متردد فيما لم يجد له (٦) فيه الوقت كأن يقال لا تقبض روحه إلا إذا رضى » (٧) انتهى .

(١) فى (ب) (مناير) .

(٢) فى (ب) (المعنى) (٣) ص ٢٩٧ .

(٤) (ب) سقطت من النسخ (عن الثانى) .

(٥) فى الفتح : (وأضاف) . (٦) فى (ب) (يجل فيه) .

(٧) ص ٢٩٧ .

أقول . انظر ما في هذا الكلام من الخطب والخلط ، فإنه أولاً جعل التردد للملائكة فأخرج الكلام عن معناه إخراجاً لا يبقى للمعنى الأصلى معه أثر قط ، وكأنه جملة من الحجاز العلى كقوله بنى الأمير المدينة وهو منه أجنبى ، فإنه قد وقع البناء فى الخارج ، وإنما نسب الفعل إلى [الأمير ^(١)] ، وأما هذا فلم يكن للتردد لواقع من الملائكة فائدة قط ولا وجد فى الخارج [له ^(٢)] أثر ، ثم قال : وهذا التردد ينشأ عن إظهار الكراهة ، فيقال : إن كان هذا الإظهار من جهة الرب سبحانه فهو يحتاج إلى تأويل آخر كما احتجج التردد إلى تأويل ، فإن الكراهة لا تجوز عليه بهذا المعنى .

ثم لم يظهر ^(٣) لهذا الإظهار فائدة ، فإن ذلك ^(٤) العهد الذى وقع التردد فى قبض روحه لم يمت إلا بأجله المحتوم من دون أن يتقدم عنه سادة ، أو بناهز عنه سادة ، ثم انظر إلى ما أورده على نفسه من قوله : فإن قيل : إذا أصر الملك بالقبض ، كيف يقع منه التردد ؟ وهذا إيراد وارد ، فإنهم لا يصحون الله فيما أصرهم ولا يترأخون عن إنجاز أصره سبحانه ، ثم انظر إلى سقوط ما أجاب من أن الملك متردد فيما لم يحدد له فيه الوقت ، وكيف يؤصر الملك بفعل خير محدود ثم يسارع إلى فعله ١٢ .

أما قوله : كأن يقال له : لا تقبض روحه إلا إذا رضى فهو مع كونه بهل للتأويل بالمرة والكثرة ، ليس الملك أن يفعل إلا ما يرضى به الله من قبض روحه أو عدمه ، لأنه قد خلق ذلك برضاء ، وحينئذ لا ينجز الفعل إلا عند الرضى من العهد ، والمفروض أنه يكره الموت كما نفاق به هذا الحديث القدسى ،

(١) فى (أ) (الأمر) ولكن الأمير هى المقصودة ، موافقة لظاهر السياق .
(٢) فى (أ) ، (ب) (له) ولكن (له) هى الصحيحة لأنها تعود على التردد .
(٣) فى (ب) (تظهر) (٤) فى (ب) سقطت (ذلك) من النسخ .

فمنذ أن يعرف الملك أن العبد لا يرضى بقبض روحه ، ما يبق إلا الإمهال له حتى يرضى ، وأن يخالف الوقت المحدود لموته .

وحينئذ ينفتح إشكال أكبر من هذا الإشكال الذي هم بصدد تأويله . قال في الفتح : « ثم ذكر ابن الجوزي جواباً ثانياً وهو احتمال أن يكون معنى التردد اللطف به كأن الملك يؤخر القبض ، فإنه إذا نظر إلى قدر المؤمن وهظم المنفعة به لأهل الدنيا احتقره فلم يبسط يده إليه ، فإذا ذكر أمر ربه تعالى^(١) لم يجد بداً من امتثاله^(٢) » انتهى .

أقول^(٣) هذا اللطف الذي بنى عليه هذا الجواب لم يظهر له أثر ، ولا تبين له معنى ، فإن الملك وإن تردد فهو لا عمالة سيقبض الروح في الوقت المحدود ووقوع ذلك الشيء في نفسه لم يجد له العبد فائدة ولا علم به فضلاً عن أن^(٤) يحصل إليه منه منفعة .

فهذا اللطف ليس بلطف أصلاً ، وإن^(٥) فرضنا أنه^(٦) بتلك الرأفة على العبد ، لسكونه ممن ينتفع العباد به ، كان بها تأخير قبض روح العبد لحظة وأن مجرد ذلك بملطفاً ، فإنه يرد عليه إشكال أهظم من الإشكال الذي هم بصدد تأويله ، وهو أن الأجل المحتوم قد تأخرهن وقته بسبب تراخي الملك عن إنفاذ أمر الله به ، وحاشا للملك أن يكون منه هذا ، وحاشا الأمر الإلهي أن لا يجز حسب المشيئة الربانية ، فما أحق صاحب هذا التأويل ، بقول الشاعر :

فكنت كالسهم إلى مشعب مواعيل من سبيل الرامه

(١) في الفتح (لا توجد) (تعالى) (٢) ص ٢٩٧ .
(٣) في (ب) (قلت) . (٤) في (ب) (تصل)
(٥) في (ب) (ولو) . (٦) في (ب) (أن)

قال في الفتح : « وجواباً ، رابعاً ، وهو أن يكون خطاباً ، لنا بما نعمل ،
والرب عز وجل ^(١) يتنزه عن حقيقة ، بل هو من جلس قوله : « ومن ^(٢)
أتاني ، بشئ أتيت به رولة » فكما أن أحداً يريد أن يضرب ولده تأديباً فتمنعه
الحبة وتبسمه الشفقة فيتردد بينهما ، ولو كان غير الوالد كالملم لم يتردد بل كان
لا يبالى ، بل يبادر إلى ضربه لتأديبه ، فأريد تفهيمنا بتحقيق الحبة الأولى
بذكر التردد ^(٣) » انتهى .

أقول : هذا التأويل هو أحسن مما تقدم من تلك الوجوه ، فإنهم قد أولوا
مألاً يجوز هل الله سبحانه من مثل التعجب والاستفهام ونحوهما مما يرد هذه
الموارد بأن ذلك بالنسبة إلى العباد الخاطئين .

ولكن المقام الذي نحن بصدد ، هو مقام أولياء الله وأحبائه وصفوته
من خلقه ، وخالصته من هباده .

وفيه الترغيب للعباد بأن يحرصوا على هذه الرتبة ، وعلى البلوغ إليها
بما تبلغ إليه طاقتهم ، وتصل إليه قدرتهم ، ولا يألون جهداً في تحصيل أسبابها
الموصلة إليها من الأقرب إلى الله سبحانه بما يجب .

فلا بد أن يكون لذلك التردد فائدة تعود على الولي حتى يكون ذلك سبباً
لتنشيط العباد إلى بلوغ رتبته .

وأما إذا كان يموت بأجله المحتوم فهو كغيره من هباده من غير فرق
بين سعيهم وشقيهم وصالحهم وطالحهم .

قال في الفتح : « وجوز الكرماني احتمالاً آخر وهو أن المراد أنه

(١) في (ب) (متنزه) .

(٢) في (ب) (وإن) .

(٣) ص ٢٩٧ .

يقبض روح المؤمن بالتأني والتدريج بخلاف سائر الأموات^(١) فإنها تمهل بمجرد قول كن مريماً^(٢) انتهى .

أقول : هذا التأني والتدريج إن كان له تأثير في الأجل ولو يسيراً رجع الإشكال بأهظم مما نحن بهداه لأنه قد تأخر عن وقته المحدود وأجله المحنوم . وإن كان لا تأثير له فلا نفع فيه للعبد أصلاً بل قد يكون قبض روحه دفعة واحدة من غير تراخ ولا تدريج أسهل عليه من قبضه على خلاف ذلك : فإن قلت إذا لم ترض شيئاً من هذه التأويلات فأين لنا ما لديك حتى ننظر فيه : قلت : ستعرف ما لدى في ذلك إن شاء الله لكن لابد هاهنا^(٣) من تقديم مقدمة يتضح بها الكلام ، ويتبين بها التصواب ، نافعها حتى يفهمها وتدبرها حتى تدبرها .

اعلم أن كثيراً من أهل العلم لمسا نظروا في آيات وأحاديث تدل على أن ما قد سبق به القضاء لا يتحول ، وأنه ليس في هذه الدار إلا ما قد فرغ منه من قليل وكثير وجليل ودقيق مما انظره على ما ورد مما يدل على ذلك ، ووقوفاً عند قواعد مقرونة قد تقررت عند أهل الكلام حتى قال قائلهم إنه لو وقع غير ما سبق به العلم وفصل به القضاء للزم لازم باطل ، وهو انقلاب العلم جهلاً ، لمخلف ما قد سبق به القضاء .

لا تلازم بين علم الله ونفاذ قضائه :

فقهروا أنظارهم على هذا الإلزام وفعلوا هن لزوم ما هو أشد منه ، وهو أن الرب القادر القوي العارف في عالمه بما يشاء ، وكيف يشاء لم يبق له عز وجل

(١) في الفتح (الأمور)
(٢) في (ب) (هنا)
(٣) في (ب) (هنا)

إلا ما قد سبق به قضاءه ، ولا يتمكن من تغييره ولا من نقله إلى قضاء آخر .

وهذا تقصير عظيم بالجانب العلمى عز وجل وتعالى وتقدس وهو يستلزم إهمال كثير من الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة .

فمنها إهمال ما أرشدنا إليه سبحانه من التضرع إليه ولدهاء له لأنه ليس الداعى إلا ما قد جف به القلم دعا أو لم يدع . وهذه مقالة تبطل بها فائدة الدعاة الذى أرشدنا سبحانه إليه فى كتابه العزيز وقال : « ادعوني أستجب لكم » ، وجعل ترك دعائه من الاستكبار عليه ، وتوعد عليه ، كما قال ^(١) : « إن الذين يستكبرون عن عبادتى الآية » وقال : (أم من يجيب المضطر إذا دعاه) ^(٢) وقال : « وإذا سألك عبادى عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان » ..
الدعاء كسبب لرد القضاء :

فأخبرنا سبحانه أنه يجيب دعوة من دهاه بعد أن أمرنا بالدعاء فى آيات كثيرة ، ومنها هذا الحديث القدمى الذى نحن بصدد شرحه ، فإنه قال فيه . « لئن سألتى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيننه » . وهو صادق ولا يخلف الميماد كما أخبرنا بذلك فى كتابه العزيز .

وقد أكد الإجابة منه للأبد فى هذا الحديث القدمى بالقسم على نفسه عز وجل . فكيف يتخلف ذلك .

وقد ورد من الترغيب فى الدعاء ما لو جمع لكان مؤلفا مستقلا ، فمن ذلك . « اهو فى الصحيحين وغيرهما وها هو صحيح كما ستقف عليه .
فمن ما فى الصحيحين وغيرهما من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله

(١) فى (ب) (بقوله) .

(٢) فى (ب) زاد الناسخ جزءا من الآية بعد ذلك وهو (ويكشف السوء) .

صلى الله عليه وآله وسلم قال الله عز وجل : « أنا ههنا فان هبدي ، وأنا معه إذا دعاني » . وفي الحديث القدسي ، الذي أخرجه مسلم وغيره عن أبي ذر^(١) . « يا هبدي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد فسألوني فأعطيت كل إنسان منهم مسألته ما نقص ذلك مما هبدي إلا كما ينقص الخيط إذا أدخل البحر » وأخرج أهل السنن وابن حبان والحاكم ، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم من حديث الثعلبي بن بشير عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « الدعاء هو العبادة ثم قرأ : (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن هبدي سيدخلون جهنم داخرين) : وأخرج الترمذي والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة^(٢) أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من سره أن يستجيب الله له ههنا المشدائد فليكثر من الدعاء في الرخاء » وأخرجه أيضاً الحاكم من حديث سليمان بن عيسى . وأخرج الترمذي وحسنه من حديث أنس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول قال الله : « يا ابن آدم ، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان ولا أبالي » .

وأخرج الترمذي والحاكم وصححه من حديث هبة بن الصامت « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها ، أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ، فقال رجل من القوم : إذا نكث قال : الله أكثر » .

وأخرج أحمد بإسناد لا بأس به من حديث أبي هريرة قال : قال رسول

(١) للمؤلف كتاب على ذلك الحديث اسمه (نثر الجوهر على حديث أبي ذر) ألفه (هام ١٢٤٠) وهو مصور بدار الكتب المصرية (رقم ٣٣٤٧٣ ب) وقد شرح ذلك الحديث فيه متعرضاً لما يتصل به من نواح كلامية وتصوفية وغيرها .
(٢) في (ب) (رضى الله عنه) .

الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما من مسلم ينصب وجهه لله عز وجل في مسألة إلا أخطأها إياه : إما أن يجعلها له ، وإما أن يدخرها » . وأخرج أحمد والبخاري وأبو يعلى بإسناد جيد والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطعية رحم إلا أخطأه الله بها إحدى ثلاث : إما أن يجعل له دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها . قالوا : إذن فكثير . قال الله أكثر » .

وأخرج ابن حبان في صحيحه، والحاكم وصححه، والضياء في المختارة من حديث أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تعجزوا في الدهاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد » . وأخرج الحاكم وصححه من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الدعاء سلاح المؤمن وعهاد الدين ونور السموات والأرض » . وأخرجه أبو يعلى من حديث علي . وأخرج الترمذي والحاكم وصححه من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة ، وما سئل الله شيئاً أحب إليه من أن يسأل العافية والدعاء ينفع مما نزل ، ومما لم ينزل فمليكم هباده بالدعاء » . وفي إسناده هبة الرحمن بن أبي بكر المليكي وفيه مقال . وأخرج أبو دواد والترمذي وحسنه ، وابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه من حديث سلمان^(١) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله حي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبين » .

(١) في (أ) نسي المؤلف (الراء) من (رسول) .

(٢) في (ب) توجد (رضى الله عنه) .

وأخرج الحاكم وصححه من حديث أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله رحيم كريم يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه ثم لا يضع فيهما خيرا » . وأخرج أبو داود والترمذي وصححه والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من نزلت به فاقة ، فأنزله بالناس لم تسد فاقته ، ومن نزلت به فاقة فأنزله بالله فيوشك الله له برزق عاجل وآجل » .

وأخرج الترمذي وابن أبي الدنيا من حديث ابن مسعود^(١) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل » . وأخرج الترمذي من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الدماء منج العباداة » . وأخرج أبو يعلى من حديث جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ألا أدلكم على ما ينجيكم من عذابكم ويدرككم أرزاقكم تدعون الله في ليلكم ونهاركم ، فإن الدعاء صلاح المؤمن » . وأخرج أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « سمع رجلا يقول : اللهم إني أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد فقال : لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى ، وإذا دعى به أجاب » .

وأخرج الترمذي وقال : حسن من حديث معاذ « قال سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً وهو يقول : يا ذا الجلال والإكرام فقال : قد استجيب لك فسل » . وأخرج الحاكم بن حديث أبي أمامة قال : « قال

(١) في (ب) (رضي الله عنه)

« رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الله ملكا موكلا بقول : يا أرحم
الراحمين فن قالها ثلاث مرات قال الملك : إن أرحم الراحمين قد أقبل
عليك فسل » .

وأخرج أحمد وأبو داود واللساني ، وابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه ،
والحاكم وصححه من حديث أنس قال : « مر النبي صلى الله عليه وآله وسلم
بأبي عياش زيد بن الصامت الزرقى وهو يصلى وهو ^(١) يقول : اللهم إني أسألك
بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال
والإكرام ، يا حي يا قيوم : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لقد دعا
الله باسمه الأعظم ، الذى إذا دعى به أجاب » :

ومن ذلك ماورد فى إجابة دهوة المظلوم على ظالمه ، والأب على ولده ، وورد
أيضاً أن جهالة لا يرد دعاؤهم ، والأحاديث بذلك صحيحة ثابتة » . والأحاديث
فى هذا الباب كثيرة وفيها الترغيب فى الدعاء ومحبة الله له ، حتى أخرج الترمذى
من حديث أبى هريرة مرفوعاً : « من لم يسأل الله يغضب عليه » وأخرج
ابن أبي شيبة من حديثه « من لم يدع الله غضب عليه » .

فلو لم يكن الدعاء نافعا لصاحبه ، وأن ليس له إلا ما قد كتب له دعا أو لم
يدع لم يقع الوعد بالإجابة وإعطاء المسألة فى هذه الأحاديث ونحوها ، بل قد
ثبت أن الدعاء يرد القضاء كما أخرجه الترمذى وحسنه من حديث سلمان أن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد فى
العمر إلا البر » وأخرجه أيضاً ابن حبان فى صحيحه ، والحاكم وصححه ،
وأخرجه أيضاً الطبرانى فى الكبير ، والضياع فى المختارة .

وأخرج ابن أبي شيبة وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه والطبرانى

(١) فى (ب) لا توجد (وهو) .

في الكبير من حديث ثوبان « لا يرد القدر إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يهيبه » .

وأخرج البزار والطبراني والحاكم وصححه والبخاري من حديث عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يفتى حذر من قدر ، والدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل ، وأن البلاء لينزل ، فيتلقاء الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة » .

فهذه الأحاديث وما ورد موردها قد دلت على أن الدعاء يرد القضاء فما بقي بعد هذا ؟

ومن الأدلة التي تدفع ما قدمناه من قول أولئك القائلين ما ورد من الاستمادة من سوء القضاء ، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما ، أنه كان صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « اللهم إني أعوذ بك من سوء القضاء ، ودرك الشقاء ، وجهد البلاء وشماتة الأعداء » . وقد قدمنا هذا الحديث .

فلو لم يكن للعبد إلا ما قد سبق به القضاء لم يستند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سوء القضاء .

ومن ذلك حديث الدعاء في الوتر ، وفيه : « وقني شر ما قضيت » . وهو حديث صحيح ، وإن لم يكن في الصحيحين حسبا قدمنا الإشارة إليه .

ومن الأدلة التي ترد قول أولئك القائلين ما ورد في صلة الرحم ، ففي الصحيحين وغيرهما من حديث أس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من أحب أن يبسط له في رزقه ، وينسأ له في أثره فليصل رحمه » . قوله ينسأ : يضم الياء وتشديد الميم المهمة مهموز أي يؤخر له في أجله . وأخرجه البخاري وغيره من حديث أبي هريرة .

وأخرج البزار والحاكم وصححه من حديث ابن عباس^(١) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مكتوب في التوراة : من أحب أن يزاد^(٢) في عمره ويزاد في رزقه فليصل رحمه » .

وأخرج أحمد بإسناد رجاله ثقات عن عائشة^(٣) أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « صلة الرحم وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار » وهو من طريق عبد الرحمن بن القاسم^(٤) ولم يسمع من عائشة . والأحاديث في هذا الباب كثيرة .

فلو لم يكن للعبد إلا ما قد سبق له لم تحصل له الزيادة بصلة رحمه ، بل ليس له إلا ما قد سبق به القضاء ، وصل رحمه أو لم يصل ، فيكون ما ورد في ذلك لغواً لأعمل عليه ولا صحة له .

ومن الأدلة التي ترد قول أولئك ما ورد من الأمر بالتداوى ، وهي أحاديث ثابتة في الصحيح . فلولا أن لذلك فائده كان الأمر به لغواً .

إذا هرقت ما قد مناه فاعلم أن الله سبحانه قال في كتابه العزيز : (يحو الله ما يشاء وينبت وھندھ أم الکتاب)^(٥) . وظاهر هذه الآية العموم المستفاد من قوله ما يشاء ، فما شاء سبحانه مما قد^(٦) وقع في القضاء وفي الأرواح المحفوظ بحاه ، وما شاء أثبتته . ومما يستفاد منه مثل معنى هذه الآية قوله عز وجل :

- (١) في (ب) (رضى الله عنه) (٢) في (ب) (يزاد له) .
(٣) في (ب) (رضى الله عنها) .
(٤) سورة الرعد : ٣٩ (٥) في (ب) سقطت (قد) .

الأعلام

(٥) عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التميمي القرشي ، من سادات أهل المدينة فقهياً وعلمياً ودياناً ، وحفظاً للأحاديث وإتقاناً . توفي بالشام سنة ١٢٦ هـ الأعلام ج ٤ ص ٩٧ .

﴿ وما يهر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب ﴾^(١) ، وقوله هـ وجل :
﴿ ثم قضى أجلا وأجل مسمى هـهه ﴾^(٢) .

وقد أجاب أولئك القوم الذين قدمنا ذكرهم^(٣) عن الآية الأولى
بجوابات : منها أن المراد : يحو ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه
ويبدله : ويثبت ما يشاء فلا يلمسه ولا يبدله . وجملة الناسخ والمنسوخ هههه
في أم الكتاب .

ويجاب عن ذلك بأنه تخصيص عموم الآية بغير مخصص . وأيضا يقال لهم :
إن الفلم قد جرى بما هو كائن إلى يوم القيامة كما في الأحاديث الصحيحة .
ومن جملة ذلك الشرائع والفرائض ، فهي مثل العمر إذا جاز فيها الحو
والإثبات جاز في العمر الحو والإثبات .

وكل ما هو جواب لهم عن هذا فهو جوابنا عليهم .

ومنها أن المراد بالآية محو ما في ديوان الحفظه مما ليس بحسنة ولا سيئة
لأنهم أمورون بكتب ما ينطق به الإنسان .

ويجاب عنه الجواب الأول ، ويلزم فيه مثل اللازم الأول ، وجميع ما ينطق
به بنو آدم من غير فرق بين أن يكون حسنة أو سيئة أو لا حسنة ولا سيئة
هو في أم الكتاب ، و (ما يلفظ^(٤) من قول إلا لديه رقيب عتيد^(٥))
﴿ وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾^(٦) ، (ما فرطنا في الكتاب من شيء^(٧))

(١) سورة فاطر : ١١ (٢) سورة الأنعام : ٢ .

(٣) علماء الكلام .

(٤) في (ب) (ينطق) وهو خطأ واضح يخالف لما في المصحف .

(٥) سورة ق : ١٨ (٦) سورة يس : ١٢ .

(٧) سورة الأنعام : ٣٨ .

ومنها أن المراد أن الله يغفر ما يشاء من ذنوب عباده ، ويترك ما يشاء فلا يغفره . ويجاب عنه بمثل الجواب السابق .

ومنها أن المراد يحو ما يشاء من القرون فيمحو قرنا ويثبت قرنا كقوله : (ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون)^(١) وقوله : (ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين)^(٢) ويجاب عنه بمثل ما تقدم .

ومنها أن المراد الذي يعمل بطاعة الله ثم بمصيبته فيموت [فيموت]^(٣) هلى ضلاله فهذا الذي يحوه الله والذي يثبت : الرجل يعمل بمصيبة^(٤) الله ثم يتوب فيمحوه من ديوان السيئات ويثبت في ديوان الحسنات . ويجاب عنه بما تقدم ، ويلزم فيه ما يلزم في الأول وما بعده بلا شك ولا شبهة .

وأى فرق بين محو السيئة وإثبات الحسنة ، وبين محو أحد المعبرين وإثبات الآخر .

ومنها أن المراد يحو ما يشاء يعنى الدنيا ويثبت الآخرة . ويجاب عنه بما تقدم . وإذا تقرر لك هذا هرفت أن الآية هامة ، وأن العمر فرد من أفرادها . ويدل هلى هذا التميم ما ثبت عن كثير من أكابر الصحابة [أنهم]^(٥) كانوا يقولون فى دهائمهم : « اللهم إن كنت قد أثبتنى فى ديوان الأشقياء ، فانقلنى إلى ديوان [السعداء] »^(٦) ونحو هذه العبارة من عباراتهم وهم جمهور قد جمع بعض الحنابلة فى ورد ههم من ذلك مجلداً بسيطاً .

(١) سورة يس ٣١ (٢) سورة المؤمنون : ٣١ .

(٣) فى (١) لا توجد (فيموت) الثانية وهى لازمة لسلامة الأسلوب وقوة المعنى .

(٤) فى (ب) (بمصيبة) دون لفظ الجلالة .

(٥) فى (أ) (أنه) ولا يستقيم .

(٦) فى (أ) (السعد) دون مدة . وهو سهو من المؤلف .

وبالجملة فالقول بالتمحيص بغير مخصص هو من الثنوق هل الله بما لم يقل لأن الذى قاله هو ذلك اللفظ المام ، وتلك الآية الشاملة فتعصرها هل بعض مدلولاتها بغير حجة نيرة لا شك أنه من الثنوق هل الله بما لم يقل . وقد قال سبحانه : (قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم والبغى بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا هل الله ما لا نعلمون)^(١) .

وأجابوا عن قوله تعالى : وما يعمر من معمر ، ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب) ، بأن المراد بالمعمر الطويل العمر ، والمراد بالمنقوص قصير العمر .

وبجواب عن ذلك بأن الضمير فى قوله : « ولا ينقص من عمره » يعود إلى قوله من معمر لا شك فى ذلك . والمعنى على هذا « وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمر ذلك المعمر » .

هذا معنى النظم القرآنى الذى لا يمتثل خيره ، أو ما عداه فهو إرجاع للضمير إلى خير ما هو المرجع ، وذلك لا وجود له فى النظم .

وأجابوا أيضا بأن معنى ما يعمر من معمر ما يستقبله من عمره . ومعنى ولا ينقص من عمره ما قد مضى . وهذا تعسف وتكلف وتلاعب بكتاب الله وتصرف فيه بما يوافق المذهب ويطاقق الهوى .

وأجابوا أيضا بأن المراد بالمعمر من بلغ سن الهرم ، وبالمنقوص من عمره هو معمر آخر غير هذا الذى بلغ سن^(٢) الهرم أى ينقص من عمره عن عمر الذى بلغ سن الهرم ، ويجاب عنه بمنزل ما تقدم .

وقيل للمعر : من بلغ عمره ستين ، والمنقوص من عمره من يموت قبل الستين ، ويجب عليه بما تقدم .

والحاصل أن ما جاءوا به من الأجوبة يردّها اللفظ القرآني ، وبهذه النظم الرباني ، والصفة هامة بما فيها من النفي الدال على العموم المتوجه إلى النكرة المنفية المؤكدة نفياً بـن . وكذلك النفي الآخر باللفظ لا ، المتوجه إلى نفي النقص ، من عمر ذلك المعمر . وهذا ظاهر لا يخفى ، ومحاولة تخصيصه ، أو إرجاع ضميره إلى غير من هو له نصف ، وتلاعب بكتاب الله ، ورده بالاحجة ذرية إلى ما يطابق هو الأنفس .

وأجابوا عن قوله تعالى : (ثم قضى أجلاً وأجل مسمى ههنا) بأن المراد بالأجل الأول ، النوم ، والأجل الثاني الموت . وهذا من بدع التفاسير . وغرائب التأويل . ومعنى الآية أوضح من أن يخفى .
وأجابوا أيضاً بأن الأجل الأول ما قد انقضى من عمر كل أحد . والثاني ما بقي من عمر كل أحد .

وهذا كالأول . وقيل الأول أجل الموت ، والثاني أجل الحياة في الآخرة ، وهذا أشد تعسفاً مما قبله .

وقيل الأول ما بين خلق الإنسان إلى موته : والثاني ما بين موته إلى بعثه . وهو كالذي قبله . والكل مخالف لما يدل عليه النظم القرآني .

وإذا هرفت بطلان ما أجابوا به . نقرر لك أن الثلاث الآيات دالة على ما أردناه . فإن المحو والإثبات عامان يدخل تحت عمومهما العمر والرزق ، والسعادة والشقاوة وغير ذلك^(١) .

(١) في (ب) (وغيرها) .

ومعنى الآية الثانية أنه لا يطول عمر إنسان ولا يقصر ، إلا وهو في كتاب
أبى الأوح المحفوظ . ومعنى الآية الثالثة : أن الإنسان أجلين يقضى الله سبحانه
له بما يشاء منهما من زيادة أو نقص .

فإن قلت : فعلام تحمل مثل قوله تعالى : (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون)^(١) وقوله سبحانه^(٢) : (لن يضر الله نفسا إذا جاء
أجلها)^(٣) وقوله سبحانه (إن أجل الله إذا جاء لا وخر)^(٤) . قلت :
أفسرها بما هي مشتملة عليه فإنه قال : في الآية الأولى : « فإذا جاء أجلهم »
وقال في الثانية « إذا جاء أجلها » ، وقال في الثالثة : « إن أجل الله
إذا جاء » .

فأقول : إذا حضر الأجل ، فإنه لا يتقدم ، ولا يتأخر . وقبل حضوره
يجوز أن يؤخره الله بالدهاء أو بصلة الرحم ، أو بفعل الخير ، ويجوز أن
يقدره لمن عمل شراً ، [أو]^(٥) قطع ما أمر الله به أن يوصل ، وانتهمك
محارم الله سبحانه .

مبدأ السببية في الشريعة الإسلامية :

فإن قلت : فعلام تحمل نحو قوله عز وجل : « وما أصاب من مصيبة
في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها »^(٦) وقوله
سبحانه « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا »^(٧) وكذلك سائر ما ورد
في هذا للمعنى .

(١) سورة المدح : ٦١ (٢) في (ب) سقطت من الناسخ (سبحانه) .

(٣) سورة المائدة : ١١ (٤) سورة نوح الآية : ٤ .

(٥) في (أ) (وقطع) بالواو ولكن (أو) أصبح وأوضح وأقرب إلى المنطق .

(٦) سورة الحديد : ٢٢ (٧) سورة التوبة : ٥١ .

قلت : أجمع بينهما وبين ما عارضها في الظاهر من قوله عز وجل :
« وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويغفر عن كثير » ^(١) وما ورد
في معناها . ومن ذلك الحديث القدسي الثابت في الصحيح عن الرب عز وجل
« يا عبدي : إنما هي أعمالكم أحصها عليكم فن وجد خيراً فليحمد الله ،
ومن وجد شراً ^(٢) فلا يلومن إلا نفسه » يحمل الآيتين [الأوليين] ^(٣)
وما ورد في معناهما على عدم النسب من العبد بأسباب الخير من الدعاء وصلة
الرحم ، وسائر الأعمال والأقوال الصالحة . وحمل الآية [الأخرى] ^(٤) ،
والحديث القدسي ، وما ورد في معناهما ، وعلى وقوع النسب من العبد
بأسباب الخير الموجبة لحسن القضاء ، واندفاع شره . وعلى وقوع النسب
من العبد بأسباب الشر المقتضية لإصابة المسكر به ، ووقوعه على العبد .

وهكذا أجمع بين الأحاديث الواردة بسبق القضاء ، وأنه قد فرغ من
تقدير الأجل والرزق ، والسعادة والشقاوة ، وبين الأحاديث في طلب الدعاء
من العبد ، وأن الله يحب دعه ، ويعطيه ما سأل مثله ، وأنه يغضب إذا
لم يسأل ، وأن الدعاء يرد القضاء ونحو ذلك مما قدمنا ، كصلة الرحم
وأعمال الخير .

فأجل أحاديث الفراغ من القضاء على عدم نسب العبد بأسباب الخير
أو الشر . وأجل الأحاديث [الأخرى] ^(٥) على وقوع النسب من العبد
بأسباب الخير أو النسب بأسباب الشر .

(١) سورة التوبة : ٣٠ .

(٢) في (ب) (غير ذلك) بعد (شراً) وهي زيادة لاداعي لها .

(٣) في (أ) (الأوليين) غير صحيحة إملائياً ورسمها كذلك (الأولوين) .

(٤) في (أ) (الآخرة) بالهاء .

(٥) في (أ) (الآخرة) بالهاء .

وأنت خبير بأن هذا الجرم لا بد منه لأن الذي جاءنا بالأدلة الدالة على أحد الجانبين هو الذي جاءنا بالأدلة الدالة على الجانب الآخر . وليس في ذلك خالف لما وقع في الأزل ، ولا مخالفة لما تقدم العلم به . بل هو من تهيئة المسببات بأسبابها ، كما قدر الشبع والرى بالأكل والشرب ، وقدر الولد بالوطء وقدر حصول الزرع بالبذر^(١) .

فهل يقول قائل بأن ربط هذه المسببات بأسبابها يقتضى خلاف العلم السابق ، أو ينطفيه بوجه من الوجوه ؟ .

فلو قال قائل : أنا لا آكل ، ولا أشرب ، بل أنتظر القضاء ، فإن قدر الله لي ذلك كان ، وإن لم يقدره لم يكن ، أو قال : أنا لا أزرع ولا أجمع زوجه ، فإن قدر الله لي الزرع^(٢) والولد حصلاً ، وإن لم يقدرهما لم يحصل .

أليس هذا القائل قد خالف ما في كتب الله سبحانه ، وما جاءت به رسوله وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، والتابعون ، وتابعوم وسائر علماء الأمة ، وصالحاتها ، بل يكون هذا القائل قد خالف ما عليه هذا النوع الإنساني من أئبنا آدم إلى الآن ، بل خالف ما عليه جميع أنواع الحيوانات في البر والبحر ؟ .

فكيف ينكر وصول العبد إلى الخير بدهائه ، أو بجهله الصالح ، فإن هذا من الأسباب التي ربط الله مسبباتها ، وعلما قبل أن تكون . فعلمه على كل تقدير أزل في المسببات ، والأسباب . ولا يشك من له اطلاع على كتاب الله عز وجل ، ما اشتمل عليه من ترتيب حصول المسببات على حصول أسبابها ، وذلك كثير جداً .

(١) في (ب) (حصول البذر بالزرع) في الهامش كتصحيح لتلك العبارة ولكنه إخراج لها مخرج الخطأ ، فإن الزرع لا يحصل إلا ببذر البذر وزرعه .
(٢) في (ب) (البذر) وهو غير مقبول .

ومن ذلك قوله : « إن تجنبوا كبائر ، ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم » ^(١) ، « فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً . يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً » ^(٢) و « لنن شكرتم لأزيدنكم » ^(٣) « اتقوا الله ويعلمكم الله » ^(٤) « فلولاً أنه كان من المسببين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون » ^(٥) .

وكم يعد الاماد من هذا الجنس في الكتاب العزيز . وما ورد في معناه من السنة المطهرة .

فهل ينسکر هؤلاء الفلاة مثل هذا ويجهلونه مخالفاً ^(٦) لسبق العلم مبيناً لأزلية ؟ . فإن قالوا نعم ، فقد أنكروا ما في كتاب الله سبحانه من فاتحته إلى خاتمه ، وما في السنة المطهرة من أولها إلى آخرها ، بل أنكروا أحكام الدنيا والآخرة جميعها ، لأنها كلها مسببات مترتبة على أسبابها ، وجزاءات معلقة بشروطها .

ومن بلغ إلى هذا الحد في الغباوة ^(٦) ، وعدم تعقل الحجة ، لم يستحق المناظرة ، ولا ينبغي الكلام معه في الأمور الدليلية ، بل ينبغي إلزامه بإهمال أسباب ^(٧) ما فيه صلاح معاشه ، وأمر دنياه كله حتى ينتمش من غفلته ، ويستيقظ من نومته ، ويرجع عن ضلالاته وجهالته .

والهداية بيد ذي الحول ، والقوة .

-
- | | |
|---|-------------------------------------|
| (١) سورة النساء : ٣١ | (٢) سورة نوح : ١٠ ، ١١ ، ١٢ . |
| (٣) سورة إبراهيم : ٧ | (٤) سورة البقرة : ٢٨٢ . |
| (٥) سورة الصفات : ١٤٣ ، ١٤٤ . | |
| (٦) سقطت من الناسخ (مخالفاً) في (ب) . | |
| (٧) في (ب) (المناد) | (٨) في (ب) نهي للناسخ (أسباب) . |

ثم يقال لهم : أيا فائدة لأمره عز وجل لمبادء بالدعاء بقوله : « ادعوني أستجب لكم » ثم عقب ذلك بقوله : « إن الذين يستكبرون عن عبادتي » أى دهائي « سيدخلون جهنم داخرين » وقوله عز وجل : (واسألوا الله من فضله)^(١) فأى فائدة لطيفين^(٢) الأمرين منه عز وجل بالدعاء ووعدته لمن تركه وجملته مستكبراً ، وتمدحه سبحانه بقوله « أم من يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء »^(٣) . وبقوله : « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان » فإن قالوا إن هذا الدعاء الذى أمرنا الله عز وجل به وأرشدنا إليه وجعل تركه استكباراً وتوعد عليه بدخول النار مع الذل ، وأنكر هلمهم أن غيره يجيب المضطر .

إن [كان]^(٤) ذلك كله لا فائدة فيه للعبد ، وأنه لا ينال إلا ما قد سبق به القضاء فعمل الدعاء ، أو لم يفعل ، فقد نسبوا إلى الرب عز وجل ما لا يجوز عليه ولا يحل نسبته إليه بإجماع المسلمين ، فإنه عز وجل لا يأمر إلا بما فيه فائدة للعبد دنيوية أو أخروية إما جلب نفع أو دفع ضرر .

هذا معلوم لا يشك فيه إلا من لا يعقل حجج الله ، ولا يفهم كلامه ولا يدري بخير ولا شر ، ولا نفع ولا ضرر . ومن بلغ في الجهل إلى هذه الغاية فهو حقيق بأن لا يخاطب ، وقين بأن لا يناظر ، فإن هذا المسكين المتخبط في جهله المتقلب في ضلاله قد وقع فيما هو أعظم خطراً من هذا أو أكثر ضرراً منه .

(١) سورة النساء : ٣٤ (٢) فى (ب) (لهذه) وهى سهو من الناسخ .

(٣) سورة النمل : ٦٢ .

(٤) فى (أ) لا توجد كان وهى لازمة لى يفهم المعنى ويستقيم . ولعل المؤلف سها عنها . وكذلك فى (ب) قد سهى الناسخ عن هذه الملاحظة ونقل حرفياً ما أمامه .

وذلك بأن يقال له : إذا كان دعاء الكفار إلى الإسلام ، ومقاتلتهم على الكفر وهزومهم إلى حق الديار ، كما فعله رسول الله ونزلت به كتبه ، لا يأتي بفائدة ، ولا يعود على القائلين به من الرسل وأنبياءهم ، وسائر المجاهدين بمائدة ، وأنه ليس هناك إلا ما قد سبق به القضاء ، وجف به القمام ، وأنه لا بد أن يدخل في الإسلام ، ويهتدى إلى الدين من علم الله في سابق علمه أنه يقع منه ذلك سواء قوتل أم لم يقاتل ، وسواء دعى أم لم يدع ، كان هذا القتال والنتيجة الشاق ضائماً ، لأنه من تحصيل الحاصل ، وتكون ما هو كائن فعلوا أو تركوا . وحينئذ يكون الأمر بذلك هيباً ، تعالى الله عن ذلك .

وهكذا ما شرهه الله لعباده من الشرائع على لسان أنبيائه ، وأنزل به كتبه يقال فيه مثل هذا فإنه إذ كان ما في سابق علمه كائناً لا محالة ، سواء أنزل كتبه ، وبعث رسوله أم لم ينزل ولا بعث ، كان ذلك من تحصيل الحاصل فيكون هيباً ، تعالى الله عن ذلك .

ثم يقال لهم : هذه الأدهية التي علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمته في صلواتهم وأيامهم ونهارهم وسفرهم وحضرهم ، لو دام العالم جميعاً متوناً لكانت في مجلد . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثر الناس قياماً وتضرعاً إلى ربه حتى كان في تارة يرفع كفيه حتى يرى بياض إبطيه وفي تارة يرفعهما حتى يسقط الرداء عن منكبيه ، ثم أخبرنا بما قد أدى لربه من الجزاء الجزيل ، والثواب الجليل عموماً ، وخصوصاً .

هل كان لهذا فائدة يتبين أثرها أم لا فائدة ، بل ما خط في الوح فهو كائن لا محالة وقع الدعاء أم لم يقع ؟ ؟ ؟

فيقال لهم : يا نوكي ^(١) . أنتم أعرف بالله سبحانه من رسوله صلى الله

عليه وآله وسلم حتى يكون ما فعله ، وما فعله أمته لغوا ضائماً لا فائدة فيه ولا هائدة ١٢ سبحانه هذا بهتان عظيم .

ثم يقال لهم : لو كان القضاء السابق حتما لا يتحول ، فأى فائدة في استعاضته صلى الله عليه وآله وسلم من سوء القضاء ، كما صح ذلك منه في الصحاحين ، وصح عنه أنه كان يقول : وفقى شر ما قضيت .

فيا لله العجب من دعاوى مريضة من قلوب مريضة ، وأفهام مريضة . بالسك الويل ، أما تدرون في أى بلية وقعتم ، وعلى أى جنب سقطتم ، ومن أى باب من الشريعة خرجتم ١١ ؟ فإنكم لم تعملوا بشرع ولا اهتديتم بهقل .

وقد كان لكم قدوة وأسوة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبكتاب الله المنزل عليه ، وبما كان عليه أكبر الصحابة في هذه المسألة [التي] (٢) فمن بصدها كعمر بن الخطاب . وهب الله بن مسعود ، وأبى وائل ، وأمثالهم من أكبر الصحابة الذين صح عنهم أنهم كانوا يسألون الله سبحانه أن يشبهم في ديوان السعادة وأن ينقاهم من ديوان الشقاوة إن كانوا فيها ، إلى ديوان السعادة كما قدمنا .

والله در كعب (٣) الأخبار ، فإنه قال لما طعن عمر رضي الله عنه : « والله لو دعا عمر أن يؤخر الله أجله لآخره » فقيل له : إن الله عز وجل يقول : « فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ، ولا يستقدمون » فقال : هذا إذا

(١) في (أ) (الذي) وهو صهو من المؤلف .

الأعسالم

(٣) كعب بن ماتع بن ذى هجن الحنظلي أبو إسحاق : تابعي : كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن وأسلم في زمن أبي بكر وقدم المدينة في دولة عمر وأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الفابرة ، وأخذ هو من الكتاب

حضر الأجل^(١) ، فأما قبل ذلك فيجوز أن يزداد وينقص « وقرأ قوله تعالى :
(وما يعمر من معمر ، ولا ينقص من عمره) إلى في كتاب) .

وكلامه هذا يرشد إلى الجمع الذي جمعناه كما عرفت ، ولنتقصر على
هذا المقدار في تقرير المقدمة التي قدمنا أنه يظهر بها ما سنذهب إليه في ذلك
للقيام ، بعد أن تعقبنا جميع تلك التاويلات المذكورة في التردد الذي وقع في
الحديث القدسي .

فنتقول الآن : إن ذلك التردد هو كناية عن محبة الله لعبده المؤمن أن
يأتي بسبب من الأسباب الموجبة لخلوصه من المرض الذي وقع فيه حتى يطول
به عمره ، من دواء ، أو صلة رحم ، أو صدقة ، فإن فعل مد له في عمره
بما [يشاء]^(٢) ، وتقتضيه حكمته . وإن لم يفعل حتى جاء أجله ، وحضره الموت
مات بأجله الذي قد قضى عليه إذا لم يتسبب بسبب يترتب عليه الفسحة له
في عمره ، مع أنه وإن فعل ما يوجب التأخير ، واخلوص من الأجل الأول ،
فهو لا بد له من الموت بعد انقضاء تلك للذة التي وهبها الله سبحانه له .

فكان هذا التردد معناه : انتظار ما يأتي به العبد مما يقتضى تأخير
الأجل أولا يأتي ؛ فيموت بالأجل الأول ، وهذا معنى صحيح لا يرد عليه
إشكال ، ولا يمتنع في حقه سبحانه بحال^(٣) ، مع أنه سبحانه يعلم أن العبد

عن الصحابة ، وخرج إلى الشام وسكن حصص وتوفي فيها سنة ٣٢ هـ عن ٤٠ سنة .
الأعلام ج ٦ ص ٨٥ وفي شذرات الذهب ٣٥ هـ ص ٤٠ ج ١ .

(١) في (أ) كرر المؤلف سموا (فقال هذا إذا حضر الأجل) .

(٢) في (أ) (يشاء) بالهاء وهو سمو .

(٣) نعم لا يمتنع في حقه سبحانه ، ولكن يرد عليه إشكال ، وهو أننا مادامنا
قد جوزنا تأخير موته لسبب من الأسباب ، فيجوز أن يؤخر بعد ذلك أيضا ،
ويؤخر ويؤخر ، وهكذا فتتبع موت ذلك الشخص إذا تابعت الأسباب في تأخير أجله ؟

سيفعل ذلك السبب ، أو لا يفعله ، لكنته لا يقع لتنجيز لذلك السبب إلا بحصول السبب الذي ربطه عز وجل به .

« كراهة الموت ومقام الولاية » :

قوله : « يكره الموت وأكره إسماعته »^(١) قال ابن حجر : « وفي حديث عائشة : أنه يكره الموت وأنا أكره مسامحته . زاد ابن مخلد عن ابن كرامة في آخره : « ولا بد له منه »^(٢) ووقعت هذه الزيادة أيضاً في حديث وهب^(٣) انتهى .

فيه فائدة جلية هي أن المؤمن قد يكره الموت ولا يخرج بذلك عن رتبة الإيمان الجلية ، ولا ينافي ذلك أن شأن المؤمن أن يحب لقاء الله سبحانه ، كما ورد في الأحاديث الصحيحة لوتوع البيان فيها بأن محبة لقاء الله لا تستلزم أن لا يكره صاحب هذه المحبة الموت ، كما في الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقلت يا نبي الله ألا تكرهية

(١) في (ب) (مسامحته) . (٢) لفتح ص ٢٩٨ .

الأعلام

(*) وهب بن منبه من رواة الحديث وجامعه ، أئند عن جابر بن عبد الله واللهان بن بشير وابن عباس ، وقد روى عن معاذ بن جبل وأبي هريرة وروى عن أناس كثيرين من كبار التابعين . كطائوس ، وروى عنه من التابعين جماعة منهم عمرو بن دينار وروى عن التابعين ، من مآثراته : « الإيمان قائد والعمل سائق والنفس بينهما حرون ، فإذا قاد القائد ولم يسق السائق لم يغن ذلك شيئاً ، وإذا ساق السائق ولم يقد القائد لم يغن ذلك شيئاً وإذا قاد القائد وساق السائق اتبعته للنفس طوعاً وكرهاً وطاب العمل » . مات بصنعاء سنة ١١٠ أو في سنة ١١٤ . صفوة الصفوة ج ٢ ص ١٦٧ وينظر أيضاً الكواكب الدرية ص ١٨٦ .

الموت فكلنا نسكركه الموت ؟ قال : ليس ذلك ، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله ، وكره الله لقاءه .

وأخرج أحمد بن حنبل الصحيح وللفماني بإسناد جيد من حديث أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، قلنا يا رسول الله : كلنا نسكركه الموت . قال : ليس ذلك كراهية الموت ، ولكن المؤمن إذا حضر جماعه البشر من الله فليس شيء أحب إليه من أن يكون قد لقي الله فأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا حضر جماعه ما هو صائر إليه من الشر ، أو ما يلقى من الشر ، فكره لقاء الله فكركه الله لقاءه » .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قال الله : إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه ، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه » . وأخرج الطبراني بإسناد جيد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « تحبب المؤمن للموت » . وأخرج أحمد بن حنبل في رواية عبد الله بن زجر (*) من حديث معاذ (١) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن شئتم أنبأكم ما أول ما يقول الله عز وجل للمؤمنين يوم القيامة ، وما أول ما يقولون له ، قلنا : نعم يا رسول الله قال : إن الله عز وجل يقول للمؤمنين : هل أحببتكم لقائي ،

(١) ف، (ب) (رضي الله عنه) .

الأعلام

(*) الصحيح (عبد الله بن زجر الظمري) مولاهم الأديقي ، صدوق ، يخطي ، من السادسة ، التقريب لابن حجر ، وخلاصة الفذهب لأبى زجر ، وقد جاء في أ ، ب [زجر] بالحاء المهملة .

فيقولون نعم يا ربنا ، فيقول لهم : لم ؟ فيقولون : رجونا هفوك ومغفرتك
فيقول : قد وجبت لكم مغفرتي .

قال ابن حجر في الفتح : « وأسند البيهقي في الزهد عن الجنيد سيد الطائفة
قال : الكراهة هنا لما يلقى المؤمن من الموت ؛ وصعوبته وكربه وليس المعنى
أنى أكره له الموت لأن الموت بورده إلى رحمة الله ومغفرته »^(١) انتهى .

أقول . ظاهر الأحاديث التي قد منها : أن الكراهة لنفس الموت الذي
هو انتقال من الدار الأولى إلى الدار الآخرة من غير حاجة إلى تأويل . ولا شك
أن الكراهية للموت قد تكون لاستصعاب مقدماته ، وقد تكون لما في الموت
من مفارقة الأهل والولد والأصحاب والأتراب ، وقد تكون للخوف من أن
يفارق الدنيا وهو غير راض بنفسه بأعماله الصالحة ، أو لذنوب اقترفتها لم
يخلص التوبة عنها ، أو لحقوق لله سبحانه ، أو لعبادة لم يتماخض عنها ، فلما دبت
كرهية الموت مختصة بذلك الوجه الذي ذكره الجنيد رحمه الله .

قال في الفتح : « وعبر بعضهم عن هذا بأن الموت حتم مقضى ، وهو
مفارقة الروح الجسد ، ولا يحصل غالباً إلا بالم [شديد]^(٢) جداً كما جاء عن
عمر بن الخطاب أنه سئل وهو يموت ، فقال : كأنى أتنفس من خرم إبرة ،
وكان غصن شوك يجرب به من قامتي إلى هامتي »^(٣) انتهى .

قلت : هذا هو مثل كلام الجنيد . والجواب عنه جواب عن هذا ، وقصة
عمر وهذه مشهورة في كتب التاريخ ، قال له رجل وهو يجود بنفسه : إنك

(١) الفتح ص (٢٨٩) .

(٢) لعل المؤلف نسي كلمة (شديد) فهي ضرورية قبل (جداً) والناسخ

في (ب) نسيها كذلك .

(٣) الفتح ص ٢٩٨ .

كنت تقول لنا : وددت أن يخبرني رجل عاقل [و]^(١) هو في سياق الموت كيف يجد الموت فقال له رجل : ألت ذلك الرجل العاقل فأخبرنا فقال : « كأنه نفس الخ » قال في الفتح : « وعن كعب أن عمر سأل عن الموت فوصفه بنحو هذا ، فلما كان الموت بهذا الوصف والله سبحانه يكره [أذى]^(٢) المؤمن أطلق على ذلك الكراهة . ويحتمل أن تكون المساواة بالنسبة إلى طول الحياة ، لأنها تؤدي إلى أرذل العمر ، وتنكس الخلق والرد ، إلى أسفل سافلين » انتهى .

أقول : معنى قوله وأكره إسماعته كراهة إسماعته بنفس الموت كما يفيد قوله يكره الموت ، فإن قوله وأكره إسماعته هو معانوف هائيه ، فالمراد أكره إسماعته بما كرهه . وتخصيص النفسير بوجه مع وضوح المعنى لا حاجة إليه ؛ فإنه لا يلزم من ذلك شيء حتى يصار إلى التناويل ، وهي فرض وجود مقتضى للتناويل ، فهو ذو وجوه كما بينا ، وغير ما تطابق عليه قول الجنيد وكعب والمصنف [وهو]^(٣) أولى منه .

قال في الفتح : « وجوز الكرماني أن يكون المراد أنه يكره الموت فلا أسرع بقبض روحه فأكون كالنردد »^(٤) انتهى .
أقول : هذا صواب إذ لا مقتضى للتناويل كما هو هناك .

(١) هذه الواو ضرورية ، لأن الجملة حالية اسمية . وقد سهى عنها المؤلف أيضاً ، وعبارته (رجل عاقل هو في الخ) . وكذلك الناسخ في (ب) نقلها حرفياً .

(٢) في (أ) ، (ب) (أذا) بالألف .

(٣) ليست في (أ) ولا في (ب) وهي لازمة لسلامة الأسلوب .

(٤) ص ٢٩٨ مع اختلاف يسير .

قال في الفتح : « وقال الشيخ أبو الفضل ^(٥) : في هذا الحديث ، هضم قدر الولي ، لكونه خرج عن تدبير نفسه ^(١) إلى تدبير ربه تعالى ، ومن انتصاره لنفسه إلى انتصار الله له ، ومن حوله وقوته بصدق توكله .

قال : ويؤخذ منه أن لا يحسبكم لإسنان آذى ولياً ثم لم يعاجل بمصيبة في نفسه أو ماله أو ولده ، بأنه يعلم من انتقام الله تعالى له : فقد يكون مصيبتة في غير ذلك مما هو أشبه عليه كالمصيبة في الدين مثلاً .

قال : ويدخل في قوله : افترض عليه الفرائض الظاهرة فهلا ، كالصلاة والزكاة وغيرهما من العبادات .

وتركا كالزنا والقتل وغيرهما من المحرمات ، والباطنة كالإلم بالله تعالى والحب له والتوكل عليه ، والظوف منه وغير ذلك .

وهو ينقسم أيضاً إلى أفعال وترك .

الولي ومعرفة الغيبيات :

قال : وفيه دلالة على جواز اطلاع الولي على الغيبيات بإطلاع الله تعالى إياه ، ولا يمنع من ذلك ظاهر قوله : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً)

(١) في (ب) (تدبيره) .

الأعلام

(٥) المتوفى سنة ٧٠٩ هـ ، أحمد بن محمد بن عبد الكريم أبو الفضل تاج الدين ابن عطاء الله الاسكندري متصوف شاذلي ، من العلماء ، كان من أشد خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية ، له تصانيف منها (الحكم العطائية ط) في التصوف ، و (تاج المروس) ط ، في الوصايا والعظات ، وينسب إليه كتاب (مفتاح الفلاح) وليس من تأليفه . الأعلام ج ١ ص ٢٠٣ .

إلا من ارتضى من رسول^(١) فإنه لا يمنع دخول بعض أتباعه معه بالتبعية
لصديق قولنا : ما دخل على الملك اليوم إلا الوزير ، ومن المعلوم أنه دخل معه
بعض خدمه .

قلت : الوصف المستثنى لرسول هنا إن كان فيما يتعلق بخصوص كونه
رسولا فلا مشاركة لأحد من أتباعه فيه إلا دنه ، وإلا فيجوز ما قال ، والعلم
هناك الله عز وجل^(٢) انتهى .

أقول : أما قوله : في هذا الحديث عظم قدر الرلى ، فلا شك في ذلك لأن
الله سبحانه قد أحبه وكان اسمه وبصره ويد ورجله ، ووعد بأنه إذا سأله
أعطاه ، وإذا استعاضه أعاضه

وأما قوله : « لكونه^(٣) » خرج من تدبيره الخ ، فإن أراد بهذا التلميل أن
الولى في الواقع كذلك فصحيح وإن أراد أن في الحديث للتدليس دلالة على
هذه اللمة فلا ، فإنه لم يذكر ذلك فيه إلا أن يريد أن في قوله : كنت سمعه
الذى يسمع به إلى آخره ، ما يدل على أنه بذلك قد صار في تدبير من صار سمعه
وبصره الخ . وهو الرب عز وجل ، ولكن ليس هذا الطرؤج من فعل الولى
حق يكون ذلك^(٤) هلة لتعظيم قدره ، فإن ذلك من فعل الله سبحانه ، فهو
الذى جازى الولى بالمحبة وكان سمعه وبصره الخ ، هو من جملة ما جوزى به
الولى فلا يصح أن يكون هلة المجازاة .

وأما قوله « ويؤخذ منه أن لا يحكم لإيمان آذى ولباً الخ »

(١) سورة الجن آية : ٢٦ ، ٢٧ (٢) ص ٢٩٨ .

(٣) في (ب) (أنه) بدل (لكونه) وهو سهو من الناسخ وخطأ في نفس
الوقت ، لأن كلام أبى الفضل المتقدم : (لكونه . الخ) .

(٤) في (ب) نسي الناسخ (ذلك) .

فلعله يريد أنه سبحانه لما آذن من يعادى الولي بالحرب كان ذلك واقعا
لا محالة إما معجلا ، أو مؤجلا ، في النفس أو في المال أو في الولد ، فإن كل
ذلك يصدق عليه أنه من حرب الله لذلك المعادى للولي .

وأما قوله : ويدخل في قوله : « افترضت عليه : الفرائض الظاهرة الخ »
فقد أوضحنا هذا عند كلامنا على قوله : « وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء
ما افترضت عليه » بأوضح بيان طرجم إليه .

وأما قوله : « وفيه دلالة على جواز اطلاع الولي على المغيبات بإطلاع الله
تعالى إياه الخ » فهو مأخوذ من قوله : « كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره
الذي يبصر به . . الخ » .

فإن من كان الله سبحانه سمعه وبصره لا مانع من اطلاعه على بعض
[أسرارهِ] ^(٢) الإلهية ولا سيما بعد بيان هذا بقوله : في يسمع ، وفي يبصر ،
وفي يبطلش ، وفي يمشي ، وقد أطلعنا الكلام على هذا فيما سبق ، وبيناه أكمل
بيان وذكرنا ما يعضد ذلك من الأدلة .

وأما قوله : « ولا يمنع من ذلك ظاهر قوله تعالى : « عالم الغيب فلا يظهر
على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول » فإنه لا يمنع أحد من دخول بعض
أتباعه معه بالتبعية الخ .

فأقول : هذا صحيح ، فإن الله سبحانه قد أطلع على ما يشاء ^(٢) من غيبه
من برئتيه من رساله ، كما تفيد هذه الآية : ولم يمنع الرسول من إظهار ما أطلعه
عليه على بعض خواصه من أتباعه :

(١) في (أ) نسي المؤلف (هاء) (أسرارهِ) .

(٢) في (ب) (من يشاء) وهو خطأ لأن الغيب غير عاقل .

وقد وقع منه صلى الله عليه وآله وسلم ذلك في غير قضية كاطلاعه حذيفة^(١) هلى أهل النفاق ومعرفة بهم ، وإطلاعه له أيضاً على بعض الأمور المستقبلية خصوصاً أمور الفتن التي حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنه كان به ١٠١ برآ ، وكان يسأل عنها فيجيب كسؤال عمر له الثابت في الصحيح ، وإخباره بأن بينه وبينها باباً ، فقال عمر له^(٢) : أيكسر أم يفتح ؟ فقال : بل ينكسر . ففهم عمر رضى الله عنه أنه الباب وأنه يقتل .

(١) هذا في الواقع ليس إخباراً من الله سبحانه بالغيب لغير الرسول لأن الرسول هو الذى أخبر به ، وما دام الأمر قد علمه الرسول فلم يعد غيباً ، وخصوصاً إذا أخبر به . ونص الآية (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول) يدل دلالة قاطعة أن ذلك غير ممكن لغير الرسل : هذا بالنسبة لغيبه سبحانه الذى . أضافه لنفسه ، وهو المذكور في قوله تعالى : « إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ، ويعلم ما فى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدرى نفس باى أرض تموت » آخر سورة لقمان . أما بقية أنواع الغيب غير هذه الأنواع الخمسة ، فهي مما لم يستأثر الله بعلمه ، ومن الممكن أن يعلمه المخلوقين على مختلف أصنافهم ، رسل وغير رسل ، ثم إن هناك قاعدة ، في تمييز غيب الله من غيب المخلوقين ، وهي أن ما كان منجياً ، لا يزال في طي الغيب ، فهو من غيب الله الذى لا يظهره ، إلا للرسل (صلى الله وسلم عليهم) ، وأما ما علمه أحد المخلوقين فلم يعد من غيبه سبحانه ، وليس غيباً ، إلا بالنسبة لمن لم يعلمه ، فمن الممكن ، أن يعلم أحد المقيمين ، في جهة من الجهات ، ما حدث ووقع في جهة أخرى ، وأصبح معلوماً لأصحاب تلك الجهة الأولى ، أو لأحد أفرادها . ينظر تفسير الفخر الرازى ج ٤ ص ٨٠ - ٨٢ ، ج ٨ ص ٣٣٠ ، ٣٣١ ، وتفسير أبى السعود على هامش الفخر فى الموضعين المتقدمين طبعة سنة ١٢٨٩ هـ . وتفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٤١ ، ج ٢ ص ١٣٧ ، ٢٧٣ ، ج ٤ ص ٤٣٣ ، طبعة سنة ١٩٥٦ ، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، لابن تيمية ص ١٣٩ - ١٤٩ طبعة صبيح سنة ١٩٥٨ .

(٢) فى (ب) (فقال له عمر الخ) .

فهذا وأمثاله هو من همد الله سبحانه ومن ذلك : قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما في صحيح مسلم وغيره : « والذي فارق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق » ومن ذلك قضية الخدج^(١) الذي قتل من الخوارج في يوم النهروان وأمرهم علي^(٢) أن يجهنموا عنه فلم يجهنموا ، فقام فوجده فقال له أبو هبيرة السلمي^(٣) آله إنه لعهد النبي إليك^(٤) قال : نعم .

بل ثبت في الصحيح « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قام مقاماً فترك شيئاً من الأمور المستقبلة حتى أخبرهم به حفظه من حفظه واسمه من نسيه » . وذكر كل قائد من قواد الفتن ، وأخبر جماعة من الصحابة كالأبي ذر ، وأبي هريرة

(١) في (ب) (رضي الله عنه) .

الأعلام

(١) في اللغة ، المخدج . الناقص ، والمخدج هذا ، أخذ رجال الخوارج الذين أخبر رسول الله ﷺ علياً (رضي الله عنه) بأنهم سيقا تلونه ، وأن علامتهم أنه يكون فيهم هذا المخدج ، وقد عثر عليه علي رضي الله عنه بين قتلى الخوارج طرفها حلقة ، مثل مئذى المرأة ، وقد عثر عليه علي رضي الله عنه بين قتلى الخوارج في يوم (النهروان) فتأكد بذلك ، وأكد به نسخة في روايته عن الرسول (ﷺ) هذا الخبر . ينظر : الروضة النندية ، شرح التحفة العلوية ص ٩٣ — ٩٦ ، للسيد محمد بن إسماعيل الأمير . مطبعة المعارف بصنعاء سنة ١٣٧١ هـ ، (مروج الذهب للمسعودي ، ج ٢ ، ٣٠ طبعة سنة ١٢٨٣ هـ) .

(٢) في الروضة النندية ، اختلاف يسير في عبارة السلمي .

الأعلام

(٣) هو هبيرة بن صمر ، ويقال ابن صمر بن قيس بن السلمي أنى أسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين ، ولم يلقه ، روى الحديث ، وتوفي سنة ٧٢ هـ ، وقبل سنة ٨٣ هـ ، وقيل سنة ٧٤ هـ . (وقعة صفين لابن مزاحم المنقري ، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٥ هـ) .

وغيرهما بشيء من الأمور المستقبلة ، كما ذكره أهل الحديث والسير والتاريخ .

كما قال ^(٢) لعبد الله بن عباس ، لما وصل إليه بابنه علي ^(*) ليبركه هلمه : خذ إليك أبا الأملاك ، فكان أول من ملك من أولاده المنصور ^(**) عبد الله بن محمد ابن علي بن الله بن العباس ، ثم ملك بعده أخوه المنصور ^(***) ثم أولاده ، بن خلفاء بني العباس ، وكانت لهم تلك الدولة الطويلة . بل كان لدى أولاد علي بن أبي طالب من الأخبار المتعاقبة بالدول ما هو معروف ، وكان الإمام الباقر والإمام الصادق يخبران خواصهم بالوقت الذي تنتقل فيه الدولة من بني أمية إلى بني هاشم . بل كان هاشم بن أمية من دولتهم أخبار : نقوله في كتب التاريخ وكان المعارف بها مسلمة بن عبد الملك بن مروان ^(****) .

ومن أوجب ما روى عنه ^(٤) أنهم اجتمعوا في أيام دولتهم في مسجد من

(١) في (ب) زائد النسخ بعد قال : (على رضى الله عنه) .

الأعلام

(*) علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ولد ليلة قتل علي بن أبي طالب (رضى الله عنه) سنة ٤٠ هـ فسمى باسمه وكنيته ، فقال له عبد الملك بن مروان لا أحتمل لك الاسم والكنية فقبر كنيته . قيل عنه . (كان يسجد كل يوم ألف سجدة) ولما توفي محمد بن علي أبي طالب وكان قد أوصى بنصيبه من الخلافة إلى علي هذا ، انتقل جانب من الشيعة إلى جانب علي هذا ، واستمر المداهمة في هذا الاتجاه حتى قامت الخلافة السياسية على يد حفيده عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس . صفوة الصفوة ج ٧ ص ٥٩ ، المصدر السابق ص ١٣ .

(**) أبو العباس أول خليفة عباسي من ١٣٢ - ١٣٦ هـ .

(***) أبو جعفر ثالث الخلفاء العباسيين من (١٣٦ - ١٦٨) هـ .

(****) هو مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي ، الأمير ، مقبول

من الطبقة السادسة ، مات سنة ١٢٠ هـ أو بعدها (تقريب التهذيب) .

(٢) في (ب) (عنهم) وهو من النسخ .

المساجد الخاصة بهم ، فصار مسلمة بن عبد الملك^(٤) يحدثهم بالأمور التي يكون بها زوال دولتهم ، وبينما هو يذكر لهم قيام أبي مسلم بظهور الدولة الهاشمية بخراسان ، صادف في ذلك الوقت دخول رجل غريب عليهم ووقف يسمع الحديث ومسلمة يحدثهم عن الجيش الذي يقدم^(٢) من خراسان ويصل إلى العراق ، وتظهر دولة بني العباسية^(٣) فيها باسمه ، وقال هو رجل اسمه قحطبة ابن شبيب^(٥) صفته كذا ، ثم وقعت هيئته على ذلك الغريب ، فقال كأنه هذا أو يشبه هذا ، واستمر في حديثه حتى قال : ثم يهلك بعد وصوله هو وجيشه إلى العراق في دجلة أو الفرات ، الشك مني

وكان ذلك الرجل الغريب الداخل عليهم هو قحطبة بن شبيب ، فلما سمع الحديث انخاس من بينهم وقصد خراسان ، وكان هو الأمير الذي أرسله أبو مسلم إلى العراق ، وطوى الممالك ما بين خراسان إلى العراق ولما وصلوا إلى النهر الذي لا يجاز معه إلى العراق إلا من القنطرة أمر الجيش أن يترقفوا إلى الليل ويجوزوا القنطرة ، ثم جمع خراسان الجيش وكبارهم وطلب منهم أنهم يهتدون بالإمارة بعده لابنه حميد بن قحطبة^(٦) إذا عرض له الموت ففعلوا وهو

(١) (الملك) في (أ) غير واضحة تماما .

(٢) في (ب) (تقدم) .

(٣) في (ب) سقطت من النسخ كلمة (بن) ولعل الأوفق كان يكون (دولة بني العباس) .

(٤) قحطبة بن شبيب داع من الدعوة لقيام دولة بني العباس ، وأحد النقباء الاثني عشر الذين اختيروا لقيادة الدعوة وإعلان الخلافة العباسية (محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) ١٥٠٠ ٢٥٠) .

الأعلام

(٥) في كتاب (تاريخ الأمم الإسلامية) أن الذي تولى مكان قحطبة ابنه الحسن وأما حميد هذا فوجهه أبو سلمة الحلال — أول وزير عباسي وأحد

قد ظن أنه يكون هلاكه بالقتل فدخل في غمار الجيش كواحد منهم وأخفى نفسه وركب فرسا من هررض الأفراس ومشى بها في الجسر ، فازدحمت الخيل حتى رمت به إلى النهر فهلك ، وكان في تدبيره تدميره .

ومن عجائب ما ألقى من هذا العلم على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه اجتمع بنو هاشم من آل علي وآل العباس ^(١) في بعض الأوقات في أيام بني أمية ، فبايعوا محمد (ﷺ) ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، فقال جعفر الصادق (**) لبعض خواصه : إن هذا يعني المنصور العباسي هو الذي يكون خليفة ، وسيكون قتل من بايعناه الآن ، يعني محمد بن عبد الله

المؤسسين لدولة بني العباس — إلى المدائن : ونص عبارة الحضري (سار قحطبة واغلا في بلاد العراق فقصده ابن هبيرة أمير العراق من قبل مروان بن محمد ، وكان اجتماعهما غربي الفرات وقبل أن تقع بينهما الموقعة الكبرى مات قحطبة فولى إمرة الجيش ابنه الحسن) ص ٢٣ .

(١) في (ب) سقطت من النسخ (آل) .

(ﷺ) ولما انتقلت الخلافة من أولاد علي إلى أولاد العباس لم يبايع لأبي العباس السفاح ولا لأبي جعفر المنصور ، وظل على خلاف لهم مدة من الزمن يرى أنه هو الخليفة الحقيقي ، ثم خرج بالمدينة وأعلن نفسه خليفة وجرت بين أبي جعفر وبينه مكاتبات انتهت بهزيمة محمد هذا وقتله على يد عيسى ابن موسى ولى عهد السفاح بعد المنصور سنة ١٤٥ هـ بالمدينة (محاضرات الحضري ص ٦٠ — ٦٨) .

الأعلام

(ﷺ) هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسن عليهم السلام كان مشغولا بالعبادة عن حب الرياسة روى عن أبيه وعن عطاء بن أبي رباح ، وروى عنه من التابعين كثيرون ، وكثيرا ما أراد أبو جعفر المنصور قتله لانتفاخ الناس حوله ، ولكن استعانته بالله عليه كانت تنجيته دائما . توفي بالمدينة سنة ١٤٨ هـ . صفوة الصفوة ج ٢ ص ٩٤ — ٩٨ .

المذكور وهو الملقب بالنفس الزكية على يد جيش المنصور هذا . فانظر الى هذا العجب العجيب .

ومن ذلك ما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما صحح منه في الصحيح من خروج الترك على بلاد الإسلام ، وذكر ما يصدر منهم من أخذ البلاد الإسلامية وفتح مدائن الإسلام ، ثم وصفهم بأوصاف من جعلتها أن رجوهم كاللجان المطرقة ، وأن نعالهم الشعر ، ونحو ذلك من الأوصاف

فخرج الترك الذين يقال لهم الترك ، وفعلوا تلك الأفاعيل ببلاد الإسلام ، حتى كادوا يستولون عليها جميعاً ، ولم يبق إلا اليسير منها .

وكم بعد الامداد من ذلك فإنه كثير جداً ، وكله مستفاد من الجناح النبوي ومن الغيب الذي أعلم الله رسوله عليه فأطاع عليه من ارتضاء من أصحابه^(١) .

وقد قدما حديث « إن في هذه الأمة محدثين ، وإن منهم عر » وهو في الصحيحين ، وهذا هو نوع من أنواع علم الغيب . وكذلك ذكرنا حديث « اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله » وهو حديث حسن كما بينا فيما سلف . ومن أغرب ما يحكيه فيما يتعلق بهذا الحديث أن السري السقطي^(٢)

(١) هنا تسكلف في تفسير الآية « . . . إلا من ارتضى من رسول » فإن الله هو الذي يرتضى الرسول ، لا أن الرسول يرتضى أيضاً بعض أصحابه ، فإن ارتضاء الرسول هذا ، خلاف نص الآية ، وخلاف (فكرة إخبار الله بالغيب بعض مخلوقاته مباشرة منه سبحانه) .

الاعمال

(٢) هو السري بن المغلس السقطي خال الجنيد وأستاذ من كبار العبادة والزهاد ومن كلامه . (أجلب الناس من ملك غضبه ، ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله ، وإن يكمل رجل حق يؤثر دينه على شهوته ، وإن يهلك حق يؤثر شهوته على دينه) توفي سنة ٢٥٣ هـ . (صفوة الصفوة = ٢ ص ٢٠٩) .

شيخ الجنيد أمره بأن يخرج يتكلم على الناس فنهذر منه^(١) بما في لسانه من المعجزة ، وبعدم صلاحيته لذلك ، فزعم عليه أن يخرج صبيح تلك الليلة يتكلم على الناس في الجامع ، فكان أنه نادى [مناد]^(٢) أي الناس : بأن الجنيد سيتكلم على الناس صبيح صلاة الفجر في الجامع ، فجاؤوا إليه أفواجا .

وكان هذا أول كرامة للجنيد ، لأنه لم يتعلم على ما دار بينه وبين شيخه . أحمد ، فخرج ووجد الجامع [غاصا]^(٣) أهله فلما قعد أقبلوا إليه بأجمعهم ، فبرز رجل وسأله عن معنى حديث : « اتقوا فراسة المؤمن » فأطرق قائلاً ثم قال له : أسلم فقد أن لك أن تسلم ، فتام وجهاً^(٤) بين يديه رأساً ، وانكشف أن ذلك الرجل من الصناديق لما سمع أخبار الناس بأن الجنيد سيتكلم في ذلك الحفل في ذلك الوقت لبس لبس المسلمين ودخل معهم مخبراً بالإسلام وأهله ، فكان في ذلك سمادته الأبدية .

وبهذا نعرف أنه لا حاجة إلى ما نقله الشيخ أبو الفضل في آخر كتابه من قوله : « لصديق قولنا سادخل على الملك إلا الوزير ، ومن المعلوم أنك قد دخلت معه بعض خدمه » . لأن مثل هذا التفسير لا يؤكل^(٥) به الحكمة ولا ينفع في مقام النزاع . ومراذه أن بعض أتباع الرسل قد يدخل معه كما دخل أتباع الوزير معه فيعلمهم الله على التقييب كما أطلع عليه من ارتقى من رسول .

(١) في (ب) (إليه) واصل المؤلف يعنى (منه) أى من الحديث .

(٢) في (أ) و (ب) (منادى) بإثبات الياء ، وهو خطأ نحوى .

(٣) في (أ) (غاص) بالرفع وهو خطأ نحوى لأنها مقول ثان لوجه .

(٤) في (ب) (جنى) بالياء .

(٥) في (ب) (تؤكل) .

وهذا إلهاق مع فارق أوضح من الشمس ، وهو كونه رسولاً ، وكون الله
ارتضاه . ولا يوجد ذلك في غير رسول .

وليس النزاع في دخول أتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في قوله :
« إلا من ارتضى من رسول » ، فمعلوم أنه لا دخول لهم في ذلك ، لكن
النزاع في أن الرسول هل له أن يطلع غيره من أتباعه على ما أطلعه الله عليه
من علم الغيب أم لا ؟ فنحن نقول : لا نسلم قول من قال إنه لا يجوز له ، ونسند
هذا المنع بما قدمنا ذكره وبأمثاله مما لم نذكره .

وإذا تبرهننا بالاستدلال على جواز إطلاعه لبعض أتباعه على ما أطلعه الله
عليه من علم الغيب ، فنقول : عموم قوله : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل
إليك »^(١) . ولهذا يقول الله عز وجل : « وإن لم تفعل ، فما بلغت
رسالته »^(٢) ونقول عائشة^(٣) : « من زعم أن محمداً كنهم شيئاً مما أوحاه الله إليه
فقد أعظم على الله الفرية » وهو في الصحيح .

ولو سلمنا تخصيص ذلك بما يحتاجه الناس من علم الشريعة ، وهذا
لا يحتاجونه لكان ما قدمنا ذكره من الواقعات منه صلى الله عليه وآله وسلم
من إطلاع بعض أتباعه على شيء من علم الغيب دليلاً على أن ذلك جائز .

وأما قول ابن حجر مستدركا على أبي الفضل بقوله : « قلت : الوصف
المستثنى للرسول هنا إن كان فيما يتعلق بخصومه كونه رسولاً فلا مشاركة

(١) في (ب) زاد الناسخ من تكملة الآية كلمة (من ربك) ، وفي (أ)
(رسالاته) وهو سهو من المؤلف .
(٢) سورة المائدة آية . ٦٧ .
(٣) في (ب) (رضى الله عنها) .

لأنه من أتباعه فيه إلا منه ، وإلا فيحتمل ما قال والعلم عند الله » ^(١) انتهى .
فأقول : ليس المراد إلا الشق الأول ، فإنه قال : لا يظهر على غيبه أحدا
إلا من ارتضى من رسول فلم يكن ذلك الوصف المستثنى متعلقاً بخصوص
كونه رسولا لكنى قوله : « إلا من ارتضى » بدون قوله : « من رسول » فلا
يتم ما قاله في الشق الثاني من قوله . وإلا فيحتمل ما قال .

نعم اقتصر الشيخ أبو ^(٢) الفضلي على مجرد ذلك المثال ، وهو آفة ابن حجر
له بقوله ، وإلا فيحتمل ما قال إن [أراد] ^(٣) أن ذلك المثال . وهذا الاحتمال
في الآية القرآنية . فقد هرفت اندفاع ذلك من الأصل ، ولكن كان يلزمني لهما
أن يحتاجا لدخول بعض أولياء الله وصلحاء عباده في القافر بشيء من الغيب
الذي استأمر الله به لعله بما قدمنا من قوله : « كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره
الذي يبصر به الخ » .

ولو فرضنا أن دلالة هذا مخصوصة بقوله : « لا يظهر على غيبه أحداً إلا
من ارتضى من رسول » فإن هذا التقي والاستثناء مشعران أن إشعاراً بخصوص
ذلك بمن جمع بين وصف كونه بمن ارتضاه الله ، ووصف كونه رسولا .
والولى وإن كان ممن ارتضاه الله ، فإن وصف المحبة له يفيد كونه مرتضى لله
لكنه ليس برَسُول .

نعم ما قدمنا من حديث المحدثين ، وأن في هذه الأمة منهم ، وأن منهم

(١) الفتح ص ٢٩٨ مع زيادة كلمة (تعالى) .

(٢) هكذا في (أ) ولعلها بالباء أحسن لأنها مجرورة بالإضافة ، ويجوز
أن يكون الشوكاني قد قصد الحكاية .

(٣) في (أ) تكررت (إن أراد) وبذلك الرسم .

هو رضى الله [عنه] ^(١) يفيد اهتمام إفاة بأن وصف كونه من المحدثين طريقه إلى تلقى شيء من علم الغيب ووصوله إليهم ، والحديث فى الصحيحين .
وانظر إلى قول عمر رضى الله عنه : « ياسارية الجبل » مع كونه فى المدينة يخطب فى منبرها ، وسارية ومن ممة من المسلمين فى أقاصى بلاد المعجم فأطاعه الله على الحرب الذى هم فيه حتى كأنه مشاهد لهم ، وأسمعهم الله ^(٢) صوته فنقمهم به وسلموا ^(٣) من معرفة الكفار مع أن ذهنه فى تلك الحالة ^(٤) كان مشغولاً بالخطابة التى هى محتاجة إلى جهم الفهم عليها ، وإفراغ ذهنه لها ، وهدم الاشتغال بغيرها ، لكون ذلك فى مجمع الصحابة رضى الله عنهم ، وهم أهل النصيحة التامة والبلاغة الفائقة .

فانظر إلى ما منح الله هذا الرجل من المواهب العظيمة من كل باب : جعله خليفة المسلمين وإمامهم ثم فتح الله له أقطار الأرض ، وكانت دولته مثلاً مضروباً لكل دولة جامعة بين كمال الحزم والورع ، والعمل بالشريعة الواضحة ثم جعل له من المهابة فى الصدور ما لا تبلغ إليه المهابة لعاذل ، أو جائر ^(٥) حتى قال الناس : إن درته أهيب فى الصدور من سيف الحجاج الذى قتل بن هبادة الله ظمأً وهدواناً نحو مائة وعشرين ألفاً .

وكان ابن عباس رضى الله عنه ^(٦) يقول : « إذا هو تب على قول لم يمت له فى أيام عمر ، أو على فتيا لم يفت بها فى زمانه : كان عمر مهيباً فهيبته » ولقد صدق

(١) فى (أ) (عنها) وهو سهو من المؤلف .

(٢) فى (ب) (سبوحانه) بعد لفظ الجلالة .

(٣) فى (ب) (وأسلمهم) (٤) فى (ب) (الحال) .

(٥) فى (ب) (جائز) دون نقط أو وضع همزة .

(٦) منهما فى (ب) وهو سهو من الناسخ .

عن قال : « إن معادة المسلمين طويبت في أكفان عمر » لأن معظم الفتوح^(١) الإسلامية فيها تم حدث بعده ما حدث من الاختلاف العظيم في آخر أيام الإمام المظلوم الشهيد [همام] بن عفان^(٢) رضي الله عنه . وما زالت من بعده قتله سموف المسلمين مختلفة ، من بعضهم على بعض إلى هذه النهاية ، وأنت إذا كنت عالماً بأخبار النمامي عارفاً بما [اشتملت] عليه تواريخ أهل الإسلام لم تشك في هذا ، ولعل هذه الزايا العمريّة قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لما رأى عمر في أكفانه : « ما أحب أن ألقى الله بعمل رجل من الناس إلا بعمل هذا » وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوا الفضل .

وقد أخبرنا الصادق المصدوق بأن خلافة النبوة بعده ثلاثون عاماً ، [فكلمت]^(٣) بخلافة الحسن السبط^(٤) رضي الله عنه .

وهذا مما ألقاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أصحابه من علم الغيب فله مدخل في الاستدلال به على ما نحن بصدده .

ومن إخباره صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه رضي الله عنهم بما هو من علم الغيب مما يمتدح بهذا الإمام : الحسن السبط رضي الله عنه : قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن أباي هذا سيد ، وسيدنا هو الله به بين طائفتين من المسلمين » فكان ذلك كما أخبر به الصادق المصدوق . وبالجملة فالأخبار المتقدمة من النبي

(١) في (ب) (الفتوحات) (٢) (أ) و (ب) (عنمن) .

(٣) في (أ) (اشتمل) ولكن اشتملت أوفق انطابقها مع (تواريخ) .

(٤) في «أ» كتبها المؤلف هكذا (فكلمت) .

الأعلام

(*) هو الحسن بن علي بن أبي طالب : تولى الخلافة بعده أبيه ثم تنازل عنها في نفس العام سنة ٤٠ هـ معاوية بن أبي سفيان .

صلى الله عليه وآله وسلم من غيب الله كثيرة جداً تشمل هليها المؤلفات المدونة في معجزاته .

تواضع الولي وحقيقته :

واعلم أنه قد استدلل البخارى بهذا الحديث الذى شرحناه على التواضع لذكره له في باب التواضع ، فمن جملة ما يستفاد منه مشروعية التواضع . وقد قال ابن حجر في الفتح عند تمام شرحه لهذا الحديث .

« تلبيه : أشكل وجه دخول هذا الحديث في باب التواضع حتى قال الداردي : ليس هذا الحديث من التواضع في شيء . وقال بعضهم : المناسب إدخاله في الباب الذى قبله وهو مجاهدة المرء نفسه في طاعة الله تعالى :

والجواب عن البخارى من أوجه :

أحدها : أن التقرب إلى الله تعالى بالنوازل لا يكون إلا بغاية التواضع لله تعالى والتذلل له . ذكره السكرمانى .

وثانيها : ذكره أيضاً فقال : قيل : الترجمة «ستفاد» مما قال : كنت سمعته ، ومن التردد .

قلت . ويخرج منه جواب ثالث ، ويظهر لى رابع ، وهو أنه يستفاد من لازم قوله من عادى لى ولياً لأنه يقتضى الزجر عن معاداة الأولياء المستنزم لمواالاتهم . وموالات جميع الأولياء لا تنأتى إلا بغاية التواضع لله تعالى ، والتذلل له ، إذ منهم الأشعث الأغبر الذى لا يؤبه له .

وقد ورد في الحث على التواضع هذه أحاديث صحيحة ، لكن ليس في شيء منها على شرطه فاستغنى عنها بمحدثي^(١) الباب .

(١) وما هذا الحديث « موضوع هذا الكتاب » وحديث قبله فقط وهو :

منها حديث هياض بن حمار رفعه : « إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد » أخرجه مسلم ، وأبو داود وصغيرهما . ومنها حديث أبي هريرة رفعه « وما تواضع أحد لله تعالى »^(١) إلا رفعه « أخرجه مسلم أيضاً والترمذي . ومنها حديث أبي سعيد رفعه : « من تواضع لله رفعه الله تعالى حتى يجعله في أعلى عليين » الحديث . أخرجه ابن ماجه وصححه ابن حبان^(٢) انتهى .

أقول : كثيراً ما يتم في أذهان كثير من الناظرين في البخاري عدم المطابقة بين بعض تراجم الأبواب ، وبين ما ذكره فيها من الأحاديث ، فإذا أعطوا الفهم حقه ، وتدبروا كل التدبر ، وجدوه قد عمدا إلى معنى دقيق ومنزع لطيف من منازع ذلك الحديث فجعله دليلا على الترجمة ، وإذا لم يجد على شرطه شيئا مما يصلح لذلك الباب ، جعل مجرد ترجمته إشارة إلى ذلك الخبر الذي لم يكن على شرطه .

وقد منح الله هذا الرجل من صدق الفهم ونفوذ الذهن ما لم يكن لغيره من أذكىاء العالم . هذا مع ما وهب له من حفظ السنة المطهرة والتمييز بين صحيحها وسقيمها ، وإختيار ما اختاره في كتابه من أصح الصحيح حتى سماه كثير من أئمة هذا الشأن ، أمير المؤمنين في الحديث ، وجعل الله سبحانه كتابه هذا أرفع مجاميع كتب السنة المطهرة وأعلامها وأكرمها عند جميع الطوائف الإسلامية ، وأجلها عند كل أهل هذه الأمة . وصاروا في جميع الديار إذا ذكروهم

قول رسول الله صلى الله عليه وسلم . « إن حقا على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه » . ينظر صحيح البخاري (باب التواضع) ، كتاب ، الرقاق والله لا يعيش إلا عيش الآخرة .

(١) في (ب) سقطت من النسخ (تعالى) .

(٢) الفتح ص ٢٩٨ .

صدر أو أصيبوا به بسبب يفزهون إلى قرادته في المساجد والنووسل إلى الله
بالسكوف على قرادته نأجر بوه قرناً بعد قرن وهدراً بعد هدر من حصول
النفس والظفر على الأهداء بالنووسل به ، واستجاب له حيث السماء ، واستدفاع
كل الشرور بذهاب ، ومصار هذا لديهم من أعظم الوسائل إلى الله سبحانه ،
وهذه مزية عظيمة ، ومنقبة كريمة ، ولم يكن هذا لغير هذا الكتاب من حسن
الانتقاء ، وسلامة ما اشتمل عليه من قيل وقيل ، ومن تعرض لشيء من ذلك
أرضخ الله أنه بما يرد عليه أهل الإتيان من الردود التي تدع اعتراضه بهاء
مشهوراً ، وههنا تذكرة الرياح .

وقد كان هذا الرجل في العبادة على اختلاف أزماعها ، والزمه في الدنيا
مفردة عليه برتبة رفيعة ، وتم الله له ذلك بما استحسن به في آخر أيامه من أهداء
للعباد الصالحين ، والمتجربين على عبادة الله الصالحين حتى مات كمداً رحمه الله
ووفر منه جزاءه فسكوف في كتابه هذا بهذا الحظ العظيم في الدنيا ،
ليتوفر في الأخرى بما ^(١) يصل إليه من الثواب المصالح من انتفاع الناس به ،
فإن العلم الذي ينتفع به هو إحدى الثلاث التي يدوم للميت ثوابها بعد انقطاع
كل شيء عنه ، كما صرح الحديث بذلك الذي أخرجه مسلم من حديث أبي
هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا مات ابن آدم
انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو
له ، وأخرجه ابن ماجه بإسناد صحيح من حديث أبي قتادة بنحوه .

وبما ذكرنا نعرف الجواب على ما نقله الداودي إجمالا .
وأما ما حكاه ابن حجر عن الكرماني من الوجهين المذكورين . فيقال
على الأول : إن كل العبادات وسائر العبادات فرائضها ونوافلها هي عبادة

(١) في (ب) (ما) دون الباء وهو سهو من النسخ .

للرب . والمآيد متواضع للمعبود دائماً خصوصاً هذه العبادة . فما الوجه لتقييد
النواقل المذكورة في الباب بقيد التواضع مع أن غيرها مثلها ؟ .

ولهذا ورد أن الصلوات ^(١) الفرائض وغيرها تتفاوت بتفاوت الخشوع
حق تكون لبعض العباد عملة كاملة ، وللبعضهم نصف صلاة وللبعضهم أقل
من ذلك ، كما في الحديث الوارد في هذا المعنى .

والخشوع لا يتم إلا بنهاية الخشوع فهذه خاصة العبادات ، خصوصاً ^(٢)
الصلوات شاملة لا تختص بنوع منها . وكلها إذا حصل الاستكثار من نوافلها
حصلت للمعبود المحبة من الرب عز وجل فيلزم ههنا أن العبادات كلها يستدل
بها على التواضع في جميع الأسانيد المذكورة في أنوارها في البخاري وغيره ،
بل مجرد اليهودية إذا لم تكن على تواضع وخشوع فليست يهودية ^(٣)
معنبرة .

وأما الوجه الثاني فما أبعد . فالرب سبحانه تد وصف نفسه بأنه المنكبر
وأنه ذو الكبرياء ، وأنه ذو الجلال ، فما أسمح بأن يوصف بالتواضع مع عبده
الحقير القليل .

قال في المصباح : التواضع : التذلل . فانظر هل يصح إطلاق التواضع
الذي معناه في هذه اللغة العربية التذلل على رب العالم وخالق السكك ورازقه
وحمييه ومحميته ؟ سبحانه هذا بهتان عظيم .

تمالي قدرتك وجل اسمك ، سبحانه ما أعظم شأنك ، سبحانه ما أهن
سلطانك .

(١) (ب) الصلاة (٢) في (ب) (وخصوصاً) ، بزيادة الواو .

(٣) في (ب) (يهودية) .

وأما قول ابن حجر : قلت ويخرج منه جواب ثالث ، يريد أنه يخرج من التردد كما خرج من قوله « كنت معه » وهذا الذي استخرجناه مثل الوجه الثاني الذي ذكره السكرماني . وكلاهما في غاية الاستقوطة ونهاية البطلان .

أما قول ابن حجر ، ويظهر لي وجه رابع إلى آخر كلامه ، فلما قيده بأن يكون التواضع لله سبحانه لم يبق لاولي منه شيء .

ولا موجب لذلك فإن تواضع العباد مع بعضهم البعض ، هو الذي ندب الله إليه وجاءت به الترهيبات الكثيرة .

وأما تواضع العباد مع الرب سبحانه فهم أحقر وأقل من أن يتواضعوا له ، وإن كان ذلك من لوازم العبودية .

وانظر في مثال هذا في الأحوال ، فإنه يسمح أن يقال : تواضع الرجل لسلطانه روائديه ، لأن التواضع هو التذلل بعد التلبس بضده ، كما تبدل هلميه صيغة التفعل مع أن ابن حجر ذكر في أول هذا الباب ما لفظه : « باب التواضع بضم المعجمة مشتق من الضمة بكسر أوله وهي التذلل والهوان . والمراد بالتواضع : إظهار التذلل لمن يراد تعظيمه : وقيل : هو تعظيم من فوقه لفضله » انتهى ^(١) .

فانظر هل يصح إطلاقه على الرب عز وجل هل كلا للمعنيين ؟ فلعله سبى من أول الباب .

وأما تواضع العباد مع بعضهم البعض ، فهو الممدوح المرغوب فيه ، كما ذكره في الحديث الذي استدل به في آخر البحث « إن الله ^(٢) أوحى إلى أن

(١) الفتح ص ٢٩٣ ج ١٣ (٢) في (ب) نسي الناسخ لفظ الجلالة .

تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، فإن المراد تواضع العباد [لبعضهم] ^(١) .
البعض حتى لا يفخر أحد على أحد .

وأما حديث : لا من تواضع لله رفقه الله ^(٢) الخ . فالمراد تواضع لعباد الله لأجل الرب سبحانه ^(٣) امتثالاً لما أرشد إليه رسوله ، أو يكون المراد به (التواضع لكتاب الله ورسوله ولما جاء به من هذا فإن الله ^(٤)) أعظم وأجل من أن يتواضع له العباد ، فيكون معنى قوله من تواضع لله من تواضع لأجل الله هو وجل . ومن هذا التعميل من تصدق الله ، من أحب الله ، وأبغض الله . ونحو ذلك كثير .

وإذا عرفت هذا كان هذا الوجه الذي ذكره ابن حجر أحسن ما يحمل عليه ترجمة البخاري ، لكن بدون ذلك التقيد إلا أن يريد هذا المعنى الذي ذكرناه ، فيكون معنى قوله لا يتأتى إلا بغاية التواضع لله ، أي لأجله .

وقد وردت أحاديث في مشروعية التواضع غير ما ذكره المصنف ، منها ما هو صحيح ، ومنها ما هو حسن .

وورد في ذم التكبر الذي هو مقابل التواضع أحاديث صحيحة ، منها ما في الصحيحين وغيرهما من حديث حارثة بن وهب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل هزل [جواظ] ^(٥) متكبر . ومنها حديث أبي سعيد وأبي هريرة عند مسلم وغيره قال : « يقول الله عز وجل : ألمز إزاره ، والكبرياء رداؤه ، فن نازعني واحداً »

(١) في (أ) (لبعض البعض) وليس أسلوباً مستقيماً . ولم يسمع بمثله هذا التعبير .

(٢) في (ب) نسي الناسخ لفظ الجلالة (٣) في (ب) (وتعالى) بعد سبحانه .

(٤) نسي الناسخ في (ب) من أول (التواضع إلى — فإن الله) .

(٥) في (أ) ، (ب) (جواظ) بالضاد ، وهو تصحيف .

منها هديته» (١).

ومنها حديث أبي سعيد هند مسلم قال : « احدثت الجنة والنار فقالت النار في الجبارون ، والمتكبرون ، وقالت الجنة في ضعفاء المسلمين ومساكينهم » وأخرج مسلم وغيره من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكهم ، ولا ينظر إليهم ، ولم يذهب أليم : شيخ زان ، وملك كذاب ، وعامل (٢) مصعكبر » وأخرجه البزار بإسناد حسن من حديث سلمان :

وأخرج النسائي والترمذي وصححه من حديث ابن عمر ، نحوه وأخرج مسلم وغيره من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » ، وأخرج البغوي وغيره من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « بينما رجل من كان قلبكم يحرق إزاره من الخيلاد خسف به فهو يتجملجل في الأرض إلى يوم القيامة » .

وأخرج نحوه أحمد والبزار برجال الصحيح من حديث أبي سعيد . وأخرج نحوه البزار بإسناد رجاله ثقات من حديث جابر .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه من رجل رأسه يفتال في مشيته إذ خسف الله به فهو يتجملجل في الأرض إلى يوم القيامة » :

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عمر عنه صلى الله عليه وآله وسلم

(١) في (ب) زاد الناسخ (بغوي) .

(٢) في (ب) (عامل) وهو خطأ كما تقدم قبل ذلك .

« لا ينظر الله إلى رجل جر ثوبه خيلاء » .

وأخرج الترمذي واللساني وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وصحبه
من حديث ثوبان قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من مات
وهو يرى من الكبر والافول والدين دخل الجنة » :

خاتمة الشرح :

والى هنا انتهى الشرح للحديث القدسي في شهر الاثنين امسك ما بين شهر
القبلة من شهر سنة ١٤٣٩ : بقلم مؤلفه « محمد بن علي النشوتاني حفظه الله تعالى »

أهم المراجع (أ) المراجع العربية

القرآن الكريم .

المعجم للمفردات لألفاظ القرآن الكريم . محمد فؤاد عبد الباقي .

صحيح البخاري .

الجامع الصحيح للإمام مسلم .

ابن تيمية : (أحمد عبد الحليم) :

١ — الفرقان بين أولياء الرحمن ، وأولياء الشيطان (الطبعة الثانية سنة ١٩٥٨ م) . تصحيح وتعليق ، (محمود عبد الوهاب فايد) .

٢ — مجموعة الرسائل والمسائل . طبعة للنار .

٣ — النسخة العراقية (في الأعمال القلبية) الطبعة الأولى إدارة الطباعة للنورية .

٤ — الرد الأقوم على ما في كتاب فصوص الحكم . المطبعة السلفية سنة ١٩٤٩ م .

٥ — بغية اللواتي في الرد على المتنفس والقراءة ، وللباطنية . ج ٥ من مجموعة فتاوى ابن تيمية طبعة سنة ١٣٣٩ هـ مطبعة (كردستان العلمية) .

٦ — شرح العقيدة الأصفهانية ج ٥ من مجموعة الفتاوى الطبعة للتقدمة .

٧ — منهاج السنة النبوية ج ١ ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم طبعة سنة ١٩٦٢ م . وطبعة سنة ١٣٣١ هـ المطبعة الأيرية ببولاق .

- ٨ — رأس الحسين . طبعة سنة ١٩٤٩ م مطبعة السنة المحمدية .
- ٩ — نقض المنطق طبعة سنة ١٩٥١ م مطبعة السنة المحمدية .
- ١٠ — رسالة الصوفية والفقراء . الطبعة الثانية . المنار سنة ١٣٤٨ هـ .
- ١١ — عقيدة أهل السنة ، الفرقة الناجية . مطبعة أنصار السنة سنة ١٣٥٨ هـ
- ١٢ — الثبوتات . إدارة الطباعة المنيرية سنة ١٣٤٦ هـ .
ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي) :
١ — تلميس إبليس . إدارة الطباعة المنيرية . الطبعة الأولى .
ابن صينا :
١ — الإشارات والتلخيصات . تحقيق الدكتور سليمان دنيا . الطبعة الأولى دار المعارف سنة ١٩٥٨ .
- ٢ — رسالة الزيارة . مخطوطة بدار السكتب المصرية ضمن مجموعة رقم (٢٦٩٤ ، و) .
- ابن عربي (أبو بكر محمد بن علي الملقب بمعلي الدين بن عربي) .
١ — الفتوحات المكية طبعة بولاق سنة ١٨٧٦ هـ .
- ٢ — نصوص الحكم . تحقيق الدكتور أبو العلا صفيني ، طبعة سنة ١٩٤٦ م .
- ٣ — تفسير ابن عربيه . المطبعة البعثية بالقاهرة .
- ٤ — عقائد مغربية . المطبعة الرهبانية سنة ١٣٥٣ هـ .
- ابن كثير . (إسماعيل بن كثير الترمذي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ) .
١ — تفسير القرآن العظيم طبعة سنة ١٩٥٦ هـ .

ابن هشام (أبو محمد هبید الملائک بن هشام بن أيوب الحميري) :

١ — السيرة النبوية . طبعة مصطفى الباني الحلبي سنة ١٩٣٦ م .

أبو الحسن الأشعري :

رسالة في امتحان الخوض في علم الكلام . طبعة حيدر آباد الدكن

سنة ١٣٣٣ هـ)

أبو السعود (محمد بن محمد العمادي) :

١ — تفسير أبو السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)

على هامش تفسير الفخر الرازي . مطبعة الكفاية سنة ١٣٨٩ هـ .

أبو هبید الرحمن السلمي :

١ — حقائق التفسير مخطوط بدار الكتب رقم ٤٨١ تفسير .

الدكتور أبو العلا هفني :

١ — (التصوف) الثورة الروحية في الإسلام : الطبعة الأولى ، دار

المعارف بالأسكندرية .

١ — التعليلات على فصوص الحکم لابن عربي طبعة سنة ١٩٤٦ .

٢ — من أين استقى ابن عربي فلسفته التصوفية . مجلة كلية الآداب ج ٩

مجلد (١) مايو سنة ١٩٣٣ م .

الدكتور أبو الوفا الفنجي ، التفازاني :

١ — ابن همام الله السكندري وتصوفه ، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٨ .

القسري (أبو محمد سهل بن هبید الله القسري) :

١ — تفسير القرآن العظيم . طبعة مصطفى الباني الحلبي سنة ١٩٣٩ هـ .

أحمد حميد الدين الكرمانی (الداهية الإسماعيلية) :

٣٥ — ولاية الله

١ — راحة البال طبعة دار الفكر العربي سنة ١٩٥٢ . تحقيق الدكتور محمد مصطفى حلمي ، والأستاذ محمد كامل حسين .

إخوان الصفاء :

١ — رسائل إخوان الصفاء . المكتبة النيدارية سنة ١٩٢٨
أسين بلاثيوس :

١ — ابن عربي (حياته ومذهبه) ترجمة الدكتور هبيل الرحمن بدوي
مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٥ .

الدكتور توفيق النوايل :

١ — الأحلام الطبعة الأولى سنة ١٩٤٥

الدكتور جبور هبيل النور :

١ — إخوان الصفاء - دار المعارف سنة ١٩٦١ (نوايح الفكر العربي) - (٧)
الدكتور أحمد أمين :

زعماء الإصلاح في العصر الحديث (طبعة ١٩٥٨) .

دي بور :

١ — تاريخ الفلسفة في الإسلام . ترجمة الدكتور محمد هبيل الهادي
أبو ريطة طبعة لجنة التأليف سنة ١٩٤٨ .

روجيه باستيد :

١ — هبيل هلم الاجتماع الديني . ترجمة الدكتور محمود قاسم الأنجلو
سنة ١٩٥١ .

الترخشي :

١ — تفسير الكشاف ، مطبعة الاستقامة سنة ١٩٤٦ .

سامي السكيالي :

١ - الشهر وردي : نوابغ الفكر العربي - ١٣ - دار المعارف سنة ١٩٥٥ .

السجستاني (أبو بكر السجستاني المتوفى سنة ٣٣٠ هـ) :

١ — نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن . على هاشم للمصنف طبعة
المكتبة السعيدية .

السراج (أبو نصر) :

١ — الامع تحقيق الدكتور عبد الحليم محرز ، وطبعه عبد الباقي سرور ،
دار المكتب الحديثة بمصر سنة ١٩٦٠

الشهر وردي البغدادي (ا وحفص عمر ١١٤٥ - ١٢٣٤ م) :

١ — مرارف المعارف : على عامش الإحياء للنفزالي ، المطبعة الأميرية
ببولاق سنة ١٢٨٩ هـ .

الشهر وردي الحلبي . أو المقتول :

١ — مجرمة في الحكمة الإلهية . نشر جمعية المستشرقين الألمانية ، اتانبول
مطبعة المعارف سنة ١٩٤٥ .

٢ — هي اكل النور . تحقيق الدكتور أبو ريان . المطبعة التجارية
الطبعة الأولى .

السيوطي :

١ — القول الأشبه في حديث (من عرف نفسه فند عرف ربه) ضمن
مجموعة رسائل السيوطي . مخطوط بدار المكتبة رقم (٧٥ مجاميع)
قوله .

الشوكاني (محمد بن هلى) :

- ١ — المقدم الثمين ، فى إثبات وصاية أمير المؤمنين هلى رضى الله عنه .
المطبعة المنيرية سنة ١٣٤٨ هـ .
- ٢ — نثر الجواهر هلى حديث أبى ذر . معصور بدار السكتيب رقم :
(٣٣٤٧٣ ب)
- ٣ — عقود الزبرجد فى جهده مسائل هلامه ضمه . مخطوط ولدى منه نسخة .
- ٤ — الدواء المماجل فى دفع العدو الصائل . فى مجموعة بعنوان ترحح المصدر
بتمريم رفع القبور ، مطبعة السنة المحمدية سنة ١٩٤٧ م .
- ٥ — القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد . طبعة مصطفى البابى الحلبي
سنة ١٣٤٧ هـ .
- ٦ — إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول الأصول . المطبعة
المنيرية سنة ١٣٤٧ هـ .
- ٧ — بحث فى وجوب محبة الله . مخطوط ولدى منه نسخة .
- ٨ — فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير . طبعة
مصطفى البابى الحلبي سنة ١٣٤٩ هـ .
- ٩ — الفوائد المجموعة ، فى الأحاديث الموضوعة . تحقيق عبد الرحمن
ابن يحيى الملبى البباني طبعة سنة « ١٩٦٠ أنصار السنة المحمدية بدمر »
- ١٠ — قطر الولى هلى حديث الولى (موضع التحقيق والدراسة) .
الطهرى :

- ١ — جامع البيان ، هن تاويل وتفسير القرآن . تحقيق الأستاذ محمود
محمد شاكر . طبعة المعارف الأولى .

طه هبيل الباقي مرور :

١ - الحسين بن منصور الخلاج طبعة ١٩٦١ .

الظواهرى :

العلم والعلماء . المطبعة العمومية بطنطا سنة ١٩٠٤ .

القاضي هبيل الجيسار :

١ - المنفى فى أبواب التوحيد والعدل ج ١٥ طبعة ١٩٦٥ هبيل الحلبي .

تحقيق الدكتور محمود الخضيرى ، والدكتور محمود قاسم .

٢ - ج ٣٠ فى الإمامة . الدار المصرية ، لتأليف والترجمة والنشر .

تحقيق د . هبيل الحليم محمود ، د . سليمان دنيا .

هبيل الجليل عيسى :

١ - صفوة صحيح البخارى ج ٣ ، ج ٤ الطبعة الرابعة سنة ١٩٤٨ .

الدكتور هبيل الحليم محمود :

١ - (منطق التصوف) مقدمة للمنقذ من الضلال ، للإمام الغزالى

الطبعة الثانية (الأنجلو المصرية سنة ١٩٥٥) .

هبيل الحى الاسكنوى الهندى :

تذكرة الراشد برد تبصرة المناقد . طبع الهندى .

الدكتور هلى سامى المشار :

١ - نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام . النهضة المصرية سنة ١٩٥٤ .

الدكتور هلى عيسى هتان :

١ - الإنسان عند الغزالى . تربية الأستاذ خيرى حماد ، الأنجلو سنة ٦٤

الإمام الغزالي :

- ١ - إجماع العوام من علم الكلام . (إدارة الطباعة المنيرية) .
- ٢ - جواهر القرآن . طبعة الجندی . إشراف الشيخ محمد مصطفى أبو الملا .
- ٣ - الرسالة الدنية للغزالي . ضمن مجموعة التصور العوالي للإمام الغزالي (مكتبة الجندی - القاهرة) .
- ٤ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس . مطبعة السعادة للطباعة الأولى سنة ١٩٢٧ .
- ٥ - إحياء علوم الدين . المطبعة الأدبية ببولاق سنة ١٢٨٩ هـ . وطبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية سنة ١٣٥٦ هـ .
- ٦ - فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة . طبعة الجندی .
- ٧ - كيمياء السعادة . مكتبة الجندی ، تعليق وتصحيح محمد جابر من علماء الأزهر .
- ٨ - المستصفى في علم الأصول . المطبعة التجارية سنة ١٩٣٧ م .
- ٩ - المنقذ من الضلال . تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود . الطبعة الثانية الأجل سنة ١٩٥٥ .

الفارابي :

- ١ - آراء أهل المدينة الفاضلة . الطبعة الثانية ١٩٤٨ .
- فتح الله بن أبي بكر البنانى :
- ١ - تحفة الأصفياء في بيان معنى القول بمصمة الأنبياء ، هلى هامش كتاب (إتحاف أهل العناية الربانية) للـ ولف نفسه . الطبعة الأولى سنة ١٣٢٤ هـ .

الفخر الرازى :

- ١ — مفاتيح الغيب المشهور بتفسير الفخر الرازى مطبعة الكاغذخانه
سنة ١٢٧٩ هـ .

القشيري :

- ١ — الرسالة القشيرية . طبعة محمد هلى صبيح سنة ١٩٥٧ م .
الدكتور كامل مصطفى الشبيبي :
١ — الصلة بين التصوف والتشيع الطبعة الأولى بغداد سنة ١٩٦٣ م .
الكلينى (أبو جعفر محمد بن يعقوب الكلينى) :
١ — الكافي مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (٤١٢٢٦ ب) .
محمد زبارة اليمنى .
نيل الوتر . المطبعة السلفية ١٣٥٠ هـ

محمد بن هطية المسكى :

- ١ — هلم القلوب . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (١١٣ تصوف)
محمد أبو الفيض المنوفى :
١ — المدخل إلى التصوف الإسلامى : الطبعة الأولى عدد ٧٦ من سلسلة
(مذاهب وشخصيات) الدار القومية للطباعة والنشر .

الدكتور محمد هلى أبو ريان :

- ١ — أصول الفلاسفة الاشرافية عند السهر وردى طبعة سنة ١٩٥٩

الدكتور محمد غنيمى هلال :

- ١ — لبلى والمجنون ، فى الأدبين العربى ، والفارسى : الأتولوجيا المصرية
الطبعة الأولى .

الدكتور محمد مصطفى حلمي :

١ — الحياة الروحية في الإسلام طبعة سنة ١٩٤٥ م

الدكتور محمد يوسف موسى :

١ — فلسفة الأخلاق في الإسلام . طبعة سنة ١٩٤٥ م .

الدكتور محمود قاسم :

١ — دراسات في الفلسفة الإسلامية الجامعة الأولى سنة ١٩٦٦ م
مكتبة الأنجلو المصرية .

٢ — جمال الدين الأفغاني (حياته وفلسفته) الأنجلو المصرية الجامعة الأولى

٣ — (ابن باديس) الزعيم الروحي لحركة التحرير الجزائرية . طبعة سنة
١٩٦٨ م . دار المعارف .

٤ — مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد . تقديم وتحقيق الدكتور
محمود قاسم . الأنجلو سنة ١٩٥٥ .

٥ — المنطق الحديث ومناهج البحث . الأنجلو العلمية الثالثة .

الإمام النسفي (أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي) :

١ — تفسير النسفي .

نيكولسون :

١ — في النصوص الإسلامية وتاريخه . ترجمة الدكتور أبو الملاح هيفي .
طبعة سنة ١٩٥٦ م . لجنة التأليف .

يوسف كرم :

١ — تاريخ الفلسفة اليونانية ، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،
سنة ١٩٤٦ .

(ب) المراجع الإفرنجية

- (1) (La Lande) Vocabulaire - Technique et critique de la Philosophie. P. U. F. Paris 1951.
 - (2) Les Problemes de la Vie myetique par roger bastide.
 - (3) Carl Brockel Mann : Arabischen literatur 1943.
 - (4) Corbin (Henri) : Histoire de la philosophie Islamique.
(Gallmard 1964).
-

محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	الإهداء
٥	حديث الولي
٧	تقديم
١٣	الفقرة الأولى (التعريف بالإمام الشوكاني)
١٥	١ - ميلاده ونشأته
١٧	٢ - حياته العلمية والعامة
٢٠	(١) دعوته إلى الاجتهاد
٢٨	(٢) الدعوة إلى عقيدة السلف في الأصول
٣٣	(٣) دعوته إلى تطهير الاعتقاد
٣٨	(٤) الشوكاني وابن تيمية وابن عبد الوهاب
٤١	٣ - أساتذته
٤٢	٤ - تلاميذه
٤٦	٥ - مكتبه
٤٦	(أ) المخطوطة
٦١	(ب) المطبوعة
٦٥	٦ - الفقرة الثانية (ولاية الله والطريق إليها) دراسة على كتاب
٦٧	(قطر الولي على حديث الولي)
٦٩	منهج هذه الدراسة
٦٩	الفصل الأول (من هو الولي)
٦٩	(١) مفهوم كلمة (ولي) في اللغة وعند جمهور المسلمين .

الصفحة	الموضوع
	(ب) مفهوم الولاية عند غلاة الصوفية ، وصلة ذلك بمفهوم غلاة الشيعة
٧٨	
٧٩	١ — الوصاية
٨٠	٢ — العلم اللدني
٨٣	٣ — المعصية
٨٦	٤ — المنام
٩٨	الولاية عند ابن عربي
١٠٤	(ج) مناقشة هذا المفهوم عند الشيعة والصوفية
١٠٧	١ — رد فكرة الوصاية
١٠٨	٢ — رد فكرة المعصية
١١٥	٣ — ماذا وراء الاتفاق بين هاتين الطائفتين
١١٩	الفصل الثاني (شخصيات الأولياء وأصنافهم)
١٢٩	مناقشة ابن تيمية والشوكاني
١٣٧	الفصل الثالث (الطريق إلى ولاية الله)
١٤١	(أ) الطريق إلى ولاية الله كما يراه الإمام الشوكاني
١٤١	(١) الإيمان بالله
١٤٣	(ب) أداء الفرائض
١٤٤	١ — الفرائض الظاهرة
١٤٥	٢ — الفرائض الباطنة
١٤٦	(ج) التقرب بالنوافل
١٤٧	١ — من نوافل الصلاة
١٤٧	٢ — من نوافل الصيام

الصفحة	الموضوع
١٤٩	(ب) الطريق إلى الله كما يراه الصوفية
١٥٤	الزهد
١٥٩	الترهب وترك الزواج
١٦١	السماع والغناء
١٦٦	الحلوة والعزلة
١٦٧	الحلوة اتجاه سلبى
١٧١	الحلوة والعلم الدنى
١٧٩	(ج) موازنة بين طريقة الإمام الشوكانى وطريقة الصوفية
	الفصل الرابع (الإنسان بين مظاهر حب الله له)
١٨٢	(١) المنزلة الدينية للإنسان المتقرب إلى الله
١٨٢	١ - المسكنة الدينية للإنسان المتقرب إلى الله عند الشوكانى
١٨٢	٢ - المسكنة الدينية للإنسان المتقرب إلى الله عند الصوفية
١٩٢	(ب) إسناد الكرامات للأولياء
١٩٢	١ - رأى الإمام الشوكانى
١٩٣	٢ - رأى الفلاسفة الاشراقيين والصوفية
١٩٦	الفصل الخامس (أفضل الأولياء)
١٩٦	(١) رأى الامام الشوكانى
١٩٦	(ب) رأى الصوفية
٢٠٥	فكرة خاتم الأولياء عند ابن عربى ومناقشتها
٢١١	نهاية المطاف
٢١٣	الفقرة الثالثة (قعار الولى على حديث الولى
٢١٥	الاصول المخطوطة للكتاب

الصفحة	الموضوع
٢١٨	منهج التحقيق
٢٢١	صورة لغلaf النسخة (١)
٢٢٣	صورة للصفحة الأولى من المخطوطة (١)
٢٢٥	صورة للصفحة الثانية من المخطوطة (١)
٢٢٧	صورة للصفحة الأخيرة من المخطوطة (١)
٢٢٩	تقديم
٢٣٤	الفصل الأول (من هو الولي ؟)
٢٣٦	تعريف الولي
٢٣٨	أفضل الأولياء
٢٤٨	الأولياء غير الأنبياء ليسوا بمصومين
٢٤٩	المقياس في قبول الواقعات والمكاشفات
٢٤٩	إمكان وقوع المكاشفات
٢٥٠	الواجب على الولي فيما يصدر من أعمال
٢٥٢	خوارق غير الأولياء
٢٥٤	المكاشفات الصحيحة وأولياء المؤمنين
٢٥٥	شخصية الولي
٢٥٧	جواز الكرامات
٢٥٩	من كرامات الصحابة رضى الله عنهم
٢٦٨	من كرامات التابعين رضى الله عنهم
٢٧٧	مق يكون الخارق كرامة
٢٧٣	المعاداة من الولي كما يمكن أن تتصور
٢٧٨	عود إلى مقياس الولاية

الصفحة	الموضوع
٢٨١	المراد بالشريعة
٢٨٢	الكليات والدينيات في القرآن الكريم
٢٩٠	القدرة ونفي احتجاج العصاة به
٢٩٢	الصحابة رضى الله عنهم ومركزهم من الولاية
٢٩٨	موقف أهل البيت من الصحابة رضى الله عنهم
٢٩٩	مبدأ الباطنية وكيف قاموا
٣٠٥	كراهة الرافضة للصحابة أريد به هدم السنة
٣٠٧	نصيب العلماء من الولاية
٣٠٩	أسباب رسوخ العلماء في الولاية
٣١٠	حماية العلماء العاملين للأمة من الانتقايذ
٣١٧	الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله في مسائل الدين هو الطريقة العلمية
٣٢١	حقيقة المقلد والتقليد وحكمها
٣٢٥	التقليد في نظر العلم والمعرفة
٣٢٧	موقف أئمة المسلمين من المقلدين
٣٢٩	تناقض المقلد مع نفسه
٣٣٣	منهج الصحابة والتابعين
٣٣٥	معنى الاقتداء بالصحابة ، وحديث « أصحابي كالجموع » وما قيل فيه
٣٣٦	رأى العالم عند فقد الدليل رخصة له فقط
٣٣٨	منهج الاجتهاد ، وهو منهج الرسول ﷺ وأصحابه
٣٤٠	المطلوب من المقلد ومن عوام المسلمين
٣٤١	الاجتهاد ووحدة الأحكام
٢٤٣	منطق المقلدين هو منطق السوفسطائيين
٣٤٥	سد باب الاجتهاد نسخ للشريعة

الموضوع	الصفحة
جهاد الشوكاني للمقلدين	٣٤٧
من أخطار التقليد والمقلدين	٣٥٣
وجود الاجتهاد في المذاهب حجة على المقلدين	٣٥٤
أهل اليمن والاجتهاد	٣٥٦
تعصب المقلدين أساسه الجهل	٣٥٧
واجب العلماء وأولى الأمر نحو المقلدين	٣٥٧
مدى تسكريم الله سبحانه للأولياء	٣٦٠
الفصل الثاني (الطريق إلى ولاية الله)	٣٦٧
(١) أداء الفرائض :	٣٦٩
١ — من أداء الفرائض ترك المعاصي	٣٧١
٢ — من المعاصي إبطال الفرائض بالحيل	٣٧١
(١) إبطال حجج الفائلين بالحيل	٣٧٤
(ب) الحيلة والشرعية	٣٧٧
(ح) الحيلة من الإضافات للشرعية المبطله لفرائضها	٣٧٨
(د) المعارض من الشرعية	٣٧٨
(هـ) من الحيل المكفرة والمنافية للدين	٣٨٠
(ب) التقرب بالنوافل	٣٨٢
١ — من نوافل الصلاة	٣٨٣
٢ — من نوافل الصيام	٣٨٩
٣ — من نوافل الحج	٣٩١
٤ — من نوافل الصدقة	٣٩٢
(ح) التقريب بالاذكار	٣٩٢

الصفحة	الموضوع
٣٩٥	ترغيب الكتاب والسنة فيها
٣٩٥	أعظم الأذكار أجراً
٣٩٩	أذكار الأوقات
٤٠٤	أذكار التوحيد
٤٠٥	الصلاة على النبي ﷺ وآله وسلم وفضلها
٤٠٧	التسبيح وفضله
٤٠٨	الأدعية النبوية
٤١٠	الأدعية عقب الوضوء والصلاة
٤١٠	الأدعية عند الأذان والإقامة ودخول المسجد
٤١١	الأدعية داخل الصلاة
٤١١	الأدعية في الصيام والحج والجهاد والسفر وغيرها
٤١٢	(د) الإيمان وطريق الولاية
٤١٣	١ — الإيمان بالقدر وخاصة المؤمنين
٤١٤	٢ — فوائد الإيمان بالقدر
٤١٥	٣ — الإيمان بالقضاء والاستعاذة من سوءه
٤١٦	٤ — الإيمان والإحسان ولين يجتمعا
٤١٧	الاداء أعظم مظاهر الولاية
٤١٧	الولاية والعزلة
٤١٩	اللاطف والتصرة وعامة المؤمنين
٤٢٣	محبة الله بين أداء الفرض والنفل
٤٢٥	أداء الفرائض شرط في اعتبار النوافل
٤٢١	ليست المداومة شرطاً في القرب

الصفحة

الموضوع

٤٢٣

حبة الله شاملة للمتقرب بالفرض والمتقرب بالفضل

٤٢٥

الفصل الثالث

(أثر حبة الله في حياة الولي)

٤٢٦

هدايته وتوفيقه

٤٢٨

المراد من أن الله صار سمع العبد وبصره إلخ

٤٢٩

تحقيق آراء الاتحادية والصوفية

٤٣٠

منشأ الخطأ عند الإتحاديين

٤٣١

فضل السمع على البصر في الثأر والاعتبار

٤٣٢

إجابة الدعاء من مظاهر حبة الله للعبد

٤٣٣

أثر نوافل الصلاة وغيرها في حبة الله لعبد

٤٣٤

للمصيبة والتقرب للقي في هذا الحديث

٤٣٥

مقن نسلم بآراء أهل الولاية وخواطهم

٥٠١

الفصل الرابع

(قيمة هذا الحديث في باب السلوك والأخلاق)

٤٣٦

الإحسان والمفروضات الباطنة

٤٣٧

طهارة الباطن وأثرها في مركز الإنسان من الولاية

٤٣٨

الطريق إلى طهارة الباطن

٤٣٩

مقام الإحسان ولمن يكون

٤٤٠

مقام الولي وإجابة الدعاء

٤٤١

مقام المحبة وإجابة الدعاء

٤٤٢

مقام المحبة ومداومة الدعاء

الموضوع	الصفحة
ضلال المدين لرفع التكليف	٤٨٦
المراد بتردد الله سبحانه عن نفس المؤمن	٤٨٨
لا تلازم بين علم الله ونفاذ قضائه	٤٩٦
مبدأ السببية في الشريعة الإسلامية	٥٠٨
كراهية الموت ومقام الولاية	٥١٦
الولى ومعرفة الغيبات	٥٢٠
تواضع الولى وحقيقة نفسه	٥٣٤
خاتمة الشرح	٥٤١
المراجع العربية	٥٤٣
المراجع الأجنبية	٥٥٣

فهرس الأعلام التي وردت بالنص المحقق

ابن دقيق العيد * ٣٥٥ .	(أ)
ابن سيد الناس * ٣٥٥ .	إبراهيم التيمي * ٢٧١
ابن شاهين * ٣٩٨	إبراهيم النخعي * ٣٢٩
ابن عباس (عبد الله) * ٣١٢، ٢٤٣	ابن أبي الدنيا * ٣٦١، ٤٥٨، ٤٦٣
٣٨٥، ٣٩٩، ٤٥٧	. ٥٠٠
٤٧٧، ٥٣٢	ابن أبي شيبة * ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٠١
ابن عبد البر * ٣١٣، ٣١٩، ٣٢٠	. ٥٠١، ٤٠٢
٣٢١ : ٣٥٦ .	ابن تيمية * ٢٤١، ٣٥٥
ابن عبد السلام * ٣٥٤ .	ابن الجوزي * ٢٥٩، ٤٠١، ٤٩٤
ابن عدي * ٣٨٥ .	ابن حبان * ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٩
ابن العربي * ٣٥٦ .	٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣
ابن عباس * ٣٩٧ .	٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٩، ٤٤٢
ابن قدامة * ٣٥٥ .	٤٤٣، ٤٥٨، ٤٧٤، ٤٩٩
ابن القطان * ٤٠٢ .	. ٥٣٥
ابن القيم * ٣٢٧، ٣٥٥ .	ابن حجر * ٧٣٠، ٧٣٢، ٧٧٣
ابن كرامة * ٥١٦ .	٣٥٥، ٣٦٣، ٣٦٩، ٤١٩
ابن ماجه * ٣٦٣، ٣٩١، ٣٩٦	٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٨، ٤٢٩
٤٠٢، ٤٠٥، ٤٠٨، ٤٤٣	٤٣٥، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٤٠
٤٥٦، ٤٥٨، ٥٣٥ .	٤٤٣، ٤٥٣، ٤٨٥، ٥١٦
ابن محله * ٥١٦ .	٥٣٠، ٥٣٢، ٥٣٤، ٥٣٨
ابن مسعود * ٢٨٣، ٣٢٥، ٣٤٠	. ٥٣٩
٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٥، ٤٦٢	ابن خزيمة * ٣٨٤، ٤٥٩

(٥) يلاحظ أنه قد وضعت هذه العلامة (٥) بجانب رقم الصفحة التي ترجم

فيها للعالم .

- أبو سعيد القرطبي * ٣٠٣ .
 أبو سليمان الداراني * ٢٥١ .
 أبو شريح * ٤٧٩ .
 أبو طاهر القرطبي * ٣٠٣ .
 أبو العالية * ٣١١ .
 أبو عبد الله الداعي * ٣٠٢ .
 أبو عبيدة بن الجراح * ١٢٤٠ .
 أبو عبيدة السلمي * ٥٢٤ .
 أبو عثمان الجبري * ٤٣٧ ، ٤٣٥ .
 أبو عثمان النيسابوري * ٢٥٢ .
 أبو مهران عبد البر * ٣١٩ ، ٣١٣ .
 * ٣٢٦ ، ٣٢٥ .
 أبو عمر بن نجيد * ٧٥٢ .
 أبو عياش * ٥٠١ .
 أبو الفضل (ابن عطاء الله السكندري)
 * ٥٢٠ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ .
 أبو القاسم القشيري * ٤١٢ ، ٤١٧ .
 أبو قتادة * ٣٨٧ ، ٣٩١ ، ٥٣٦ .
 أبو مالك الأشعري * ٤٧١ .
 أبو مسلم الخولاني * ٧٦٩ .
 أبو موسى الأشعري * ٣٩٦ ، ٤٧٠ .
 أبو نعيم * ٢٥٨ ، ٣٦١ ، ٣٦٣ .
 أبو هرير * ٢٤٢ ، ٣١٧ ، ٣٨٥ .
 * ٣٨٧ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ .
 * ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ .
 * ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤٥٦ .
- * ٥٠٠ ، ٤٦٥ .
 ابن معين (يحيى) : ٤٠١ .
 ابن هبيرة : ٢٧٦ ، ٣٦١ ، ٤٢١ ، ٤٣٠ .
 أبو أسيد * ٤١١ .
 أبو أمية * ٣٦٣ ، ٣٨٢ ، ٣٨٤ .
 * ٣٩٣ ، ٤٢٧ ، ٤٥٧ ، ٤٧٣ .
 أبو أيوب * ٣٩٠ ، ٤٠٦ .
 أبو بردة بن أبي موسى * ٤٧٥ .
 أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) * ٢٦٤ ، ٢٩٨ ، ٣٢٩ .
 أبو حاتم الرازي : ٣٨٦ ، ٤٤٣ .
 أبو حميد * ٤١١ .
 أبو حنيفة * ٣١٣ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ .
 * ٣٢٦ .
 أبو داود : ٢٤٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ .
 * ٣٨٥ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤٠٩ .
 * ٤١١ ، ٤٤٣ ، ٤٥٧ ، ٥٣٥ .
 أبو داود الطيالسي * ٣٩٨ .
 أبو النضر * ٢٦٣ ، ٣٩٦ ، ٤٧٧ .
 أبو ذر * ٣٦٩ ، ٤٠٦ ، ٤٦٤ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٩٨ .
 أبو ریحانه * ٤٦٩ .
 أبو سعيد الخدري * ٣٩٧ ، ٤٠٤ .
 * ٤١٠ ، ٤٤١ ، ٤٥٨ ، ٤٩٩ .
 * ٥٤٠ .

أم هاني : ٣٨٧ .
الأوزاعي : ٣٤٦ ٣٢٨ .
أويس القرني : ٢٧١ .
أيوب (عليه السلام) : ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦

(ب)

الإمام الباقر : ٥٢٥ .
البخاري (محمد بن اسماعيل) : ٢٣٠
٣٩٣ ٣٨٦ ٣٨٥ ٢٣١
٤٠٢ ٤٠١ ٣٩٦ ٣٩٤
٤١١ ٤١٠ ٤٠٥ ٤٠٣
٥٣٩ ٥٣٤ ٤٧٣ ٤٥٦
البراه بن مالك : ٢٦٥ .
البرار : ٣٩١ ٤٠١ ٤٠٢
٤٢٠ ٤٤٢ ٤٤٠ ٤٠٤
٥٢٠ ٤٧٧
بشر بن الوليد : ٣٢٨ .
بكر بن العلاء القشيري : ٣٤٦ .
بلال (ابن أبي رباح) : ٣٨٨ .
بنو بويه : ٢٦١ .
بنو قلاوون : ٢٦١ .
البیهقي : ٣٦١ ٣٧٨ ٤٣٥ ٤٣٧
٤٧٤ ٤٦٧ ٤٥٨ ٤٥٢

(ت)

الترمذي : ٢٤٤ ٢٥٠ ٣٢٤
٣٨٩ ٣٨٥ ٣٨٤ ٣٨٣
٤٠٠ ٣٩٨ ٣٩٦ ٣٩٢
٤١٤ ٤٠٣ ٤٠٢ ٤٠١

٤٨٩ ٤٤٧
أبو هندی الداری : ٤٥٧ .
أبو وائل : ٥١٤ .
أبو يعلى : ٣٩٨ ٤٠٢ ٤٠٣
٤٧١ ٤٤٧ ٤٤٠ ٤٤٤
٤٩٩
أبو يوسف : ٣٢٨ ٣٤٦ .
أحمد (ابن حنبل) : ٣١٢ ٣١٤
٣٨٣ ٣٦١ ٣٣٧ ٣٢٢
٣٩٠ ٣٨٩ ٣٨٥ ٣٨٤
٣٩٨ ٣٩٦ ٣٩٢ ٣٩١
٤٠٥ ٤٠٤ ٤٠٣ ٤٠٢
٤٤١ ٤٠٩ ٤٠٨ ٤٠٧
٥١٧ ٤٥٨ ٤٥٧ ٤٤٢
الأحنف بن قيس : ٥٧٠ .
الأزدی : ٤٠٥ .
أحمد بنت أبي بكر : ٣٩٤ .
أسيد بن حضير : ٧٩٧ .
الأشعج : ٤٧٧ .
الأصبهاني : ٤٦٣ .
أنس : ٣٩٨ ٣٩٦ ٣٨٩ ٣٨٨
٤٤٣ ٤٠٩ ٤٠٤ ٤٠٣
٤٦٧ ٤٦٣ ٤٥٦ ٤٤٤
٤٦٨
أم أيمن : ٢٦٥ .
أم حبيبة (بنت أبي سفيان) : ٣٨٣ .
٣٨٤
أم سلمة : ٣٩٢

- الحسن بن زياد الأوّلوى ٣٤٦ .
(الإمام) الحسن السبط ٤١٥ ،
٥٣٣ .
حميد بن قحطبة بن شبيب ٥٢٦ .

(خ)

- خالد بن عزوان ٤٧٥ .
خالد بن عمرو القرشى السعيدى ٤٦٩
خالد بن عمير المدوى ٤٧٥ .
خالد بن الوليد ٢٦٦
خياب بن الأرت ٤٧٥ .
خبيب بن عدى ٢٦٤ .
الخطابي ٤٣١ ، ٤٣٧ ، ٤٨٩ .
الحلفاء الأربعة ٣٣٠ .

(د)

- الدارقطنى ٤٦٨ .
الدارمى ٣٩١
الداودى ٥٣٤ .
دحية ٤٣١ .

(ذ)

- الذهبي ٣٥٥ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٤٣

(ز)

- الزبير ٤٦٥ .
زهر بن الهذيل ٣٤٦ .
زكريا بن منصور ٤٠١ .

- ٤٠٥ ، ٤٤٣ ، ٤٥٨ ، ٤٦٧ ، ٤٧٣ ، ٥٥٠ .

(ث)

- ثوبان ٣٩١ ، ٤٠١ ، ٤٦١ ، ٥٤١ ، ٥٥٢ .
الثورى ٣٢٨ .

(ج)

- جابر بن عبد الله ٣١١ ، ٤٠٣ ، ٤٧٧ ، ٤١١ ، ٤٥٥ .
الجراكسة ٢٦١ .
جرير بن عبد الله ٤٧٧ .
جعفر القرطبي ٣٢٩ .
جعفر بن سليمان الضبيعى ٤٦٨ .
جندب بن عبد الله ٤٥٨ .
الجندب ٢٥٢ ، ٥١٨ ، ٥٢٩ .

(ح)

- حارثة بن وهب ٤٦٢ ، ٥٣٩ .
الحاكم ٣٩٦ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٤٣ ، ٤٤١ ، ٤٠٩ ، ٤٥٨ .

الحجاج ٥٣٢ .

- حذيفة ٣٢٣ ، ٤٧٨ ، ٥٢٣ .
الحربى ٤١٤ .
الحسن البصرى ٣١١ .

عدي بن حاتم ٥٣٢٣ ٥٣٨٥
 عروة بن الزبير ٥٣٦١ ٥٣٦٦
 عطاء بن أبي رباح ٥٣٦١
 العلام بن الحضرى ٥٣٦٨
 على بن أبي طالب (رضى الله عنه)
 ٥٣٥٦ ٥٣٨٩ ٥٣٥٣ ٥٣٩٩
 ٥٣٣
 على بن أحمد الرفاعى
 على بن عبد الله بن العباس ٥٣٥
 على ابن على الرفاعى ٤٤٢
 على بن الفضل ٥٣٠٠
 على بن محمد الصليحي ٥٣٠١
 عمر بن الخطاب (ص) ٥٣٦٩ ٥٣٦٩
 ٤١٠ ٤١١ ٤٦٥ ٤٦١ ٤٤٦
 ٤٧٤ ٤٧٨ ٥٣٢ ٥٣٥
 عمر بن عتبة ٥٣٧٠
 عمر بن محمد الأسلمى ٤٤٣
 عمران بن حصين ٥٣٦٣
 عمران القطان ٤٠٢
 عمرو بن الحارث ٤٧٥
 عمرو بن العاص ٥٣٧
 عمرو بن عوف الأنصارى ٤٧١
 عمار بن ياسر ٤٦٣
 عنبسة ٣٨٤
 عوف بن مالك ٥٣٤٧ ٣١٩
 عياض (القاضى عياض) ٥٣٥٦

٥٣٨٦ ٥٣٨٥ ٥٣٨٣ ٥٣٦١
 ٥٣٨٧ ٥٣٩٠ ٥٣٩٤ ٥٤٠١
 ٥٤٠٢ ٥٤٠٧ ٥٤١٦ ٥٤٥٦
 ٥٤٧٤ ٥٤١٦ ٥٣٠
 عامر بن عبد قيس ٢٦٩
 عامر بن فجرة ٢٦٤
 عباد بن اسحق ٣٨٦
 عباد بن بشر ٢٦٤
 عبادة بن الصامت ٤٩٨
 عبد الرحمن بن أبي بكر المليكى
 ٤٩٩
 عبد الرحمن بن اسحق ٣٨٦
 عبد الرحمن بن القاسم ٥٠٣ ٣٨٤
 عبد الله بن بريدة ٥٠٠
 عبد الله بن سلام ٤٧٨
 عبد الله بن عباس ٣١١ ٣٧٧
 عبد الله بن عمرو ٣٨٤ ٣٨٣
 ٤٠٩ ٤٦٧ ٥٤٠
 عبد الله بن عمرو بن العاص ٤٠٧
 ٤٥٨ ٤٧٠ ٤٧٧
 عبد الله بن المبارك ٣٤٦
 عبد الله بن مفضل ٤٧٩ ٣٨٨
 عبد الواحد بن زيد ٣٧١
 عبد الواحد بن سفيون ٣٩١
 ٤٧٧ ٤٤٠
 عبيد بن زجر ٥١٢
 عثمان بن عفان (رضى الله عنه) ٥٣٣

المستورد بن أخنف * ٤٧٠
 مسلم (الامام) * ٣٨٣٦٢٤٤
 ٣٨٩٦٣٨٧٦٣٨٦٤٣٨٥
 ٣٩٧٦٣٩٣٦٣٩١٦٣٩٠
 ٤٤٢٢٦٤١٠٦٤٠٩٦٣٩٨
 ٥٤٠
 مسلة بن عبد الملك * ٥٢٦٦٥٢٥
 مصعب بن عمير * ٤٧٦
 مطرف بن عبد الله * ٢٧٠
 معاذ * ٤٥٨٦٣٩٧٦٣٦٣
 معاوية ٣٩٨
 المنيرة (ابن شعبة) ٤١٠
 الفضل الضبي * ٣٣٧
 مقاتل * ٣٨٥٦٣١٢
 مكحول * ٣٨٤
 المناوي * ٣٩٨
 المنزري * ٤٠٤٦٤٠٣٤٣٩٧
 ٤٠٧ :
 منصور بن حسن * ٣٠٠
 المنصور (أبو جعفر) * ٥٢٥
 ٥٢٨٦٥٢٧
 المنصور (علي بن صلاح الدين) *
 موسى (عليه السلام) ٢٩٢٦٢٩١
 مولى الربيعي * ٣٣٧
 ميمون القداح * ٣٠١
 ميمونة (بنت الحارث الهلالية) رضى
 الله عنها * ٣٩٤٦٣٨٥٦٣٦٣
 (ن)
 النساني ٣٩٥٦٣٩١٦٣٨٥٦٣٨٤

عياض بن حمار ٥٣٥٦٤٦٠
 (ف)
 فاطمة (بنت رسول الله ﷺ) ٤٧٢
 الفاكفاني * ٤٢٠٦٣٦٥٦٢٧٦
 ٤٣٠
 (ق)
 قحطبة بن شبيب * ٥٢٦
 (ك)
 الكرماني (محمد بن يوسف بن علي)
 ٥١٩٦٤٩٥٤٣٦٠٦٢٤٣٠
 الكشميني * ٤١٩٦٣٨٢٤٣٦٣
 كعب الاحبار * ٥١٤
 كعب بن عجرة ٤٧٣
 كعب بن مالك * ٤٧١
 السكلابادي ٤٩١٦٤٩٠
 (م)
 مالك * ٣٩٦٦٣٢٩٦٣٢٨٦٣١٤
 مجاهد * ٣٦١٦٣١٢
 محمد بن الحسن الشيباني ٣٤٦
 محمد بن الله بن الحسن بن الحسن بن علي
 ابن أبي طالب * ٥٢٧
 محمد بن علي الشوكاني ٥٤١
 محمد بن مهران ٣٨٥
 محمود بن لبيد ٤٥٨
 المدهج * ٥٢٤
 المزني * ٣٢٧

٤٤٢٦٤٠٨	٤٤٠٨٦٤٠٥٦٤٠٢٦٣٩١
(و)	٦٤٥٧٦٤٤٣٦٤١١٦١٠٩
وكيع بن الجراح ٣٤٦	. ٥٤٠
وهب بن منبه * ٥١٦٦٦٣	الزنوي ٢٩٥
(ي)	النهان بن بشير * ٤٩٨٦٤٠٠
يحيى بن معين * ٣٨٦	الزواس بن ممان ٤٧٧
يعقوب * ٤٢٧٦٣٦١	(هـ)
يوسف <small>صلى الله عليه وسلم</small> ٣٧٦	الهادي الإمام الهادي يحيى بن الحسين ٣٠١
	الهيثمي * ٤٠٢٦٣٩٧٦٣٩٦

تصويب

خطا	الصفحة السطر	الصواب
ابن عمر	٤٧٠ ٧	ابن عمرو
قدمه	٤٧٠ ٧	قنعه
هو	٥٠٧ ٨	هوى
وما أصاب	٥٠٨ ٤ من أسفل	ما أصاب
أستجيب	٥١٢ ٢	أستجب
	٥٢٥ ٣	ابن على بن عبد الله بن العباس
الثنجيل	٥٢٩ ٤ » »	التمليل
بل	٥٣٢ ٤ » »	من

رقم الإيداع بدار الكتب ١٨٣٣ لسنة ١٩٧٩

مطبعة حسن

٢٤١ شارع الجبس - القاهرة ت ٨٣٣٥٤٠